

أطلس

تاريخ الدولة العباسية

طبيعة الدعوة العباسية

العلاقات مع البيزنطيين

الدول التابعة والمستقلة

الحركات الداخلية

نشأة المذاهب والفرق

الحضارة الإسلامية

الحروب الصليبية

الغزو المغولي

تأليف وتصميم

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث



تاريخ الدولة العباسية



تأليف وتصميم

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

العبيكان
Obëkan

٢ مكتبة العبيكان، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المغلوٲ، سامي عبدالله

أطلس تاريخ الدولة العباسية. / سامي عبدالله المغلوٲ. - الرياض،

١٤٣٣هـ

٥١٨ ص ٢١ × ٢٩ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٥٠٣-١٨٧-٥

١- الدولة العباسية أ- العنوان

ديوي ٩٥٣,٠٤ رقم الإيداع: ١٤٣٣/٣٤٢

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: مكتبة العبيكان للنشر

الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف 4808654 فاكس 2543314 ص.ب 67622 الرمز 11517

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان على آبل

<http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store>

التوزيع: مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف 4160018 / 4654424 فاكس 4650129

ص.ب 62807 الرمز 11595

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.



المقدمة

لم يعترض العباسيون الهاشميون على تولية معاوية بن أبي أسفيان - رضي الله عنه - سدة الخلافة في الدولة الأموية، فقد قاموا بمبايعته فور توليه الخلافة، وأوضح من هذا أن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - (ترجمان القرآن)، قد بايع يزيد بن معاوية بولاية العهد في حياة أبيه وفور توليه الحكم، وظلت العلاقة الحميمة رابطة بين أبناء العمومة. فقد أوصى عبد الله بن عباس ابنه علياً بإتيان الشام والتتحي عن سلطان ابن الزبير إلى سلطان عبد الملك، ولما توفي أبوه عمل بوصيته ورحل إلى الشام واستقبله عبد الملك واحتفى به، وكان يجلسه على سريرته إذا دخل ويحادثه ويسامره وكان يرعاه، ويقضي حوائجه ويقبل شفاعته. وحينما علم الوليد بن عبد الملك في خلافته أن علياً يطلب الخلافة ويتنبأ بانتقالها إلى بنيه ضيق عليه ونال منه وشهر به، وطرده من بلاد الشام، وقد انحطت منزلة علي بن عبد الله في عهد الوليد، وساءت حاله واضطربت، وقد التمس الوليد الأسباب للانتقام منه، وجاوز القصد في ردعه ومعاقبته فنفاه. وفي خلافة سليمان بن عبد الملك رده إلى دمشق، وأخلى سبيله، وأزال عنه ما لحق به من ظلم وهوان وربما اعتذر إليه من إيذاء الوليد له، وتكيله به، وجوره عليه، وأنصفه وتألّفه فصلحت حاله واستقامت، ورجع إلى الحميمة، فأقام بها حراً عزيزاً، وعاود فيها نشاطه لا رقيب له ولا حسيب عليه إلا الله - سبحانه وتعالى - وتذكر بعض الروايات^(١) : (أن سليمان بن عبد الملك انتهز النزاع الذي كان بين علي وبين سليط بن عباس فاتهم الأول بالمشاركة في قتل الثاني وحبسه وضربه بالسياط، ولم يكتف بهذا وحسب، وإنما حرم عليه مساكنته في دمشق، وأنزله هو وأهل بيته في قرية اسمها الحميمة، وسار هشام بن عبد الملك مع العباسيين سيرة أخيه سليمان، فاتهم علياً بطلب الخلافة، وأمر به فضرب بالسياط بين يديه. وهكذا ساءت العلاقة بين العباسيين، وبين البيت المرواني، وباتت تنذر بالشر، وترهص بالخطر).

بيد أن خلافة عمر بن عبد العزيز تركت مساحة كبيرة من العدل والحرية فأمر بالكف عن اضطهاد بني هاشم، وقسم فيهم سهم ذي القربى، فانتعشوا وكتبوا إليه يشكرون له ما فعله من صلة أرحامهم. وأخذ علي ابن عبد الله بن العباس ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يدافعان عنه ويدافعان الناس في اغتيابه. ولما تولى هشام اعتنى بعلي بن عبد الله بن العباس، وأحسن إليه، فكان يتהלّل له ويدنيه ويحمل عنه ديونه إذا وفد عليه، وصبر على نشاطه السياسي وتغافل عنه وتغاضى عن أمله في الخلافة، واستهان بعمله للفوز به، حتى أخطأ في تقدير خطره وقصّر عن إدراك تهديده لملك بني أمية إذ كان يهزأ بما يبلغه من أخبار نزوعه إلى الخلافة، ويستخف بتوقعه لتحويلها إلى بيته، وكان ينسب ذلك إلى فساد عقله وضعف رأيه وأضغاث أحلامه في شيخوخته. ويرى بعض المؤرخين أن علي بن عبد الله بن العباس

١ - د . إكرام الحجيلان، الدعوة العباسية ودور العرب فيها، ص ٢٢ - ٢٤ : نقلاً عن المقرئ في النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم ص ١٥ .

كان أول من تمنى الخلافة من بني العباس وشرع في تأسيس الدعوة لهم على انتقال الخلافة إليهم، وأظهر ذلك وجهر به. وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قدم على سليمان بن عبد الملك بدمشق، فأكرمه وأجازه، وسار أبو هاشم يريد فلسطين أو الحجاز، فمرض في الطريق وأحسَّ بالموت، ولم يكن له ولد، فعُدل إلى **الحميمة**، ونزل على محمد بن علي، فأوصى إليه بالإمامة وسلم إليه كُتُب الدُّعاة وأوقفه على ما يعمل به، وصرف شيعته إليه وأمرهم بالسمع له، وأعلمه أن الخلافة في ولده عبد الله بن الحارثية، وسواء أكانت وصية أبي هاشم صحيحة أم موضوعة، فإن بني العباس وشيعتهم اعتمدوا عليها في تقرير حقهم في الخلافة، ولم يزالوا يذكرون أن الخلافة أتتهم من جهتها إلى أيام أبي جعفر المنصور. وليس من الثابت أن سليمان بن عبد الملك راعه ذكاء أبي هاشم فخافه وفزع منه، ولا أنه أنفذ له من سَمِّه بعد أن رحل عنه وإنما مات حتف أنفه ^(١).



وقد أكد جماعة من المؤرخين تحول دعوة أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية إلى العباسيين والتي عمل من أجلها حوالي سبع عشرة سنة، واستقطب فيها كبار الشيعة العلوية من أهل العراق وخراسان، وفرقهم على المدن والأقاليم، ونظم هذه الدعوة ورعاها، وأعدّها لليوم المرتقب، وقد كانت وفاته عام ٩٨هـ بعد موت محمد بن علي ابن الحنفية بالمدينة عام (٨١ هـ). ولما علم كبار الشيعة العلوية في العراق وخراسان بموت زعيمهم عبد الله بن محمد (أبو هاشم) وانتقال الدعوة إلى محمد العباسي، ساروا إلى **الحميمة** للتعزيزية بوفاة إمامهم عبد الله ولتهنئة إمامهم الجديد محمد بتولية قيادة الدعوة "دعوة آل البيت أي الرضا من آل محمد" ومبايعته وتقديم العهد له، ببذل أموالهم وأنفسهم من أجل نجاح هذه الدعوة، وقد رأى محمد بن علي العباسي صدق هؤلاء الأنصار وتحمسهم ولمس حبهم لآل البيت.

من هنا أخذ العباسيون على عاتقهم ترتيب الدعوة ترتيباً سريعاً حتى آلت دعوتهم للنجاح الباهر بعد أن أسقطت الدولة الأموية في معركة الزاب سنة ١٣٢ هـ، وقد ضمَّناه بالتفصيل عبر خرائط ومرسمات في الباب الأول من هذا الأطلس، كما هو الأمر مع بقية مواضيع الأطلس. ولقد اصطلح مؤرخو الدولة العباسية على تقسيم أدوارها إلى فترتين كبيرتين:

- الأولى: من قيام الدولة سنة ١٣٢ هـ حتى سنة ٢٣٢ هـ (انظر الشكل المقابل).
- الثاني: من سنة ٢٣٢ هـ حتى سقوط دولة الخلافة على أيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ (انظر الشكل المقابل).

٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م

سقوط الخلافة العباسية على يد المغول

دور نفوذ السلاجقة الأتراك

الغزو الصليبي على المشرق الإسلامي سنة ٤٨٩ هـ.

الطولونيون
الرستميون
بنو مدرار
الإمامة الإباضية
الصفاريون
السامانيون
القرامطة
الأخضرية
العباسيون
الحمدانيون
الزياريون
بنو الرسي
بنو يعفر
بنو زريع
بنو حاتم
الرسوليون
الإخشيدون
بنو حسني
الغزنويون
العقيليون
بنو مروان
المرايطون
السلاجقة
سلاجقة الروم
الأرتقيون
الزنكيون

الأمويون في الأندلس ١٣٨ هـ
الأدارسة في المغرب ١٧٢ هـ
الأغالبة في إفريقية ١٨٤ هـ
بنو زياد في اليمن ٢٠٤ هـ
الطاهريون في خراسان ٢٠٥ هـ

العصر العباسي الثاني

٤٤٧ هـ

دور نفوذ بني بويه

٣٣٤ هـ

دور نفوذ الأتراك

٢٣٢ هـ

العصر العباسي الأول

دور الخلفاء الأقوياء

٧٥٠ م

١٣٢ هـ / ٧٥٠ م

العصر

تأسيس الدولة العباسية

أهم الدول والإمارات التابعة والمستقلة

أدوار الخلافة العباسية

إذن استطاع العباسيون أن يقيموا دولتهم الممتدة من سنة ١٣٢ - ٦٥٦ هـ، على رقعة جغرافية كبيرة، تُعدُّ امتداداً لدولة الخلافة الأموية، تفاعلت عليها عناصر متعددة «عربية وفارسية وتركية وكردية وأمازيغية وهندية»، وظلت رابطة الدين هي الرابطة الجامعة لهذه العناصر جميعاً رغم التحديات التي ذكرناها في ثنايا الأطلس.

لقد جاء هذا الأطلس في ستة أبواب رئيسة:

تتأول الباب الأول قيام الدولة، وتتأول الباب الثاني: العصر العباسي الأول، وتتأول الباب الثالث: عصر النفوذ التركي، وتتأول الباب الرابع: عصر النفوذ البويهي، وتتأول الباب الخامس: عصر النفوذ التركي السلجوقي الذي تخلله مجيء الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، وسقوط الدولة العباسية على أيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ. بينما جاء الباب السادس ليتأول: أبرز الملامح الحضارية في العصر العباسي. ثم ألحقنا هذه الأبواب بملاحق لإثبات المصادر والمراجع، وفهرس للعناوين والأبواب الخاصة بهذا الأطلس.

وأخيراً وليس آخراً، أسأل الله - تعالى - أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٨٦

مؤلف ومصمم الأطلس

سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

الأحساء / المبرز

في ١٢ / ٢ / ١٤٣٣ هـ

samimag13@gmail.com

جوال ٠٥٠٤٩٣٤٦٩٣

الباب الأول



قيام الدولة العباسية

١٣٢ - ٦٥٦ هـ / ٧٥٠ - ١٢٥٨ م



الدعوة العباسية

تنسب الدعوة العباسية إلى **العباس بن عبد المطلب** رضي الله عنه أحد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم.

ترجمة **العباس بن عبد المطلب** رضي الله عنه

هو **العباس بن عبد المطلب** - رضي الله عنه - بن هاشم عم الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ويكنى بأبي الفضل.

ولد في مكة قبل مولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعامين أو ثلاثة، من أكبر رجالات بني هاشم مكانة، وأكثرهم مالاً في الجاهلية، فقلدوه قيادتهم، فكان رئيسهم المطاع - بعد وفاة أبي طالب - المتوليّ لأموارهم، وكانت إليه **السّقاية والرّفادة وعمارة المسجد الحرام**، فإنه كان لا يدع أحداً يُسبُّ في المسجد، ولا يقول فيه هُجراً، يحملهم على عمارته في الخير، لا يستطيعون لذلك امتناعاً، لأنّ ملأ قريش كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك، فكانوا له أعواناً عليه، وأسلموا ذلك إليه. حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، وشهد بدرًا مع المشركين مكرهاً فأسر، فافتدى نفسه ورجع إلى مكة، ثم أسلم وكنم إسلامه، ثم هاجر إلى المدينة النبوية قبل الفتح بقليل، وشهد فتح مكة، وثبت يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم، ذُكر أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أمر العباس بالبقاء في مكة: (إن مقامك مُجاهدٌ حسنٌ) فأقام بأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُجلّه ويقدره، وقد كانت وفاته بالمدينة في رجب سنة ٢٢ هـ في خلافة ذي النورين عثمان بن عفان، ودُفن بالبقيع رضي الله عنه.

عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ « اسْتَأْذَنَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْنِيَ بِمَكَّةَ لَيْلِي مَنًى مِنْ أَجْلِ سِقَايَةِ فَادِنَ لَهُ » ^(١).

واستمر العباس رضي الله عنه وبنوه في خدمة **زمزم**، وكان يتحمل تكاليفها، (وكان للعباس مال بالطائف، كرم « غنب » كان يحمل زبيبه إليها فينبذ في الجاهلية والإسلام)، وذلك مصداقاً لقول رسول الله له يوم الفتح عندما سأله أن يجمع له بين الحجابة والسقاية فقال: يا نبي الله، بأبي أنت، اجمع لنا الحجابة والسقاية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أعطيك ما ترزؤون فيه، ولا أعطيك ما ترزؤون منه ». إلى إن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع فتأكد أحقية العباس رضي الله عنه وبنيه ببئر زمزم والسقاية، وهو ما ذكر في أحاديثه صلوات الله وسلامه عليه.

حكى الأزرقي في كتابه تاريخ مكة وغيره من العلماء: أن السقاية حياض من آدم، كانت على عهد قصي بن كلاب توضع بفناء الكعبة، ويستقى فيها الماء العذب من الآبار على الإبل، ويسقاه الحاج، فجعل قصي عند موته أمر السقاية لابنه عبد مناف، ولم تزل مع عبد مناف يقوم بها، فكان يسقي الماء من بئر كرادم وغيره إلى أن مات.

أشهر من تولوا أمر زمزم والسقاية في الإسلام على النحو الآتي ^(٢):-

١- **العباس بن عبد المطلب** رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو الفضل، وساقى الحرمين.

٢- **عبد الله بن العباس** رضي الله عنهما أبو العباس حبر الأمة وترجمان القرآن.

٣- **الإمام علي السجاد** بن عبد الله بن العباس.

٤- **داود** ابن الإمام علي السجاد.

٥- **سليمان** ابن الإمام علي السجاد.

٦- **عيسى** ابن الإمام علي السجاد.

٧- **أمير المؤمنين الخليفة أبو جعفر المنصور عبد الله** ابن الإمام محمد الكامل ابن الإمام علي السجاد.

واستمر أمر زمزم والسقاية يتولاها **الخليفة العباسي، ويعين الخليفة من ينوب عنه** ويباشر السقاية، لانشغالهم بأمر الخلافة، والبعد المكاني بين بغداد ومكة المكرمة، والأوضاع السياسية في مختلف العصور، واستمر ارتباط زمزم والسقاية بالخلفاء العباسيين أيضاً في مصر بعد سقوط الخلافة في بغداد إلى نهاية القرن التاسع الهجري، كما تشير إلى ذلك الوثائق التاريخية.

١ - أخرجه البخاري (رقم ١٦٣٤) ومسلم (رقم ١٣١٥).

٢ - الشريف أبو عبد المحسن حاتم بن أحمد العباسي، موقع (الأشراف العباسيون حول العالم).



كانت

السقاية لبني هاشم، وكان
أبو طالب يتولاها، فلما اشتد الفقر
بأبي طالب، أسند السقاية إلى **أخيه**
العباس، وكان من أكثر قريش مالا، فقام
بها. وعليه كانت عمارة المسجد (وهي أن لا
يدع أحداً يسب في المسجد الحرام).
وكان نديمه في الجاهلية أبا
سفيان بن حرب.



عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن :

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكُنِيَ بأبيه العباس، وهو أكبر ولده ولد بمكة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- وأهل بيته محاصرون في الشعب في مكة، فأَتَى به النبي فحنَّكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، وعلى الرغم من أنه لم يجاوز الثالثة عشرة من عمره يوم مات الرسول الكريم، فإنه لم يُضَيَّع من طفولته الواعية يوماً دون أن يشهد مجالس الرسول ويحفظ عنه ما يقول، فقد أدناه الرسول -صلى الله عليه وسلم- منه وهو طفل ودعا له: « اللهم فقِّهه في الدين وعَلِّمه التَّوِيل »^(١). فأدرك ابن عباس أنه خُلِقَ للعلم والمعرفة في دين الله تعالى.

من راحة عقله وفطنته :

اتسم عبد الله بن عباس بالمنطق والحجة والقوة والبرهان، فقد بعثه الإمام علي -رضي الله عنه- ذات يوم الى طائفة من الخوارج، فدار بينه وبينهم حوار طويل، ساق فيه الحجة بشكل يبهر الألباب، فقد سألهم ابن عباس: « ماذا تتقمن من علي ؟ ». قالوا: (نَنَقِمُ مِنْهُ ثَلَاثًا: أَوَّلَاهُنَّ: أنه حَكَمَ الرجال في دين الله، والله يقول: (إِنْ الْحَكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)، والثانية: أنه قاتل ثم لم يأخذ من مقاتليه سبيًا ولا غنائم، فلئن كانوا كفاراً فقد حلت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين فقد حُرِّمَتْ عليه دماؤهم، والثالثة: رضي عند التحكيم أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين استجابة لأعدائه، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين). وأخذ ابن عباس يُفَنِّدُ أهواءهم فقال: « أمّا قولكم إنه حَكَمَ الرجال في دين الله فأَيُّ بأسٍ ؟ إن الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مَعْدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ المائدة: ٩٥. فَتَبَيَّنُونِي بِاللَّهِ أَتَحْكُمُ الرجال في حَقِّ دماء المسلمين أحق وأولى، أم تحكيمهم في أرب ثمنها درهم ؟! ». وأما قولكم: إنه قاتل فلم يَسْبَ ولم يغنم، فهل كنتم تريدون أن يأخذ عائشة زوج الرسول وأم المؤمنين سبيًا ويأخذ أسلابها غنائم ؟؟. وأما قولكم إنه رضي أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين حتى يتم التحكيم، فاسمعوا ما فعله رسول الله يوم الحديبية، إذ راح يُمْلِي الكتاب الذي يقوم بينه وبين قريش، فقال للكاتب: « اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقال مبعوث قريش: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدَدْنَاكَ عن البيت ولا قاتلناك، فاكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله. فقال لهم الرسول: « والله إني لرسول الله وإن كُذِّبْتُمْ ». ثم قال لكاتب الصحيفة: « اكتب ما يشاءون، اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله ». واستمر الحوار بين ابن عباس والخوارج على هذا النسق الباهر المعجز، وما كاد ينتهي النقاش حتى نهض منهم عشرون ألفاً معلنين اقتناعهم، وخروجهم من خُصومة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال جُنْدُب لابن عباس: «أوصني بوصية، قال: أوصيك بتوحيد الله، والعمل له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن كل خير أنت آتية بعد هذه الخصال منك مقبول، وإلى الله مرفوع، يا جُنْدُب إنك لن تزداد من يومك إلا قرباً، فصل صلاة مودّع، وأصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر، فإنك من أهل القبور، وإبك على ذنك، وتب من خطيئتك، ولكن الدنيا أهون عليك من شسع نعليك، وكان قد فارقها، وصرت إلى عدل الله، ولن تنفع بما خلفت، ولن ينفعك إلا عملك». كف بصره في آخر عمره، وفي عامه الحادي والسبعين توفي ودُفِنَ في مدينة الطائف سنة (٦٨ هـ).



مئذنة مسجد عبد الله بن عباس بمحافظة الطائف

علي (السجاد) بن عبد الله بن عباس^(١)

هو الإمام **علي السجاد** ولد في الرابع والعشرين من رمضان سنة ٤٠ للهجرة النبوية بالبصرة عندما كان والده والياً عليها من قبل الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً. وبعد وفاة والده **بالطائف** ارتحل إلى **الحميمة** لوصية والده له، ومكث فيها وبنوه حتى قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ للهجرة. كان طويلاً ضخماً الجثة، أجمل قرشي. كان إذا قدم حاجاً أو معتمراً عطلت قريش مجالسها في المسجد الحرام، وهجرت مواضع حلقها، ولزمت مجلس علي بن عبد الله إعظاماً وإجلالاً وتبجيلاً، وكان لا يرى لقرشي في المسجد الحرام «مجلس ذكر» يجتمع إليه حتى يخرج علي بن عبد الله من الحرم. له من الولد محمد (وبه يكنى، والد إبراهيم الإمام أبو الخلفاء والذي بدأ الدعوة) وداود، وعيسى، وسليمان، وصالح، وإسماعيل، وعبد الصمد، ويعقوب. وعبد الله الأكبر، وعبيد الله، وعبد الملك، وعثمان، وعبد الرحمن، وعبد الله الأصغر الخارج بالشام، وبعضهم يسميه الشماخ وله عقب. ويحيى، وإسحاق، ويعقوب، وعبد العزيز، وإسماعيل الأصغر، وعبد الله الأوسط وكان أنحف، وأمينة، وأم عيسى تزوجها ابن حسن بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، ولبابة تزوجها ابن قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس. كان علي بن عبد الله بالشرارة من أرض دمشق لازماً لمسجده يصلي فيه كل يوم خمسمائة ركعة، ويسجد على لوح أتى به من زمزم، وكان لا يمر به أحد يريد الشام من الحجاز أو يريد الحجاز من الشام إلا أضافه ووصله، إن كان ممن يلتبس صلته، فقليل له: إن المؤونة تعظم عليك، فتمثل قول السلولي:

وماذا علينا أن يوافي نارنا

كريم المحيا شاحب المتحسر

فيخبرنا عما يريد ولو خلت

لنا القدر لم نخبر ولم نتخبر

لقيت عجوز من قريش علي بن عبد الله بن عباس فشكت إليه الخلة فأمر غلامه فأعطاها مئتي دينار، فقالت: جعلني الله فداك، أنت كما قالت أم جميل بنت حرب بن أمية:

زين العشيرة كلها في البدو منه والحضر

وكريمها في النائبات وفي الرحال وفي السفر

ضخم الدسيعة ماجد يعطي الجزيل بلا كدر

توفي علي بن عبد الله **بالحميمة** «انظر الخارطة المقابلة» في سنة ١١٧ هـ وله من العمر ٧٨ سنة.

تقلّات علي بن عبد الله بن عباس في العهد الأموي



المدينة النبوية قاعدة الخلافة الزيرية

دمشق قاعدة الخلافة الأموية

المكان السري الذي اتخذهُ علي بن عبد الله ابن العباس منطلقاً لنشر دعوته .

١ أوصى عبد الله بن العباس ابنه علياً بإتيان الشام والتّحج عن سلطان ابن الزبير إلى سلطان عيد الملك ولما توفي أبوه عمل بوصيته ورحل إلى الشام واستقبله عبد الملك واحتفى به، وكان يجلسه على سريرهِ إذا دخل ويحادثه ويسامره وكان يرعاه، ويقضي حوائجه ويقبل شفاعته.

٢ حينما علم الوليد بن عبد الملك في خلافته أن علياً يطلب الخلافة ويتنبأ بانتقالها إلى بيتهِ ضيق عليه ونال منه وشهر به، وطرده من بلاد الشام، وقد انحطت منزلة علي بن عبد الله في عهد الوليد، وساءت حاله واضطربت وقد التمس الوليد الأسباب للانتقام منه وجاوز القصد في ردعه ومعاقبته فنفاه.

٣ في خلافة سليمان بن عبد الملك رده إلى دمشق، وأخلى سبيله، وأزال عنه ما لحق به من ظلم وهوان وربما اعتذر إليه من إيذاء الوليد له، وتكيله به، وجوره عليه، وأنصفه وتألّفه فصلحت حاله واستقامت، ورجع إلى الحميّة، فأقام بها حُرّاً عزيزاً، وعاد فيها نشاطه لا رقيب له ولا حسيب عليه إلا الله سبحانه وتعالى.

٤ في خلافة عمر بن عبد العزيز أمر بالكف عن اضطهاد بني هاشم، وقسم فيهم سهم ذي القربى، فانتعشوا وكتبوا إليه : يشكرون له ما فعله من صلة أرحامهم. وأخذ علي ابن عبد الله بن العباس ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يدافعان عنه ويدافعان الناس في اغتيايه.

٥ لما تولى هشام اعتنى بعلي بن عبد الله بن العباس، وأحسن إليه، فكان يتهلّل له ويدينه ويحمل عنه ديونه إذا وفد عليه، وصبر على نشاطه السياسي وتغافل عنه وتغاضى عن أمهله في الخلافة، واستهان بعمله للفوز به، حتى أخطأ في تقدير خطره وقصّر عن إدراك تهديده للملك بني أمية إذ كان يهزأ بما يبلغه من أخبار نزوعه إلى الخلافة ويستخف بتوقعه لتحولها إلى بيته، وكان ينسب ذلك إلى فساد عقله وضعف رأيه وأضغاث أحلامه في شيخوخته. ويرى بعض المؤرخين أن علي بن عبد الله بن العباس كان أول من تمنى الخلافة من بني العباس وشرع في تأسيس الدعوة لهم على انتقال الخلافة إليهم، وأظهر ذلك وجهه به.

محمد (الكامل) بن علي بن عبد الله بن عباس^(١)

هو الإمام **محمد الكامل** الذي بدأ الدعوة العباسية، والد إبراهيم الإمام (أبو الخلفاء)، ذو الثغفات شبه أثر السجود بجبهته وأنفه ويديه بثغفات البعير، ويكنى أبا عبد الله، وأمّه العالية بنت عبيد الله بن العباس، وكان بينه وبين أبيه أربع عشرة سنة وأشهر، فلما شابا خضب علي بالسواد وخضب محمد بن علي بالحناء، فلم يكن يفرق بينهما إلا بخضابها لتشابههما، وقرب سن بعضهما من بعض، وكان بينهما في الموت في قول هشام بن الكلبي، خمس سنين أو نحوها و دفن في الحميمة عند والده.

وقال الواقدي: الثابت أنه توفي سنة خمس وعشرين ومئة، وكان له يوم مات سبعون سنة. وهو تابعي وعالم زاهد. وعندما دنا أجله أوصى أصحابه سنة ١٢٤ هـ، وقال: لن تلقوني بعد وقتكم هذا، وأنا ميت سنتي هذه، وصاحبكم **ابني إبراهيم**، وبعد مقتل إبراهيم فصاحبكم عبد الله ابن الحارثية السفاح. له من الولد إبراهيم الإمام، عبد الله السفاح، أبو جعفر المنصور، موسى، إسماعيل، يحيى، والعباس أصغر ولد أبيه، وقيل ولد قبل موت أبيه بعامين، ومن البنات العالية ولبابة وفاطمة.

وولد المهدي أمير المؤمنين في السنة التي مات فيها محمد بن علي فسمي باسمه وكنى بأبي عبد الله، وكانت وفاة المهدي سنة ١٦٩ هـ وله ثلاث وأربعون سنة. قالوا: وكانت الشيعة تروي أن الإمام محمد ابن علي، فيظن أنه ابن الحنفية، فلما مات ابن الحنفية، قالوا: الإمام ابنه عبد الله بن محمد بن علي، وهو **أبو هاشم**، فلما سُمّ أبو هاشم في طريقه وهو يريد الحجاز عدل إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس **بالحميمة** فأوصى إليه وأعطاه كتبه وجمع بينه وبين قوم من الشيعة، فقال: إنا كنا نظن أن الإمامة والأمر فينا فقد زالت الشبهة، وصرح اليقين بأنك الإمام، والخلافة في ولدك، فمال إليه الناس فثبتوا إمامته وإمامة ولده.

كان **محمد بن علي** يقول: لن يبلغ الرجل غاية الحلم حتى يعد ذليلاً، قال: وكان يقول: كفاك من حظ البلاغة أن تقول فتفهم، وتصف فتوجز. وقال أيضاً: لا يدرك الشباب بالخضاب، ولا الغنى بالمنى، ولا العلم بالادعاء. وكان يقول: شر الأبناء من دعاه البر إلى الإفراط، وشر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق.

١ - موقع أسرة آل باوزير العباسية الهاشمية .



كان **محمد بن علي بن عبد الله بن العباس** المتوفى سنة ١٢٥ هـ، أُنْبِه إخوته وأفضلهم، وهو الذي رَسَّخ قواعد الدعوة لبني العباس، وشيّد أركانها، ورفع بنيانها، فقد شَمَّر لتوطيدها وبثها، فوضع أنظمتها وشعاراتها، وأنشأ مجالسها واختار قادتها، ومكّن لها في الكوفة وخراسان، وشحذ عزائم أنصارها، وهبّأهم ليوم إعلان الثورة وتفجيرها، وكان من أجلّ الناس وأعظمهم قدراً، وكان بينه وبين أبيه أربع عشرة سنة، وكان عليّ يخضب بالسّواد، ومحمد بالحُمْرة، فيظن من لا يعرفهما أن محمداً هو علي، وكان عابداً زاهداً، وكان له علم وفقه ورواية، وكان ثقة ثباتاً مشهوراً، وكان مجاهداً يغزو الصائفة هو وعدة من إخوته ومواليه، وكان سيد ولد أبيه، وخيرهم ديناً، وأسخاهم كفاً، وكان سمح النفس، شديد الصّبر، صليب الفؤاد، حصيف الرأي، حسن التدبير، قوي الحجّة، شديد المنطق، بليغ القول .

علاقته بأبي هاشم ووصيته له :

بعد موت محمد بن علي ابن الحنفية بالمدينة عام (٨١ هـ) افرقت شيعته إلى **فرقتين :**
الأولى : دامت متمسكة بأرائها **الكيسانية**، نسبة إلى كيسان مولى الخليفة علي بن أبي طالب فقد قالت: إنه غائب عنا لكنه حي يرزق بجبله (جبل رضوى) ولا بد من رجعتة، فهم لا يوالون غيره، لأنهم ينتظرونه.
والثانية : تحولت إلى القول بإمامة ابنه عبد الله - المكنى **بأبي هاشم** من بعده، وسميت **بالفرقة الهاشمية**. وتعتقد أن أمر الشيعة صار إلى أبي هاشم بوصية من أبيه، وهذه الفرقة تعد أكبر الفرق العلوية، وأدقها تنظيمًا وأكثرها حماساً، وقد عرف أبو هاشم هذا برجاحة عقله وسعة علمه، وحسن تدبيره، ومعرفته بأحوال الفرق، فزادت شيعته بعد وفاة والده، فأخذ يدير الأمور، ويبعث الدعاة مع السرية التامة، موضحاً - في نظره - أحقيته بالخلافة، التي هي لهم دون الأمويين، ناشراً فطائع ومظالم بعض خلفاء الدولة الأموية^(١).

وكان **أبو هاشم** قدم على سليمان بن عبد الملك بدمشق، فأكرمه وأجازته، وسار أبو هاشم يريد فلسطين أو الحجاز، فمرض في الطريق وأحسّ بالموت، ولم يكن له ولد، فعدل إلى **الحميمة**، ونزل على **محمد بن علي**، فأوصى إليه **بالإمامة** وسلم إليه كُتُب الدُّعاة وأوقفه على ما يعمل به، وصرف شيعته إليه وأمرهم بالسمع له، وأعلمه أن الخلافة في ولده عبد الله بن الحارثية، وسواء أكانت وصية أبي هاشم صحيحة أم موضوعة، فإن بني العباس وشيعتهم اعتمدوا عليها في تقرير حقهم في الخلافة، ولم يزالوا يذكرون أن الخلافة أنتهم من جهتها إلى أيام أبي جعفر المنصور . وليس من الثابت أن سليمان بن عبد الملك راعه ذكاء أبي هاشم فخافه وفرغ منه، ولا أنه أنفذ له من سَمِّه بعد أن رحل عنه وإنما مات حتف أنفه^(٢).
وقد أكد جماعة من المؤرخين تحول دعوة أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى العباسيين والتي

عمل من أجلها حوالي سبع عشرة سنة، واستقطب فيها كبار الشيعة العلوية من أهل العراق وخراسان، وفرقهم على المدن والأقاليم، ونظم هذه الدعوة ورعاها، وأعدّها لليوم المرتقب، وقد كانت وفاته عام ٩٨ هـ بعد موت محمد بن علي ابن الحنفية بالمدينة عام (٨١ هـ).

أسباب تنازل أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي^(١) :

وعلى ضوء ما جاء من النصوص التاريخية التي ذكرت تنازل أبي هاشم عن الدعوة لمحمد بن علي العباسي عندما أحس بدنو الأجل، نستطيع أن نقول : ليس هناك ما يمنع من تنازل أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن دعوته السرية التي يطلب بها الخلافة، لما نراه من أسباب نجمها فيما يلي :

(أ) إن دعوته كانت قابلة للنجاح والفشل، وقد تكون للفشل أقرب، لاسيما وأنها توصف بالغلو، وهذا مما يقلل من أهمية هذا التنازل.

(ب) عرف أبو هاشم أنه لا أمل له في الوصول إلى الخلافة، بعد أن عرف قرب أجله، ولم يسعفه الوقت في حرية اختيار شخص آخر، ووجد أفضل الخيارات في تلك اللحظة هو محمد بن علي العباسي.

(ج) إن أبا هاشم لم يكن له ولد يخلفه، فيوصي له بالأمر من بعده.

(د) كان بين أبي هاشم ومحمد بن علي العباسي علاقات ودية، ولقاءات علمية، وصداقة قوية، الأمر الذي ساعد على تنازل أبي هاشم لمحمد هذا.

(هـ) كان أبو هاشم قد عرف كبار شيعته ودعائه من أهل العراق وخراسان بمحمد بن علي العباسي في أثناء تردهم عليه، كما أخبرهم أن الأمر صائر إليه بعد وفاته، كما تزعم بعض الروايات.

(و) عرف عن محمد بن علي العباسي برجاحة العقل والدهاء، وحسن التدبير والتصرف...، فقد كان أبو هاشم كثيراً ما يستعين بأرائه حول موضوع الدعوة والدعاة، وعرف بسعة الذكاء، ومعرفته بأحوال الرجال والديار، وقد استفاد من الأحداث التي جرت في عصره، وبالأخص ما وقع بين أبناء عمه العلويين والأمويين في صراعهم الدامي من أجل الخلافة، فقد درس أسباب الفشل والنتائج لهذه الأحداث، واستغل ما حصل من القتل والتشريد على إثر ذلك.

ولما علم كبار الشيعة العلوية في العراق وخراسان بموت زعيمهم عبد الله بن محمد (أبو

هاشم) وانتقال الدعوة إلى محمد العباسي، ساروا إلى الحميمة للتعزية ب وفاة إمامهم عبد الله ولتهنئة إمامهم الجديد محمد بتولية قيادة الدعوة " دعوة آل البيت أي الرضا من آل محمد " ومبايعته وتقديم العهد له، ببذل أموالهم وأنفسهم من أجل نجاح هذه الدعوة، وقد رأى محمد بن علي العباسي صدق هؤلاء الأنصار وتحمسهم ولمس حبهم لآل البيت، وكرهم لبني أمية وتمنيهم لزوالهم.



تنظيم الدعوة العباسية

تسلم **محمد بن علي العباسي** التنظيم السري من **أبي هاشم**، وبدأ مسار التنظيم الجديد يتغير عن القديم في بنيته الفكرية والاجتماعية وغيرها، ولكن كان ذلك مع التدرج، وقد توافرت صفات الزعامة في شخصية محمد بن علي، من قيادة واعية، وقدرة على التخطيط الصحيح، وقد برهن على عبقرية فذة في التنظيم والتخطيط للدعوة، مع قناعة الاتباع بزعامته الروحية والعلمية، فقد اشتهر بالعبادة والعلم، واستمر في تشكيل الحركة على أصول **العقائد السنية**، واستفاد من مدرسة جده عبد الله بن عباس في ذلك، وعمل على جذب الأنصار والأخذ بأسباب النصر على الأمويين، وقد استفاد من تشكيلات محمد بن علي التنظيمية كثير ممن جاء بعده ممن سعى لقيام دولة مع التطوير كالموحدين، والفرق الباطنية وغيرها - كما سيتضح لك في ثنايا هذا الأطلس إن شاء الله تعالى - وقد استطاع محمد بن علي العباسي أن يحكم قبضته على أمور الدعوة من خلال جهاز بالغ الدقة في التنظيم والإدارة، وقد استمر في عمله السري حتى وفاته عام ١٢٥ هـ، وهناك من العلماء من يرى أن تنظيم الدعوة العباسية قام على ثلاثة أفراد من البيت العباسي، لم يقدر أن ينالوا ثمرة غرسهم، وأولهم علي بن عبد الله بن عباس، وأنه رأس الدعوة أكثر من عشرين سنة، وهو الذي نظم الدعاة والنقباء في كل من العراق وخراسان، وولي أمر الدعوة بعده ابنه محمد بن علي ثم ابنه إبراهيم. بيد أن الزعيم القيادي الكبير للدعوة العباسية خلال هذه المرحلة السرية هو محمد بن علي العباسي، وكان معه فريق عمل من إخوانه وأبنائه وآخرين.

هل الدولة العباسية دولة أعجمية؟

إن مؤسسي هذه الدولة من بني هاشم من صميم قریش، وكانوا مؤسسين فعلاً وليسوا أداة بيد أحد، والذي خطط لهذه الدعوة هو **محمد بن علي بن عبد الله بن العباس**، وقام بتنفيذها بعده ابنه **إبراهيم**. وبدأت الدولة بأخيه **عبد الله الملقب بالسفاح**، ثم **بأبي جعفر المنصور**، وكانوا أقوياء، ولا يستطيع أحد أن يتخذهم أداة لتنفيذ أغراضه. لقد كان عدد النقباء الذين يشرفون على الدعوة في **خراسان** وغيرها اثني عشر نقيباً معظمهم من العرب، (انظر الصفحة المقابلة) إن اصطلاح (أهل خراسان) لا يعني بالتأكيد أن جميعهم من سكان البلاد الأصليين، فالعرب استوطنوا قرى خراسان ومدنها، وكثير منهم من العرب الذين هجرهم زياد بن أبيه حين كان أميراً على العراق، وذلك لشغبهم على الأمويين، وكثيراً ما يظن بعض الكتاب أن فلاناً أعجمي بسبب نسبته إلى إقليم أو مدينة في إيران، والحقيقة أنه عربي، فالذي يسمع باسم جديع بن علي الكرمانى يظنه أعجمي وهو من رؤساء الأزد، أو الفضل بن سليمان الطوسي وهو من تميم، ولا شك أن الموالي لهم دور في قيام الدولة، فالدعوة كما أسلفنا قامت

بواجهات متعددة. د . محمد العبد، مجلة البيان، عدد ١١، ص ٧٣.

التنظيم السري للدعوة العباسية

النائب في خراسان

مسرحاً للدعوة، كما أصبحت فيما بعد منطلقاً للعمل العسكري.

النائب في العراق

للإشراف على الدعوة، ونقل تعاليم الإمام الصادرة من الحميمة إلى الدعاة في خراسان.

مقر الإمام

مكاناً للتخطيط والدراسة

خراسان

أبو عكرمة السراج

كثير الداعي

عمار بن يزيد

الكوفة

ميسرة (النبال) العبدى

بكير بن ماهان

أبوسلمة (الوزير) الخلال

الحميمة

محمد بن علي

إبراهيم بن محمد

عبد الله بن محمد

رؤساء النقباء

القاسم بن مجاشع التميمي

خالد بن إبراهيم الشيباني

شبل بن طهمان الشيباني

قحطبة بن شبيب الطائي

عمرو بن أعين الخزاعي

لاهب بن قريظ التميمي

موسى بن كعب التميمي

عيسى بن كعب التميمي

سليمان بن كثير الخزاعي

مالك بن الهيثم الخزاعي

طلحة بن رزيق الخزاعي

عيسى بن أعين الخزاعي

نظراء النقباء

ثم يأتي نظراء النقباء وعددهم عدد النقباء، ونظير النقيب يخلف النقيب في حالة سفره أو وفاته

الدعاة

ثم يأتي بعد ذلك الدعاة، وعددهم سبعون داعياً

دعاة الدعاة

ثم يليهم دعاة الدعاة، وعددهم ما يقارب ٣٦ نقيباً

إبراهيم (الإمام) بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس

هو **إبراهيم الإمام** بن محمد بن علي العباسي، أخو السفاح، والمنصور، يُكنى أبا إسحاق، ولد بالحميمة من أرض الأردن سنة ٨٢ هـ . عهد إليه أبوه في السر **بالإمامة** فبلغ خبره مروان بن محمد، فأخذه وحبسه مدة بجرّان، ثم قتله غيلة، فعهد إلى أخيه السفاح، ولما قتل لبس **أقاربه السواد** حزناً عليه - وقد سنّها أبو مسلم الخراساني - ، وذلك أول ما لبسوه، فصار شعاراً لهم، ذكره العسكري في الأوائل.

روى إبراهيم عن أبيه، وعن جده، وعن عبد الله ابن محمد بن الحنفية (أبو هاشم) ، وروى عنه أخواه، وأبو مسلم الخراساني صاحب الدولة، وهو الذي أرسل أبا مسلم داعياً إلى خراسان . وكان جواداً، فاضلاً، خليقاً للإمارة. كان مقتله سنة ١٣١ هـ، وقيل في صفر سنة ١٣٢ هـ وله ٤٨ سنة. تزوج من أم جعفر بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فيه يقول ابن هرمة :

قبر بحران فيه عصمة الدين

و كنت أحسبني جلدأ فضعضني

وعيلت كل ذي مال ومسكين

فيه الإمام الذي عمت مصيبته

له من الأبناء عبد الوهاب (وكان والياً على الشام ومات بها) ، ومحمد (وكان أمير مكة والمدينة والجزيرة واليمن، توفي ببغداد) .

استهدفت الدعوة العباسية في رحلتها السرية
أعداء الدولة الأموية وهم على النحو الآتي:

الشيعية العلويون

من أهم الفئات التي استهدفتها الدعوة العباسية، فقد كانت تشكل تربة خصبة لحشد الأتباع والمناوئين للدولة الأموية فأى حركة منظمة تريد أن تسقط نظاماً ما لا بد لها من معرفة أعداء ذلك النظام والعمل على حشد القوى ضده مع ضرورة إمساكها بخيوط الثورة بيدها.

الموالي

فقد كان هؤلاء يدفعون من الضرائب مقداراً كبيراً، ويشعرون بعدم التساوي مع العرب وكان عليهم ضغط من كل جهة، فكانوا أعداء الدولة بطبيعة الحال.

المهالبة

من اليمنيين الذين حاربهم الدولة الأموية وتتبعهم بعد مقتل يزيد بن المهلب.



موقع خراسان في قارة آسيا

أطوار الدعوة العباسية

الطور الثاني

يبدأ هذا الطور باختيار الإمام إبراهيم بن محمد لأبي مسلم الخراساني للدعوة، ويغطي الحقبة الزمنية بين عامي (١٢٨ - ١٣٢ هـ / ٧٤٦ - ٧٥١ م).

وقد تميزت الدعوة في هذا الطور، باستخدام القوة لتحقيق أهدافها. ولقد كان لترشيح مولى قيادة النقباء خلال هذا الطور أمر أفرح الموال في خراسان، ولا سيما أن إبراهيم الإمام أوصى أبا مسلم الخراساني باستمالة اليمانيين لدعوته، وقد نجح أبو مسلم بعد أن كسب ثقة سليمان بن كثير، وظهرت القوة الجديدة في خراسان على مرحلتين: **مرحلة أبي مسلم الخراساني**، والذي لقب نفسه لقب (أمير آل محمد)، ومهد لإحياء التراث الفارسي القديم، و**مرحلة قحطبة بن شبيب الطائي** الذي دخل في حروب مع نصر بن سيار الوالي الأموي انتصر عليه ثم دخل الكوفة في جو الانتصارات وانتهت بقيام دولة الخلافة العباسية.

الطور الأول

يبدأ هذا الطور في مستهل القرن الثاني الهجري، وينتهي بانضمام أبي مسلم الخراساني إلى الدعوة، ويغطي الحقبة الزمنية بين عامي (١٠٠ - ١٢٨ هـ / ٧١٨ - ٧٤٦ م).

وقد تميزت الدعوة في هذا الطور، **بالسرية التامة**، وخلوها من أساليب العنف، في الوقت الذي كانت فيه دولة الخلافة الأموية متمسكة إلى حد ما، وقد نظم الدعوة خلال هذه المرحلة مجموعة من الكفاءات التي تميزت وأخرجت المشروع الدعوي بكامل السرية «انظر خارطة التنظيم السري ص ٢٣». وحينما علمت السلطات الحاكمة بأمر الدعوة، طاردت الدعاة وقتلت بعضهم، كما أن بعضهم راح ضحية تطرفه كخداش البلخي. وأحدث الإمام محمد ابن علي العباسي سنة ١٢٥ هـ تغييراً استراتيجياً مهماً في فحوى الدعوة حين خصصها لنفسه، وكشف ذلك لدعاته، على أن يبقى هذا الأمر وقفاً عليهم فقط دون العامة.

إعلان الدعوة العباسية سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م .

أرسل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، بكير بن ماهان إلى خراسان سنة ١٢٦ هـ ، فقويت شوكتهم هناك ، واجتمعت جماعة من الدعاة العباسيين بإبراهيم بن محمد سنة ١٢٧ هـ ، فقام إبراهيم بن محمد بإرسال أبي مسلم الخراساني إلى خراسان ، وطلب من شيعته الطاعة له سنة ١٢٨ هـ ، فلم يطيعوه فرجع إلى إبراهيم فأعاده ، وطلب منه أن يعتمد على اليمانية إذ إن والي خراسان نصر بن سيار كان يعتمد على القيسية^(١) .

ومن المعلوم بمكان أن العباسيين اتخذوا « التسويد » وهو نشر العلم الأسود ، ولبس الثياب السود ، شعاراً لدعوتهم وتمييزاً لأنفسهم وأتباعهم عن بني أمية وأتباعهم ؛ الذين كانوا قد اتخذوا البياض شعاراً لهم . وفي واقع الحال فقد ظلت الدعوة العباسية سرية حتى رمضان من سنة ١٢٩ هـ حينما أمر أبو مسلم الخراساني " بالتسويد " ولبس أتباعه السواد جهراً ، فكان ذلك بدءاً لإعلان الدعوة العباسية . ومن ذلك الحين وقع القتال المنظم بين بني أمية وبين أتباع بني العباس^(٢) .

ثم إن الدعوة كانت حتى ذلك الحين إلى الرضا من آل محمد ، ولم يكن أبو مسلم قد كشف بعد أنه يعني بآل محمد أبناء العباس لا أبناء أبي طالب - والعباس وأبو طالب عمّان للرسول ﷺ - إلا أن الاعتقاد السائد آنذاك هو أن الأمر سيؤول إلى أحد أبناء علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - . وكان العباسيون أنفسهم يوهمون الطالبيين بذلك .

ولما وقعت الحرب بين المسوّد وبين بني أمية فوّض أبو مسلم أمر الحرب إلى قحطبة بن شبيب الطائي . ثم إن المسوّد أخذوا يستولون على خراسان بلداً بلداً ، بينما كان الأمويون يتراجعون شيئاً فشيئاً نحو الغرب . ولقد استتجد نصر بن سيار والي خراسان (انظر ص ٢٧) بمروان الثاني فلم يستطع مروان الثاني إنجاده ، ولما بلغ تراجع نصر بن سيار مرو عاصمة خراسان مرض هناك وتوفي في ربيع الأول سنة ١٣١ هـ .

ثم ما زال قحطبة بن شبيب الطائي يتقدم حتى بلغ العراق ، فحاربه والي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ، ولكنه انهزم في المحرم سنة ١٣٢ هـ ، وكذلك قتل قحطبة في تلك المعركة نفسها ، فقام بالأمر من بعده ابنه الحسن بن قحطبة واحتل الكوفة ، وهنا أعلن أبو مسلم أن الخلافة لآل العباس ، وأن الخليفة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، الذي عرف فيما بعد ب (السفاح) فبوع له بالخلافة في الكوفة^(٣) .

١ - الشيخ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج ٣-٤، ص ٣٠٤، نشر المكتب الإسلامي .

٢ - ٣ ، ١ ، عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، دار العلم للملايين .

نصر بن سيار

هو نصر بن سيار بن رافع بن حري الكثاني، مات في «بساوة»، سنة (١٣١) هـ، وكان نصر بن سيار آخر ولادة الأمويين على خراسان في أواخر العقد الثاني وأوائل العقد الأول من القرن الثاني للهجرة، وكان والياً محنكاً حازماً، و شاعراً وخطيباً، كتب إلى يزيد بن عمر ابن هبيرة والي العراق في تلك الأيام، يعلمه في أبيات من نظمه ما شاع **بخراسان** من الاضطراب في العامين الماضيين، ويحذره من خطورة الوضع، وكتب إلى آخر خلفاء بني أمية في الشام مروان بن محمد الملقب بالجمعي هذه الأبيات البليغة :

أرى خلل الرمداد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكرى وإن الحرب أولها كلام
فإن لم يطفئها عقلاء قوم مشيبة يشيب لها الغلام
فقلت من التعجب لبيت شعري أنيقاظ أمية أم نيام
ولكن الخليفة الأموي مروان بن محمد (الثاني) لم ينجده لانشغاله في إخماد الفتن في الشام بين القيسية (المضرية) واليمانية .

أبو مسلم الخراساني

اسمه عبد الرحمن بن مسلم، ويقال : عبد الرحمن بن عثمان بن يسار الخراساني، الأمير صاحب الدعوة، وهازم جيوش الدولة الأموية والقائم بإنشاء الدولة العباسية، كان من أكبر الأمراء في الإسلام. كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب من رجل يذهب على **حمار بكاف** من الشام حتى يدخل خراسان، ثم يملك خراسان بعد تسعة أعوام، ويعود بكتائب أمثال الجبال، ويقلب دولة، ويقيم دولة أخرى، كان قصيراً، أسمر جميلاً، حلواً، نقي البشرة، أحور العين، عريض الجبهة، حسن اللحية، طويل الشعر، طويل الظهر، خافض الصوت، فصيحاً بالعربية والفارسية، حلو المنطق، وكان راوية للشعر، عارفاً بالأمور، لم ير ضاحكاً، ولا مازحاً إلا في وقته، وكان لا يكاد يقطب في شيء من أحواله، تأتيه الفتوحات العظام، فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة فلا يرى مكتئباً، وكان إذا غضب لم يستقره الغضب، قال عنه الذهبي : **كان أبو مسلم سفاكاً للدماء، يزيد على الحجاج في ذلك**، وهو أول من سن للدولة العباسية لبس السواد.



قطع مروان بن محمد الزاب لباغت العباسيين، ولكنه وجد أن قلوب أصحابه متفرقة، فأحب أن يحسمهم، ولكنه ارتكب خطأ فادحاً، إذ أعلن لهم أن معه في خيمته أموالاً سيوزعها عليهم بعد المعركة، طمع الجند في المال، ورجعوا نحو الخيمة فوقعت فيهم الفوضى فالهزيمة في ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٢ هـ كانون الثاني ٧٥٠ م. وكان ممن غرق في نهر الزاب من الأمويين أكثر ممن قتل منهم بالسيوف. أ. عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٢٠٥، دار العلم للملايين.

منهم بالسيف . أ. عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، ص ٢٠٥، دار العلم للملايين .

سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ

لقد خَلَفَ "هشام بن عبد الملك" أربعة من الخلفاء الأمويين عجزوا عن ممارسة السلطان، وأُفِلت منهم زمام الحزم، وأتاحوا الفرصة لعوامل الهدم والاضمحلال، فراحت الدولة الأموية تتهاوى وتترنح. وقد كان ظهور العباسيين في هذه المدة على مسرح الأحداث يمثل ضربة قاصمة أطاحت بالبيت الأموي عن عرش الخلافة الإسلامية، بعد أن انتهت **معركة الزاب** سنة ١٣٢ هـ لصالح العباسيين كما أسلفنا، حيث استولى عبد الله بن علي العباسي على الجزيرة والشام، بينما هرب مروان بن محمد إلى **مصر**، لكن الجيوش العباسية اقتفت طريقه، وبعد أن عبر مروان نهر النيل بمصر لحقه صالح بن علي عم السَّفَّاح، فأدركه في قرية من قرى **الفيوم** من أرض مصر يقال لها بُوَصير، فوافاه صائماً وقد قدَّم له الفطور، فسمع الصائح فخرج وسيفه مصلت، فجعل يضرب بسيفه، ويتمثل بقول الحجاج بن حكيم :

متقلدين صفائحاً هندية

يتركن من ضربوا كأن لم يولد

وإذا دعوتهم ليوم كريهة

وافوك بين مكبر وموحد

فقصدته الخيول من كل جانب، وبقي يقاتل حتى قُتِل، وكان من كلامه قبل أن يقتل : إن الجزع لا يزيد في الأجل، وإن الصبر لا ينقص الأجل، وكان يتمثل بهذين البيتين كما جاء في بعض الروايات :

ذلُّ الحياة وهول الممات

وكلَّ آراه وخيماً وبيلاً

فإن كان لا بد من ميتة

فسيري إلى الموت سيراً جميلاً

وبمقتله انتهت الدولة الأموية في المشرق، وقامت الدولة العباسية، حيث **بويع عبد الله بن محمد الملقب بأبي العباس السفاح بالخلافة في الكوفة** في ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ، قبل مقتل مروان بن محمد بشهور. وصدق الله القائل: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١﴾ .



الباب الثاني



العصر العباسي الأول

١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م

عصر القوة والتوسع والازدهار



الخلفاء العباسيون في العصر الأول

العصر العباسي الأول: ١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م

اصطلح مؤرخو الدولة العباسية إلى تقسيمها إلى **حقبتين**:

حقبة سميت بالعصر العباسي الأول أو العصر الذهبي للدولة العباسية، وتشمل الخلفاء العباسيين من أبي العباس السفاح سنة ١٣٢ هـ حتى وفاة الواثق بالله العباسي سنة ٢٣٢ هـ، وهو مناط حديثاً في هذا الباب .

أما الحقبة الأخرى فجاءت تسميتها بالعصر العباسي الثاني، وينساق فيها التاريخ العباسي في **ثلاث أحقاب** حتى سقوط بغداد على أيدي جحافل المغول سنة ٦٥٦ هـ .

ويرى الأستاذان، د. حسن أحمد محمود، ود. أحمد إبراهيم الشريف في كتابهما^(١) : أن وفاة الواثق بالله العباسي كانت خطأ فاصلاً بين عصرين يختلفان في جميع المقومات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وأن هناك أسباباً تؤيد ذلك منها تطبيق شعارات الدعوة العباسية، حيث وضعت فيها مكاسب الثورة العباسية وطبقت عملياً، على الرغم من بعض الأخطاء الصريحة، لكن الإشكالية الحقيقية في العصر اللاحق على الخليفة الواثق إذ أخذت فيه مكاسب الثورة تضع، لأسباب خارجة عن إرادة الخلفاء نتيجة لضعفهم، وبدأت الأخطاء تتضاعف وتؤدي ثمارها الضارة بظهور ثورات مضادة لاتجاهات الدولة.

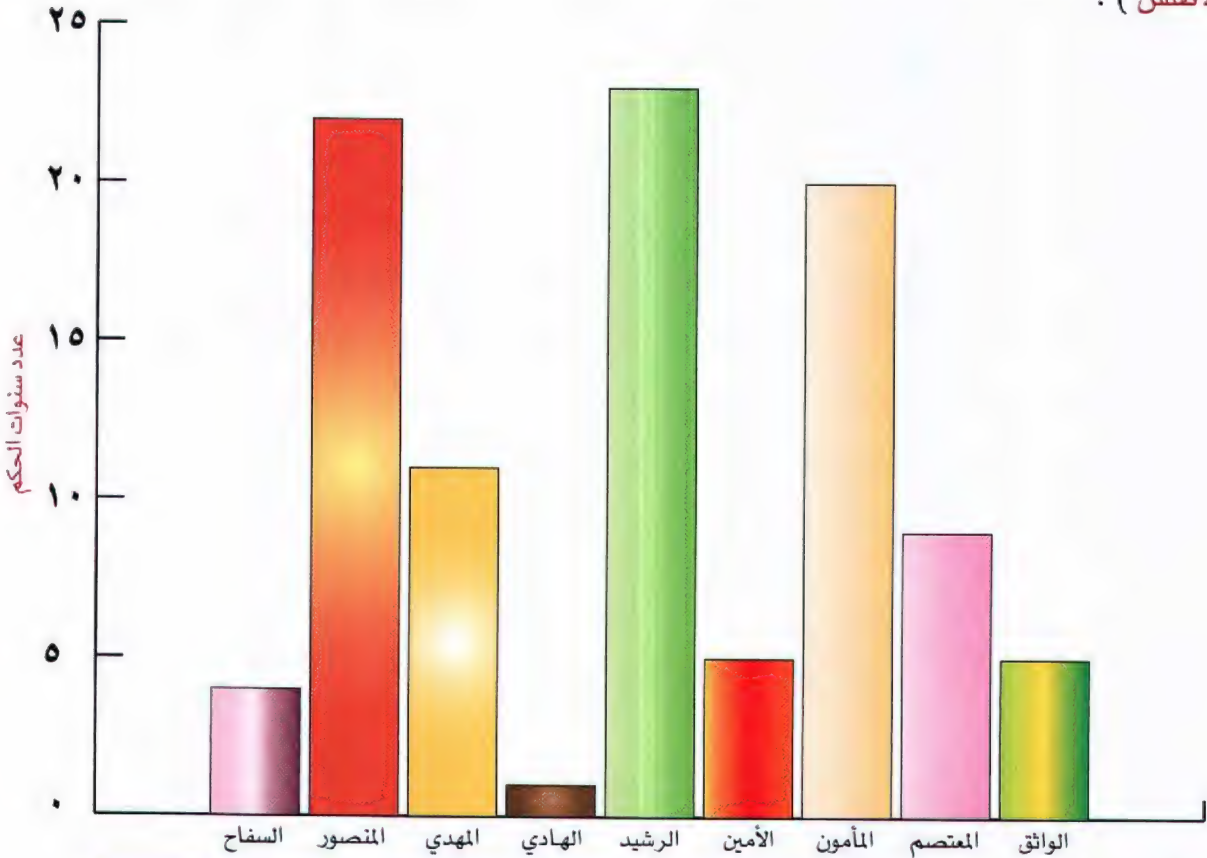
إن الدولة العباسية في عصرها الأول تركزت قوتها بهيبة خلفائها الأقوياء. فالخلفاء بأيديهم السلطات العليا حيث تمتعوا بقدرات شخصية وسياسية وإدارية فذة، منها سيطرت الدولة على رعاياها، والقضاء على أي محاولة للعبث بمقدراتها أو بمكتسبات وجودها؛ فأولت الجهاد في سبيل الله كل عنايتها، بعدما توقف في أواخر العصر الأموي، بدليل أن أبا العباس السفاح أراد الخروج لمقارعة الروم منذ توليه سدة الخلافة ولكن المنية سبقته، فسار أبو جعفر المنصور من بعده بتنظيم حملات الصوائف والشواتي على الثغور الشامية مع البيزنطيين، وسار على هذا النهج سلفه، حيث قادوا الجهاد وحاربوا الروم وفتحوا البلدان وقمعوا الفتن، وكفى في هذا الصدد أن الخلفاء (هارون الرشيد والمهدي والمأمون) ماتوا - رحمهم الله تعالى - وهم في حملاتهم الجهادية.

لقد اتسم هذا العصر بمكانة مرموقة للعنصر الفارسي في أجهزة الدولة، وكان لنفوذهم الواسع تأثير كبير في توجيه سياستها، حتى سيطروا أخيراً على الجهازين الإداري والعسكري في بغداد والأقاليم الخاضعة لنفوذها، فأحكموا قبضتهم على قيادة الجيوش والمناصب الإدارية الكبرى؛ كالوزارة والكتابة والولاية على البلدان، وتحقق للعباسيين في هذا العهد ازدهار للحركة العلمية ورخاء للحياة الاقتصادية. على الرغم من قيام حركات مناوئة للاستقرار ووحدة دولة الخلافة، هدفها زعزعة

الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية، تمثلت في حركتي **الشعوبية** (التي حققت على الإسلام وثقافته ولغته، وتزعمها قوم من الفرس المجوس، لبث النعرات الإقليمية والقومية المنبوذة) . **والزنادقة** (الذين كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون المجوسية، ثم نادوا بالإلحاد والإباحية، واستغلوا ميادين العلم والمعرفة، لنشر سمومهم وبث أفكارهم، ومن أبرز هذه الحركات، حركات الراوندية والبابكية والمقنع وغيرها من الملل والنحل آنذاك) .

وعلى الرغم من ذلك فإن **الفتن الداخلية** التي اجتاحت هذا العصر تمثلت في فتن الشيعة والخوارج والمعتزلة ... وغيرهم.

فقد كان للدولة أبلغ الأثر في التصدي لهذا الفكر العقدي الذي يصطدم مع التعاليم الإسلامية التي جاء بها القرآن وحثت عليها السنة، وذلك من خلال التركيز على دعم الحياة الفكرية عن طريق الاهتمام بالعلوم الشرعية والحفاظ عليها من أصحاب البدع والأهواء فجاءت نتائج هذا المشروع في العصر اللاحق من خلال بروز المدارس الشرعية للحفاظ على الهوية الإسلامية الصحيحة (انظر الباب السادس من هذا الأطلس) .



الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الأول ١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م

أبو العباس السفاح

١٣٢-١٣٦ هـ / ٧٥٠-٧٥٤ م

هو **عبد الله بن محمد بن علي العباسي**، وكنيته أبو العباس «السفاح». ولد سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م بالحميمة من أرض الشراة من البلقاء بالشام، ونشأ فيها. بويع له بالخلافة في الكوفة يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الآخر عام ١٣٢ هـ / شهر تشرين الأول عام ٧٤٩ م.

قال عنه الذهبي^(١): (السفاح الخليفة أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن حبر الأمة، عبد الله ابن عباس، بن عبد المطلب، بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، الهاشمي، العباسي. أول الخلفاء من بني العباس. كان شاباً، مليحاً، مهيباً، أبيض، طويلاً، وقوراً. هرب السفاح وأهله من جيش مروان الحمار، وأتوا الكوفة، لما استفحل لهم الأمر بخراسان، ثم بويع في الكوفة).

ومع التشابه بين اسمي أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور (عبد الله بن محمد بن علي العباسي) جعل المؤرخون يلقبون الخليفة السفاح بعبد الله الأصغر، نظراً لأنه أصغر سناً من أخيه المنصور.

ألقى أبو العباس، على عادة الخلفاء لدى انتخابهم، خطبة في مسجد الكوفة «انظر الخطبة في الصفحة المقابلة» أوضح فيها الهدف الذي من أجله قامت الثورة العباسية، وندد بالأمويين الذين وصفهم بمغتصبي الخلافة، ووعد الكوفيين، الذين ساندوا الثورة، بزيادة أعطياتهم، ولم ينس أن يذكرهم بأنه: "السفاح المبيح والثائر المبير".

كان الخليفة أبو العباس مقيماً بالكوفة، ويبدو أنه أدرك وضعها الشاذ بفعل عدم تأييد غالبية سكانها للثورة العباسية، فانتقل منها إلى مكان قريب عرف بهاشمية الكوفة، غير أنه لم يمكث فيها طويلاً، وانتقل إلى الأنبار، شمالي الكوفة، على نهر الفرات في عام ١٣٤ هـ / ٧٥١ م وبنى بجوارها مدينة لنفسه عرفت بهاشمية الأنبار. أقام بها حتى وفاته سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م.

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يخرج من رجل في انقطاع من الزمن، وظهور من الفتن يسمى السفاح، يكون عطاؤه المال حثياً"^(٢). وأئمة الحديث لا يصرفون هذا الاسم إلى أبي العباس، وإنما هو نبوءة كبقية النبوءات التي وردت في القرآن الكريم والحديث النبوي لا يُدرى تأويلها إلا أن تكون، ولكن الدعوة العباسية فيما يظهر قد جمعت بين هذا الحديث وأحاديث أخرى من باب النبوءات أيضاً، وجعلت منها حديثاً اتخذته في الدعوة إلى إقامة الخلافة في بني العباس.

١ - الذهبي: أبو عبد الله بن محمد، سير أعلام النبلاء، ترجمة أبي العباس السفاح، دار الفكر - بيروت (لبنان).

٢ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، رقم الحديث: ٢٢٧٩ (حديث مرفوع).

من حكمة أبي العباس السفاح في الكوفة

«أحمد الله الذي اصطفى الإسلام لنفسه، وكرمته وشرفه وعظّمه، واختاره لنا، زعم الشامية أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، شاهدت وجوههم، ثم لم أيتها الناس؟ وبناهدي الله الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق، ودحض الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الخبيثة، وتمم النقيصة، وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة في دينهم، وإخواناً على سرر متقابلين في آخرتهم، فتح الله ذلك - مِنَّةً وبهجة - لمحمد، فلما قبضه الله إليه، وقام بالامر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، حوزوا موارث الأمم، فعدلوا فيها ووضعوا مواضعها وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصاً منها، ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها، فجاروا فيها واستأثروا بها، وظلموا أهلها، وقد أُملي الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وتدارك بنا أمتنا، وقبلي نصرنا والقيام بأمرنا، ليس بنا على الذين استضعفوا في الأرض، فضمت بنا كما افتتح بنا، وإني لأرجو ألا يأتاكم الجور من حيث جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله، فاستعدوا أيها الناس، فإنا السفاح المبيح والثائر البير» (يقصد أنه كريم جوان).

الجزيرة

العراق

دينار أبي العباس السفاح

- ١ أبو العباس السفاح يُعينّ عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وأعمالها.
- ٢ أبو العباس يُعينّ عمه إسماعيل بن علي والياً على كور الأهواز وأعمالها.
- ٣ أبو العباس يُعينّ عمه داود بن علي والياً على الحجاز واليمن بعد أن عزله عن الكوفة.
- ٤ أبو العباس يُعينّ عمه عبد الله بن علي والياً على حرب مروان بن محمد.
- ٥ أبو العباس يكلّف أخاه أبا جعفر المنصور لقتال يزيد بن هبيرة .

عاصمة خلافة أبي العباس السفاح





الجهة الشرقية في عهد الخليفة أبي العباس السفاح

- ١ - الصينيون يغزون بلاد ما وراء النهر التي فتحها المسلمون في العهد الأموي مستغلين تضعف أوضاع المسلمين فيها .
- ٢ - في عام ١٣٢ هـ الجيش الصيني يستولي على مدينة سوياب ويدمرها (سوياب فرسخان وسوياب قريتان إحداهما تسمى كبال والأخرى ساغور كبال، ابن خرد ذبه، المسالك والممالك) .
- ٣ - الصينيون يستغلون النزاع الدائر بين أخشيذ فرغانة وملك الشاش، حيث وقفوا مع فرغانة ضد الشاش .
- ٤ - القائد المسلم زياد بن صالح الذي استطاع إخماد ثورة شريك بن شيخ المهري في بخارى، استطاع أن يلحق الهزيمة بالجيش الصيني على نهر طراز (موقعه طلاس) سنة ١٣٢ هـ . وبذلك ينهي التدخل الصيني في المنطقة .



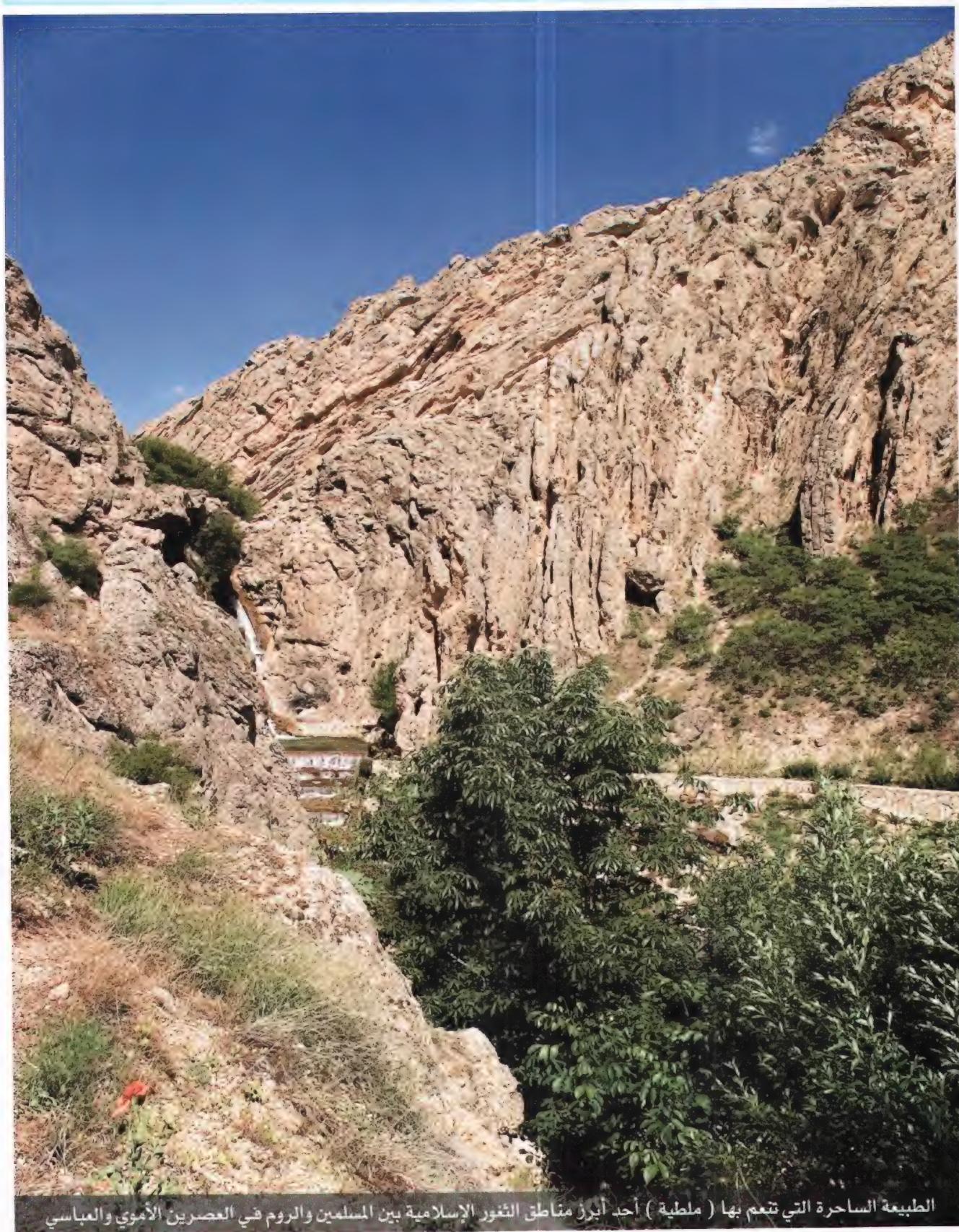
الجهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي أبي العباس السفاح

١ الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس يغير على مناطق الثغور الشامية والجزرية ويستولي على الكثير من المدن والقلاع مستغلاً الأوضاع الداخلية في العالم الإسلامي .

٢ الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس سنة ١٣٣ هـ يقود حملة إلى منطقة الحدود مع أرمينيا ويستولي على حصن ثيودوسيوليس (أرض روم) ، ولم يتمكن الجيش العباسي بقيادة مخلد بن مقاتل بن حكيم من الصمود أمامه ، واستطاع الإمبراطور مواصلة زحفه على الثغور فاستولى على الحدث وملطية وقلوذية وخرَّب حصن شمشاط .

٣ في سنة ١٣٤ هـ استأنف المسلمون عملية الصوائف والشواتي؛ فأرسل أبو العباس السفاح صائفتين إلى ملطية، الأولى بقيادة عميه صالح وعيسى ابني علي فدمرا سورها، والثانية، بقيادة محمد بن النصر بن بريم الحميري الذي دخل حصن طوانة، ثم وجَّه في نهاية العام غارة بحرية إلى صقلية وسردينيا بقيادة عبد الله بن حبيب الفهري.

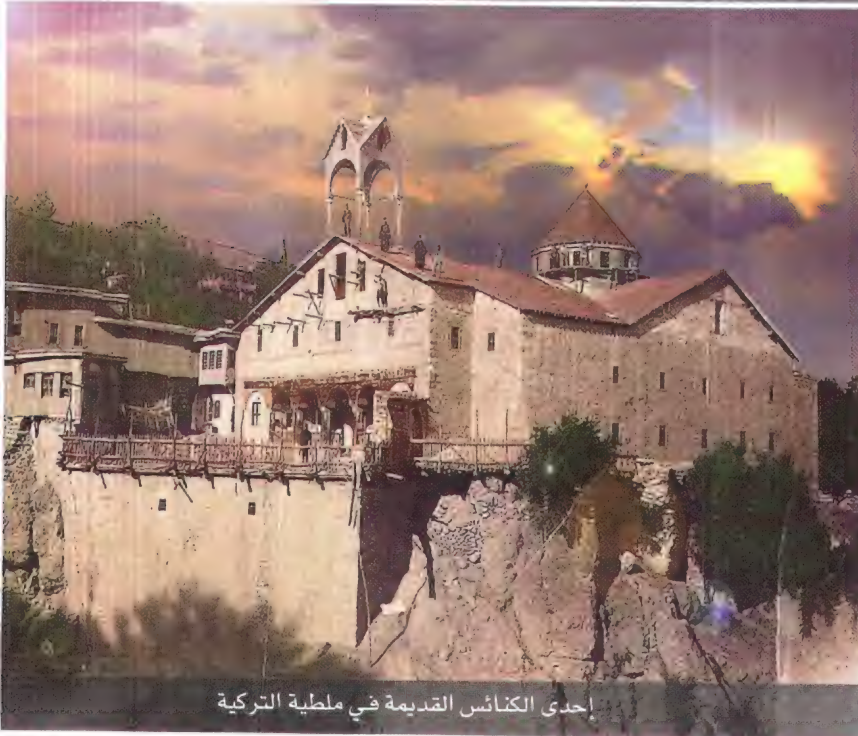
٤ الخليفة العباسي (أبو العباس) يكلف واليه على الشام عمه عبد الله بن علي في عام ١٣٦ هـ بتجهيز حملة إلى آسيا الصغرى تجمعت في مرج دابق، لكن المنية وافته قبل أن يرسل ثلاث الجيش إلى هناك .



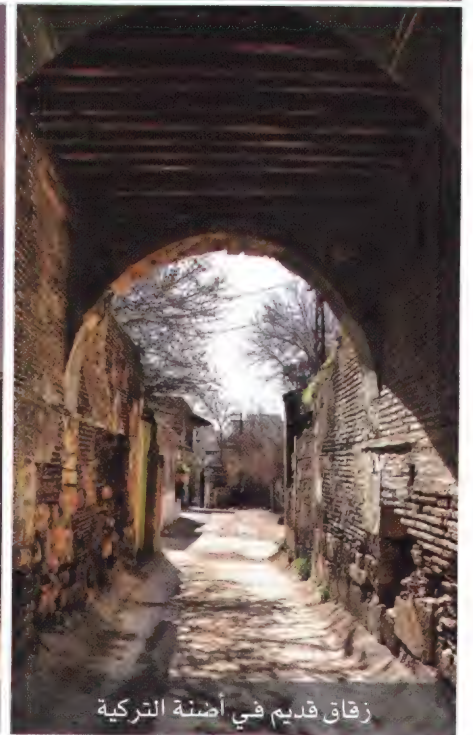
الطبيعة الساحرة التي تتعم بها (ملطية) أحد أبرز مناطق الثغور الإسلامية بين المسلمين والروم في العصرين الأموي والعباسي



أحد المساجد العثمانية التي تزخر بها (أرض روم) التركية



أحدى الكنائس القديمة في ملطية التركية



زقاق قديم في أضنة التركية

أبو جعفر المنصور

١٣٦-١٥٨ هـ / ٧٥٤-٧٧٥ م

هو المنصور **عبد الله بن محمد بن علي العباسي**، وكنته «أبو جعفر». ولد سنة ٩٥ هـ / ٧١٢ م بالحميمة من أرض الشراة من البلقاء بالشام، ونشأ فيها. بوع له بالخلافة بعد وفاة أخيه أبي العباس سنة ١٣٦ هـ - ٧٥٤ م حتى وفاته في ٦ من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ = ٧ من أكتوبر ٧٧٥ م) وهو محرم بالحج والعمرة، ودُفن في مقبرة المعلاة (بئر ميمون) في أعلى مكة المكرمة.

يُعد أبو جعفر المنصور هو **المؤسس الحقيقي للدولة العباسية**، يقول ابن طباطبا في الفخري: هو الذي سن السنن وأرسي السياسة و اخترع الأشياء، وسار أبنائهم الخلفاء من بعده على مسيرته؛ وهو فوق ذلك جعل لبني العباس سندا شرعياً في وراثة الدولة، أعطت لهم السبق على أبناء عمهم الطالبين، تمثلت في المكاتبات بينه وبين محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، ويتلخص ذاك السند في الفتوى بأن العم أحق في الوراثة من البنت، وابن العم، ويقصد بذلك فاطمة الزهراء رضي الله عنها وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ كما أن المنصور هو من سن السياسة الدينية وجعلها أساساً لحكم العباسيين .

لذا يعد أبو جعفر المنصور - كما أسلفنا - المؤسس الحقيقي للدولة العباسية التي ظلت خمسة قرون، زينة الدنيا، ومركز الحضارة، وموئل الثقافة، وعاصمة العالم. نهض إلى الخلافة بعد أن أصقلته التجارب وأنضجته المحن، وخبر الناس وعاشرهم ووقف على دواخلهم وأخلاقهم، وما إن أمسك بزمام الأمور حتى نجح في التغلب على مواجهة صعاب وعقبات توهن عزائم الرجال وتضعف ثبات الأبطال، وتبعث اليأس والقنوط في النفوس. وكانت مصلحة الدولة شغله الشاغل، فأحكمت خطواته وأحسن تدبيره، وفجرت في نفسه طاقات هائلة من التحدي، فأقام دولته باليقظة الدائمة، والمثابرة الدائبة، والسياسة الحكيمة.

شخصية أبي جعفر المنصور القيادية : كان الخليفة أبو جعفر المنصور رجل عمل وجد، لم يتخذ من منصبه وسيلة للعيشة المرفهة والانغماس في اللهو والاستمتاع بمباهج السلطة والنفوذ، يستغرق وقته في النظر في شؤون الدولة، ويستأثر بمعظم وقته أعباء الحكم. وكان يعرف قيمة المال وحرمة، فكان حريصاً على إنفاقه فيما ينفع الناس؛ ولذلك عني بالقليل منه كما عني بالكثير، ولم يتوان عن محاسبة عماله على المبلغ الزهيد، ولا يتردد في أن يرسل إليهم التوجيهات والتوصيات التي من شأنها أن تزيد في دخول الدولة، وكان يمقت أي لون من ألوان تضییع المال دون فائدة، حتى اتهمه المؤرخون بالبخل والحرص، ولم يكن كذلك فالمال العام له حرمة ويجب إنفاقه في مصارقه المستحقة؛ ولذلك لم يكن يفض الطرف عن عماله إذا شك في أماناتهم من الناحية المالية بوجه خاص لأنه كان يرى أن المحافظة على أموال الدولة الواجب الأول للحاكم. وشغل أبو جعفر وقته بمتابعة عماله على المدن والولايات، وكان يدقق في اختيارهم ويسند إليهم المهام، وينتدب للخراج والشرطة والقضاء من يراه أهلاً للقيام بها، وكان ولاية البريد في الآفاق يكتبون إلى المنصور بما يحدث في الولايات من أحداث، حتى أسعار الفلال كانوا يطلعونه عليها وكذلك أحكام القضاء. وقد مكنته هذا الأسلوب من أن يكون على بينة مما يحدث في ولايات دولته، وأن يحاسب ولايته إذا بدر منهم أي تقصير. وعلى الرغم من الشدة الظاهرة في معاملة المنصور، وميله إلى التخلص من خصومه بأي وسيلة، فقد كان يقبل على لقاء العلماء الزاهدين ويرحب بهم ويفتح صدره لتقبل تقديمهم ولو كان شديداً. وتمتلى كتب التاريخ والأدب بلقاءاته مع سفيان الثوري وعمرو بن عبيد وابن أبي ذئب والأوزاعي وغيرهم. موسوعة المعرفة

منافسة عمه عبد الله بن علي لـه في الأمر

اتساع نفوذ أبي مسلم الخراساني

ثورة العلويين بقيادة محمد بن عبد الله بن الحسن
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس
الزكية، وأخيه إبراهيم، وكانا يعدان العدة للخروج
على أبي جعفر المنصور، ومنتظران الفرصة
للاقتضاض عليه.



صورة مكبرة لدينار الخليفة العباسي **أبي جعفر المنصور**، سك في سنة ١٤٣ هـ



أراد **أبو جعفر** أن يضرب عمه **عبد الله بن علي** بأبي مسلم الخراساني، وأيهما زال فقد زال من طريقه، ولا سيما أن عبد الله بن علي ينتظر أن تؤول إليه الخلافة، لما كان له من يد طويلة في القضاء على ملك بني أمية، فلما جاء الخبر باستخلاف أبي جعفر المنصور **خلعه وأعلن البيعة لنفسه**.. فأرسل إليه أبو جعفر جيشاً بقيادة **أبي مسلم الخراساني** فالتقوا عند **حران** ودارت معركة بين الفريقين لمدة ستة أشهر، وظلت المعركة سجالاً ثم تحولت إلى أبي مسلم الذي انتصر، وفر عبد الله بن علي إلى **البصرة** عند أخيه سليمان، فعلم بذلك أبو جعفر فبعث إلى سليمان يأمره بإحضار عبد الله بن علي إليه، وأعطاه الأمان لعبد الله ما جعله يثق به، فجيء به إلى المنصور سنة ١٣٩هـ، فأمر بحبسه وحبس من كان معه، وظل في حبسه حتى مات سنة ١٤٧هـ .



أراد أبو جعفر أن يصطاد أبا مسلم قبل أن يعود إلى خراسان بعد هذه المعركة، ولم يكن يريد أن يظهر لأبي مسلم مراده. فكتب إلى أبي مسلم (إني قد وليتك مصر والشام فهي خير لك من خراسان.. تكون بقرب أمير المؤمنين، فإن أحب لقاءك أتيته من قريب). فغضب أبو مسلم، وقال: (يوليني الشام ومصر، وخراسان لي). وعزم على عدم تنفيذ الأمر والعودة إلى خراسان. قرر أبو جعفر استعمال الدهاء مع أبي مسلم وبدأت بينهما حرب مراسلات، حتى أرسل أبو جعفر إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي، في جماعة من الأمراء وأمره أن يكلم أبا مسلم بألن ما يكلم به أحداً، وأن يمنيّه فإن أبي قال له: (هو بريء من العباس إن شققت العصا، وذهبت على وجهك ليدركنك بنفسه وليقاتلنك دون غيره، ولو خضت البحر الخضم لخاضه خلفك، حتى يدركك فيقتلك أو يموت قبل ذلك). وبالفعل يقابل الوفد أبا مسلم فيأبى أن يطيع، أو أن يأتي لمقابلة أبي جعفر، فيبلغاه الرسالة الأخيرة، وسبحان الله! فهذه الكلمات جعلت الجبار أبا مسلم يخنع ويجبن، ويزداد تردداً وحيرة. كما كتب أبو جعفر إلى خليفته أبي مسلم على جند خراسان يعطيه إمارة خراسان ما عاش.. كل هذه الضغوط جعلت أبا مسلم يقرر الذهاب لمقابلة أبي جعفر المنصور الذي تمادى في المكر فأعطاه الأمان، وأظهر له عند دخوله المدائن الاحترام والتقدير ومراسم الاستقبال، ولكنه كان عازماً على قتل أبي مسلم غدرًا، وبالفعل قتله وهو يكلمه آمناً على يد بعض حراسه.





٣ ما هزم "جمهور" سنباد، واسترد الأموال، كانت خزائن أبي مسلم الخراساني من بينها، قطع "جمهور"، فلم يرسل المال إلى الخليفة المنصور، بل ونقض البيعة ونادى بخلع المنصور، فماذا كان من ذلك؟ أرسل المنصور القائد الشجاع "محمد بن الأشعث" على رأس جيش عظيم، فهزم "جمهوراً" وفر هارباً إلى "أذربيجان"، وكانت الموقعة في سنة ١٢٧هـ / ٧٥٦م.



٢ **الراوندية:** حركة غربية ظهرت في أجواء الحياة العباسية (١٤١هـ ٧٥٨م) .. وسميت الراوندية نسبة إلى قرية (راوند) القريبة من أصفهان .. وكانوا يؤمنون بتناسخ الأرواح، ثم أعلنوا أن أبا جعفر المنصور هو الإله الذي يرزقهم ويطعمهم. واتجه ستمئة شخص منهم نحو عاصمة الخلافة العباسية في ذلك الوقت (الهاشمية)، وأعلنوا ثورة عارمة على الخليفة المنصور، الذي لم يقرهم على أفكارهم. وطالبهم بالرجوع عن هذه الأفكار، فما هو إلا مجرد خليفة، وعبد من عباد الله، وليس إلهاً. ومن هنا وجد هؤلاء الراوندية أن الخليفة لا يستحق التقديس، فهم قد رفعوه إلى مرتبة الإلهية، وهو يأبى ذلك، فلا بد إذن من الثورة عليه، لأنه لا يستحق هذا الشرف العظيم .. ومن هنا فقد قرروا إعلان الحرب عليه .. وتوجهوا نحو قصره بالهاشمية، ومن هنا فقد وقف الخليفة موقفاً في غاية الشجاعة عندما امتطى صهوة حصانه، وأمسك سيفه، وخرج من قصره لمواجهة هؤلاء العصاة المتمردين .. وما كاد الناس يرون شجاعة أمير المؤمنين وهو ممسك بسيفه ويقاتل هؤلاء المتمردين حتى انضموا إليه، وأخذوا يحاربون بجانبه حتى كتب الله لهم النصر المؤزر.



الزنادقة الملحدون هم الذين لا يؤمنون بوحداية الله تعالى، وينكرون تعاليم الإسلام العظيمة. وقد قاوموه سرا وعلنا، وهم فرق كثيرة، غالبها من الفرس الناقمين على العرب، ومنهم من تظاهر بالإسلام وأبطن عقائد الفرس القديمة، كالمجوسية التي تمجد النار، والمزدكية و المانوية التي تقول بالحلول والتناسخ وتبيح المحرمات. وقد غلبت فكرة القومية الفارسية عند هذه الفرق، فحاولوا تحقيق فكرتهم عن طريق الثورات طيلة العصر العباسي فلم يفلحوا.

حركة أستاذ (سيس) سنة ١٥٠ هـ ٧٦٧ م

- ١ أستاذ سيس؛ رجل فارسي **ادعى النبوة**، وقاد حركة تهدف إلى تخليص بلاد فارس من قبضة العباسيين، واستطاع بجيوشه الضخمة التي بلغت في بعض الروايات ٣٠٠,٠٠٠ ألف مقاتل، من أجل بسط نفوذه على مناطق سجستان وهرات (و كور خراسان وغيرها.
- ٢ الأجثم المروزي يخرج في أهل مرو الروذ، لمقاتلة أستاذ سيس قتالاً شديداً حتى قتل الأجثم، وكثر القتل في أهل مرو الروذ، وهزم عدة من القواد؛ منهم معاذ بن مسلم بن معاذ، وجبرائيل بن يحيى، وحماد بن عمرو، وأبو النجم السجستاني، وداد بن كراز.
- ٣ **أبو جعفر المنصور** يجيش قوات ضخمة بقيادة **خازم بن خزيمة التميمي**، للقضاء على هذه الحركة، وانتهى الأمر بالقبض على أستاذ سيس وإعدامه.



الجزيرة

الموصل

قرقيسيا

الفرات

○ همدان

○ ہیت

المدائن

واسط

○ کربلاء

العراق ○ الكوفة

العمارة

الأجزاء

○ البصرة

الدولة العباسية

صحة وراء النفود

وادي الباطن

خليج البحرين (العربي)

٢ تحرك الخوارج مرة ثانية في خلافة المنصور سنة ١٤٨هـ بالموصل تحت قيادة "حسان بن مجالد الهمداني"، إلا أن خروجه هو الآخر قد بء بالفشل.

البحرين

۵۴۰۰ ۳۰۰ ۲۰۰ ۱۰۰ .

ثورات الخوارج في الجزيرة الفراتية

خوارج المغرب في عهد أبي جعفر المنصور

أوروبا



من هم الإباضية؟

يرجع المذهب الإباضي في نشأته وتأسيسه إلى عصر التابعين؛ فمؤسسه الذي أرسى قواعد الفقه الإباضي وأصوله هو التابعي الشهير: جابر بن زيد الأزدي فهو إمام محدث فقيه، من أخص تلاميذ ابن عباس، وممن روى الحديث عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وعدد كبير من الصحابة ممن شهد بدراً، كان إماماً في التفسير والحديث، وكان ذا مذهب خاص به في الفقه، ولد سنة ٢١ للهجرة، وكان أكثر استقراره بالبصرة وبها توفي سنة ٩٢ للهجرة، ولم ينسب إليه المذهب وإنما نسب إلى عبد الله بن إياض وهو تابعي أيضاً عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيام عبد الملك بن مروان فهي نسبة عرضية كان سببها بعض المواقف الكلامية والسياسية التي اشتهر بها ابن إياض وتميز بها، فتنسب المذهب الإباضي إليه، ولم يستعمل الإباضية في تاريخهم المبكر هذه التسمية، بل كانوا يستعملون عبارة "جماعة المسلمين" أو أهل الدعوة" وأول ما ظهر استعمالهم لكلمة الإباضية كان في أواخر القرن الثالث الهجري. د. عمرو خليفة النامي، مقدمة تحقيقه لكتاب أجوبة ابن حليون: ٩-١٢

تاهرت

المغرب الأوسط

إفريقيا

الدولة العباسية

جبل نفوسة

ليبيا

غدامس

ورقلة

القليعة

المغرب الأقصى

سجلماسة

لم يقف أبو جعفر المنصور أمام هذه الحركات المناهضة للدولة العباسية مكتوف اليدين، حيث أرسل الحملات العسكرية المتلاحقة إلى المغرب لإعادة بسط سيطرة الدولة عليه، وتمكنت إحدى هذه الحملات بقيادة يزيد بن حاتم ابن قبيصة من الانتصار على الخوارج الإباضية في سنة ١٥٥ هـ ونعمت القيروان، بعد أن استعادتها الجيوش العباسية بمدة طويلة من الهدوء والاستقرار في ظل حكم أهل السنة.



استولى **عبد الرحمن بن حبيب**، أحد الزعماء العرب البارزين على السلطة في إفريقية (المغرب الأدنى) في ظل الفوضى التي ضربت العالم الإسلامي في أثناء الصراع على السلطة بين الأمويين والعباسيين، ودخل القيروان، متطلعا إلى إقامة دولة مستقلة؛ لكنه اغتيل في سنة ١٣٧ هـ.

أقام **الخوارج إمارتين في بلاد المغرب** في عهد أبي جعفر قامتتا على أكتاف البربر برئاسة زعماء من العرب، واستقلتا استقلالاً يكاد يكون تاماً.

إمارة سجلماسة (الصفيرية)، وهي دولة بني مدرار أو بني واصل «واسول» الصفيرية، أسسها رجل سوداني يدعى عيسى بن يزيد المكناس الصفيري، وتدين الدولة بالمذهب الصفيري، نشأت في سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م في جنوبي المغرب الأقصى في المنطقة شبه الصحراوية التي تضم السهوب والواحات القائمة في الجنوب من جبال الأطلس.

الإمارة الإباضية، تنسب إلى **عبد الله بن إياض المري**، قامت في المغرب الأوسط سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م، أسسها رجل فارسي، على الغالب، هو **عبد الرحمن بن رستم**، وقد حمل لقب الإمام، وكانت عاصمة الدولة **تاهرت** التي بناها المؤسس سنة ١٥٠ هـ، وقدر لخلفائه أن يحكموا أكثر من مئة وثلاثين عاماً، وكانوا أشد الخوارج تعصباً.

عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) وتأسيس الدولة الأموية في الأندلس

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

و عبد الرحمن بن معاوية هو حفيد هشام بن عبد الملك الذي حكم من سنة ١٠٤ هـ ٧٢٣م إلى سنة ١٢٥ هـ ٧٤٣م. نشأ عبد الرحمن في بيت الخلافة الأموي بدمشق، وكان الفاتح الكبير مسلمة بن عبد الملك عم أبيه يرى فيه أهلاً للولاية والحكم وموضِعاً للنجاة والذكاء، وسمع عبد الرحمن ذلك منه مشافهة، مما أثر في نفسه أثراً إيجابياً.

وعندما أقام العباسيون دولتهم على أنقاض الدولة الأموية، كان هدفهم تعقب الأمويين والقضاء على أفراد البيت الأموي، خشية من محاولة أحدهم استرداد مجدهم، ولا سيما في الشام، لهذا بذلوا الجهود المضنية لتحقيق هذا الهدف.

نجح عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذي اختبأ في قرية منعزلة قريبة من الفرات في سوريا، وكان معه ابنه الطفل سليمان وكان عمره وقتها أربع سنوات، وأخ أصغر مع أختين. وعندما اكتشف العباسيون مكانهم هرب عبد الرحمن مع أخيه الوليد بن معاوية عبر بعض البساتين فتعقبهم العباسيون، لكنهما حاولا عبور النهر فأغراهما العباسيون أن يرجعا ولهما الأمان، فرجع أخوه وغرر به وقتله العباسيون، وكان عمره ثلاث عشرة سنة، بينما نجح عبد الرحمن بن معاوية في الوصول إلى الضفة الأخرى بسلام، ولم تنطل عليه مكيدتهم ولحق به مولاة بدر طبقاً لخطة سابقة (انظر الخارطة في الصفحة المقابلة).



نصب تذكاري لعبد الرحمن الداخل (صقر قريش) في مدينة الكتف الإسبانية

حكام الدولة الأموية في الأندلس ١٣٨ - ٣٩٩ هـ

١- عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) ١٣٨ - ١٤٢ هـ

٢- هشام الأول بن عبد الرحمن الداخل ١٧٢ - ١٨٠ هـ

٣- الحكم بن هشام ١٨٠ - ٢٠٦ هـ

٤- عبد الرحمن الأوسط بن هشام ٢٠٦ - ٢٢٨ هـ

٥- محمد بن عبد الرحمن ٢٢٨ - ٢٧٢ هـ

٦- المنذر بن محمد ٢٧٢ - ٢٧٥ هـ

٧- عبد الله بن محمد ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ

٨- عبد الرحمن (الثالث) ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ

٩- الحكم بن عبد الرحمن ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ

١٠- هشام الثاني بن الحكم ٣٦٦ - ٣٩٩ هـ



بدأ **عبد الرحمن بن معاوية** يعدّ العدة **لدخول الأندلس** بعد أن كون جيشاً قوياً والتف حوله عدد من مؤيديه، فعمل على الآتي:
أولاً: أرسل **بدر** - أحد رجاله والقادم معه من دمشق - إلى الأندلس لدراسة الموقف، ومعرفة القوى المؤثرة في الحكم فيها والوضع في الداخل الأندلسي.

ثانياً: راسل كل محبي الدولة الأموية على أرض الأندلس.

ثالثاً: راسل عبد الرحمن بن معاوية البربر في الأندلس، وأعلمهم خطته ورحبوا بذلك لمعرفتهم بعدل الأمويين وإنصافهم لهم، وكانوا في ذلك الوقت على خلاف شديد جداً مع **يوسف بن عبد الرحمن الفهري**؛ لأنه فرّق بينهم وبين العرب في شمالي إفريقيا، فهم يريدون أن يتخلصوا من حكمه الذي عاملهم بهذه العنصرية.

رابعاً: راسل كل الأمويين في الأصقاع أنه عازم على الدخول إلى الأندلس وإقامة الدولة الأموية فيها؛ فالتحق به كافة الأمويين في الشام وغيرها من البلاد.

وفي ربيع الثاني سنة (١٢٨هـ، ٧٥٥) عبّر عبد الرحمن بن معاوية بجيشه القوي ومن معه من القادة **مضيق جبل طارق** إلى داخل الأندلس بهيبة وعظمة الفاتحين المنتصرين، وانضم إليه أنصاره وأخضع كافة البلاد في طريقه وزحف إلى إشبيلية واستولى عليها وبايعه أهلها، ثم نجح في دخول **قرطبة** العاصمة، بعد أن هزم جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهري في **موقعة المصارة** في العاشر من ذي الحجة سنة ١٢٨هـ ليسيطر على كافة أرجاء الأندلس.




الجهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور

اتسمت الحروب بين المسلمين والبيزنطيين في هذا العهد **بالمهادنة** إلى حد ما، إذ لم تتعدّ المناوشات الحدودية المحدودة، وذلك يعود إلى اهتمام العباسيين بتدعيم مركزهم الداخلي بينما كان همّ الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس منصباً على التجهيز لحرب البلغار في البلقان.

منطقة الثغور الشامية: هي التي خصصت للدفاع عن بلاد الشام، وتقع غربي الثغور الجزرية، ومن أهم حصونها: **طرسوس**، وأضنة، ومنبج، والمصيصة.

منطقة الثغور الجزرية: هي التي خصصت للدفاع عن الجزيرة الفراتية، ومن أهم حصونها: **مرعش والحدث وملطية وعين زربة وبطرة**.

في سنة ١٢٣ هـ تعرضت **ملطية** لهجوم بيزنطي عنيف بقيادة الإمبراطور الذي تمكن من دخولها، وقهر أهلها وهدم سورها؛ بيد أن أبا جعفر المنصور سرعان ما قام باستعادتها وترميمها وشحنها بالمقاتلة لأهميتها الإستراتيجية، ورمم مرعش، وبنى المصيصة. واستطاع العباسيون في سنة ١٥٨ هـ بقيادة معيوف بن يحيى دحر قوة بيزنطية بالقرب من مدينة الحدث.



إحدى الروابي الخضراء في مرعش التركية والتي كانت من أبرز مناطق الثغور الجزرية



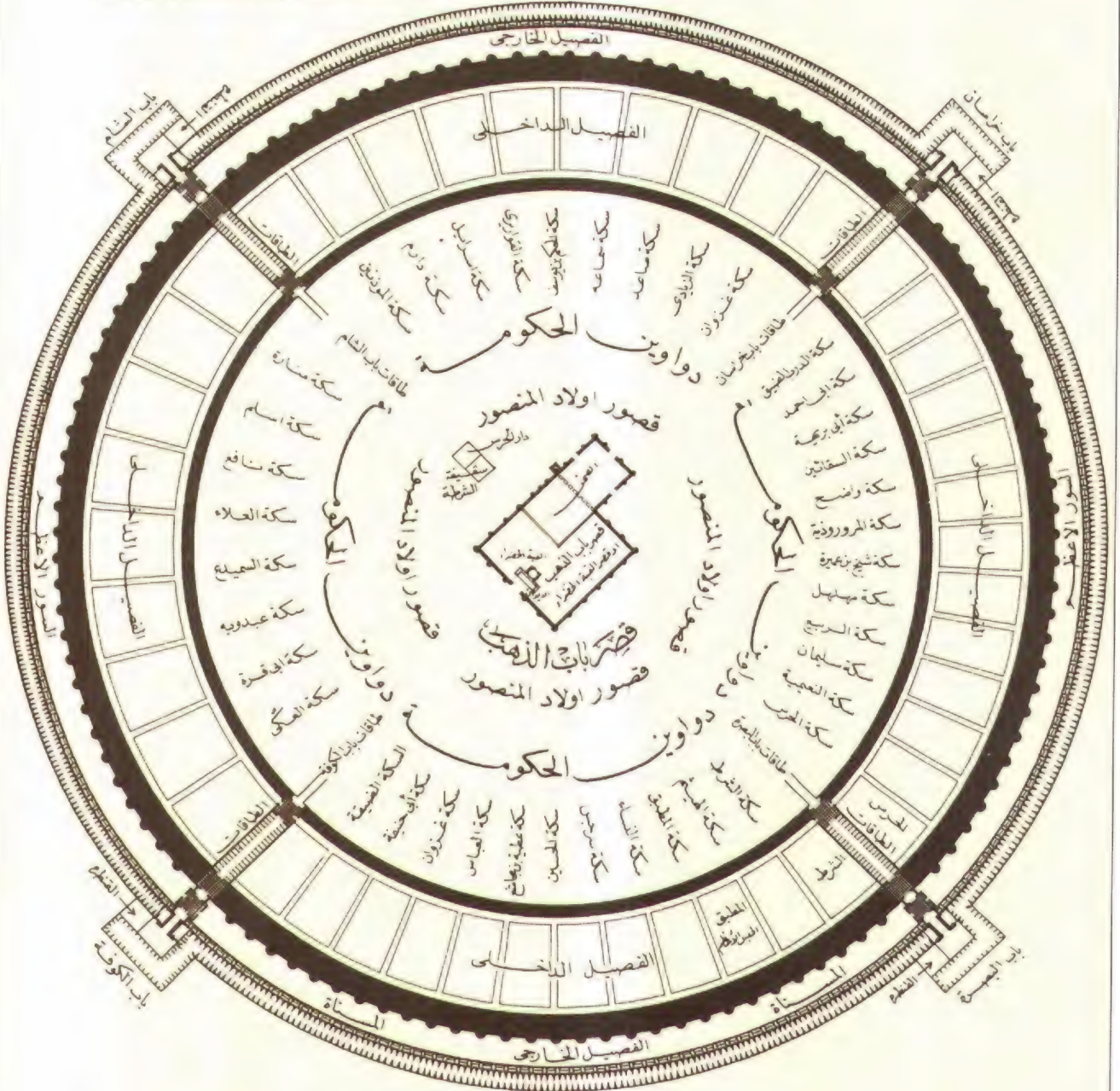
إحدى المغارات المنتشرة في جبال مرعش التركية

بناء مدينة بغداد (المدينة المدورة - دار السلام) سنة ١٤٥ هـ



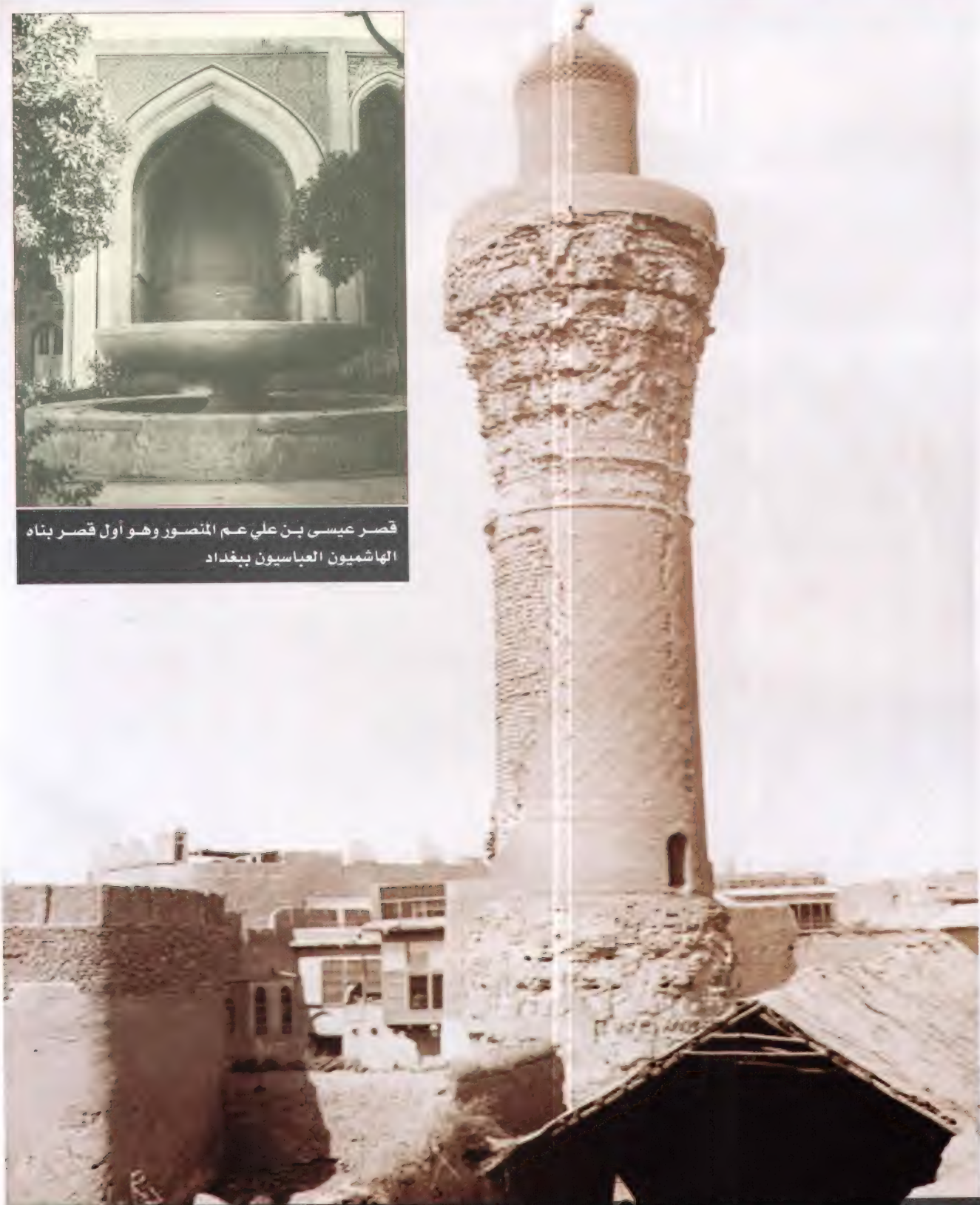
مَدِينَةُ الْمَنْصُورِ الْمَدَوَّرَةُ

تحقيقه الدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد يوسف





قصر عيسى بن علي عم المنصور وهو أول قصر بناه
الهاشميون العباسيون ببغداد



منارة سوق الفزّل (جامع الخلفاء) كما صورها مصور ألماني خلال زيارة للعراق سنة ١٩١١م. وهي أقدم منارة باقية من العصر العباسي في بغداد



مرئية فضائية لبغداد اليوم والتي أسسها الخليفة العباسي « أبو جعفر المنصور »

محمد المهدي

١٥٨-١٦٩ هـ / ٧٧٥-٧٨٥ م

هو **أبو عبد الله محمد** بن المنصور ولد بأبجد سنة سبع وعشرين ومائة، وقيل: سنة ست وعشرين، وأمه أم موسى بنت منصور الحميرية. كان جواداً ممدحاً مليح الشكل محبباً إلى الرعية، حسن الاعتقاد، تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقاً كثيراً، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملاحدين، روى الحديث عن أبيه وعن مبارك بن فضالة، حدث عنه يحيى بن حمزة وجعفر ابن سليمان الضبعي ومحمد بن عبد الله الرقاشي وأبو سفيان سعيد بن يحيى الحميري، قال الذهبي: وما علمت قيل فيه جرحاً ولا تعديلاً.

ولما شب المهدي **أمره** أبوه على **طبرستان** وما والاها، وتأدب وجالس العلماء وتميز؛ ثم إن أباه عهد إليه فلما مات ببيع بالخلافة ووصل الخبر إليه ببغداد فخطب الناس، فقال: إن أمير المؤمنين عبد دعي فأجاب، وأمر فأطاع. واغرورقت عيناه، فقال: قد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فراق الأحبة، ولقد فارقت عظيماً، وقلدت جسيماً، فعند الله أحسب أمير المؤمنين، وبه أستعين على خلافة المسلمين، أيها الناس: أسروا مثل ما تعلنون، من طاعتنا نهكم العافية وتحمدوا العاقبة، واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم، وطوى الإصر عنكم، وأهال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدماً، ذلك والله لأقنين عمري بين عقوبتكم والإحسان إليكم. قال نبطويه: لما حصلت الخزانة في يد المهدي أخذ في رد المظالم، فأخرج أكثر الذخائر ففرقها وبر أهله ومواليه.

وأسند عن أبي عبيدة قال: كان المهدي يصلي بنا الصلوات الخمس في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها، فأقيمت الصلاة يوماً فقال أعرابي: لست على طهر وقد رغبت في الصلاة خلفك، فأمر هؤلاء بانتظاري، فقال: انتظروه. ودخل المحراب فوقف إلى أن جاء الرجل فكبر، فعجب الناس من سماحة أخلاقه.

مما قاله أبو العتاهية في مدح الخليفة المهدي يوم توليه الخلافة:

إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَدْيَاهَا
وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
لَزَلَتْ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا
لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا
إِلَيْهِ لِيُبْغِضَ مَنْ قَالَهَا

أَتَتْهُ الْخَلَاةُ مُنْقَادَةً
وَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ
وَلَوْرَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ
وَلَوْ لَمْ تَطْعُهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ
وَأَنَّ الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْضِ لَا



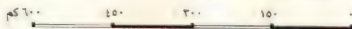
١ المقنع الخراساني: اسمه عطاء ولا أعرف اسم أبيه وقيل اسمه حكيم والأول أشهر، وكان في مبدأ أمره قصاراً من أهل **مرو**، وكان يعرف شيئاً من السحر والنيرجات فادعى الربوبية من طريق المناسخة، وقال لأشياعه والذين اتبعوه: إن الله سبحانه وتعالى تحول إلى صورة آدم ولذلك قال للملائكة: اسجدوا له فسجدوا إلا إبليس، فاستحق بذلك السخط، ثم تحول من آدم إلى صورة نوح عليه السلام، ثم إلى صورة واحد فواحد من الأنبياء عليهم السلام والحكماء، حتى حصل في صورة **أبي مسلم الخراساني**، ثم زعم أنه انتقل إليه منه، فقبل قوم دعواه وعبدوه وقاتلوا دونه مع ما عاينوا من عظيم ادعائه، وقبح صورته لأنه كان مشوه الخلق أعور، أكنن قصيراً، وكان لا يسفر عن وجهه بل اتخذ وجهاً من ذهب فتقنع به؛ فلذلك قيل له المقنع، وإنما غلب على عقولهم بالتمويهات التي أظهرها لهم بالسحر والنيرجات، وكان في جملة ما أظهر لهم صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين من موضعه، ثم يغيب فعظم اعتقادهم فيه، وقد ذكر أبو العلاء المعري هذا القمر في قوله: (أفق إنما البدر المقنع رأسه ... ضلال وغي مثل بدر المقنع) وهذا البيت من جملة قصيدة طويلة، وإليه أشار أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك الشاعر ... في جملة قصيدة طويلة بقوله (إليك فما بدر المقنع طالما ... بأسحر من أحاط بدر المعمم) ولما اشتهر أمر المقنع وانتشر ذكره، ثار عليه الناس وقصدوه في قلعة التي كان اعتصم بها وحصره؛ فلما أيقن بالهلاك جمع نساء وسقاهن سمّاً فمتن منه؛ ثم تناول شربة من ذلك السم فمات، ودخل المسلمون قلعة فقتلوا من فيها من أشياعه وأتباعه وذلك في **سنة ثلاث وستين ومائة** لعنه الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان، قلت: ولم أر أحداً ذكر هذه القلعة وأين هي حتى أذكرها؟ ثم رأيت في كتاب الشهاب لياقوت الحموي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى الذي وضعه في معرفة المواضع المشتركة، فقال في باب سنم بفتح السين: إنها أربعة مواضع والموضع الرابع منها سنم قلعة عمرها المقنع الخارجي بما **وراء النهر** والله أعلم، والظاهر أنها هذه القلعة ثم وجدت في أخبار خراسان أنها هي وأنها من **رستاق كش** والله أعلم . ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان.

الدولة الأموية في الأندلس ومواجهة التحديات الكبرى

واجه عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية في الأندلس عقبات عدة كان من أبرزها في عهد الخليفة العباسي (المهدي):

١ - مشكلة الرماحس الكتاني في الجزيرة الخضراء، وعبد الرحمن بن حبيب الفهري (الصقلبي) في مدينة **مرسية**، والحسين بن يحيى الأنصاري في مدينة **سراقسطة**، وسليمان بن يقظان الكلبي (الأعرابي) في **برشلونة**، وكذلك الإمبراطور شارلمان (**أرض الفرنجة**) ، حيث يذكر المؤرخون أنه كانت هناك مؤامرة بين هذه الأطراف لتوجيه ضربة قاضية لعبد الرحمن الداخل، وبمباركة من العباسيين؛ إلا أنه خرج منها بحنكة، حيث انفرد بخصومه واحداً تلو الآخر، فتوجه أولاً لمواجهة الصقلبي في مرسية حيث تمكن من هزيمته وقتله، أما الرماحس الذي ثار في الجزيرة الخضراء فقد وجه إليه عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان حيث تمكن من هزيمة الرماحس الذي فر إلى المشرق لاجئاً عند الدولة العباسية، أما سليمان الأعرابي الذي تمكن من هزيمة الجيش الذي أرسله عبد الرحمن الداخل بقيادة ثعلبة بن عبيد، حيث تم لسليمان الأعرابي أسر ثعلبة، وخرج به لاستقبال شارلمان وتوجه الاثنان إلى سراقسطة حيث كان هناك اتفاق بين سليمان الأعرابي والحسين الأنصاري لتسليم مدينة سراقسطة لشارلمان، لاتخاذها قاعدة في محاربة عبد الرحمن الداخل، ولكن الحسين الأنصاري غير رأيه وواجه شارلمان وحليفه سليمان الأعرابي، واضطر شارلمان بعد حوالي شهرين مغادرة سراقسطة، ولكنه حمل سليمان الأعرابي مسؤولية فشله وأخذه أسيراً معه، ولكن عندما وصل جبال البرانس انقض عليه **البشكنس** وهم قبائل تسكن المنطقة، وكان معهم أولاد سليمان الأعرابي وقواته، فأنزلوا بمأخرة جيش شارلمان هزيمة كبيرة، قتل فيها أحد قادة شارلمان ويدعى **رولان**. حيث فك أسر سليمان الأعرابي عن طريق ولديه مطروح وعيشون إلا أن الحسين الأنصاري قام بقتل سليمان الأعرابي، فاستغل عبد الرحمن الخلاف بين سليمان الأعرابي والحسين الأنصاري ذلك، وتمكن من إنهاء هذه الفتنة ودخل سراقسطة، ويختلف المؤرخون في تاريخ ذلك، فمنهم من يرى ذلك في سنة ١٦١ هـ والبعض الآخر يرى ذلك في سنة ١٦٤ هـ.

٢ - لم تكن هذه المشكلات الوحيدة التي واجهت عبد الرحمن الداخل، فهناك مشكلات عديدة سواء من هشام بن عروة في طليطلة وهو أحد أنصار يوسف الفهري، أو من أحد زعماء البربر يدعى شقنة بن عبد الواحد الذي تمرد في شمال شرقي الأندلس، ولكن عبد الرحمن تمكن من القضاء على هذه الثورات والتمردات جميعها.



لقد تمخض عن هذه الثورات في بلاد الأندلس ثمناً غالياً جداً، ففي السنوات الأربع من بداية دخول عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية إلى الأندلس، من سنة ١٢٨هـ = ٧٥٥ م وحتى سنة ١٤٢هـ = ٧٥٩ م سقطت كل **مدن المسلمين التي كانت في فرنسا**، وذلك بعد أن حكمها الإسلام طيلة سبع وأربعين سنة متصلة، منذ أيام موسى بن نصير - رحمه الله - وحتى زمن سقوطها هذا، وهكذا سنن الله الثوابت، ما إن شغل المسلمون بأنفسهم إلا وكان التقلص والهزيمة أمراً حتمياً...

وحين استتب الأمر لعبد الرحمن الداخل في أرض الأندلس، وبعد أن انتهى نسبياً من أمر الثورات بدأ يفكر فيما بعد ذلك، فكان أن اهتم بالأمور الداخلية للبلاد اهتماماً كبيراً، فعمل على ما يلي:
أولاً: بدأ بإنشاء جيش قوي. في بنائه لجيشه الجديد عمل على ما يلي:

(١) اعتمد في تكوين جيشه على العناصر الآتية:

أ - اعتمد في الأساس على عنصر المولدين، وهم الذين نشأوا - كما ذكرنا - نتيجة انصهار وانخراط الفاتحين بالسكان الأصليين من أهل الأندلس، وكانوا يمثلون غالبية بلاد الأندلس.

ب - اعتمد كذلك على كل الفصائل والقبائل الموجودة في بلاد الأندلس، فضم إليه كل الفصائل المضرية سواء أكانت من بني أمية أو من غير بني أمية، وضم إليه كل فصائل البربر، كما كان يضم إليه رؤوس القوم ويتألفهم فيكونون عوامل مؤثرة في أقوامهم، بل إنه ضم إليه اليمنيين مع علمه بأن أبا الصباح اليحصبي كان قد أضمر له مكيدة، الأمر الذي جعله يصبر عليه حتى تمكن من الأمور تماماً ثم عزله - كما ذكرنا - بعد إحدى عشرة سنة من توليه الحكم في البلاد.

ج - كذلك اعتمد على عنصر الصقالبة، وهم أطفال نصارى كان قد اشتراهم عبد الرحمن الداخل من أوروبا، ثم قام بتربيتهم وتنشئتهم تنشئة إسلامية عسكرية صحيحة.

وبرغم قدوم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وحيداً، فقد وصل تعداد الجيش الإسلامي في عهده إلى مائة ألف فارس غير الرجال، مشكل من كل هذه العناصر السابقة، والتي ظلت عماد الجيش الإسلامي في الأندلس لدى أتباع وخلفاء وأمراء بني أمية من بعده.

(٢) أنشأ - رحمه الله - دوراً للأسلحة، فأنشأ مصانع السيوف ومصانع المنجنيق، وكان من أشهر هذه المصانع مصانع طليطلة ومصانع برديل.

(٣) أنشأ أيضاً أسطولاً بحرياً قوياً، بالإضافة إلى إنشاء أكثر من ميناء كان منها ميناء طرطوشة والمرية وإشبيلية وبرشلونة وغيرها من الموانئ. د - راغب السرجاني (موقع قصة الإسلام).



الدولة الأموية في الأندلس سنة ١٣٨ هـ



صورة بانورامية للمسجد الكبير بقرطبة ويتضح من خلال الصورة العدد الكبير من الأعمدة



محراب المسجد وفن زخرفة الأقواس وجمال النقوش الكتابية الإسلامية التي تزين الجامع



البوابة الجنوبية (الجانب الشرقي) في الجامع الكبير بقرطبة يعود بناؤها إلى عصر المنصور



مئذنة جامع قرطبة

مع قدوم الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) إلى الأندلس هارباً من العباسيين، استولى على مقاليد الأمور في الأندلس الإسلامية وجعل **قرطبة** عاصمة له عام ١٣٨ هـ. وقد كان هذا بداية لعصر قرطبة الذهبي، حيث أصبحت عاصمة الأندلس الإسلامية بأكملها وأهم مدينة في شبه الجزيرة الإيبيرية، وفي عهد الداخل بدأ العمل على جامع قرطبة الكبير الذي لا زال قائماً في المدينة اليوم كما هو واضح من خلال الصور في الصفحتين. فهو من قام بتأسيس المسجد الكبير في قرطبة عام ١٧٠ هـ، ولم يكتمل البناء في عهده بل اكتمل في عهد خلفائه من الأمراء الأمويين فكل واحد منهم أضاف شيئاً في هذا البناء العظيم .



كانت **الهدنة** بين الطرفين تنص على توقف الحرب بين المسلمين والبيزنطيين مدة ثلاث سنوات، وتتمهد إيريني أن تدفع للمسلمين جزية سنوية وهدرها تسعون ألف قطعة دينار تؤديها في نيسان الأول من كل سنة وفي حزيران، وأن تعد الجيش العباسي بالأداء، وتيسر لهم المون في الطريق عند كل منزلة.

الجهة البيزنطية في عهد الخليفة العباسي المهدي

اتسمت الحروب بين المسلمين والبيزنطيين في هذا العهد **بالعلاقة الحسنة بين الطرفين أول الوقت**؛ إلا أنها سرعان ما تحولت إلى صراع دامي تمخض عنه قيام الإمبراطور (ليو الرابع) بشن هجوم على **سميساط** سنة ١٥٩ هـ، وأسر بعض المسلمين فيها؛ مما أغضب الخليفة المهدي، الذي أرسل جيشاً بقيادة عمه **العباس بن محمد**، توغل داخل الأراضي البيزنطية حتى وصل **أنقرة**، وفتح قلعة كاسن في كبادوكيا.

الخليفة المهدي يرسل قائده المنك **ثمامة بن الوليد** على رأس جيش إسلامي أغار على مرحب ومنطقة **مرج دابق**. مما دعا الإمبراطور البيزنطي أن يرسل جيشاً لمحاصرة **مرعش**، وفصل قوة إسلامية باتجاه **الحدث**، وبرغم ذلك لم يتمكن البيزنطيون من دخول مرعش وعادوا أذراجهم.

الخليفة المهدي يرسل **الحسن بن قحطبة الطائي** لغزو الأراضي البيزنطية، مما أدى بهذا القائد التوغل بأرض الأناضول ومحاصرة **دورليوم**، والإغارة على المناطق المجاورة، والاقتراب من **عمورية**.

البيزنطيون يغيرون على **الحدث** سنة ١٦٢ هـ؛ فأرسل المهدي ابنه هارون للإغارة على الأراضي البيزنطية؛ ففتح عدداً من الحصون أهمها **صمالو**، وحدثت أحداث داخل بيزنطة، استغلها العباسيون، فأرسلوا حملة ضخمة لمهاجمة **القسطنطينية** بقيادة هارون بن المهدي، واستطاعت الحملة التوغل في كيليكية والأناضول بهدف السيطرة عليها، ووصل هارون خليج القسطنطينية وهددها وخضعت (إيريني) الوصية على قسطنطين السادس بن ليو الرابع؛ لشروط **الهدنة** من القائد **هارون بن المهدي** الذي جعل أباه يسميه **(الرشيذ)** بعد نجاحه في هذه الهدنة.

ومن الملفت للنظر أنه قبل انتهاء مدة الهدنة بأربعة أشهر تجدد القتال بين الطرفين؛ لامتناع البيزنطيين عن دفع الجزية للمسلمين، ويظهر أن سوء الأحوال الاقتصادية كان سبباً مباشراً في ذلك، فقد رأت إيريني بنظرتها الخاطئة أن معالجة هذه الأوضاع لا يكون من الداخل؛ حتى لا تفقد محبة الناس لها وتستبعد عن الحكم، وبناء على ذلك تجاوزت عن كثير من الضرائب المقررة على السكان، وأمّنت في منح امتيازات للأديرة؛ لما للرهبان من أهمية في تأييدها ومساعدتها فرأت في الامتناع عن دفع الجزية تعويضاً لهذا؛ ظناً منها أن المسلمين بعيدون عن أراضيها وليس لهم في تلك الأموال أي حق يذكر، وأنهم لن يتمكنوا من عمل أي شيء في هذا الصدد.

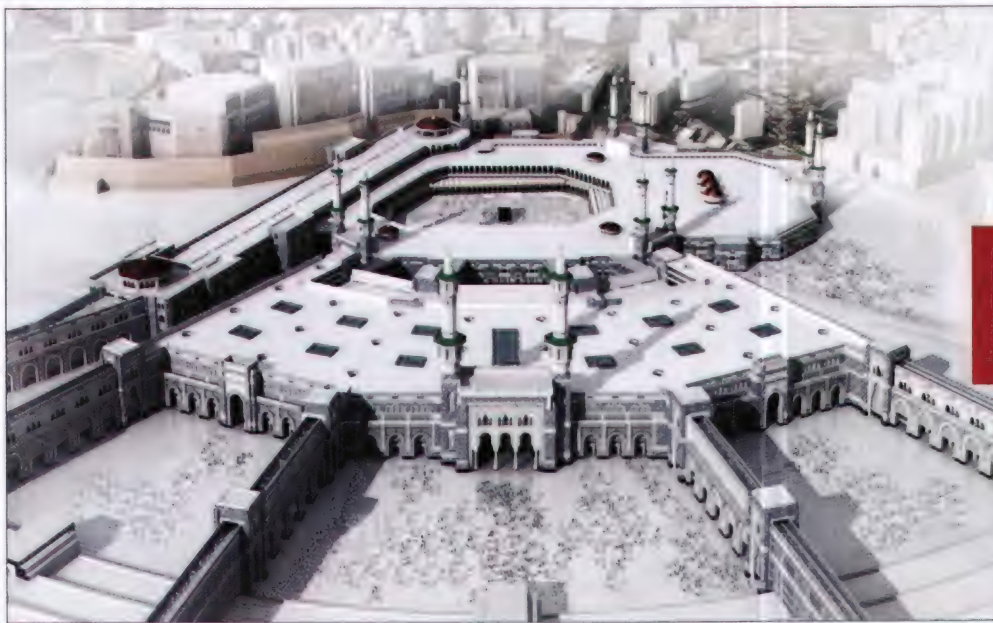
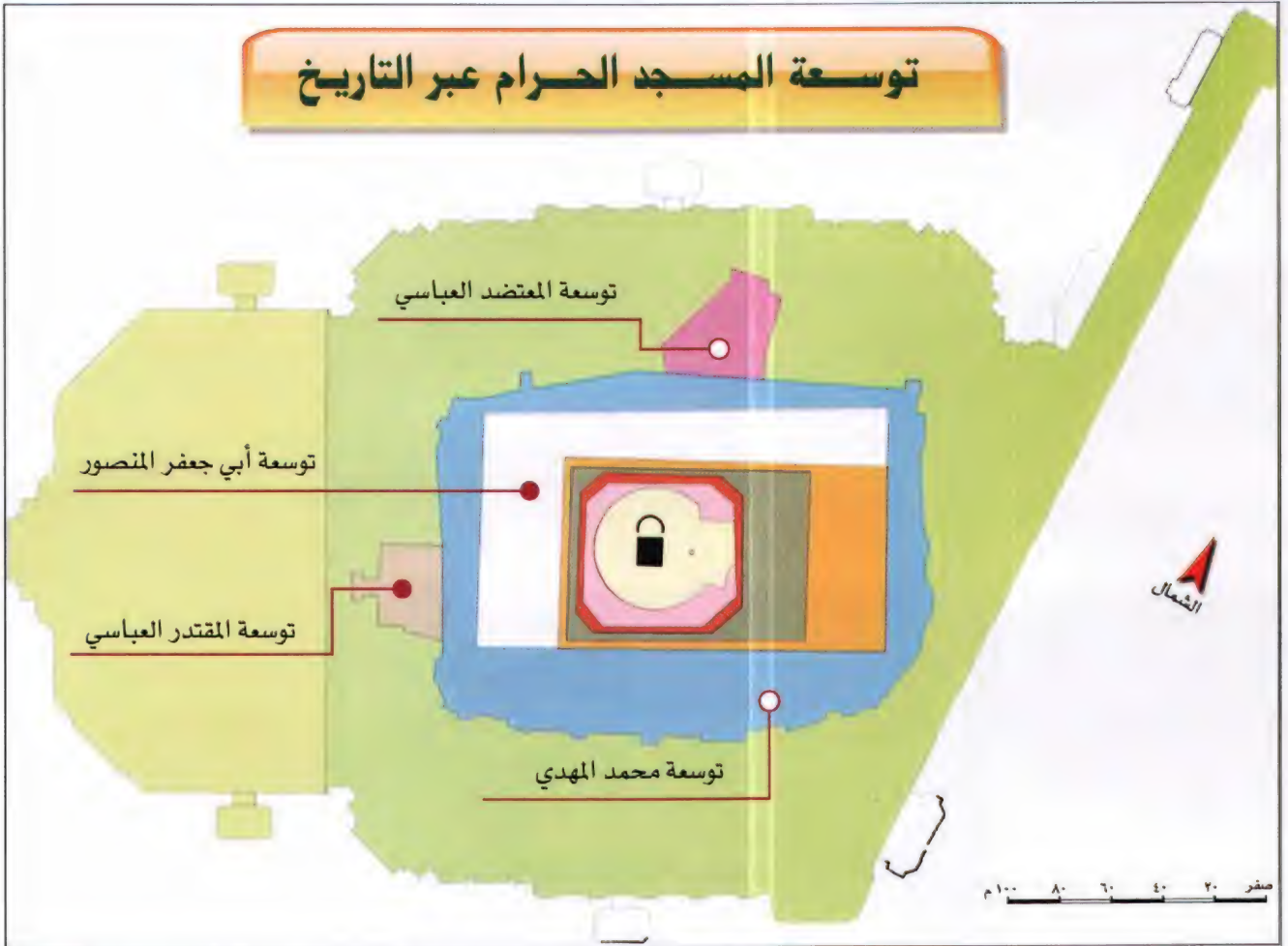
وعليه فقد سَيَّر **المهدي** سرية على رأسها علي بن سليمان (والي الجزيرة وقنسرين) ويزيد بن بدر ابن البطلال - سنة ١٦٨هـ / ٧٨٤م - وصلت إلى بلاد الروم وقاتلت البيزنطيين وهدمت بعض القلاع التي على الحدود وغنموا وعادوا سالمين .

كما اصطدم معيوف بن يحيى الذي انطلق على رأس الصائفة سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م بالجيش البيزنطي الذي تحرك بأمر من إيريني؛ لرد اعتبار الروم بعد هزيمتهم الأخيرة، وتقابل الجيشان في منطقة الحدث وهُزم البيزنطيون وتوغل المسلمون في بلاد الروم حتى بلغوا مدينة أُشنة وأصابوا غنائم وفيرة وأسروا خمسمئة رجل - تقريباً - .

وهكذا تعكرت العلاقات بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية في عهد المهدي بعد التحسن الذي طرأ عليها أول خلافته، لقد رأى المهدي ضرورة استمرار غزوات الصوائف والشواتي، مثلما كان عليه الحال في عهد أبيه المنصور؛ لأن إيقافها سيدفع البيزنطيين إلى التحرك لمهاجمة المسلمين كلما سنحت لهم الفرصة، ويلاحظ اعتماده في قيادتها على ابنه هارون، حيث كان محل ثقته من بين أبنائه ولذلك حقق انتصارات كبيرة في معظم حملاته، حتى أشرف في أحدها - سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م - على خليج **البحر الأسود** فكانت حملته تلك خاتمة الحملات العربية على البسفور، كما أفاد بعض المؤرخين المحدثين، حيث أظهر فيها من الحنكة والبطولة ما أهله لحمل **لقب الرشيد** قبل أن يتولى الخلافة.

وكان لانتصارات الرشيد على الإمبراطورية البيزنطية أثره في تشجيع البلغار على توجيه حملاتهم ضدها، وتمكنوا من إحراز عدة انتصارات عليها دون أن تستطيع القيام بعمل إيجابي ضدهم، فلقد كانت إيريني - إلى جانب مواجهة المسلمين لها - تعاني من الاضطرابات الداخلية، فقد بدأ ابنها - قسطنطين السادس - بعد أن بلغ سنّ الرشيد يطالب بالعرش ودخل معها في صراع مرير، وساندته بعض العناصر الكارهة لأمه، كما كان عليها أيضاً أن تواجه أطماع شارلمان في الغرب .

توسعة المسجد الحرام عبر التاريخ



لقطة منظورية لمشروع توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - لتوسعة المسجد الحرام

- عهد قريش قبل الهجرة
- توسعة عمر بن الخطاب
- توسعة عثمان بن عفان
- توسعة عبد الله بن الزبير
- توسعة الوليد بن عبد الملك
- توسعة أبي جعفر المنصور
- توسعة محمد المهدي
- توسعة المعتضد العباسي
- توسعة المقتدر العباسي
- إعادة توسعة محمد المهدي العباسي في العهد العثماني
- التوسعة السعودية الأولى
- التوسعة السعودية الثانية في عهد خادم الحرمين الشريفين
- إضافة سلام متحركة مع نهضة سطح التوسعة الأولى
- توسعة المسجد الحرام وعماراته



المدينة النبوية من جهة باب الشامي في أوائل القرن الهجري الماضي



موسى الهادي

١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦م

هو **أبو محمد** موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولد سنة ١٤٤هـ، ولاء أبوه العهد وسنه ١٦ سنة، كما ولاء قيادة الجيوش في المشرق ولما توفي أبوه المهدي أخذت له البيعة وكان ذلك في ٢٢ محرم ١٦٩هـ، وأمه أم ولد تدعى **الخيزران**. أوصى المهدي ابنه موسى الهادي قبل أن يموت بقتل **الزنادقة**، وكان الهادي قوي البأس شهماً خبيراً بالملك كريماً. فجدّ في أمرهم، وقتل منهم الكثير. على أن الأمور بينه وبين **العلويين** لم تكن على ما يرام كما كانت في عهد أبيه، فقد عادت إلى التوتر بعد مدة السلام التي امتدت طوال حقبة خلافة المهدي. ويرجع السبب في ذلك إلى عامل المهدي على المدينة، فقد ظلم بعض آل علي -رضي الله عنه- مما جعل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يثور ويجتمع حوله كثيرون ويقصدون دار الإمارة، ويخرجون من في السجون، ثم يخرج الحسين إلى مكة فيرسل له الهادي: "محمد بن سليمان" وتتلاقى جموعهم في **موقعة (فخ)** سنة ١٦٩هـ حاسمة قتل فيها "الحسين" وحمل رأسه إلى موسى الهادي.

ونجا من موقعة "فخ" اثنان من العلويين، **أحدهما: يحيى بن عبد الله بن الحسن، أما الثاني** فهو أخوه **إدريس بن عبد الله**. وقد ثار الأول: في عهد الرشيد فقتل. أما الثاني: وهو إدريس بن عبد الله بن الحسن فقد تمكن من إثارة أهل المغرب الأقصى (المملكة المغربية حالياً) على العباسيين، حيث أسس هناك دولة الأدارسة.

وعلى الرغم من أن خلافة موسى الهادي كانت قصيرة فإن الفتوحات الإسلامية لم تتوقف مسيرتها؛ فقد غزا "معيوف بن يحيى" الروم ردّاً على قيام الروم بغزو "الحَدَث"، ولقد دخل معيوف بلاد الروم، وأصاب سبائاً وأسارى وغنائم.

توفي الهادي سنة ١٧٠هـ، وكان رحمه الله موصوفاً بالفصاحة، محباً للأدب ذا هيبة ووقار، قيل عن الليلة التي مات فيها: هي ليلة مات فيها خليفة، وجلس فيها خليفة، وولد فيها خليفة. فالخليفة الذي مات فيها هو الهادي، والذي جلس فيها على سريرته هو الرشيد، والذي ولد فيها هو المأمون.

تنكيل الهادي بالزنادقة

ورث موسى الهادي عن أبيه محمد المهدي كراهيته للزنادقة، واقتدى بسياسته في تتبعهم والتنكيل بهم، فقتل منهم جماعة من بينهم، يزدان بن باذان وعلي بن ياقطين الذي روي عنه في أثناء حجه أنه نظر إلى الناس وهم يهرولون في الطواف، فقال: «ما أشبههم إلا بقر تدوس البيدر».

معركة فخ سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٦ م



حدث نزاع بسيط بين والي المدينة النبوية وبعض البيت العلوي، أساء الوالي التعامل معهم، وأغلظ القول لهم، فحرك ذلك مكان الثورة في نفوسهم، وأشعل الحمية في قلوبهم، فثار العلويون في المدينة بقيادة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى العلوي، وانتقلت الثورة إلى مكة بعد أن أعلن الحسين البيعة لنفسه، وأقبل الناس عليه يبايعونه.

انتهى خبر هذه الثورة إلى الخليفة العباسي موسى الهادي، فأرسل جيشاً على وجه السرعة للقضاء على الثورة، قبل أن يمتد لهيبتها إلى مناطق أخرى؛ فيعجز عن إيقافها، فتحرك الجيش العباسي إلى مكة، والتقى بالثائرين في موقعة فخ.

من نتائج موقعة فخ بالقرب من مكة، مقتل الحسين ابن علي العابد المتزعم للثورة وجل من كان معه وفي صفه. ونجا من موقعة "فخ" اثنان من العلويين، أحدهما: يحيى بن عبد الله بن الحسن، أما الثاني فهو أخوه إدريس بن عبد الله.

موقعة فخ : معركة وقعت

بتاريخ (٨ ذو الحجة ١٦٩ هـ = ١١ يونيو ٧٨٦ م) بالقرب من مكة بمكان يسمى فخ. حدثت المعركة بين الجيش العباسي في مواجهة ثوار من العلويين بزعامة الحسين بن علي (العابد) بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وكان مع الحسين هذا من بني عمومته إدريس وسليمان ابنا عبد الله الكامل.

المدينة

مكة المكرمة

٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ كم

هارون الرشيد

١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م

هو **أبو جعفر** هارون الرشيد، أمير المؤمنين، بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي الخامس، وهو أشهر الخلفاء العباسيين على الإطلاق. ولد هارون بالري سنة ١٤٨ هـ، حين كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان. نشأ الرشيد في بيت ملك، وأُعد ليتولى المناصب القيادية في الخلافة، وعهد به أبوه، الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي بن جعفر المنصور، إلى من يقوم على أمره تهذيباً وتعليماً وتثقيفاً، ومنهم "الكسائي"، والمفضل الضبي، حتى إذا اشتد عوده واستقام أمره، ألقى به أبوه في ميادين الجهاد، وجعل حوله القادة الأكفاء، يتأسى بهم، ويتعلم من تجاربهم وخبراتهم، فخرج في عام (١٦٥ هـ = ٧٨١ م) على رأس حملة عسكرية ضد الروم، وعاد محملاً بأكايل النصر، فكوفئ على ذلك بأن اختاره أبوه ولياً ثانياً للعهد بعد أخيه أبو محمد موسى الهادي.

وكانت المدة التي سبقت خلافته يحوطه في أثنائها عدد من الشخصيات السياسية والعسكرية، من أمثال "يحيى بن خالد البرمكي"، و"الربيع بن يونس"، و"يزيد بن مزيد الشيباني" و"الحسن بن قحطبة الطائي"، و"يزيد بن أسيد السلمي"، وهذه الكوكبة من الأعلام كانت أركان دولته حين آلت إليه الخلافة، ونهضوا معه بدولته حتى بلغت ما بلغت من التآلق والازدهار.

ولم تكن المدة التي قضاها الرشيد في خلافة الدولة العباسية هادئة ناعمة، وإنما كانت مليئة بجلائل الأعمال في داخل الدولة وخارجها، ولم يكن الرشيد بالمنصرف إلى اللهو واللعب المنشغل عن دولته العظيمة إلى المتع والمذات، وإنما كان "يحج سنة ويغزو كذلك سنة".

ظل عهده مزاجاً بين جهاد وحج، حتى إذا جاء عام ١٩٢ هـ فخرج إلى خراسان لإخماد بعض الفتن والثورات التي اشتعلت ضد الدولة، فلما بلغ مدينة **طوس** اشتدت به العلة، وتوفي في ٣ جمادى الآخر ١٩٣ هـ / ٤ إبريل ٨٠٩ م، وكان عمره خمساً وأربعين سنة بعد أن قضى في الخلافة أكثر من ثلاث وعشرين سنة، عدت العصر الذهبي للدولة العباسية.

كان **هارون الرشيد** حين تولى الخلافة يرغب في تخفيف بعض الأعباء المالية عن الرعية، وإقامة العدل، ورد المظالم، فوضع له "أبويوسف" هذا الكتاب (الخراج) استجابة لرغبته، وكان لهذا الفاضل المالي أثره في انتعاش الحياة الاقتصادية، وزيادة العمران، وازدهار العلوم، والفنون، وتمتع الناس بالرخاء والرفاهية، وأنفقت هذه الأموال في النهوض بالدولة، وتنافس كبار رجال الدولة في إقامة المشروعات كحضر الترع والأنهار، وبناء الحياض، وتشيد المساجد، وإقامة القصور، وتعميد الطرق، وكان لبغداد نصيب وافر من العناية والاهتمام من قبل الخليفة الرشيد وكبار رجال دولته، حتى بلغت في عهده قمة مجدها وتآلقها؛ فانتسح عمراتها، وزاد عدد سكانها حتى بلغ نحو مليون نسمة، وبُنيت فيها القصور الفخمة، والأبنية الرائعة التي امتدت على جانبي دجلة، وأصبحت بغداد من اتساعها كأنها مدن متلاصقة، وصارت أكبر مركز للتجارة في الشرق، حيث كانت تأتيها البضائع من كل مكان. وغدت **بغداد** قبلة طلاب العلم من جميع البلاد، يرحلون إليها حيث كبار الفقهاء والمحدثين والقراء واللغويين، وكانت المساجد الجامعة تحتضن دروسهم وحلقاتهم العلمية التي كان كثير منها أشبه بالمدارس العليا، من حيث غزارة العلم، ودقة التخصص، وحرية الرأي والمناقشة، وثراء الجدل والحوار. كما جذبت المدينة الأطباء والمهندسين وسائر الصناعات.



أهم الأحداث الداخلية والخارجية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد رحمه الله تعالى

الأوضاع الخارجية

٧ العلاقة مع البيزنطيين

٨ العلاقة مع الفرنجة

لم تشر المصادر الشرقية إسلامية كانت أم نصرانية إلى وجود سفارات بين هارون الرشيد وشارلمان ملك الفرنجة، والراجح وجود نوع من العلاقات التجارية والسياسية؛ لكنها لم تأخذ شكلاً من أشكال التحالف السياسي، وأن المسؤول عنها هم التجار اليهود الذين كانوا حلقة وصل بين الشرق والغرب في الجانب التجاري.



بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة سبع و سبعين و مئة

الأوضاع الداخلية

١ العلاقة مع الطالبين

٢ حركة الخوارج

٣ الاضطرابات في بلاد الشام

٤ الاضطرابات في إفريقية

٥ الاضطرابات في المشرق

٦ نكبة البرامكة

أولاً : العلاقة مع الطالبيين



إدريس بن عبد الله بن الحسن

في المغرب الأقصى

يحيى بن عبد الله بن الحسن

في أرض الديلم

موسى الكاظم بن جعفر الصادق

في بلاد الحجاز

بعد ثورة موقعة (فخ) سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٦ ، بقيادة الحسين بن علي بن الحسن المثلث في ناحية مكة التي لم يكتب لها النجاح ، استطاع إدريس بن عبد الله ، أن ينجو من القتل ويفر من المكان باحثاً عن ملجأ يأوي إليه . كانت أنظار العلويين ، وهم في حالة المراقبة والاضطهاد التي يعانون منها ، تتجه بالخصوص إلى المغرب ، لبعده عن مركز الخلافة العباسية ولاشتهاره برفع راية العصيان والمعارضة لتلك الخلافة . وقبل العلويين اتجهت أنظار الخوارج لنفس المنطقة . وأمكنهم أن يؤسسوا بها **دولتين مشهورتين في تاهرت وسجلماسة** ، مما يدل على أن البلاد كانت مرشحة لتكون مركزاً لثورة مضادة وربما لقيام خلافة مناهضة للخلافة العباسية .

وصل إدريس بن عبد الله إلى المغرب صحبة مولاة راشد بعد أن حصل على مساعدة من والي مصر ، وأقلت من مراقبة الشرطة العباسية ، يفسره عزمه على الأخذ بثأر العلويين ، من جهة ، وطموحه إلى تأسيس دولة قادرة على مناوأة الخلافة العباسية والقضاء عليها إذا ما ساعدت الظروف على ذلك من جهة أخرى .

حينما وصل إدريس إلى المغرب توجه أولاً ، إلى طنجة التي كانت تعد آنذاك حاضرة المغرب الكبرى . وكان لا بد له ، ولا شك ، من وقت للاطلاع على أحوال البلاد وسكانها وجس نبض أهلها ، على المستوى السياسي . فأخذ يتصل بنفسه أو بواسطة مولاة راشد ببعض رؤساء القبائل الكبرى في المغرب لإسماع كلمته ونشر دعوته . وأدت الدعوة والاتصالات إلى نتائج إيجابية في أمد قصير ، مما يدل على ذكاء ، إدريس ودهاء مولاة راشد وهكذا لبث جملة من قبائل البربر الدعوة وقبلت أن تلتف حول إدريس . ولا شك أن انتماءه للأسرة النبوية كان له أثر قوي في هذا الإقبال ، ولا سيما أن العلويين يومئذ كانوا يمثلون العنصر الثائر والمعارض . فالارتباط بدعوة إدريس معناه التحرر من كل تبعية للخلافة العباسية وضمان الاستقلال السياسي للمغرب .

الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى

أوروبا



توجه إدريس بجيشه صوب الجهة الشرقية من المغرب الأقصى، فوصل إلى مدينة **تلمسان** وخيم قبالتها. فخرج إليه أميرها محمد بن خزر بن صولات المقرائي فطلب منه الأمان، فأمنه إدريس، فقدم له محمد بن خزر بيعته، ودخل إدريس إلى تلمسان بعد أن بايعته قبائل زناتة بتلك الجهات.

المحيط الأطلسي (بحر الظلمات)

الأمويون

الأدارسة

المغرب الأقصى

سجلماسة
بنو مدرار

الدولة العباسية

إفريقيا

القلعة

ليبيا

إدريس الأول، هو إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقاطمة الزهراء بنت الرسول محمد ابن عبد الله، ولد سنة ١٢٧ هـ، أمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحرث الشاعر بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي. فهو إذن، قرشي من الأيوين، ومنزلته وجيهة في الأسرة العلوية. كان إدريس الأول مؤسس أول دولة إسلامية بالمغرب.



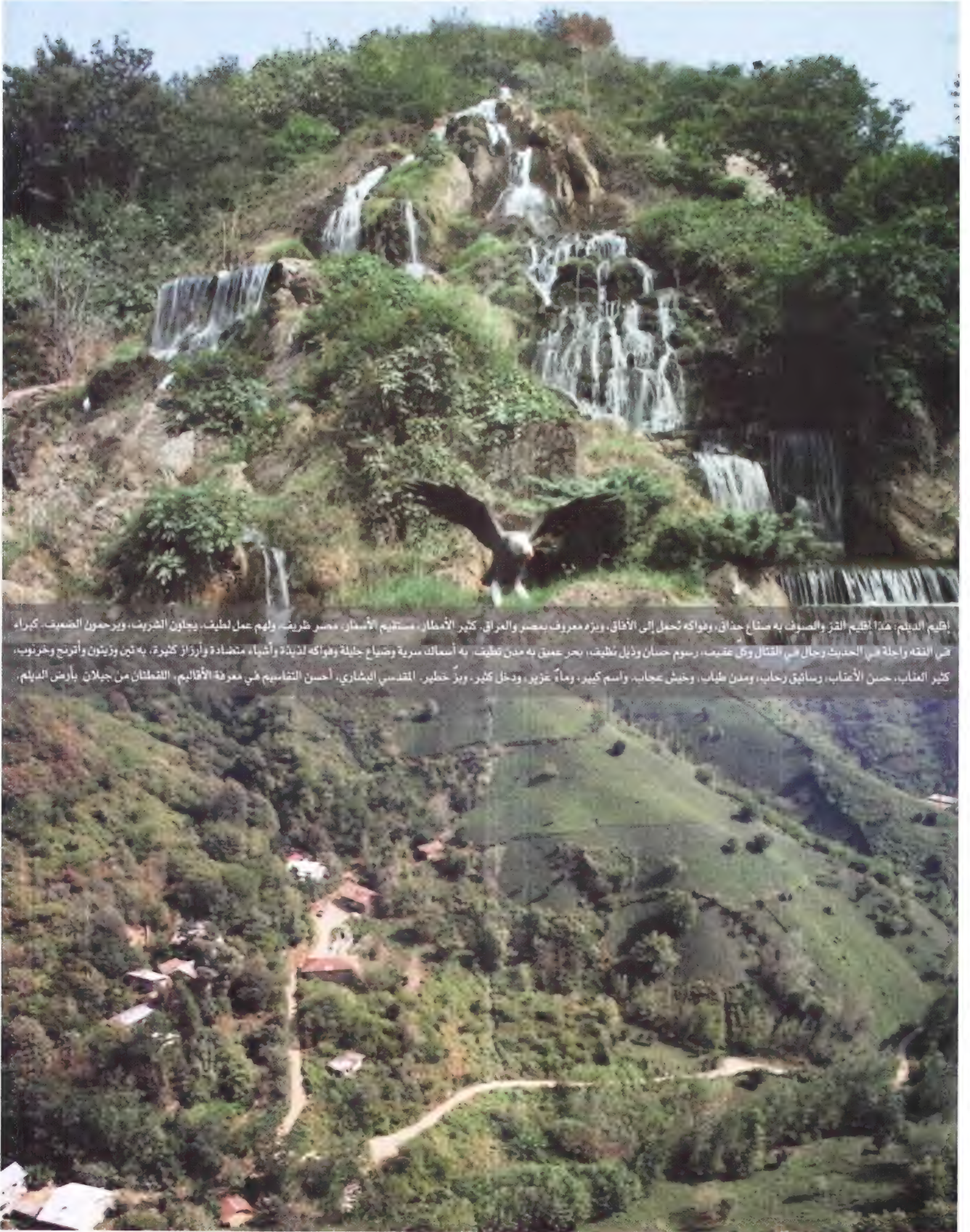
٢ لجوء **إدريس بن عبد الله** بعد معركة فخ سنة ١٦٩ هـ إلى المغرب الأقصى بصحبة مولاه راشد بعد أن حصل على مساعدة من والي مصر وأقلت من مراقبة الشرطة العباسية. أدت الدعوة والاتصالات إلى نتائج إيجابية في أمد قصير، مما يدل على ذكاء إدريس ودهاء مولاه راشد وهكذا لبث جملة من **قبائل البربر** الدعوة وقبلت أن تلتف حول إدريس. ولا شك أن انتماءه للأسرة النبوية كان له أثر قوي في هذا الإقبال.

٣ تحول إدريس إلى مدينة ويلي، حيث تمت بيعته يوم الجمعة ٤ رمضان سنة ١٧٢ هـ الموافق ٦ فبراير ٧٨٩ م. وكانت قبيلة أوربة أول من بايعه من قبائل المغرب، نظراً لمنزلتها الكبرى في المنطقة. ثم تلتها قبائل زناتة وأصناف من قبائل أخرى مثل زواغة وزواوة ولماية وسدراته وغيثاة ونفزة ومكناسة وغمارة ... الخ.

٤ كون إدريس بن عبد الله بعد مبايعته جيشاً من قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وقاده لفتح أقاليم مغربية أخرى وتوسيع مملكته. فاستولى على شالة، ثم على سائر بلاد تامسنا وتادالا. وعمل على نشر الإسلام بها. ثم عاد بجيشه إلى ويلي في آخر ذي الحجة من سنة ١٧٢ هـ. وتوقف مدة قصيرة بقصد إراحة الجنود. ثم عاد الكرة مرة ثانية في مناطق الأطلس المتوسط.



- ١ بعد وصول يحيى بن عبد الله بن الحسن إلى بلاد الديلم، اشتدت شوكته فيها، وقوي أمره بما التف حوله من الأتباع. ثم أعلن خروجه في عام (١٧٦ هـ / ٧٩٢ م) فهدد سلامة الدولة، وأقلق بال الرشيد. ومما أعطى حركته قوة، بعد المنطقة التي خرج فيها عن بغداد، ومناعتها الطبيعية.
- ٢ استقر رأي الخليفة هارون الرشيد على القضاء على حركة يحيى، فندب الفضل بن يحيى البرمكي لهذه الغاية، ونجح في استمالته بعد أن حشره إثر انفضاض أتباعه من حوله، فمال إلى الصلح. وكتب له الرشيد أماناً، واستقبله في بغداد.
- ٣ لم يطمئن الخليفة إلى نوايا يحيى، وأدت الحاشية دوراً في إفساد العلاقة بينهما، فوضعه تحت رقابة الفضل بن يحيى. وقد أثار يحيى عليه حتى أطلقه بدون علم الخليفة وذهب إلى الحجاز. ثم نوى إلى الرشيد؛ أن يحيى يدعو إلى نفسه في الحجاز، فوافق ذلك ما كان في نفسه، فقبض عليه وسجنه ثم قتله.



إقليم الديلم: هذا الإقليم القز والصوف به صناعات خدائق، وفواكه تحمل إلى الأفاق، ويژه معروف بمصر والعراق. كثير الأمطار. مستطيم الأسفار. محسر شريف. ولهم عمل لطيف. يعالون الشريف، ويرحمون الضعيف. كبراء هي النقة واجلة هي الحديث رجال هي القتال وقل عقيب، رسوم حسنان وذيان لطيف، بحر عميق به مدن تطيف. به أسماك مريه وضياح خيلة وفواكه لذيذة وأشياء متضادة وأرزاق كثيرة، به ثين وزيئون وأترنج وخرنوب، كثير العناب، حسن الأعشاب، وسائق رخاب، ومدن طياب، وخيش عجاب، وأسم كبير، وماء عزيز، ودخل كثير، ويزر خطير. المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم هي معرفة الأقاليم، القمطان من جيلان بأرض الديلم.

الدولة الأغلبية

١٨٤ - ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩ م

كان مؤسس الأسرة **الأغلب بن سالم بن عقال التميمي** قائداً لجيش العباسيين، ثم أصبح ابنه إبراهيم والياً على إفريقية من طرف هارون الرشيد ابتداءً من سنة ١٧٠ هـ، غير أنه استقل بالأمر سنة ١٨٢ هـ بعد تراجع دور العباسيين. وقد عمل الرشيد على دعم إبراهيم حتى لا يستقل نهائياً كباقي الإمارات، بعد القضاء على عدة ثورات كانت أغلبها من طرف دعاة الأمازيغ، وكان من أهمها ثورة حمديس الكندي في المغرب الأدنى، وثورة أهل طرابلس سنة ١٨٩ هـ، ثم استقر الأمر في عهد عبد الله بن إبراهيم (٨١٢-٨١٧).

ومات إبراهيم بن الأغلب سنة ١٩٦ هـ بعد أن ترك إمارة قوية خلفه، في حكمها ابنه عبد الله أبو العباس، وكان سيء السيرة فقد اشتد مع الناس وزاد في الضرائب. وفي عام ٢٠١ مات عبد الله أبو العباس واستراح الناس من حكمه. ثم زيادة الله بن إبراهيم (٢٠١-٢٢٣) وقد شهدت دولة الأغلبية في عهده أزهى أيامها، برغم أنه ظل لفترة منشغلاً بإخماد ثورة منصور الطنبذي الذي حاصر القيروان وهدد وجود الدولة، إلا أن زيادة الله تمكن من الانتصار عليه. وبعد سنة ٢١١ هـ تم غزو **صقلية** من طرف الأغلبية، ثم الإستيلاء على مدينة باري -في إيطاليا- عام ٢٢٦ هـ، ثم اجتياح رومية - روما - عام ٢٣١ هـ - إلا أنهم انسحبوا بعد ذلك - ثم سجلت الدولة حضوراً قوياً في العهود اللاحقة، كما سيتضح ذلك في صفحات الأطلس القادمة.



تعد فسقية « بركة الأغلبية » من أشهر المؤسسات المائية في الحضارة الإسلامية ومن تراث القيروان المسجل في قائمة التراث العالمي، وقد أقامها الأمير أبو إبراهيم أحمد بن الأغلب سنة ٢٤٨ هـ/ ٨٦٢م بعد عامين من العمل المتواصل، وتأنق في مظهرها وإبراز تفاصيلها الهندسية بما يتناسب مع مظهر عاصمته القيروان.



الدولة الأغلبية في المغرب الأدنى

أوروبا



دولة الأغلبية (١٨٤-٢٩٦هـ / ٨٠٠-٩٠٩م)
أسرة عربية تنسب إلى قبيلة تميم، حكمت إفريقية (تونس والقسم الأكبر من المغرب العربي) من نهاية القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الثالث/ القرن التاسع الميلادي. وكانت حدود دولة الأغلبية تتسع وتتقلص بحسب قوة أمرائها وضعفهم.



البحر الأطلسي (بحر الظلمات)

١ إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال
ابن خفاجة بن سودة التميمي (١٨٤ هـ - ٨٠٠ م)؛ هو مؤسس الدولة، شخصية مرموقة، فقيه عالم أديب شاعر خطيب، ذو رأي وبأس وحزم ومعرفة بالحرب ومكائدها، لم يل إفريقية أحد قبله من الأمراء أعدل في سيرة، ولا أحسن في سياسة، ولا أرفق برعية، ولا أضبط بأمر منه.



٢ أسس الدولة "إبراهيم بن الأغلب" وكان والده الأغلب. الذي سميت الدولة باسمه. أول من دخل إفريقية من هذه الأسرة، التي كانت قد استقرت في مَرُو الرُّوذ في خراسان، منذ الفتح الإسلامي. وكان قيام هذه الدولة في عهد الخليفة هارون الرشيد. وقد تلقب حكام هذه الدولة بالأمراء، وظلوا خاضعين لسلطة الخلفاء العباسيين اسماً، فسكوا النقود باسمهم، وخطبوا لهم على المنابر، من دون أن يسمحوا لهم بالتدخل في شؤونهم الداخلية.

٣ تمثل دولة الأغلبية ذات العلاقة الاسمية بالدولة العباسية تمثيلاً إيجابياً؛ بخلاف دولة الأدارسة التي كانت معادية للخلافة العباسية. حيث استطاع **"إبراهيم بن الأغلب"** أن يوقف الأدارسة. وبعد مناوشات بين الطرفين اقترحوا عليه ألا يعتدي أحد الطرفين على الآخر، وأن يبقى كل في إقليمه، فقبل "ابن الأغلب" ذلك.

٤ يذكر د. حسين مؤنس؛ بأن سياسة الرشيد كانت تهدف إلى تأمين ولاية إفريقية، لأنها كانت كل ما بقي لدولة بني العباس في الجناح الغربي لدولة الإسلام، وهكذا أصبحت إفريقية في بيت إبراهيم بن الأغلب. فأنشأ هذا الأخير مدينة العباسية على بعد ٣ أميال من القيروان، وعظم شأنه حتى أصبح يفد عليه سفراء شارلمان ملك الفرنجة بفرنسا ساعياً وراء عقد علاقات دبلوماسية مع المسلمين.

الاضطرابات في المشرق

كان **هرثمة بن أعين**، أميراً من قادة الدولة العباسية الشجعان والبناة، ولاء الرشيد مصر سنة ١٧٨هـ، ثم وجهه إلى إفريقيا (القيروان وما بعدها) لإخضاع عصيان اندلع فيها، فسار هرثمة إلى القيروان سنة ١٧٩هـ، فأمن الناس وسكنهم، ولقي من أهلها ما يحب فأحسن معاملتهم، وكان إبراهيم بن الأغلب بولاية الزاب فلاتف هرثمة وتقرب منه، فولاه ناحية هناك فحسن أمره فيها، ولكن الهدوء لم يطل، إذ جمع بعض الزعماء جموعهم وساروا لقتال هرثمة، فتقدم إليهم في جيش كثيف، ففرق جموعهم بعد أن قتل منهم خلقاً كثيراً، ودخل **تاهرت** ظافراً فأطاعته القبائل، وعاد إلى **القيروان** وبني فيها قصر «المنستير» على يد زكريا بن قادم، كما بنى سور مدينة طرابلس الغرب، وظل والياً على إفريقيا سنتين ونصف السنة، ولكنه حين رأى كثرة ما بها من الخلافات والمنازعات كتب إلى الرشيد طالباً إعفاءه، فأمره بالقدوم عليه إلى العراق، ثم عقد له على خراسان، بعد أن اهتم ولاية هذا الإقليم بمصالحهم الشخصية، وتطلعوا إلى الإثراء وأهملوا شؤون الرعية، حتى إن بعضهم زاد الضرائب تعسفاً؛ لذلك رأى الخليفة هارون الرشيد أن يرسل هرثمة إلى خراسان؛ فذهب إليها وأقام فيها^(١).

وحينما خرج رافع بن نصر بن سيار على طاعة الدولة العباسية في خراسان، حيث كان سبب خروجه سوء سيرة علي بن عيسى بن ماهان عامل الرشيد هناك، وجرت بينه وبين علي بن عيسى وقعات، فبلغ ذلك الرشيد فعزل علي بن عيسى واستعمل هرثمة على ما كان عليه، وقيل كانت ولايته سراً لم يطلع عليها الرشيد أحداً، وقيل: إنه لما أراد عزل علي بن عيسى استدعى هرثمة إليه، وأسرَّ إليه ذلك، وقال له: إن علي بن عيسى قد كتب إلي يستمدني بالعساكر والأموال، فأظهر للناس أنك تسير نجدة إليه. وكتب له الرشيد ولاية بخطر يده، وأمر كتابه أن يكتبوا إلى علي بن عيسى بأنه قد سيّر هرثمة نجدة له، فسار هرثمة ولا يعلم بأمره أحد، حتى أتى «مرو» فقبض على علي بن عيسى، وعلى أهله وأصحابه وأتباعه، وأخذ أمواله فبلغت ثمانين ألف ألف، وجمعت خزائنه وأمواله فبلغت حمل ألف وخمسة مئة بغير، فأخذ الرشيد ذلك كله، وكان وصول هرثمة إلى مرو عاصمة خراسان سنة ١٩٢هـ^(٢).



نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ

البرامكة أو كما يسمون بالفارسية (برمكيان) : أسرة من أشراف الفرس، ينتسبون إلى جدّهم بَرْمَك أو برموك، وهو لقب السادن الأكبر لمعبد النُوبهار ببُلخ. والنوبهار معبد كان ملوك الهند والصين وكابل يقصدونه ويحجّون إليه. وكانت الفرس تعظمه وتحج وتهدي إليه، وقد اختلف في كونه معبداً بوذياً أو معبداً للنار.

أول من وصلت أخباره من البرامكة أبو خالد بَرْمَك، الذي قدم على هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) فأسلم، وكان قد نشأ في الهند وتعلّم علم الطبّ والنجوم، وقد استخدم معرفته الطبية في معالجة مَسْلَمَة ابن عبد الملك من مرض ألمّ به، كما كان كاتباً أديباً عنده علم بأخبار ملوك الفرس. وقد كان للبرامكة منزلة عالية، واستحوذوا على الكثير من المناصب في الدولة العباسية، وكان لهم حضور كبير في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي أرضعته زوجة يحيى بن خالد البرمكي، الذي حفظ لهارون الرشيد ولاية العهد بعد أن أراد الخليفة الهادي خلع هارون الرشيد.

نهاية البرامكة : تعاظم نفوذ البرامكة في عهد هارون الرشيد، فقد بلغ واردهم السنوي عشرين ألف ألف درهم. وكان ما يقع تحت أيديهم من المال أكثر مما يقع تحت يد الخليفة نفسه. وكانوا يكثرون من العطايا ويبالغون فيها، وقد ضرب جعفر البرمكي دنانير خاصة للصلوات قيمة كل منها ثلاثمائة دينار. وشعر الرشيد بتسلطهم المالي وغناهم حتى إنه كان يقول: «أغنيانهم وأفقروا أولادنا» ذلك أنهم ملكوا أحسن الضياع وعمروا أجمل البناء، فقد بنى جعفر البرمكي قصراً في بغداد، أنفق عليه أموالاً لا تعد ولا تحصى، لدرجة أن بعض حاشية الخليفة بدأت تضمر لهم شراً، واحتدم الصراع بين البرمكيين وخصومهم. إلى أن تمكن خصوم البرامكة بعد حشد كل طاقاتهم من اقناع الخليفة بالتخلص منهم. **ولقد سمم البرامكة الإمام موسى بن جعفر الكاظم بعد رحلة لهارون الرشيد** الذين قد وشوا وفتنوا على موسى بأنه يريد الانقلاب عليه، **بكي هارون على ابن عمه** وعرف هارون مخطط البرامكة. فقد كان هارون الرشيد ذكياً يعرف نفوذ البرامكة في الدولة، وأدرك أن التخلص منهم ليس بالأمر السهل. لذا لجأ للمكر، وقرر فجأة في سنة ١٨٧ هـ القبض على جميع أفراد العائلة البرمكية، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، وشرّد بعضهم، وقتل الغادرين منهم، بينما أدخل المشاغبين منهم السجون. وهكذا في غضون مدة وجيزة انتهت أسطورة البرامكة وانتهت سلطتهم داخل الدولة العباسية. وسميت معركة الرشيد ضدهم بـ "نكبة البرامكة".

طبيعة العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين في خلافة هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨ م

كان للحقبة التي عاشها الرشيد مع أبيه المهدي ١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٤ - ٧٨٥ م أثرها الواضح في علاقته مع الروم بعد توليه الخلافة سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م ، فقد اطلع بنفسه على خطر البيزنطيين على المسلمين ، ورأى أن خطرهم سيبقى قائماً طالما بقيت الحدود مفتوحة بين الجانبين ، لذا عوّل على إتمام ما بدأه أسلافه ، فأنشأ التحصينات على المناطق المخوفة لتكون جميعاً بمثابة الحصن الحصين الذي يحمي دار الإسلام من ناحية ، وليتخذوها قواعد لهم يشنون منها حملاتهم على أراضي الدولة البيزنطية من جهة أخرى.

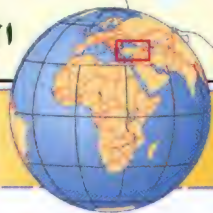
كما أقام منطقة جديدة قريبة من أنطاكية أطلق عليها **العواصم** ، لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها ، فتعصمهم وتمنعهم من العدو البيزنطي - بإذن الله - إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر الشامي ، وأسكنها جنداً عرفوا **بجند العواصم** ، واختار الرشيد هذه الجهة دون غيرها ؛ لأن الروم اعتادوا مهاجمة المسلمين منها ، فأخذوا يغيرون عليهم بين مدة وأخرى.

واهتم بطرسوس - وكانت على حدود بلاد الروم - ؛ للأخبار التي وصلت إليه من عزم الروم على الاتجاه إليها وتحصينها ، لتكون مركزاً إستراتيجياً يغزون المسلمين منه ، ولهذا أرسل الرشيد سنة ١٧١ هـ / ٧٨٧ م جيشاً بقيادة هرثمة بن أعين ، وأمره - بعد أن ينتهي من غزو الروم - أن يهتم بأمر طرسوس ، وينقل البنائين المهرة ليبنوا المساكن والحصون فيها ، وينقل إليها الناس ليسكنوها ، وتمصّر كبقية الأمصار الإسلامية الأخرى.

ولما أحرز هرثمة بن أعين النصر على الروم بادر في تنفيذ ما أوصاه به الرشيد ، ببناء المساكن والحصون وتخطيط المدن ، وطلب من الجميع أن يعسكروا في المدائن ، ريثما يستكمل بناء مساكن طرسوس وحصونها ومساجدها ، وحين انتهى البناء منها سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م نقل إليها الجميع ومصّرها ، وأقطع أهل طرسوس الخطط ، وزاد كل رجل عشرة دنانير في أصل عطائه.

والحقيقة أنه ترتب على سياسة الرشيد على الحدود مع الروم أنهم لم يستطيعوا اختراق منطقة الثغور ؛ لقوة تحصيناتها ومرابطة الجيوش الإسلامية الدائمة فيها ، والذي مكّنهم من تسيير جيوشهم مرتين أو أكثر في السنة من غير تعب أو ملل^(١).





اختصت طبيعة العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين في خلافة هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨ م على أمرين.

• تأمين الثغور الإسلامية .

- سياسة الصوائف والشتواتي سنة ١٧٠ - ١٨٢ هـ / ٧٨٦ - ٧٩٨ م.
- بين الرشيد ونقفور في المدة ١٨٧ - ١٩٣ هـ / ٨٠٢ - ٨٠٨ م.

• بين الرشيد وإيريني في المدة ١٨٣ - ١٨٦ هـ / ٧٩٩ - ٨٠٢ م.

- بين الرشيد ونقفور سنة ١٨٧هـ / ٨٠٢م .
- بين الرشيد ونقفور سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥م .

بين الرشيد ونقفور في المدة ١٨٧ - ١٩٣ هـ / ٨٠٢ - ٨٠٨ م

تولى نقفور حكم الإمبراطورية البيزنطية بعد أن كان مسؤولاً عن الخزانة المالية فيها، فاهتم بتدعيم اقتصاد البلاد وإنقاذ الخزانة من الإفلاس، الذي نشأ عن إهمال حكومة إيريني، فألغى الأوامر التي أصدرتها إيريني، وامتنع عن دفع الجزية للمسلمين والبلغار، وأعاد الضرائب على سكان بيزنطة، فبذلك نقض إمبراطور الروم، نقفور، العهد بين المسلمين والبيزنطيين وكتب إلى هارون:

"من نقفور ملك الروم إلى ملك العرب، أما بعد فإن الملكة إيريني التي كانت قبلي أقامتك مقام الأخ، فحملت إليك من أموالها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، واغتن نفسك، وإلا فالهرب بيننا وبينك".

فلما قرأ هارون هذه الرسالة ثارت ثائثرته، وغضب غضباً شديداً، وكتب على ظهر رسالة الإمبراطور: **"بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام".**

وخرج هارون بنفسه في (١٨٧ هـ = ٨٠٣ م)، حتى وصل "هرقلة" وهي مدينة بالقرب من القسطنطينية، واضطر نقفور إلى الصلح والمواعدة، وحمل مال الجزية إلى الخليفة كما كانت تفعل "إيريني" من قبل، ولكنه نقض المعاهدة بعد عودة الرشيد، فعاد الرشيد إلى قتاله في عام (١٨٨ هـ = ٨٠٤ م) وهزمه هزيمة منكرة، وقتل من جيشه أربعين ألفاً، وجرح نقفور نفسه، وقبل المواعدة، وفي العام اللاحق (١٨٩ هـ = ٨٠٥ م) حدث الفداء بين المسلمين والروم، ولم يبق مسلم في الأسر، فابتهج الناس لذلك.

غير أن أهم غزوات الرشيد ضد الروم كانت في سنة (١٩٠ هـ = ٨٠٦ م)، حين قاد جيشاً ضخماً عدته ١٣٥ ألف جندي ضد نقفور الذي هاجم حدود الدولة العباسية، فاستولى المسلمون على حصون كثيرة، كانت قد فقدت من أيام الدولة الأموية، مثل "طوانة" بثغر "المصيصة"، وحاصر "هرقلة" وضربها بالمنجنيق، حتى استسلمت، وعاد نقفور إلى طلب الهدنة، وخاطبه بأمر المؤمنين، ودفع الجزية عن نفسه وقادته وسائر أهل بلده، واتفق على ألا يعمر هرقلة مرة أخرى.

مما قاله شاعر الزهد والحكمة (أبو العتاهية) في نصر هارون على نقفور:

بسطت لنا شرقاً وغرباً يدُ العلا
ووشيت وجه الأرض بالجوّد والندی
وأنت أمير المؤمنين فتى التقى
تجلّيت للعالم وللدين بالرضا

فأوسعت شرقياً وأوسعت غربياً
فأصبح وجه الأرض بالجود موشياً
نشرت من الإحسان ما كان مطوياً
فأصبح نقفور لهارون ذمياً

مملكة الفرنجة

حكم عبد الرحمن الداخل الأندلس ١٢٨ - ١٧٢ هـ أي أنه عاصر الخليفة العباسي هارون الرشيد مدة عامين، وعندما توفي تولى بعده ابنه **هشام الرضا**، وقد حكم الأندلس مدة ثمانية أعوام ١٧٢ - ١٨٠ هـ، ووقع خلاف بينه وبين أخيه سليمان الذي هو أكبر منه، وقد أخذ سليمان البيعة لنفسه في **طليطلة**، ولكنه هزم أمام هشام سنة ١٧٤ هـ، ونفي إلى المغرب. وبعد أن وطد هشام حكمه اتجه إلى قتال النصاري في الشمال فأرسل إليهم حملات، كما **أرسل جيوشاً إلى سيبتانيا في جنوبي فرنسا**.

وخلفه ابنه **الحكم الربضي**، واستمر حكمه حتى عام ٢٠٦ هـ، ونازعه على الحكم عماء عبد الله وسليمان فقد كان في طنجة وعبر إلى الأندلس بقوة من المرتزقة ولكنه هزم وقتل عام ١٨٤ هـ، وأما عمه الآخر عبد الله فقد كان عند **الإباضيين في تاهرت** بالمغرب الأوسط فانتقل إلى الأندلس غير أنه هزم، وعفا عنه ابن أخيه الحكم، وأجبره على الإقامة في الأندلس في بلنسية، ويدفع له مرتباً سنوياً ضخماً. كما قامت ضده عدة حركات منها ما حدث في طليطلة قضى عليها بالحيلة إذ ولى عليها عمرو بن يوسف الذي تظاهر بكره الأمير (الحكم) ودعا كبار أهل البلدة إلى وليمة بالقلعة وتخلص منهم عام ١٨١ هـ.



(درب زبيدة التاريخي) من أبرز المنجزات الحضارية في عهد الخليفة هارون الرشيد

شهدت الجزيرة العربية في العصر الإسلامي ظهور وتطور لسبعة طرق رئيسة للحج والتجارة، هي: طريق الحج الكوفي (درب زبيدة)، وطريق الحج البصري، وطريق الحج الشامي، وطريق الحج المصري، وطريق الحج اليمني الساحلي، وطريق الحج اليمني الداخلي، وطريق الحج العُماني.

وتتصل هذه الطرق بعضها مع بعض في نقاط رئيسة، أو بواسطة طرق فرعية، ولقيت طرق الحج عناية فائقة من قبل الخلفاء المسلمين، والأمراء، والوزراء، والأعيان، ومن محبي الخير من التجار والوجهاء على مر العصور، وبعض الطرق استمر استخدامه حتى عهد قريب، والبعض الآخر اندثر بسبب الظروف المناخية، والاقتصادية، والهجرات السكانية.

وأقيمت على طرق الحج منشآت عديدة، مثل: المحطات والمنازل والمرافق الأساسية من برك، وآبار، وعيون، وسدود، وخانات، ومساجد، وأسواق، كما أقيمت على هذه الطرق الأعلام، والمنارات، والأميال، التي توضح مسار تلك الطرق وتفرعاتها.

ويعد طريق الحج من الكوفة، إلى مكة المكرمة من أهم طرق التجارة والحج في العصر الإسلامي، وقد عرف هذا الطريق فيما بعد باسم **(درب زبيدة)**؛ نسبة إلى السيدة زبيدة بنت جعفر، زوجة الخليفة هارون الرشيد، والسيدة زبيدة كان لها أعمال كثيرة في إقامة بعض المنشآت على هذا الطريق، وفي مكة المكرمة، ومن أهم أعمالها: حفرها **عين زبيدة** التي لا تزال آثارها باقية حتى اليوم. وطريق (الكوفة - مكة) لا يستبعد أن يكون معروفاً قبل العصر الإسلامي؛ حيث كانت الحيرة عاصمة المناذرة بالقرب من الموقع الذي قامت فيه الكوفة فيما بعد سنة ١٤هـ، وربما كانت القوافل التجارية من مكة، والمدينة تتجه إلى الحيرة عبر هذا الطريق، وكانت توجد على الطريق مناهل للمياه قبل الإسلام توقف في بعضها الجيش الإسلامي بقيادة سعد بن أبي وقاص قبل دخوله العراق، ومن هذه المناهل: زرود، والثعلبية، وشرف، والعذيب، والقادسية.

غير أن الطريق انتظم استخدامه بعد فتح العراق، وانتشار الإسلام في المشرق الإسلامي، فتحولت مناهل المياه، وأماكن الرعي، والتعدين على الطريق إلى محطات رئيسة، وبدأ الطريق يزدهر بالتدريج منذ عصر الخلافة الراشدة، وحتى العصر الأموي؛ وبانتقال مركز الخلافة من الشام إلى العراق، في العصر العباسي، أصبح الطريق حلقة اتصال مهمة بين عاصمة الخلافة في بغداد والحرمين الشريفين، وبقية أنحاء الجزيرة العربية وحتى اليمن، وأعطى خلفاء بني العباس جل اهتمامهم بتأمين طرق المواصلات، وبالأخص طريق الكوفة من مكة، كما كان للأمراء، والوزراء، والقادة، والوجهاء، إصلاحات أخرى

كثيرة على الطريق . بتصريف عن أ . د . سعد بن عبد العزيز الراشد . طرق الحج الرئيسية، النسخة الرقمية.

دَرْبُ زَيْبِدة

مسلك درب زبيدة وهو قادم من العراق ثم دخله في منطقة الحدود الشمالية من الأراضي السعودية، ثم مروره عبر مناطق إدارية أخرى ليصل في نهاية المطاف إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة شرفها الله تعالى.



مصدر: الخارطة - أطلس الحج والعمرة، تاريخاً وفقهاً، للمؤلف

درب زبيدة، وينسب إلى زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور. إحدى زوجات الخليفة العباسي هارون الرشيد - رضي الله عنه - قامت زبيدة بالإشراف على إنشاء طريق الحج، ويشتمل هذا الدرب في خدمة حجاج بيت الله الحرام من بغداد (عاصمة الخلافة العباسية)، ومروراً بالكوفة إلى مكة المكرمة. حيث تم وضع علامات على الطريق لإرشاد الحجاج، وتم وضع برك لجمع الماء بطريقة ذكية، حيث تم وضع كل بركة أسفل واد صغير تجمع ماء المطر ويستفيد منها الحجاج للتزود بالماء، ومع مرور السنين استفاد حجاج بيت الله الحرام من هذا الطريق. ويبلغ طول هذا الدرب ١٤٠٠ كم تقريباً، وينتهي هذا الدرب في عين زبيدة التي تنبع من وادي نعمان، ثم تمر في غمرات فتقطع وادي عرنة، ثم تنحدر إلى مكة المكرمة، وكانت مصممة بطريقة انسيابية هندسية متطورة.



بركة العمياء وتقع على بعد ١٣,٥ كم شمالي محطة القاع وهي محطة من الحجم المتوسط



آثار بركة الظفيري « الغوير »



بركة القاع وهي من المحطات الكبيرة على درب زبيدة

بركة الظفيري « الغوير » : قال الناظم:

غزال نحا شيخ الغوير وغاره فدى لغزال بالغوير شرود
هي أول البرك على درب زبيدة داخل الحدود السعودية، حيث
تعرف باسم بركة (الظفيري)، وتقع على بعد ١٢ كم شمالي
محطة العمياء، ثم يستمر الطريق بعدها حتى يصل إلى الكوفة
التي ينشأ منها بداية الطريق، وهذه البركة لها درج ومدخلان
للماء، يتم توجيه الماء إليهما بجدران صممت لهذا الغرض،
وللبركة مصفاة موصولة مع البركة بقناة.



بركة النليعة في شمالي رفحاء



بركة الجميمة لفضلات مشوعة





بركة زباله بالقرب من رضاء



بركة العشار



بركة الشيعيات جنوب غربي أم العصافير



لقطات لبركة العراش





أحد الآبار بأرض زرود والتي يتزود منها الحجاج والتجار والمسافرون على درب زبيدة



أرض زرود بموضع « شامة زرود » غربي شامة مغيليث بمنطقة حائل اليوم



قصر كبير وبجانبه بركة « مطمورتان » تحت الرمال بالقرب من مدينة الأضر

زرود: يجوز أن يكون من قولهم: جمل زرود أي بلوع، والزرد: البلع، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة، وقال ابن الكلبي عن الشرقي: زرود والشقرة والزبيدة بنات يثرب بن قانية بن مهليل بن رخام بن عبيل أخي عوض بن إرم بن سام بن نوح، **عَلَيْكَ** وتسمى زرود العتيقة، وهي دون الخزيمية بميل، وفي زرود بركة وقصر وحوض، قالوا أول الرمال الشبيحة ثم رمل الشقيق، وهي خمسة أجبل: جبلا زرود وجبل الغر ومربخ، وهو أشدها، وجبل الطريدة، وهو أهونها، حتى تبلغ جبال الحجاز. ويوم زرود: من أيام العرب مشهور بين بني تغلب وبني يربوع؛ وقد روي أن الرشيد حج في بعض الأعوام فلما أشرف على الحجاز تمثل بقول الشاعر:

أقول وقد جزنا زرود عشية

وراحت مطاينا تؤم بنا نجدا

على أهل بغداد السلام، فإنتني

أزيد بسيري عن بلادهم بعدا

وقال مهيार:

ولقد أحن إلى زرود وطيني

من غير ما جبلت عليه زرود

ويشوقني عجب الحجاز وقد طفا

ريف العراق وظله المدود

ويغرّد الشادي فلا يهتز بي،

وينال مني السابق الغريد

ما ذاك إلا أن أقمار الحمى

أفلاكهن، إذا طلعت، البيد

قال أبو العلاء المعري:

لا تحسبي إيلي سهيلاً طالعا بالشام فالمرئي شعة قابس

هذي العواصم فاسألينا ما بها وذري مارب من زرود وراكس

ولقد أطل تظلني وضحابتي والشمس مثل الأخضر المشاوس



فيد: مدينة صغيرة ذات حصنين وبها حمام وبركة بأبواب حديد وأقارات، لعضد الدولة يوجد بها كل خير وبها يودع الحاج أزوادهم وتم ثقات وبها عيون وآبار وبرك عذيبية، وبالبعد ماء حلو .. المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. وهذه الصورة لبركة زبيدة بمدينة (فيد) بمنطقة حائل

وصف ابن بطوطة في رحلته **حصن فيد** قائلاً : وهو حصن كبير في بسيط من الأرض يدور به سور وعليه ربض، وساكنوه عرب يتعيشون مع الحاج في البيع والتجارة. وهنالك يترك الحجاج بعض أزوادهم حين وصولهم من العراق إلى مكة شرفها الله تعالى، فإذا عادوا وجدوه وهو نصف الطريق من مكة إلى بغداد، ومنه إلى الكوفة مسيرة اثني عشر يوماً في طريق **سهل به المياه** في المصانع، ومن عادة الركب أن يدخلوا هذا الموضع على تعبته وأهبة للحرب، إرهاباً للعرب المجتمعين هنالك، وقطعاً لأطماعهم عن الركب وهنالك لقينا أميرى العرب، وهما فياض وحيار واسمه " بكسر الحاء وإهماله وياء آخر الحروف "، وهما ابنا الأمير مهنا بن عيسى، ومعهما من خيل العرب ورجالهم من لا يحصون كثرة **فظهر منهما المحافظة على الحاج والرحال والحوطة لهم**، وأتى العرب بالجمال والغنم واشترى منهم الناس ما قدروا عليه، ثم رحلنا ونزلنا الموضع الأجفر، ويشتهر باسم العاشقين: جميل وبثينة ثم رحلنا ونزلنا البيداء، ثم نزلنا زرود، ... رحلة ابن بطوطة.



مؤلف ومصمم الأطلس وسطح بركة فيد



تبين هذه الصورة كيفية عمل الجسور التي تحمل الماء من عين زبيدة في مكة المكرمة :

قيل : إنه بلغ مجموع ما أنفقته السيدة " زبيدة " على هذا المشروع مليوناً وسبعمائة ألف مثقال من الذهب ، أي ما يساوي خمسة آلاف وتسعمائة وخمسين كيلو غراماً . ولما تم عملها ، اجتمع العمال لديها وأخرجوا دفاترهم ليؤدوا حساب ما صرفوه ، وليبرتوا ذمتهم من عنده ما تسلموه من خزائن الأموال ، وكانت السيدة " زبيدة " في قصر مطل على نهر دجلة ، فأخذت الدفاتر ورمتها في النهر ، قائلة : " تركنا الحساب ليوم الحساب ، فمن بقي عنده شيء من المال فقول له : ومن بقي له شيء عندنا اعطيناه " . وألبستهم الخلع والتشاريق .



تعمل قناة عين زبيدة إلى مشعر مزدلفة حيث يوجد مقر لعين زبيدة مجاور للشعور الحرام ، لتسبب العين في برك وأحواض خصص بعضها لسقيا الحجاج ، وبمعناها الآخر للدواب للتجه إلى مكة المكرمة المتاخمة شى ، لتسبب في " عين زبيدة " نهاية امتداد عمل قناة عين زبيدة

يُعد مشروع « عين زبيدة الأثري » وهو مكمل لمشروعها السابق « درب زبيدة » حيث إن هذه العين تمتد من أعالي جبال الكربوادي نعمان بالقرب من الطائف حتى مكة في سقيا أهالي مكة المكرمة وحجاج بيت الله الحرام بالمياه العذبة وقد أمرت بتنفيذ هذا المشروع المائي العملاق السيدة أمة العزيزة ، بنت جعفر بن المنصور زوجة الخليفة هارون الرشيد لما علمت حاجة مكة المكرمة وضيوف الرحمن إلى المياه بعد أن عانت هذه المدينة المقدسة من شح المياه ما عانت نتيجة جفاف مياه الآبار ، ورغم قلة الإمكانيات والأيدي الهندسية الماهرة المؤهلة والمدرية ، إلا أن السيدة زبيدة استطاعت برجالها العاملين المخلصين أن ينفذوا هذا المشروع العملاق بطرق فنية متطورة تتساوى مع ما توصل إليه اليوم علم تقني هندسي ، ولا سيما في قدرة العاملين آنذاك في سحب المياه عبر تلك المسافة الطويلة التي تمتد لمسافات بعيدة وعبر مرتفعات ومنخفضات جبلية وأودية وصحاري ، فعملوا المناسيب المناسبة لمجرى العين والخريزات والقنوات بالحجر والجص حتى استطاعت المياه الانسياب عبر هذه القنوات والمضخات البدائية بكل سهولة ويسر حتى وصلت إلى المسجد الحرام بمكة المكرمة مروراً بمناطق المشاعر المقدسة منى وعرفات ومزدلفة ولا تزال آثار القنوات المائية والخريزات قائمة إلى اليوم في سفوح الجبال وكأنه قد تم عملها بالأمس رغم مرور الزمن .



الخريزات تتسوق ، هي أبنية حديدية تحمل مياه المنصور في دار
بمكة ، أو مريضة



بدأت مع مطلع العصر العباسي الأول حركة الأئمة الإباضية الاستقلالية ١٣٥هـ (٧٥٢م)، حيث كان الإباضيون ينتخبون بواسطة أهل العلم على أن يوافق الجمهور على الاختيار، كما أنه لم يكن هناك حكم بالوراثة، وكان الإمام يعزل أحياناً، ومن أبرز الأئمة الإباضية وهو الأول: الإمام جلتدي بن مسعود بن جعفر بن جلتدي الأزدي سنة ١٣٥هـ، وقتل بعد سنتين تقريباً من حكمه، وكان مصرعه في حربه ضد الجيش العباسي. وموت عمن عقب ذلك بفترة شغور وهوضى. ثم توالى مجموعة من الحكام عصر الأئمة في عمان. وأمتدت هذه الفترة من الحكم حتى القرن الخامس عشر الميلادي، مع تسلسل حيناً، وانقطاع حيناً آخر، ومع ظهور آل نيهان الذين كونوا لهم ملكاً عدة قرون حتى مجيء البرتغاليين لعمان سنة ٩١٣هـ = ١٥٠٧م. سيرد تفصيل أوسع في الصفحات القادمة عن تاريخ عمان في العصر العباسي من هذا الأطلس أن شاء الله تعالى.

نشاط الخوارج على الجزء الشرقي من الخلافة العباسية

١ الوليد بن طريف الشاري الخارجي وهو رأس الخوارج كان مقيماً في **الجزيرة الفراتية** بنصيبين والخابور وتلك النواحي وخرج على الدولة في خلافة هارون الرشيد ففتك بإبراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين، ثم قويت شوكة الوليد فدخل إلى **أرمينية** وحصر خلاط (في تركيا اليوم) عشرين يوماً فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين، ثم سار إلى **أذربيجان**، ثم إلى **حلولان** وأرض السواد، ثم عبر إلى غرب دجلة وقصد مدينة بلد فافتدوا منه بمائة ألف وعات في أرض الجزيرة وبغى وحشد جموعاً كثيرة، فأرسل إليه هارون الرشيد جيشاً كثيفاً مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني (من قبيلة الوليد نفسها). فقتله في الأسبوع الأول من رمضان عام ١٧٩ هـ، ودفن في « تل نهاكي ».

٢ خرج في العام نفسه (١٧٩ هـ) في **خراسان حمزة بن أترك السجستاني**، وبدأ ينتقل من مكان إلى آخر حتى قوي أمره في عام ١٨٥ هـ فعات فساداً في باذغيس من أرض خراسان، غلب، وفر باتجاه كابل .



مرثية فضائية لموقعي الجزيرة الفراتية وسواد العراق

الخوارج في نظر الإباضية

الخوارج قديماً: هم طوائف من الناس من زمن التابعين رؤسهم نافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر، وعبد الله بن الصفار ومن شايعهم، وسموا خوارج لأنهم خرجوا عن الحق، وعن الأمة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك، فاستحلوا ما حرم الله من الدماء والأموال بالمعصية. وحين أخطأوا في التأويل لم يقتصرُوا على مجرد القول، بل تجاوزوه إلى الفعل، فاستعرضوا النساء والأطفال والشيوخ. وهم باعقادهم وعملهم قد خرجوا من الإسلام وخرجوا عن الحق فهم الذين يمكن أن ينطبق عليهم الحديث الوارد في المروق من الدين.

موقع شبكة الدفاع عن السُّنة

أبرز الذين خرجوا على خلافة هارون الرشيد من الخوارج في أرض الجزيرة الفراتية وسواد العراق أيضاً:

- ١ - خراشة الشيباني سنة ١٨٠ هـ، فسار إليه مسلم ابن بكار العقيلي فقتله، وتبع أعوانه من الخوارج.
- ٢ - أبو عمرو الشاري، سنة ١٨٤ هـ خرج في الجزيرة لكنه سرعان ما تم تصفيته.
- ٣ - ثروان بن سيف، سنة ١٩١ هـ، خرج في سواد العراق؛ فوجه إليه هارون قائده طجوق بن مالك، فتمكن من الانتصار عليه وقتل أصحابه، وجرح ثروان، فظنه أنه قتل؛ لكنه فر جريحاً.



حدود الدولة العباسية في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد رحمه الله تعالى



مجموعة من الدنانير العباسية التي سكنت في عهد أمير المؤمنين هارون الرشيد رحمه الله

وقف هارون الرشيد أمام السحاب ذات مرة، وقال لها، أمطري حيثما شئت فسوف يأتي خراجك (أي زكاتك) بإذن الله تعالى

وفاة هارون الرشيد (رحمه الله تعالى)

خرج **هارون الرشيد** من بغداد في سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨ م، قاصداً خراسان لوضع حد لثورة رافع بن الليث، واستخلف ابنه محمد الأمين على بغداد، واصطحب معه ابنه عبد الله المأمون. وكان الرشيد يشكو من علة في بطنه ويرتدي حزاماً من حرير لتسكين الألم. ولما وصل إلى **طوس** في شهر صفر، اشتدت عليه العلة حتى عجز عن القيام، وتوفي في ٣ من جمادى الآخرة ١٩٣هـ / ٢٤ من مارس ٨٠٩م وتولى ابنه الأمين الخلافة من بعده، وهو الخليفة السادس في سلسلة خلفاء الدولة العباسية.

طوس: ... فتحت في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه وبها قبر علي بن موسى الرضا وبها أيضاً قبر هارون الرشيد، الحموي، معجم البلدان.

أين دفن هارون الرشيد رضي الله عنه؟

يروى ابن بطوطة في كتابه في وصف قبر الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم رحمه الله " وإزاء هذا القبر قبر هارون الرشيد أمير المؤمنين رضي الله عنه ، وعليه دكانة يضمون عليها الشمعدانات التي يعرفها أهل المغرب بالحسك والمناثر. وإذا دخل الرافضي للزيارة ضرب قبر الرشيد برجله، وسلم على الرضا " أ.هـ.



أوصى الإمام علي بن موسى الرضا رحمه الله أن يُدفن بجوار قبر أمير المؤمنين هارون الرشيد ، وفي هذا متقبة لهذا الخليفة الصالح وأي متقبة " وفي الخرائج روى عن الحسن بن عباد وكان كاتب الرضا « ع » قال: دخلت عليه وقد عزم المأمون بالمسير إلى بغداد، فقال يا ابن عباس ما ندخل العراق ولا نراه فبكيت وقلت: فأيسرتني أن أتى أهلي وولدي، قال: ع أما أنت فستدخلها وإنما عنيت نفسي فاعتل و توفي في قرية من قرى طوس وقد كان تقدم في وصيته أن يحفر قبره مما يلي الحائط بينه وبين قبر هارون ثلاث أذرع " (بحار الأنوار ج : ٤٨ ص : ٢٣٤) فلا يوصي الرجل أن يُدفن بجوار رجل ميت ، إلا وكان هذا الميت من الصالحين الأتقياء .. وهذا ما فعله الإمام علي بن موسى الرضا رضي الله عنه حينما جعل قبره مجاوراً لقبر أمير المؤمنين هارون الرشيد رضي الله عنه .

محمد الأمين

١٩٣-١٩٨ هـ / ٨٠٩-٨١٣ م

هو **أبو موسى** محمد الأمين بن هارون الرشيد، بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي السادس وأمه زبيدة بنت جعفر. ولد بالرصافة سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م، وبويع له بالخلافة بعد وفاة والده الرشيد وبعهد منه. كان الأمين جميل الصورة، فصيحاً على حظ وافر من الأدب، ينشد الشعر ويعطي عليه الجوائز الكثيرة، وكان أبو نواس شاعره الأثير. تأدب على الكسائي، وقرأ عليه القرآن. رماه أعداؤه بالانصراف إلى اللهو والمجون، والحق أن ما كتب عنه افتراء محض.

بويع بالخلافة في بغداد في ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م بعد وفاة أبيه. وكان أبوه هارون الرشيد قد جعله ولياً لعهد منذ سنة ١٧٥ هـ / ٧٨١ م، وجعل له ولاية العراق والشام حتى أقصى المغرب، ولقبه بالأمين. ثم ما لبث أن بايع الرشيد ابنه عبد الله بعد الأمين في سنة ١٨٢ هـ / ٧٨٨ م ولقبه بالمأمون على أن تكون له ولاية خراسان وما يتصل بها من الولايات الشرقية، وفي سنة ١٨٦ هـ / ٧٩٢ م بايع الرشيد ابنه القاسم بعد أخيه المأمون ودعاه المؤتمن، وجعل له ولاية الجزيرة والثغور. وكتب الرشيد بذلك صحيفة أشهد عليها القضاة والفقهاء وأكابر بني هاشم وعلقت في الكعبة. كما أنه تأكيداً لتنفيذ وصيته في ولاية العهد، دعا الأمين لكتابة كتاب يشهد فيه على نفسه بالوفاء للمأمون، كما دعا المأمون إلى كتابة كتاب آخر بالوفاء للمأمين. ووضع هذين الكتابين إلى جانب الصحيفة التي كتبها للمؤتمن، وأشهد الجميع على ذلك^(١).

لقد وضع الرشيد بذلك بذرة التفكك السياسي، وأوقع الخلافة في دهاليز مظلمة هي غنية عنها كانت لها نتائجها الخطيرة على مستقبل الخلافة. وأدى فيها الوزيران الفضل بن الربيع والفضل بن سهل الدور الأكبر في اندلاع نار العداوة والحرب بين الأخوين.

من أسباب الفتنة بين الأمين والمأمون: أن هارون الرشيد ولّى عهده أولاً محمد الأمين، والمأمون أسن منه، ولم يكن ما يزيد الأمين إلا أنه ابن زبيدة (زوجة الرشيد عالية النسب والحبيبة إلى قلبه). أراد الرشيد بعد ذلك معالجة هذه الغلطة ففعل ما يزيد بها شراً بتولية المأمون العهد بعد الأمين، ولم يقتصر على مجرد تولية العهد بل أعطاه من امتيازات ما يجعله مستقلاً تمام الاستقلال بمنطقة خراسان والري عن أخيه الأمين.. فأصبح لكل من الأمين والمأمون جيشاً يتصرف فيه، ولم يقتصر الرشيد على ذلك بل أعطى أخاً لهم ثالثاً امتيازات أخرى وهي الجزيرة وأرمينية فأحسن الأمين كونه مقصوص الجناحين منزوعاً من سلطان أعظم بقاع الإسلام وأكثرها أعواناً وجنداً. وزاد الأمر اشتعالاً وجود الفضل بن الربيع الذي جرأ الرشيد على إفساد ملكه وقتل البرامكة... فكان في فئة الأمين وهو الذي أغراه بأخيه المأمون ولم يكن الأمين ينوي قتاله إنما فعل الفضل ذلك خوفاً على مصالحه. لقد وصل الخلاف بين الأخوين إلى الاقتتال، والحقيقة لم يكن للأمين حسن تدبير بل كان مشغولاً باللهو والعبث، وكان عنده ثقة أنه سيظهر أخاه، بينما كان المأمون مشغولاً بتدبير أمره يجمع إلى مجلسه العلماء والفقهاء ويجلس معهم، حتى أشربت قلوبهم محبته، وباختصار فقد انتهى الأمر بمقتل الأمين على يد أحد قواد المأمون وبايع الناس المأمون. د. راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام.

عبد الله المأمون

١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م

هو **أبو جعفر** عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، أمير المؤمنين، بن محمد بن المنصور عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأمه فارسية يقال لها مراحل الباذغيسية. ولد سنة سبعين ومائة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول وهي الليلة التي مات فيها الهادي واستخلف أبوه. قرأ العلم في صغره، وسمع الحديث من أبيه وهشيم، وعباد بن العوام، ويوسف بن عطية، وأبي معاوية الضرير، وإسماعيل ابن علي، وحجاج الأعمش، وطبقتهم. وأدبه اليزيدي وجمع الفقهاء من الآفاق وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ولما كبر عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها. روى عنه: ولده الفضل، ويحيى ابن أكثم، وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي، والأمير عبد الله بن طاهر، وأحمد بن الحارث الشيعي، ودعبل الخزاعي وغيرهم.

قال أبو معشر المنجم: كان المأمون أماراً بالعدل، فقيه النفس يعد من كبار العلماء. وعن الرشيد قال: إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة الهادي؛ ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابع يعني نفسه لنسبته. أصبح الأمر في المشرق والمغرب تحت سلطان المأمون وهو سابع خلفاء بني العباس، لقد كان المأمون في ذلك الوقت والياً من قبل والده على "خراسان" وكان يقيم في عاصمتها "مرو"، وكان من الطبيعي أن يفضلها بعد أن انفرد بالخلافة.

إنها تضم أنصاره ومؤيديه، فهو هناك في أمان واطمئنان، وكان الفرس يودون أن يبقى "بمرو" لتكون عاصمة الخلافة، ولكنها بعيدة عن مركز الدولة، وهي أكثر اتجاهاً نحو الشرق، مما جعل سيطرتها على العرب ضعيفة، بل إن أهل بغداد أنفسهم دخلوا في عدة ثورات ضد المأمون؛ حتى إنهم خلعوه أخيراً، وبايعوا بدلاً منه عمه إبراهيم بن المهدي. واضطر المأمون أخيراً أن يذهب إلى بغداد وأن يترك "مرو" للقضاء على هذه التحركات في مهدها. **موقع أسرة آل باوزير العباسية.**

ولاية العهد لعلي الرضا (العلوي): كان معظم أعوان المأمون من الفرس، ومعظمهم من الشيعة، ولهذا اضطر المأمون لملائة الشيعة وكسبهم إلى جانبه، فأرسل إلى زعماء العلويين أن يوافقوه في عاصمته (وكانت مرو في ذلك الوقت)، فلما جاءوه أحسن استقبالهم، وأكرم وفادتهم، وما لبث بعد قليل أن عهد بولاية العهد إلى "علي الرضا" وهي طبعاً خطوة جريئة؛ لأن فيها نقلاً للخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي. ولم يكتف بهذا، بل غير الشعار من السواد وهو شعار العباسيين إلى الخضرة وهي شعار العلويين. وبرغم اعتراض أقاربه من العباسيين، فإن المأمون كان مصراً على هذا الأمر، إذ كان يعتقد أن ذلك من بر علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-. وجاءت عمه أبيه زينب بنت سليمان بن علي، وكانت موضع تعظيم العباسيين وإجلالهم، وهي من جيل المنصور. وسألته: ما الذي دعاك إلى نقل الخلافة من بيتك إلى بيت علي؟ فقال: يا عمه، إني رأيت علياً حين ولي الخلافة أحسن إلى بني العباس، وما رأيت أحداً من أهل بيتي حين أفضى الأمر إليهم (وصل إليهم) كافأه على فعله، فأحببت أن أكافئه على إحسانه. فقالت: يا أمير المؤمنين إنك على برٍ بني علي والأمر فيك، أقدر منك على برهم، والأمر فيهم.

ولكن لم يلبث "علي الرضا" أن مات وكان ذلك في سنة ٢٠٣ هـ / ٨١٩ م. وعلى كل حال لقد استطاع المأمون ببيعة "علي الرضا" أن يقوي من سلطانه؛ لأنه بهذه البيعة أمن جانب العلويين، ولكن قامت ضد الخليفة المأمون ثورات عديدة اختلفت في مدى عنفها وشدتها، واستطاع القضاء عليها جميعاً.



١ أدرك **الخليفة المأمون** بعد أن أطلعته **علي الرضا بن موسى الكاظم** على الأوضاع المتردية في أنحاء الدولة ، أن لا جدوى من بقاءه في مرو بخراسان، وأن بغداد لا تستطيع أن تعيش من دون خليفة.

٢ الخليفة المأمون يقرر في سنة ٢٠٢ هـ العودة إلى بغداد (العاصمة المركزية) ليؤكد بداية زوال التأثير الفارسي على توجهاته السياسية التي اضطفت بها طوال المدة التي قضاها في مرو؛ مما أزعج وزيره الفارسي الفضل بن سهل (صاحب الرئاستين) .

٣ لم يكد المأمون يبدأ رحلة العودة إلى بغداد ، حتى تم تصفية وزيره؛ الفضل بن سهل - كما تزعم بعض الروايات - في شهر شعبان سنة ٢٠٢ هـ ، ثم استأنف رحلة العودة إلى بغداد ؛ لكن هذه المرة توفي **علي الرضا** فجأة في أوائل سنة ٢٠٣ هـ ، فدفعته المأمون فيها بجوار قبر والده الرشيد ، ومنذ ذلك اليوم أطلق أتباعه على طوس (مشهد) . وكانت وفاة هذين الرجلين من الأسباب التي قلبت الأمر رأساً على عقب على المأمون .

الحركات المناهضة للدولة العباسية في عهد المأمون

- أولاً : الحركات الطائفية
- ثانياً : الحركات غير العلوية
- ثالثاً : العلاقة مع البيزنطيين

أولاً : الحركات الطائفية

١ حركة أبي السرايا الشيباني الذي قام بأمر محمد بن إبراهيم بن إسماعيل (ابن طياطبا) في الكوفة .

٢ حركة محمد (الديباج) ابن جعفر الصادق سنة ٢٠٠ هـ في الحجاز، ويوقع له في مكة بأمره المؤمنين .

ثانياً : الحركات غير العلوية

١ حركة نصر بن شبث العقيلي في حلب .

٢ حركة الزط في جنوبي العراق (أرض البطائح) .

٣ الاضطرابات في مصر .

٤ حركة بابك الخرمي .

ثالثاً : العلاقة مع البيزنطيين

١ ازدياد السجال بين المسلمين والبيزنطيين سنة ٢١٥ هـ ولاسيما بعد تحالف الخرمية مع البيزنطيين .



١ أبو السرايا: السري بن منصور الشيباني يدعو بأمر محمد بن إبراهيم (ابن طباطبا) في الكوفة، حيث تعد حركته حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية.

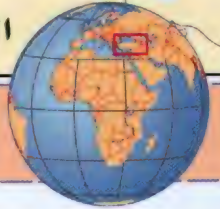
٢ أبو السرايا بدأ بيسط نفوذه على البصرة والحجاز واليمن، وأوقع الهزيمة بالجيوش العباسية التي أرسلها الحسن بن سهل للتصدي لدعوته.

٣ أبو السرايا يغدر بصاحبه (ابن طباطبا) بالسّم ويتخلص منه، ويؤيّد مكانه محمد بن محمد بن زيد العلوي (الغلام)، ويقوم بإرسال كسوة للكعبة المشرفة، ويسقط كسوة آل عباس، واستطاع خلال هذه المدة سك الدراهم النقدية.

٤ الحسن بن سهل يكلّف هرثمة بن أعين بالتوجه إلى الكوفة لإخماد حركة أبي السرايا، الذي لم يجد مفرّاً من الهروب من الكوفة إلى أرض **السوس** من بلاد الأهواز، ثم إلى أرض الجزيرة لكن قبض عليه في **جلولاء**، وسيق إلى الحسن بن سهل في **النهران** فضرب عنقه.



حركة نصر بن شبث بن كعب بن ربيعة العقيلي سنة ١٩٨ هـ



كَيْسُومٌ: بالسّين مهملة وهو الكثير من الحشيش يقال روضة أكْسُوم ويكْسُوم وكيسوم فيعول منه وهي قرية مستطيلة من أعمال سُمَيْساط ولها عرض صالح وفيها سوق ودكاكين وافرة وفيها حصن كبير على تلة كانت لنصر بن شَبْث تحصّن فيه من المأمون حتى ظفر به عبد الله بن طاهر فأخرجه ثم أحدثَ بعدُ فيها مياهاً وبساتين...

الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٧.

لم يرض نصر بن شبث عن سياسة المأمون باعتماده على الفرس فأبى مبايعته، وعلاوة على ذلك خرج عليه وثار في كَيْسُوم وتغلب على ما جاورها من البلاد، وملك سُمَيْساط، واجتمع حوله كثير من الأتباع. فازدادت ثقته بنفسه وكبر طموحه وعبر الفرات إلى الجانب الشرقي سنة ١٩٨ هـ. وهوي أمره في الجزيرة الفراتية، وحرّان، ودخل في خلاف مع العباسيين وقتل بعض رجالاتهم، واتصل به بعض أشياع الطالبيين وفاوضوه أن يبايع آل أبي طالب فرفض، وعندما عرضوا عليه البيعة لأحد الأمويين رفض ذلك، وقال: «إن بني أمية أدبر أمرهم وإنما هواي في بني العباس وما حاربتهم إلا محاماة عن العرب لأنهم يقدّمون العجم عليهم». واستمر على موقفه المناوئ للخليفة المأمون. ومن الطبيعي ألا يرضى المأمون بذلك وألا يدع نصراً وشأنه واختار لمحاربته عبد الله بن طاهر الذي توجه إلى الرقة سنة ٢٠٦ هـ، وطال أمّ الحرب بينهما ولكن النتيجة لم تكن لمصلحة نصر فقد استظهر عليه عبد الله وحصره في حصن له وضيق عليه حتى اضطر إلى طلب الأمان، وهكذا أخفقت محاولة التفاوض بين المأمون ونصر بن شبث. فاشتد عبد الله في حربه وطال حصاره في كَيْسُوم وضيق عليه الخناق حتى استسلم آخر الأمر، وطلب الأمان فكتب له المأمون كتاب أمان. فسيّر عبد الله إلى بغداد وهدم كَيْسُوم وخربها ودخل نصر بغداد سنة ٢١٠ هـ.

أصل الزط

حركة الزط

يفيد لامبريك استناداً على المصادر السنسكريتية بأن **سكان السند** الأصليين كانوا يتألفون من **الزط والميد** ، وأن الزط كانوا يعملون في البحر على السفن الصغيرة ، بينما الميد كانوا يشتغلون بالرعي ، ولكنه يعتقد بأن هناك خطأ قد حصل من قبل المترجمين والنساخ في استخدام الاسمين بحيث وضع أحدهما مكان الآخر ، والدليل على ذلك أن ميد مكررات لايزالون في الوقت الحاضر يعملون ويستخدمون البحر في الأسفار بينما نسل الزط يعملون كرهاة ، ويقول الجغرافي أبو الفداء : " أما البلوص المذكورون فيقال لهم في زماننا الجت وهم طائفة تقترب لغتهم من الهندية " ويعني ذلك أن سكان لوجستان يسمون بالزط أيضاً وأن لغتهم قريبة من اللغة الهندية.

وهكذا وجدت آراء وروايات مختلفة لدى المؤرخين والجغرافيين العرب وغيرهم تتعلق بمساكن الزط والميد وأعمال كل منهما وطريقة معيشتهم ، ولذلك يمكن أن نذهب إلى ماذهب إليه الدكتور عبد الله الطرازي ، من أن قوم الزط وقوم الميد كانوا فرقاً كثيرة تحمل أسماء قبائل عديدة ، وكانوا يسكنون مناطق مختلفة في بلاد السند وكان أفراد كل من القومين يشتغلون بالسفن والقرصنة في البحر وكذلك بالرعي أو قطع الطريق في البر تبعاً للبيئة والظروف المحيطة بهم ، ويضيف أن كلاً من القومين كانا خطراً على الأمن والدولة وكانت الحكومات السندية القديمة والحكومات العربية كثيراً ماتشغل في إخضاع هؤلاء الأقوام وتوجيههم نحو الحياة الكريمة .

لما قامت الدولة العباسية عمل خلفاؤها جاهدين على الحفاظ على بلاد السند الإسلامية وسعوا على توسيع رقعتها ، ففي عهد الخليفة الأول أبي العباس عهد بأمر هذه الأقاليم إلى أبي مسلم الخراساني الذي بدوره أرسل عدداً من الولاة إلى بلاد السند لاستماله قلوب الناس هناك إلى دعوة بني العباس ، كما جدد العباسيون بناء مدينة المنصورة وأقاموا بها مسجداً جديداً .

وعندما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة عني بأمر بلاد السند وأرسل هشام بن عمرو التغلبي والياً عليها ، فاتجهت همه هشام إلى توسيع رقعة إمارته ، فجهز حملة بحرية على نارند والقندهار بقيادة عمرو بن جميل ، كما ضم إقليم الكجرات واستولى على بروج ميناء بحر العرب ، كما أخضع الملتان وبلغت جنده كابل وكشمير .

أما عن **الزط القاطنين** في جنوبي العراق فقد تكاثر عددهم مع مرور الأيام ، وتزايدت قوتهم أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون مما شجعهم على إثارة الفتن والقتال رغبة في التخلص من الظلم والجور الذي لحق بهم ورغبة في تحسين وضعهم المعيشي السيء . ولذا استغلوا وجود المأمون في مرو في بداية خلافته وتمردوا على السلطة وجسدوا تمردهم بإثارة الاضطرابات وعدم الاستقرار حتى تغلبوا على طريق البصرة ، وبدأوا يغيرون على السفن القادمة إلى بغداد وينهبون غلاتها ويسيطرون على الطريق المائي المؤدي إلى بغداد فانقطع بذلك جميع ماكان يحمل إليها من البصرة في السفن .

ولما استقر المأمون ببغداد سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩ م شعر بخطرهم ورأى ضرورة التخلص منهم ، فأوكل هذه المهمة إلى عيسى بن يزيد الجلودي سنة ٢٠٥هـ / ٨٢٠ م .



يذكر د. عبد الله الطرازي:
أن قوم الزط وقوم الميد كانوا
فرقاً كثيرة تحمل أسماء قبائل
عديدة ، وكانوا يسكنون مناطق
مختلفة في بلاد السند .

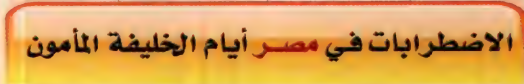
حركة الزط في خلافة المأمون العباسي

حركة الزط: لما استقر المأمون ببغداد سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩ م شعر بخطرهم في منطقة البطائح في جنوبي العراق، ورأى ضرورة التخلص منهم، فأوكل هذه المهمة إلى عيسى بن يزيد الجلودى سنة ٢٠٥هـ / ٨٢٠ م. (٧٩) غير أنه أخفق في القضاء عليهم، فولى المأمون داود بن ماسجور سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١ م ولاية البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وعهد إليه **بمحاربة الزط** وحينما فشل هو الآخر في القضاء على انتفاضاتهم المتلاحقة لعدم تمكنه من التوغل وسط الأهوار والمستنقعات والآجام والأماكن التي يعتصم بها الزط. وقد أدى عدم تمكن قواد المأمون من السيطرة على فتنة الزط أن سخر منه نصر بن شيبث العقيلي الذي امتنع عن بيعه المأمون وتقلب على كيسوم في شمالي حلب وما جاورها ومنع إرسال خراج منطقتهم إلى بغداد فولى المأمون عبد الله بن طاهر لمحاربته، وأقام عبد الله على محاربته خمس سنين وضيق عليه حتى طلب الأمان. وقد قبل نصر أمان المأمون بشرط ألا يطأ بساطه، وقد رفض المأمون ذلك وكتب إليه يهدده بالقضاء عليه وعلى أتباعه وحين سمع نصر ذلك علق عليه ساخراً "ولي عليه وهو لم يقو على أربع مائة ضفدع تحت جناحه. يعني الزط. يقوى على حلبة العرب" وبدلنا تعليق نصر شيبث الطريف هذا على أن **انتفاضة الزط في عهد المأمون** رغم قلة عددها. كانت قوية، حتى عجز قواده عن الانتصار عليهم، كما يدل تشبه الزط بالضفادع على أنهم كانوا يسكنون منطقة المستنقعات المائية في منطقة **البحليحة** جنوبي العراق.



البطيحة: ، بالفتح ، ثم الكسر ، وجمعها البطائح ، والبطحاء واحد ، وهو سيل فيه دقاق للحصى ، وقيل بطحاء السوادي ، تراب لين ، مما جزته السيول ، وتبطح السيل ، إذا اتسع في الأرض ، وبهذا سميت بطائح واسط ، وذلك لأن المياه تبطحت فيها وسالت واتسعت في الأرض . لسان العرب لابن منظور .

والبطائح: هي المنطقة الواقعة جنوبي العراق حيث الأهوار والمستنقعات التي تغذيها مياه نهري دجلة والفرات وتوابعهما ، وتقع تقريباً بين واسط شمالاً والبصرة جنوباً ، ولذلك تسمى أحياناً ببطائح واسط ، أو بطائح البصرة نسبة إلى هاتين المدينتين المتجاورتين . وتبتدئ من القطر على دجلة ومن جنوب شرق الكوفة وتغمر المجرى السفلي لكل من دجلة والفرات .





بابك Babak اسم معرب من الفارسية **Pápak**، وهو صاحب الثورة الكبيرة (٢٠١-٢٢٢هـ) وزعيم الخرمية البابكية التي نشأت من طائفة الخرمية المزدكية. والخرمية فرق ونحل نشأت في خرم (ناحية بأردبيل) تجمع على القول بالرجعة، وأن الرسل كلهم يحصلون على روح واحدة، وأن الوحي لا ينقطع أبداً، ويرون أن كل ذي دين مصيب إذا كان راجي ثواب وخاشي عقاب، وأصل معتقدتهم القول بالنور والظلمة. وكان أتباع الخرمية منتشرين في منطقة الجبال بين أذربيجان وأرمينية، وقد أحدث بابك في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والتكليل .

يرى بعض المؤرخين أن بابك الخُرَمي من سلالة أبي مسلم الخراساني، وأنه ثار في وجه العباسيين لينتقم لأبي مُسلم، وأن ثورته استمرار لثورة المقتنع الخراساني والراوندية وغيرها من الحركات المناهضة للإسلام. ويذهب أبو حنيفة الدينوري إلى أن بابك من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم التي تنسب إليها الفاطمية من الخُرَمية لا إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ. ويذكر آخرون أن أباه كان بائع دهن فقيراً من أهل المدائن، نزع إلى ثغر أذربيجان، فسكن قرية تدعى بلال أباذ من رستاق ميمذ، وأن جاويزان بن سهل الذي كان من زعماء الخُرَمية بجبال البَذ كان أستاذ بابك، التقاه في بلال أباذ واصطحبه إلى جبال البَذ وأوكل إليه أمر ضياعه وأمواله لأنه وجدته على رداءة حاله وتعدّد لسانه بالأعجمية فهماً خبيثاً. فلما توفي جاويزان، أقامت امرأته بابك مكانه وادعت أن روح جاويزان حلت جسد بابك، وأوعزت إلى رجال جاويزان بوجوب طاعته، لأن زوجها أخبرها بأن بابك «سيبلغ بنفسه وبالخُرَمية أمراً لم يبلغه أحد ولن يبلغه بعده أحد، وأنه سيملك الأرض ويقتل الجبابرة ويردّ المزدكية، ويعزّ به ذليلهم ويرفع به وضيعهم».

استغل بابك اضطراب أمور الدولة إثر الصراع بين الأخوين الأمين والمأمون ومقتل الأمين ومكث المأمون في مرو ليعلم ثورته سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م، **وكانت قاعدة الثوار البابكيين جبال البَذ**، ثم أخذوا يتوسعون في المناطق المجاورة ولاسيما منطقة الجبال بين همذان وأصفهان، وانتشروا بعد ذلك في طبرستان وجرجان وبلاد الديلم، يعيثون فساداً، ويشيرون الاضطراب، يساعدهم على ذلك انصراف المأمون إلى الشؤون الخارجية وانهماك قواته في حرب البيزنطيين فضلاً عن طبيعة البلاد الجبلية الحصينة التي اعتصم بها بابك وجماعته، مما جعل أمر القضاء عليه صعباً جداً؛ وتوفي المأمون سنة ٢١٨ هـ من دون أن يتمكن من القضاء على هذه الثورة، فلما جاء المعتصم لم ييخل بتسخير كل قوته لقتال بابك والقضاء على حركته^(١).



من رساتيق أردبيل الأذرية في إيران

موجز أحداث حركة بابك الخرمي في عصر الخليفة المأمون

سنة ٢٠١ هـ

بداية أمر بابك واتبعة طوائف من الرعاع والسذج والجويزانية (وهم أصحاب جاويزان بن سهل صاحب مدينة البذ) وادعى بابك أن روح جاويزان دخلت فيه وأخذ في العبث والفساد .

سنة ٢٠٤ هـ

حارب قائد المسلمين يحيى بن معاذ ، بابك الخرمي فلم يظفر به .

سنة ٢٠٥ هـ

ولّى المأمون على أذربيجان وأرمينية عيسى بن محمد بن أبي خالد ، وأمره بقتال بابك .

سنة ٢٠٦ هـ

غلب بابك عيسى بن محمد بن أبي خالد وبيته ليلاً .

سنة ٢٠٩ هـ

وفيهما جرت حروب مع بابك الخرمي فأسر بابك بعض أمراء الاسلام وأحد مقدمي العساكر ، فاشتد ذلك على المسلمين .

سنة ٢١٢ هـ

وجه المأمون محمد بن حميد الطوسي على طريق الموصل لمحاربة بابك الخرمي في أرض أذربيجان ، فأخذ الطوسي جماعة من الملتفين على بابك فبعث بهم إلى المأمون .

سنة ٢١٤ هـ

التقى محمد بن حميد الطوسي وبابك الخرمي لعنه الله ، فقتل الخرمي خلقا كثيرا من المسلمين ، وقتل الطوسي أيضا وانهزم بقية المسلمين .

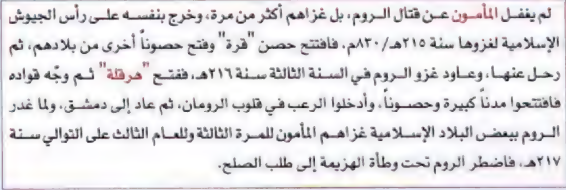
وولى المأمون أصبهان وأذربيجان والجبّال وحرب بابك علي بن هشام ، فواقع بابك غير مرة .

سنة ٢١٧ هـ

قتل علي بن هشام في قتال الخرمية .

سنة ٢١٨ هـ

وفاة الحليفة العباسي المأمون وتولي زمام الخلافة المعتصم بالله .



كادت الحرب أن تضع أوزارها بين المسلمين والبيزنطيين في عهد المأمون، فقد انهمك الخليفة في فض النزاع الذي قام بينه وبين أخيه الأمين مما أتاح لبيزنطة المنهكة فرصة لالتقاط أنفاسها.

لذلك شهدت الجبهة الإسلامية - البيزنطية (منطقة الثغور) ركوداً يكاد يكون تاماً باستثناء حالات قليلة. استمر هذا الوضع شبه المستقر حتى عام ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م، حين تجدد النشاط العسكري، نسبياً في عهد الإمبراطور ميخائيل الثاني. وقد استغل المأمون وميخائيل هذه الفتن والثورات التي قامت في وجه كل منهما لدعم موقفه. فعقد الأول اتفاقاً مع توماس الصقلي الذي قاد ثورة مسلحة ضد النظام البيزنطي، في حين أجرى الثاني مفاوضات مع **الخرمية** الذين ثاروا في وجه المأمون.

والواقع أن الحملات الإسلامية النشطة على الأراضي البيزنطية ابتدأت في عام ٢١٥ هـ وجاءت رداً على الغارة التي نفذها الإمبراطور ثيوفيل ضد **زبطرة** بمساندة من القوات الخرمية. وقاد المأمون وابنه العباس **عدة حملات عسكرية** وتمكنا من فتح عدة حصون في منطقة كبادوكيا واستردا هرقله ولؤلؤة.

فتح صقلية على يد القاضي أسد بن الفرات سنة ٢١٢ هـ

أسد بن الفرات (١٤٢.٢١٣ هـ / ٧٥٩.٨٢٨ م)

هو أبو عبد الله، أسد بن الفرات بن سنان من موالى بني سليم، فقيه قاض مصنف وأحد القادة الفاتحين. ولد بجران، وكان أبوه خراسانياً من أفراد الجيش الذي أرسله الخليفة العباسي المنصور إلى إفريقية (تونس اليوم) بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي، فاصطحب الأب ابنه وعمره سنتان إلى القيروان فنشأ فيها ثم رحل إلى تونس وفيها قرأ القرآن وتلقى مبادئ العلوم واستكمل دراسته على يد زياد العبيسي. اتخذ ابن الفرات فيما بعد من القيروان مقراً له بعد عودته، فأقبل عليه الناس من كل مكان، من المغرب والأندلس، واشتهر أمره، وظهر علمه، وارتفع قدره، وانتشرت إمامته، وجاءته الأسئلة من أقصى البلاد ليجيب عليها.

اتسعت دراسته في القيروان، فولاه أمير الأغالبة في ذلك الوقت "زيادة الله" منصب القضاء، فأصبح هو القاضي في مدينة القيروان.

وكان أسد بن الفرات على عقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدة السلف الصالح، لذلك كان من أشد علماء المغرب على أهل البدعة، معروفاً بنشر السنة.

لقد رأى أسد بن الفرات النظر في حلال الله وحرامه فوق الإمارة، وأسمى منها، وأعلى منها مرتبة، فقال زيادة الله: "إني لم أعزلك عن القضاء، بل وليتك الإمارة، وأبقيت لك اسم القضاء، فأنت قاض أمير". قبل ابن الفرات هذه الولاية، وعند الوداع في الميناء وقف المشيعون من العلماء وطلاب العلم والوجهاء ورجال الدولة وعامة الناس، يودعون قاضيههم وشيخهم ومعلمهم فكان مشهداً مؤثراً، وهو شيخ كبير قد جاوز السبعين من عمره، وانطلق ابن الفرات بتسع مئة فارس وعشرة آلاف راجل، وكان معظمهم من الجند المجاهدين في سبيل الله^(١).

جزيرة صقلية جزيرة كبيرة واسعة فيها العديد من المدن والقرى والقلاع والحصون، وصلت الحملة بعد مسير خمسة أيام في البحر إلى جزيرة صقلية، ونزلوا في أقرب مدينة بها تسمى "مازارا" كان ذلك عام ٢١٢ هـ. انهزم البيزنطيون أمام أسد بن الفرات ممن كانوا في هذه المدينة وهربوا إلى مدينة أخرى تسمى "قصريانة"، وفتح المسلمون عدة حصون من الجزيرة ووصلوا إلى أحد القلاع، وقد اجتمع بها خلق كثير، فخادعوا ابن الفرات على الصلح وأداء الجزية، حتى استعدوا للحصار، ثم امتنعوا عليه فحاصروهم، عندها قام أسد بن الفرات في الناس خطيباً فذكرهم بالجنة وموعود الله - عز وجل - لهم بالنصر والغلبة وهو يحمل اللواء في يده ثم أخذ يتلو آيات من القرآن ثم اندفع للقتال والتحم مع الجيش الصقلي الجرار، واندفع المسلمون من ورائه ودارت معركة طاحنة لا يسمع منها سوى صوت قعقة السيوف وصهيل الخيول والتكبير الذي يخترق عنان السماء، والأسد العجوز أسد بن الفرات الذي جاوز السبعين يقاتل قتال الأبطال الشجعان حتى إن الدماء كانت تجري على درعه ورمحه من شدة القتال وكثرة من قتلهم بنفسه وهو يقرأ القرآن ويحمس الناس^(٢).



تزايدت عزائم المسلمين حتى هزموا الجيش الصقلي شر هزيمة، وفر بلاطه من أرض المعركة وانسحب إلى مدينة **قصريانة**، ثم غلبه الخوف من لقاء المسلمين ففر إلى إيطاليا وهناك قتل على يد بني دينه بسبب جبنه وإحجامه عن قتال المسلمين. وزحف البيزنطيون بعد ذلك إلى المسلمين وهم يحاصرون مدينة "سرقوسة"، واشتد حصار المسلمين لهذه المدينة براً وبحراً، وأصيب عدد كبير من المسلمين، وهلك عدد آخر، واشتد القتال عندما بعث الإمبراطور البيزنطي مدداً لصقلية، وجرح ابن الفرات وهو يدي حسن التدبير، وصدق الإيمان، وقوة الإرادة، فمات -رحمه الله- متأثراً بجراحه، ودفن بمدينة "قصريانة".

خلف ابن الفرات في القيادة محمد بن أبي الجواري، وجاء أسطول بيزنطي آخر، فتراجع المسلمون نحو الشمال، لكنهم فتحوا في طريقهم أحد الحصون، وحاصروا قصريانة مرة أخرى. وتوفي محمد بن أبي الجواري أيضاً، فتولى من بعده زهير بن عوف، وضاق الأمر بالمسلمين إلى أن وصل مدد إفريقية، وأسطول آخر من الأندلس من ثلاث مئة مركب بقيادة "الأصبغ"، فانتصر المسلمون، وتوفي الأصبغ أيضاً بطاعون انتشر في ذلك الوقت، غير أن الخلافات التي وقعت بين المسلمين الأندلسيين، والمسلمين الإفريقيين، قد أخرت إتمام فتح الجزيرة.



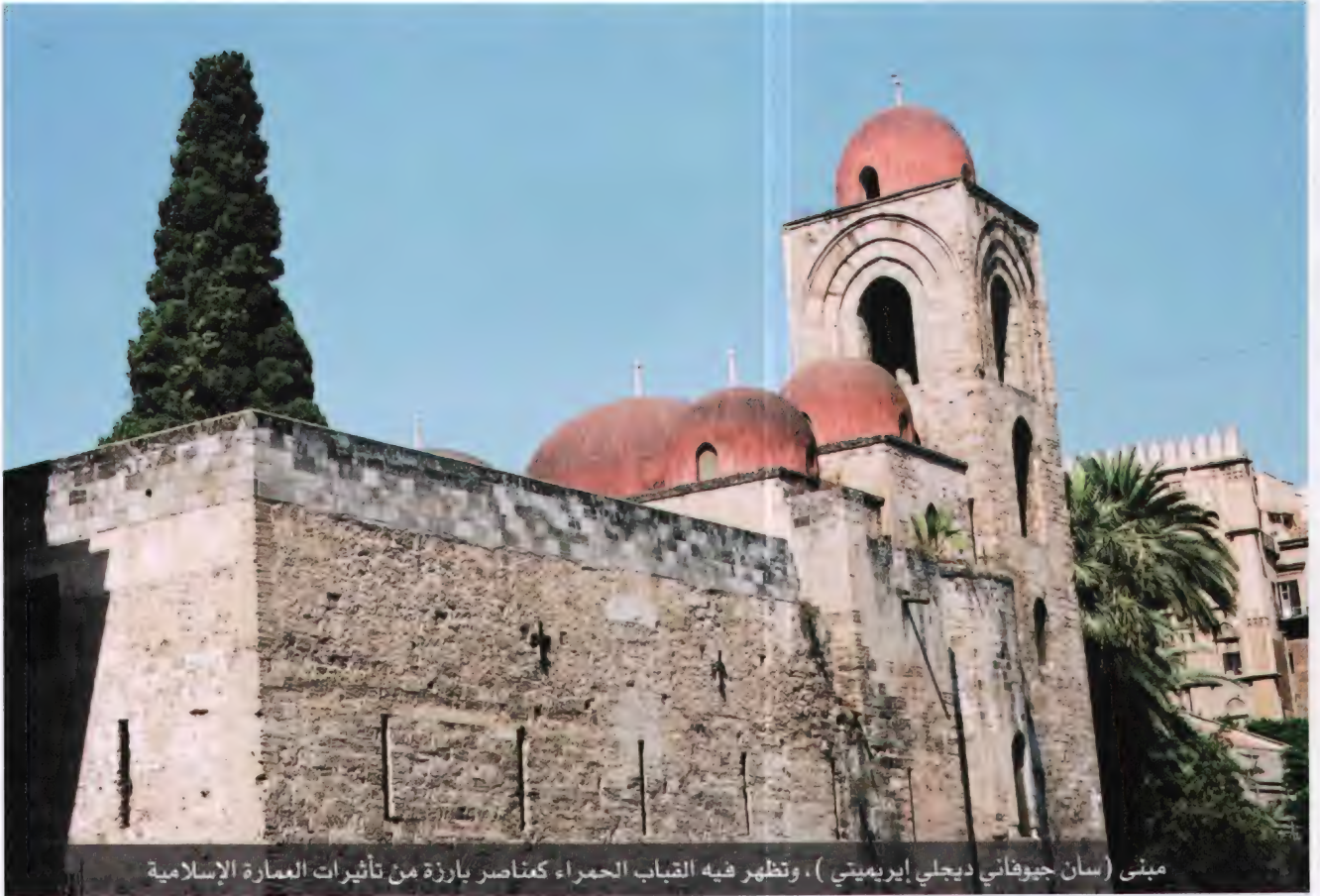
خارطة تاريخية لجزيرة صقلية في البحر الأبيض المتوسط تعود لبيري ريس



كنيسة باروكية في مودिका



قلعة كالتانيسينا الأثرية (صقلية)



مبنى (سان جيوفاني ديجلي إيريميتي) ، وتظهر فيه القباب الحمراء كمناسبات بارزة من تأثيرات العمارة الإسلامية



تأمل كلمة غلب
أسفل عبارة
محمد رسول الله
في ظهر الدينار.



أحد أبراج كاتدرائية مونريالي، وقد تأثرت بمآذن المساجد الإفريقية



بنى **الأغلبية** مدينتين ملكيتين كانت **أولاهما** العباسية أو القصر القديم، وقد بناها إبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة، وبنى فيها قصره ومسكن حاشيته والمسجد الجامع، ودار سك النقود والدواوين، وأحاطها بالأسوار القوية، وجعل من خلفها خندقاً يحيط بها. وفي وسط المدينة ساحة واسعة عرفت بالميدان كانت تستخدم لعرض الفرسان، واتسعت العباسية، وأخذت تنافس القيروان بحماماتها الكثيرة وقنادقها وأسواقها.

أما المدينة **الثانية** فهي **رقادة** التي بناها إبراهيم بن أحمد، وقد ابتدأها سنة ٢٦٢هـ/ ٩٧٧م وبنى فيها القصور، منها قصر بغداد، وقدر لهذه المدينة أن تنمو وتتسع بإطراد، فأضاف إليها الأمراء من بعده قصوراً أخرى أشهرها قصر العروس الذي بناه زيادة الله الثالث بن عبد الله على أربع طبقات، وأنفق فيه ٢٢٢ ألف دينار. وبنى محمد بن أبي عقاب الأغلب مدينة قرب تاهرت سماها العباسية. كما اهتم الأغلبية ببناء الصهاريج (خزانات المياه) التي عرفت باسم «ماجل» وكان يوجد خارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلاً للماء يستقي منها أهلها، لعل أعظمها شأنًا ماجل أحمد بن الأغلب بباب تونس من أبواب القيروان. وهو مستدير متناهي الكبر، انظر ص (٩٨) من هذا الأطلس .



ثورة أهل الرض في الأندلس في عهد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، حيث كانوا يسكنون ضاحية من ضواحي قرطبة يفصلها عن المدينة واد شديد عليه هشام بن عبد الرحمن جسراً رابطاً المدينة بضواحيها الجنوبية. وكان سكان أهل الرض من الطبقة الشعبية واقعين تحت تأثير علماء الدين الذين ناصبوا العداء للحكم بن هشام؛ لما أبعدهم عنه وقلص نفوذهم فاستغلوا الحالة الاجتماعية لهؤلاء السكان وإحساسهم بالظلم والفقر فألبوهم على الأمير، فامتلت كأسهم حنقاً على حكومتهم ولم تنقصهم سوى قطرة تفيض تلك الكأس، وكان أن وقع حادث بسيط اعتدى فيه جندي على حداد (صانع للسيوف) قتل فيه الإثنان وفاضت كأس الثورة، فخرج أهل الرض في جماعات كبيرة في أيديهم ما وصل إليها من سلاح واتجهوا صوب قصر الإمارة عبر الجسر وحاصروا قصر الحكم وحاولوا اقتحامه لقتل الأمير. ولم يكن الوقت يحتمل إلا سويغات يُقضى على الحكم وذلك لبعث الجيش عنه، ولكنه بحنكته ودهائه تصدى للخطر الداهم بحيلة جبارة أخدمت الثورة وأشعلت النار بأعدائه:

إذ أمر رئيس حراسه أن يستमित بما معه من جند في الدفاع عن القصر، وأرسل أحد أبناء عمومته وأمره أن يتسلل بسرعة في رهط من الرجال إلى مساكن أهل الرض ويشعل فيها النار، وتم له ذلك إذ استطاع ابن عمه أن يشعل مساكن الثوار الذين أسقط بعد ذلك في أيديهم لما رأوا احتراق بيوتاتهم ففزعوا سراعاً تاركين قصر الحكم لإنقاذ صغارهم ونسائهم. وحاصروهم بعد ذلك جند الأمير الحكم الرضسي **فأمرهم بعد هزيمتهم بالرحيل عن بلاد الأندلس** وأمهلهم ثلاثة أيام ثم أحرق جميع ديارهم وسواها بالأرض وجعلها حقولاً وأوصى بها ألا تسكن أبداً. وكانت الواقعة **حوالي سنة ٢٠٢ للهجرة** وارتبط اسم الرض بالأمير الحكم فصار كنية له (الحكم الرضسي).

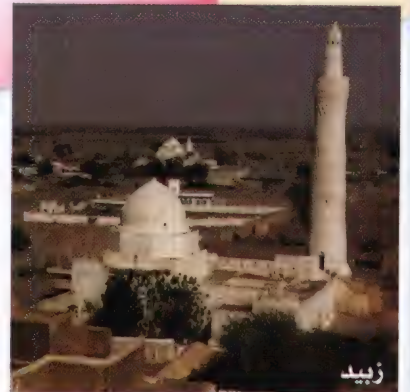
أما الرضيون فقد غادر جزء منهم جزيرة الأندلس عبر مضيق جبل طارق إلى بلاد المغرب العربي فاستقبلتهم دولة الأدارسة الناشئة حديثاً واستفادت منهم في مجال الصناعة والحرف باعتبار أن أغلبهم كانوا صناعاً وحرفيين مهرة فنقلوا إلى **فاس** مظاهر الحضارة الأندلسية. وجزء آخر من أهل الرض ساروا شرقاً عبر البحر وهاجموا **الإسكندرية** فصددهم عنها والي العباسيين بمصر عبد الله بن طاهر بن الحسين بعد معارك كبيرة انتهت بتسليم أهل الرض، فأمرهم بعد ذلك بالارتحال عن كامل أراضي العباسيين وأعد لهم مراكب لإجلانهم فقصدوا جزيرة **كريت** وانتزعوها من يد البيزنطيين وأقاموا لهم فيها دولة إسلامية عرفت **بالدولة الكلبية**، وصارت هذه الدولة المجاهدة تتلقى المساعدات من مصر والشام وإفريقية بوقوفها سداً منيعاً في وجه البيزنطيين.

دولة بني زياد (٢٠٤ - ٤٣١ هـ) (٨١٩ - ١٠٤٠ م)

انتدب الخليفة العباسي؛ **المأمون** بن هارون الرشيد من عاصمة خلافته آنذاك (مرو) قبل استقراره ببغداد محمد بن عبد الله بن زياد وبرفقته حفيد سليمان بن هاشم بن عبد الملك وزيراً، ومحمد بن عبد الله بن هارون التغلبي قاضياً ومفتياً لزييد سنة ٢٠٢ هـ، فقدم زييد بعد أن أدى فريضة الحج واختط **زييد** عسكرياً سنة ٢٠٤ هـ ومعنى الاختطاط إخضاع المنطقة عسكرياً بعد معارك حاسمة، وفي سنة ٢٠٥ هـ بعد استقراره **اتخذ زييد عاصمة**، وفي سنة ٢٠٦ هـ قدم مولاه جعفر بن محمد بن شحار بجنود من الغزو الخراسانيين والقرشيين لإمداد ابن زياد بيسط نفوذه على اليمن فقبل (ابن زياد بجعفره) واستطاع أن يمد نفوذه إلى مناطق أخرى في اليمن. وقد استمر أحفاده في الحكم حتى عام ٤٣١ هـ ١٠٤٠ م فبنوا دولة السياسة والعلم.

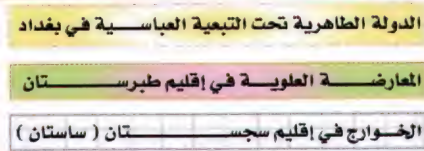


اليمن



دينار زيادي ضرب زييد

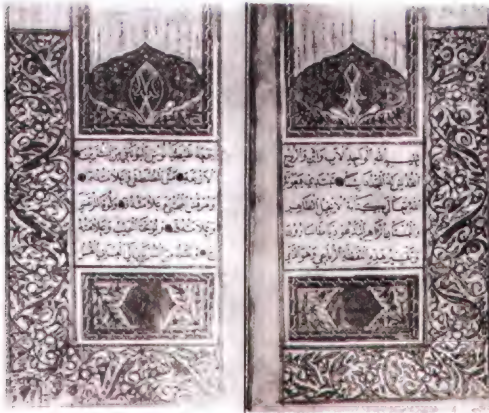
خدم **الولاة الطاهريون** الخلافة العباسية بإخلاص وقدموا لهم الولاء والطاعة، وكانوا يرسلون الفائض من الخراج بانتظام إلى العراق، وقد استمر الخلفاء بتعيين ولاية من الأسرة؛ لأنهم وجدوا فيهم خير من يستطيع ضبط الأمور وفرض النظام وإقامة حكم حازم في هذا الجزء المهم من الدولة الإسلامية.



الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ / ٨٢١-٨٧٣م): قامت هذه الدولة في خراسان، وقد أسسها **طاهر بن الحسين** أحد كبار قواد الجيش في عهد الخليفة **المأمون** وفي عصر المأمون، كان طاهر بن الحسين وابنه عبد الله من كبار رجال الدولة وخيرة قادتها في ذلك الوقت؛ الذي بدأ فيه الصراع بين **الأميين والمأمون**. ولقد وقف طاهر بن الحسين إلى جوار المأمون في كثير من المواقف الحرجة حتى تمكن من الخلافة. ولم يمر إلا عامان حتى أقدم "طاهر بن الحسين" على خطوة جريئة سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٣م، بقطع الدعاء في الخطبة للمأمون، وكان قطع الدعاء يعني الاستقلال عن الخلافة. وتوفي طاهر في العام نفسه، ثم تولى ابنه طلحة الحكم بعد أبيه بأمر من الخليفة المأمون، وظل الطاهريون يحكمون خراسان، ولكنهم يتبعون "الدولة العباسية" تبعية اسمية مما جعل الخلافة العباسية تلجأ إلى الطاهريين، لتلتصق منهم المؤازرة والمساندة ضد الخارجين على سلطانهم.



الدولة العباسية في عهد الخليفة المأمون



صورة للصفحتين الأوليتين من "المخطوط الفاتيكاني عدد ٢٥٠، وهو ترجمة عربية من السريانية لإنجيل الدياسطرون، ويرقى المخطوط للعصر العباسي، ويتضح فيه تأثر النسخ العربي بطريقة عرض القرآن الكريم، وذلك من خلال وضع النساخ للقرآن الكريم لسورة الفاتحة مقابلة لأول آيات سورة البقرة كمنهج اعتمده المسلمون في نسخ القرآن الكريم عبر الطريقة التوقيفية.



صفحتان مكتوبتان بالأبجدية السريانية الغربية، اكتشفت في دير القديسة كاترينا في سيناء وترقى للعصر العباسي قام بكتابتها السريان النصارى، وتبدأ بعبارة: "لخلون مطول دلبني مين آلهو"، والتي تعني في العربية: من أجل جميع الشجعان في الله.

لزيد من الاطلاع على حركة الترجمة في عهد المأمون انظر الباب السادس من هذا الأطلس

محمد المعتصم

٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤١ م

هو **أبو إسماعيل** محمد المعتصم بن هارون الرشيد، بن محمد ابن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي الثامن، وأمّه أم ولد من مولدات الكوفة، اسمها ماردة، وهي تركية وكانت أحظى النساء عند الرشيد. ولد سنة ثمانين ومائة كذا قال الذهبي، وقال الصولي: في شعبان سنة ثمان وسبعين ومئة.

وحينما مرض الخليفة المأمون في طرسوس، ولم يكن قد عقد لأحد بعده بولاية العهد، فاستدعى أخاه المعتصم وعهد إليه بالخلافة من بعده، دون ابنه العباس الذي كان موجوداً معه في طرسوس للقيام بغزو الدولة البيزنطية، ورد هجماتها، لكن مرضه حال دون إتمام ذلك.

ولعل الذي جعل المأمون يؤثر أخاه بالحكم دون ابنه أن الخلافة العباسية كانت تتهددها الأخطار من الداخل والخارج في ثورة بابك الخرمي في فارس، وهجمات البيزنطيين، وكان المعتصم بطلاً شجاعاً متمرساً بالحرب خبيراً بشئونها، فأثر المأمون المصلحة العليا للخلافة بتولية من يصلح لهذه الحقبة، وتمت البيعة بعد وفاته في (١٩ من رجب ٢١٨ هـ = ١٠ من أغسطس ٨٣٣ م).

وكان المعتصم يتميز بقوته الجسدية وشدة في الحرب، حتى قيل عنه: إنه كان يصارع الأسود، ويحمل ألف رطل، ويمشي بها خطوات، غير أنه لم يكن معنياً بالعلوم والآداب كأخويه الأمين والمأمون. وبالغ بعض المؤرخين فذكر أنه كان أمياً لا يكتب، أو أنه كان ضعيف الكتابة على قول ابن خلّكان، وابن كثير، لكن ذلك لم يكن له أدنى تأثير في الحركة الفكرية والعلمية التي عمّت الخلافة، فقد كانت البلاد مدفوعة بطاقة عارمة نحو الرقي والتقدم.

وفي عهده تم تصفية الحركات الكبرى التي قامت في عهد المأمون مثل: حركة الزط والخرمية، وبنى مدينة سامراء وفتح عموريه سنة ٢٢٣ هـ.

من مآثر المعتصم: قال تفتويه والصولي: للمعتصم مناقب وكان يقال له المثلث لأنه ثامن الخلفاء من بني العباس، والثامن من ولد العباس، وثامن أولاد الرشيد وملك سنة ثمان عشرة، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، ومولده سنة ثمان وسبعين وعاش ثمانياً وأربعين سنة، وطالعه العقرب وهو ثامن برج، وفتح ثمانية فتوح، وقتل ثمانية أعداء، وخلف ثمانية أولاد ومن الإناث كذلك، ومات لثمان بقين من ربيع الأول. وكان المعتصم كريم الخلق، متواضعاً، يحكي عنه أنه خرج مع أصحابه في يوم ممطر، وتفرق عنه أصحابه، فبينما هو يسير إذ رأى شيخاً معه حمار عليه حمل شوك، وقد وقع الحمار وسقط الحمل، والشيخ قائم ينتظر من يمر به فيساعده، فنزل المعتصم عن دابته، وخلص الحمار عن الوحل، ورفع عليه حملة وانتظر أصحابه حتى جاءوا، وأمرهم أن يسيروا مع الشيخ ليعينوه.

كما كان المعتصم سخياً، فلقد روى أحمد بن أبي داود: تصدق المعتصم على يدي، ووهب ما قيمته ألف ألف درهم، وفي عهده كثر العمران، وبنيت القصور وارتفع البنيان، وقد مرض المعتصم فأخذ يقول: ذهب الحيلة، فليس حيلة، ولقي ربه في سنة ٢٢٧ هـ بعد حياة حافلة بالأعمال النافعة للمسلمين.



خرج من **الطالبين** في عهد الخليفة المعتصم، محمد بن القاسم بن علي الزيدي في عام (٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) بالطالقان، فالتف حوله كثير من سكان كور خراسان. ولكن حركته لم تكن منظمة، ولم تشكل خطراً جدياً على حكم المعتصم، الذي أمر قائده **عبد الله بن طاهر**، أمير خراسان، بالتصدي له، وتمكن هذا القائد من هزيمته، **وقبض عليه، وأرسله إلى سامراء حيث سجن فيها**، إلا أنه فرّ من سجنه بمساعدة رجال من شيعته، وتواري أيام المعتصم والوائق ثم أخذ في أيام المتوكل، فسُجن ومات في سجنه.

البوابة الجنوبية للمدينة



عين زربة: قال ياقوت:
من ثغور قرب المصيصة
تذكر في العين أ. هـ
وقديماً سميت أنازاربوس
Anazarbus والآن
اسمها نافارزا، وهي
مدينة قديمة في قليقية
في الجمهورية التركية
اليوم.

القضاء على حركة بابك الخرمي

كان الخليفة **المعتصم** عند حسن الظن به، فقد صعد حربه ضد **البابية** حتى قضى على حركتهم في سنة ٢٢٣هـ / ٨٢٥م فقد ركز جهوده - بعد استقرار الوضع الداخلي - على حرب بابك، وأرسل الحملة تلو الحملة ضده، ومن جهة أخرى فقد تفاقم خطر بابك بعد أن دخلت أذربيجان في حوزته، فنشر العرب في المنطقة الممتدة حتى إيران في سنة ٢١٨هـ / ٨٢٣م، وعين المعتصم في سنة ٢٢٠هـ / ٨٢٥م، أعظم قادته وهو **الأفشين «حيدر بن كاوس»** أميراً على الجبال، وأمره بقتال بابك، تميز هذا القائد بالحذر والخبرة الشديدة بالمسالك الجبلية. فاتبع خطة عسكرية مرنة تستند على التقدم البطيء. فعسكر في **برزند** من نواحي **تفليس**، وضبط الحصون والطرق فيما بينه وبين **أردبيل**، ووزع جنده على مختلف القلاع والمواقع، وكان المعتصم يمدّه بالإمدادات والمؤن، ونفقات الجند باستمرار، ورَتَّب البريد، ومهّد الطرقات لتأمين المواصلات والاتصالات بسرعة وسلام، حتى أضحى تبادل الرسائل بين **سامراء** و**معسكر الأفشين** يستغرق مدة أربعة أيام أو أقل، كما استعمل الحمام الزاجل لنقل الأخبار لأول مرة في هذه الحرب، وكان يشرف على سير المعارك من سامراء، ويضع الخطط العسكرية بنفسه. وبذلك أضحى للمسلمين سلسلة من الحصون المتماسكة في مواجهة بابك، ولجأ الأفشين إلى استعمال الأسلوب التجسسي كي يضعف خصمه، ويطلع على خططه؛ فكان يستقطب من يظفر به من جواسيس؛ فيضاعف لهم العطاء، ويسخرهم في التجسس له. أدرك بابك على الفور أنه يواجه هذه المرة قائداً محنكاً، وحتى يخفف الضغط عن قواته في أذربيجان، ناشد الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل أن يهاجم الأراضي الإسلامية، ووعد به بأن يعتنق النصرانية. نتيجة هذا الاحتقان كان لابد أن يقع صدام بين الجانبين بعد هذه الاستعدادات العسكرية، فأصدر الخليفة أوامره إلى الأفشين ببدء العمليات العسكرية، وحدد له مدينة (البذ) كأول هدف عسكري بعد اضطرار بابك إلى التحصن فيها إثر **معركة أرسق**. لم يتسرع الأفشين في تقدمه نحو البذ، وأخذ يزحف متأنياً حتى وصلها وضرب عليها حصاراً مركزاً، واتخذ من مدينة روذ الروذ معسكراً جديداً لقواته، وحاول بابك في غضون ذلك استمالته لكنه لم ينجح، وبقي الأفشين محاصراً البذ حتى تمكن من دخولها يوم الجمعة في ١٠ رمضان سنة ٢٢٢هـ / آب سنة ٨٣٧م هرب بابك، بعد سقوط البذ إلى أرمينيا^(١).



كتب **الأفشين** إلى ملوك وأمراء الجهات التي هرب إليها بابك بسد الطرق عليه، وتذكر المصادر أن البطريق سهل بن سنباط تعرّف على مكان اختبائه؛ فأمنه؛ ثم غدر به وسلمه إلى الأفشين. **وجيء بابك إلى سامراء** في شهر صفر عام ٢٢٣ هـ / شهر كانون الثاني عام ٨٢٨ م، ومعه أخوه عبد الله وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً؛ فقد ألبسه الجند ثيابه الأرجوانية، ووضعوه على ظهر فيل، وطاقفوا به في شوارعه، وعندما أضحى في مجلس الخليفة نزع عنه الجند ما كان يلبس، ثم قطعوا يديه ورجليه، وراحوا يفرزون سيوفهم ببطء في جسده، متجنبين إصابته بمقتل ليطلقوا أمد عذابه، وأخيراً قطعوا رأسه وأرسله الخليفة إلى بغداد حيث عُرِضَ على الناس، بينما **صُلِبَت جثته وعُرِضت في سامراء، وصلب معه أخوه عبد الله**، فانتهت بذلك هذه الحركة التي شغلت جانباً من اهتمامات الخلافة منذ عهد المأمون.

حركة المازيار

ماكادت دولة الخلافة العباسية تتخلص من الأخطار التي كانت تمثلها حركة **بابك الخرمي** في المناطق الواقعة إلى الغرب من بحر قزوين، حتى واجهتها **حركة فارسية أخرى**، تمثلت في حركة المازيار بن قارن آخر الأمراء القاريانيين **بطبرستان**، الذي اتخذ من موطنه مسرحاً لنشاطه الثوري المعادي للدولة.

اعتنق المازيار الإسلام وتسمى باسم محمد، وولاه المأمون على طبرستان ورويان ودنباوند، ولقبه الأصبهيد، ويبدو أنه كان ذا نزعات استقلالية؛ فأراد الانفصال عن جسم الدولة، فاستغل الخصومة بين الطاهريين - الذين كان يكرههم، وبين الأفشين الطامع في ولاية خراسان ليرفع راية الثورة، وكان هذا الأخير قد كاتب المازيار وشجعه على إعلان العصيان على حكمهم، آملاً أن لا يتمكن هؤلاء من إخضاعه، فيتخذ - عندئذ - ذلك ذريعةً لانتزاع خراسان منهم؛ لكن هذه العلاقة بين الأفشين والمازيار لم تكن بهذه السطحية وأن الصلة التي جمعت الرجلين بعيدة الغور عميقة الجذور، فقد اعترف المازيار بأن الأفشين حرضه على الخروج والعصيان لمذهب اجتمعوا عليه، ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثوية والمجوس، كما كان المازيار يكاتب بابك، ويعرض عليه المساعدة، والراجح أنه كان على مذهب الخرمية، ذلك المذهب الذي أضحى يمثل ثورة الوعي الفارسي ضد سلطان العباسيين وضد المجتمع الذي أقاموه، وأن الدوافع التي حركت بابك، هي التي حملته على العصيان خاصة، إذا علمنا أنه كان حديث عهد بالإسلام، أي أن هذه الدوافع كانت مزيجاً من الدوافع السياسية والعنصرية والدينية. وتدل التدابير التي نفذها المازيار بعد إعلان حركته، على نزعة الخرمية الاشتراكية إذ أراد مصادرة الأراضي من الملاك، وتوزيعها على الفلاحين، ولهذه النزعة معنى سياسي إلى جانب المعنى الاقتصادي خاصة إذا علمنا أن قسماً كبيراً من الملاك كانوا من العرب ومواليهم؛ لذلك أمر المازيار عامله على **سرخستان** بأن يجمع مئتين وستين من أبناء القادة ويسلمهم إلى الفلاحين ليقتلوهم بوصفهم أناساً يشكلون خطراً، كما أغرى هؤلاء بقتل أرباب الضياع، وأباح لهم منازلهم وحُرّمهم، في محاولة تهدف إلى ضم قوى الطبقات العامة ودفعها للتخلص من السلطان العربي. وقد وقف الخليفة على أهداف هذه الثورة، حين ضبط عبد الله بن طاهر رسالة من الأفشين إلى المازيار، وبعد أن حصل هو على الرسائل الأخرى من المازيار نفسه^(١).



حسب وصف ياقوت الحموي فقد كان طبرستان إقليمًا واسعًا وكبيرًا تمتد عبر معظمه أراضٍ جبلية وعرة وتكثر فيه المياه التي تتخلل أراضي شجرية كثيرة الفواكه والثمار. وحسب مُعجم البلدان أيضاً فقد كانت تعد مدن أمل وجرجان وإستراياد ودهستان من بلاد طبرستان. وهو يُصِف أنه قد وقعت على أطراف طبرستان جبال وعرة جداً تسمى "جبال شروين" التي كانت أكثر جبال طبرستان صعوبة ووعورة وأدغالا (وقد كان فاتح هذه الجبال هو موسى بن حفص بن عمرو ابن العلاء).



عملة تعود إلى القرنين ٨ و ٩ الميلاديين

وواقع الحال أن هذه الحركة (حركة المازيار) ولدت ميتة؛ ذلك أن توقيت إعلانها في عام (٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م) لم يكن مناسباً، فقد كانت دولة الخلافة العباسية آنذاك في وضع مستقر، وعلى درجة عالية من القوة ولاسيما بعد أن تخلصت من العديد من الحركات المعادية التي قامت في وجهه، ومن ثم فإن القضاء على حركة المازيار لم يكلفها الكثير من الجهد، أما نهاية المازيار فقد كانت شبيهة بنهاية بابك حيث قتله الخليفة، ثم صلبه إلى جانب بابك الخرمي.

بناء مدينة سُرَّ من رأى

لم يكن قد انقضى على بناء بغداد قرن واحد حتى عرضت للمعتصم فكرة بناء عاصمة جديدة، بعدما ضاقت بغداد بجنده الأتراك الذين أكثر من استخدامهم في الجيش، ولم تسلم العاصمة من مضايقاتهم، حتى أكثر الناس الشكوى من سلوكهم.

واختار المعتصم بالله لعاصمته الجديدة مكاناً يبعد ١٣٠ كم رأساً من شمالي بغداد، شرقي نهر دجلة، وشرع في تخطيط عاصمته سنة (٢٢١هـ = ٨٣٦م) وبعث إليها المهندسين والبنّاءين وأهل المهن من الحدادين والتجارين وغيرهم، وحمل إليها الأخشاب والرخام وكل ما يحتاج إليه البناء.

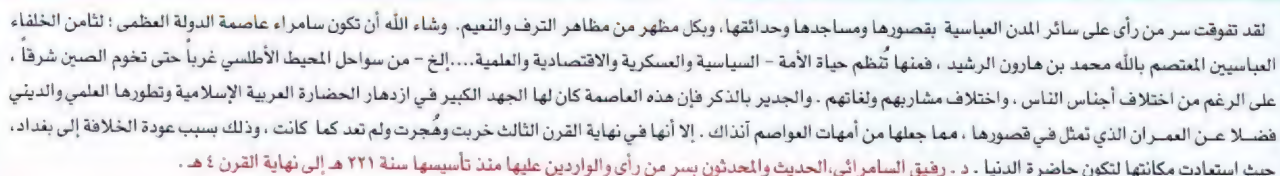
وعُني الخليفة بتخطيط المدينة وتقسيمها بوصفها مركزاً حضارياً ومعسكراً لجيشه، ففصل الجيش ودواوين الدولة عن السكان، واهتم بفصل فرق الجيش بعضها عن بعض، وامتدت المدينة على ضفة دجلة الغربية نحو ١٩ كم، وكان تخطيط المدينة رائعاً، يتجلى في شق عدة شوارع متوازية على طول النهر، يتصل بعضها ببعض عن طريق دروب عدة، وكان أهم شوارع المدينة بعد شارع "الخليج" الذي على دجلة "الشارع الأعظم"، وكان يمتد في عهد المعتصم ١٩ كم من الجنوب إلى الشمال بعرض مائة متر تقريباً.

وُعني المعتصم بزراعة القسم الغربي من دجلة تجاه المدينة، وشجع قاداته على المساهمة في الزراعة، وحرص أن تكون عاصمته الجديدة مجمعة للصناعات المعروفة في عهده، واهتم ببناء الأسواق، وجعل كل تجارة منفردة مثلما هو الحال في أسواق بغداد، وجعل شارع الخليج الذي على دجلة رصيفاً ومرسى لسفن التجارة.

وكانت المدينة الجديدة جميلة بقصورها الضخمة ومبانيها الرائعة وشوارعها المتسعة، ومسجدها الجامع وغيره من المساجد، فدعيت بـ "سُرَّ من رأى"، وزاد إقبال الناس على السكنى بها.

وتكشف الآثار الباقية من سامراء عن مدى التقدم العمراني والحضاري، الذي كانت عليه الخلافة العباسية في القرن الثالث الهجري^(١).

مصادر الجند الأتراك في عهد المعتصم، فقد تم جلبهم من أقاليم ما وراء النهر، مثل: سمرقند وفرغانة وأشروسنة والشاش وخوارزم، وكان ذلك إما عن طريق النخاسة، أي الشراء، وإما عن طريق الأسر في الحروب، وإما عن طريق الهدايا التي كان يؤديها ولاية هذه الأقاليم على شكل رقيق إلى الخليفة، ومن ثم أصبحت بلاد ما وراء النهر مصدراً مهماً للرقيق الترك. ومكّن المعتصم للأتراك في الأرض، فقربهم إليه، وخصّهم بالنفوذ، وقلّدهم قيادة الجيوش، وجعل لهم مركزاً في مجال السياسة، وأسكنهم سامراء التي بناها خصيصاً لهم، ومن جهة ثانية حرم العرب مما كان لهم من قيادة الجيوش، ثم أسقط أسماءهم من الدواوين، وقطع أعطياتهم. د. طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ١٤٥.



المئذنة الملوية تعد واحدة من الآثار العباسية القديمة وقد كانت في الأصل مئذنة المسجد الجامع الذي أسسه المتوكل عام ٢٣٢ هـ في الجهة الغربية لمدينة سامراء الذي بناها الخليفة المعتصم بالله، واعتبرت في حينها من أكبر المساجد في العالم الإسلامي. والمئذنة الملوية تقع على بعد ٢٧,٢٥ م من الحائط الشمالي، وهي مقامة على قاعدة مربعة ضلعها (٢٣ م) وارتفاعها (٢ م) يعلوها جزء أسطواني يحيط به من الخارج درج حلزوني يلتف حول بدن المئذنة من الخارج وهو من خمس طبقات تتناقص سعتها بالارتفاع، الدرج سعته ٢ متر وهو بعكس عقارب الساعة وعدد درجاته تبلغ ٣٩٩ درجة والارتفاع الكلي للمئذنة يبلغ ٥٢ م. في أعلى القمة طبقة يسميها أهل سامراء "بالجاون" وهذه كان يرتقيها المؤذن ويرفع به الأذان الله أكبر .. الله أكبر.



المسجد الجامع في سامراء وهو من أهم الآثار العباسية طوله ٢٤٠ م وعرضه ١٦٠ م، وقد صلي فيه هذا العام (١٤٣٢ هـ) صلاة عيد الأضحى المبارك



منشأة مائية للوضوء وسط المسجد الجامع في سامراء، اللقطات بواسطة الأخ د. رفيق السامرائي أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير محمد بن فهد

وامعتصماه .. وفتح عموريه

استغل **البيزنطيون** انشغال الخليفة المعتصم بالله في القضاء على فتنة بابك الخرمي، وجهزوا جيشاً ضخماً قاده الإمبراطور ثيوفيل، بلغ أكثر من مائة ألف جندي، هاجم شمال الشام والجزيرة، ودخل مدينة **"زِبْطَرَة"** التي تقع على الثغور، وكانت تخرج منها الغزوات ضد الروم، وقتل الجيش البيزنطي من بداخل حصون المدينة من الرجال، وانتقل إلى **"ملطية"** المجاورة فأغار عليها، وعلى كثير من الحصون، ومثل بمن صار في يده من المسلمين، وسَمَلَ أعينهم، وقطع آذانهم وأنوفهم، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة.

وصلت هذه الأنباء المروعة إلى أسماع الخليفة، وحكى الهاربون الفظائع التي ارتكبتها الروم مع السكان العزل؛ فتحرك على الفور، وأمر بعمامة الغزاة فاعتم بها ونادى لساعته بالنفير والاستعداد للحرب. ويذكر بعض الرواة: أن امرأة ممن وقعت في أسر الروم قالت: **وامعتصماه**، فنُقل إليه ذلك الحديث، وفي يده قَدَح يريد أن يشرب ما فيه، فوضعه، ونادى بالاستعداد للحرب. وهذا ما عناه أبو تمام الطائي في قوله مادحاً للخليفة بعدما حقق نصر:

لَبِيتَ صَوْتاً زِبْطَرِيًّا هَرَقَتْ لَهُ

كَأْسَ الْكَرَى وَرَضَابَ الْخُرْدِ الْعَرَبِ

وخرج المعتصم على رأس جيش كبير، وجَهَّزه بما لم يعدّه أحد من قبله من السلاح والمؤن وآلات الحرب والحصار، حتى وصل إلى منطقة الثغور، ودمرت جيوشه مدينة أنقرة ثم اتجهت إلى عموريه في (جمادى الأولى ٢٢٣هـ = أبريل ٨٢٨م) وضربت حصاراً على المدينة المنيعه دام نصف عام تقريباً، ذاقت خلاله الأهوال حتى استسلمت المدينة، ودخلها المسلمون في ١٧ من رمضان سنة ٢٢٣هـ = ١٣ من أغسطس ٨٢٨م بعد أن قُتل من أهلها ثلاثون ألفاً، وغنم المسلمون غنائم عظيمة، وأمر الخليفة المعتصم بهدم أسوار المدينة المنيعه وأبوابها، وكان لهذا الانتصار الكبير صدها في بلاد المسلمين، وخصّه كبار الشعراء بقصائد المدح^(١).

الفتح المبين، تقدم الخليفة باتجاه عموريه بعد تدمير أنقرة؛ فوصلها في سبعة أيام وشرع في حصارها، وعلى الرغم من مناعتها وحصانتها إلا أنها استسلمت في السابع عشر من (شهر رمضان عام ٢٢٣ هـ / ٨٢٨ م) بعد أسبوعين من الحصار؛ فأسر المسلمون كثيراً من أهلها وغنموا غنائم وفيرة، وهدم المعتصم أسوارها، وأمر بالمقابل بترميم زبطرة وتحسينها. كشفت حملة المعتصم عن ضعف الإمبراطورية البيزنطية، مما شجع الخليفة على مواصلة زحفه باتجاه القسطنطينية، التي باتت الطريق إليها مفتوحة، إلا أنه اضطر للعودة إلى العراق لأنه كشف مؤامرة دبرها الجند لمصالح العباس. **د. محمد بهيل**

الفتح المبين، تقدم الخليفة باتجاه عموريه بعد تدمير أنقرة؛ فوصلها في سبعة أيام وشرع في حصارها، وعلى الرغم من مناعتها وحصانتها إلا أنها استسلمت في السابع عشر من (شهر رمضان عام ٢٢٣ هـ / ٨٢٨ م) بعد أسبوعين من الحصار؛ فأسر المسلمون كثيراً من أهلها وغنموا غنائم وفيرة، وهدم المعتصم أسوارها، وأمر بالمقابل بترميم زبطرة وتحسينها. كشفت حملة المعتصم عن ضعف الإمبراطورية البيزنطية، مما شجع الخليفة على مواصلة زحفه باتجاه القسطنطينية، التي باتت الطريق إليها مفتوحة، إلا أنه اضطر للعودة إلى العراق لأنه كشف مؤامرة دبرها الجند لمصالح العباس. **د. محمد بهيل**



فتح عمورية في ١٧ رمضان سنة ٢٢٣هـ

رأى الإمبراطور ثيوفيل أن يعود إلى قتال المسلمين على الحدود الشرقية لإمبراطوريته، وقد شجعه على ذلك نجاح المفاوضات التي أجراها مع بابك الذي وعده باعتناق النصرانية مقابل مساعدته في قتالهم، وثنأً منه أن باستطاعته إحراز نصر عسكري عليهم؛ فأغار على منطقة أعالي الفرات ليؤمن اتصالاً مع الخرمية في أرمينيا وأذربيجان، واستولى في طريقه على **زبطرة** مسقط رأس والده الخليفة وأسراً من فيها من المسلمين ومثّل بهم **وسبى المسلمين**، كما هاجم **سميساط وملطية** وأحرقها. اعتبر المعتصم هذه الغارة البيزنطية تحدياً شخصياً له قبل أن تكون تحدياً للخلافة العباسية، فقبل التحدي وعزم على أن يثأر لزبطرة.

خرج المعتصم بالله على رأس الجيش العباسي متجهاً صوب **عمورية** مسقط رأس أسرة ثيوفيل، عازماً على تدميرها، والجدير بالذكر أن الاستيلاء على عمورية يعد خطوة للوصول إلى **القسطنطينية**. غادر الخليفة سامراء وهو على تعبئة، وجعل أنقرة أول هدف للحملة، فعين أشناس التركي قائداً للمقدمة، وإيتاخ قائداً لليمين، وجعفر بن دينار على الميسرة، وعجيف بن عنبسة على القلب، وشارك **الأفشين** في حملة على رأس فرقة عسكرية وكتب على ألوية الجيش وتروسه "عمورية" وقرر دخول الأراضي البيزنطية من **ثلاثة محاور**، فتوجه جيش الشرق بقيادة الأفشين نحو مدينة سروج ليدخل الأراضي البيزنطية في يوم محدد عن طريق درب الحدث، أما جيش الغرب بقيادة أشناس فكان عليه أن يتقدم عبر جبال طوروس إلى مدينة الصفصاف الواقعة قرب قلعة **لولوة** على أن يلتقي بجيش الشرق في سهل **أنقرة**. وقاد الخليفة القسم الثالث من الجيش وزحف مباشرة نحو أنقرة، ورسم الخليفة خطته التكتيكية على أن تجتمع الأقسام الثلاثة عند سهل أنقرة لمهاجمة المدينة.

لم يَسعَ ثيوفيل بعد هزيمته وسقوط أنقرة، إلا أن يرسل إلى المعتصم يطلب الصلح معتذراً عن مذابح زبطرة، ومتعهداً بإعادة بنائه، وإعادة السكان إليه، وإطلاق سراح من عنده من الأسرى المسلمين، إلا أن الخليفة رفض عرض الصلح، وتابع زحفه باتجاه عمورية حتى تم فتحها.

ملحات من قصيدة أبي تمام الطائي في مدح الخليفة المعتصم بالله بعد فتح عموريه

قال النويري^(١): لما فتح المعتصم **عموريه** أكثر الشعراء من ذكر هذا الفتح، فمن ذلك قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي من قصيدته التي يقول في أولها:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصفائح في ... متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الأرماع لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهب

جاء منها:

فتح الفتوح تعالى أن يحط به ... نظم من الشعر أو نثر من الخطب
فتح تفتح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض في أثوابها القشب

ومنها:

وبرزة الوجه قد أعيت رياضتها ... كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب
بكر فما افترعتها كف حادثة ... ولا ترقى إليها همة النوب
من عهد إسكندر أو قبل ذاك فقد ... شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
حتى إذا مخض الله السنين لها ... مخض الحليبة كانت زبدة الحقب
أتتهم الكربة السوداء سادرة ... منها وكان اسمها فراجة الكرب
لما رأت أختها بالأمس قد خربت ... كان الخراب لها أعدى من الجرب
أشار في هذا البيت إلى **فتح أنقرة**. ومنها:

لبيت صوتاً زبطرياً هرقت له ... كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

قيل: كانت الروم لما فتحت زبطرة صاحت امرأة من المسلمين: وا محمداه! وا معتصماه! فلما بلغه الخبر ركب لوقته يوم الشام، وصاح: لبيك! لبيك! ولم يرجع إلى أن فتح أنقرة وعموريه. ومنها:

خليفة الله جازى الله سعيك عن ... جرثومة الدين والإسلام والحسب
إن كان بين صروف الدهر من رحم ... موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتي نصرت بها ... وبين أيام بدر أقرب النـسب

قال ياقوت الحموي في معجمه: أنقرة، بالفتح ثم السكون وكسر القاف وراء وهاء وهاء بلغني. اسم للمدينة المسماة أنكورية، وفي خبر امرئ القيس لما قصد ملك الروم يستجده على قتلة أبيه هوته بنت الملك وبلغ ذلك قيصر فوعده أن يتبعه الجنود إذا بلغ الشام أو يأمر من بالشام من جنوده بتجديته فلما كان بأنقرة بعث إليه بثياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمه فعلم بالهلاك، فقال: رب طعنة منعتجره... وخطة مسخفرة... تبقى غداً بأنقرة... وحينما فتحها المعتصم في طريقه إلى عمورية قال أبو تمام:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت ... عنك المنى حُفلاً معسولة الحب
جرى لها الفأل يرحاً يوم أنقرة ... إذ غُودرت وحشة الساحات والرحب
لما رأت أختها بالأمس قد خربت ... كان الخراب لها أعدى من الجرب



أحد المباني الأثرية في مدينة أنقرة عاصمة الجمهورية التركية



من الآثار الباقية لمدينة عموريه في وسط تركيا

عموريه: بفتح أوله وتشديد ثانيه. بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم حين سمع شراً العلوية ... وقد ذكرها أبو تمام فقال: يا يوم وقعة عموريه انصرفت ... عنك المنى حُفلاً معسولة الحب هي التي فتحها المعتصم في سنة ٢٢٢ وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية في قصة طويلة وكانت من أعظم فتوح الإسلام، الحموي، معجم البلدان.

الواثق بن المعتصم

٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٧ م

هو **أبو جعفر** هارون الواثق بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد، بن محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو الخليفة العباسي التاسع وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم سنة ٢٢٧ هـ. أحسن الواثق لأهل الحرمين حتى قيل: إنه لم يوجد بالحرمين في أيامه سائل «أي فقير». كان مشجعاً للعلماء. وكانت وفاته في سامراء بالحمى سنة (٢٣٢ هـ/٨٤٧).

قامت عدة ثورات في عهده في الشام وفلسطين بسبب الاحتكاكات بين السكان العرب والجيش التركية التي شكلها والده المعتصم، تم إخماد هذه الثورات، إلا أن جذوة النقمة تضاعفت بين الأهالي. كانت خلافة أبي جعفر هارون الواثق خمس سنوات، قضى فيها على الثورات التي قامت في عهده، ولقّن الخارجين على الدين والآداب العامة دروساً لا تنسى، وعزل من انحرف من الولاة، وصادر أموالهم التي استولوا عليها ظلماً وعدواناً، وفي عهده استكمل فتح جزيرة "صقلية"، حينما أكمل فتحها الفضل بن جعفر الهمداني سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م.

قال يحيى بن أكثم: ما أحسن أحد إلى الطالبين ما أحسن إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير. وفي سنة إحدى وثلاثين: قتل أحمد بن نصر الخزاعي الشهيد ظلماً، وأمر بامتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن، وافتك من أسر الروم أربعة آلاف وست مائة نفس، فقال ابن أبي دؤاد: من لم يقل: القرآن مخلوق، فلا تفتكوه وكانت فتنة عظيمة افتتن بها المسلمون آنذاك.

قال الخطيب: استولى أحمد بن أبي دؤاد على الواثق، وحمله على التشدد في المحنة، والدعاء إلى خلق القرآن. وقيل: إنه رجع عن ذلك قبيل موته.

قال إبراهيم نفطويه: حدثنا حامد بن العباس، عن رجل، عن المهدي بالله أن الواثق مات وقد تاب عن القول بخلق القرآن، وهذا لعمري من فضل الله عليه أن ختم الله له بالتبرء من هذه الفتنة.



دينار الخليفة الواثق بالله - ضرب بمدينة السلام عام ٢٢٨ هـ





الباب الثالث



العصر العباسي الثاني

٢٣٢ - ٣٣٤ هـ / ٨٤٧ - ٩٤٦ م

أولاً: عصر النفوذ التركي

العصر العباسي الثاني ٢٣٢ - ٦٥٦ هـ = ٨٤٧ - ١٢٥٨ م

النضوذ العسكري التركي

يمتد العصر العباسي الثاني أكثر من أربعة قرون، وقد قسم المؤرخون هذه الحقبة إلى أربعة عصور رئيسة، غالباً ما يدمج المؤرخون بين الحقتين الثالثة والرابعة مع بعضهما البعض:



الدولة العباسية في مساهمة أهل العصر العباسي الثاني

من الآثار السلبية لاستقلال الدول عن الخلافة العباسية: تغيير موازين القوى في العالم الإسلامي من ناحية والدولة البيزنطية من ناحية أخرى لصالح البيزنطيين حيث سيطروا على مناطق ومن إسلامية في شمالي الشام منتصف القرن الرابع هـ: إضافة إلى نجاح الغزو الصليبي في إقامة مستعمرات صليبية في بلاد الشام، ومن ثم سهولة تغلغل الغزو المغولي في تدمير الدول الإسلامية في شرقي وشمال العالم الإسلامي والقضاء على الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ، ناهيك عن رجحان كفة القوى النصرانية في بلاد الأندلس مما أدى إلى سقوطها نهائياً سنة ٨٩٧ هـ.

م	ال خليفة	خلافته	أبرز الأحداث في عهده	نهايته
١	المتوكل على الله جعفر بن المعتصم	٢٣٢ - ٢٤٧ هـ	رد للإمام أحمد بن حنبل اعتباره وجعله من المقربين إليه، بعد أن اضطهد في عهد المأمون والمعتصم والواثق؛ لعدم إقراره القول بخلق القرآن.	توفي
٢	المنتصر بالله محمد بن المتوكل	٢٤٧ - ٢٤٨ هـ	حاول التصدي للنفوذ التركي بكل حزم، ومن مآثر المنتصر بالله، خلال مدة حكمه القصيرة، إحسانه إلى العلويين .	قتل مسموماً
٣	المستعين بالله أحمد بن المعتصم	٢٤٨ - ٢٥٢ هـ	قيام الدولة الزيدية العلوية بطبرستان سنة ٢٥٠هـ = ٨٦٤م، على يد الحسن بن زيد العلوي الملقب بالداعي الكبير، واستمرت هذه الدولة حتى سنة ٣١٦هـ = ٩٢٨م .	قتل
٤	المعتز بالله محمد أبو عبد الله ابن المتوكل	٢٥٢ - ٢٥٥ هـ	قيام الدولة الصفارية في فارس بزعامة يعقوب بن الليث الصفار، وذهاب أحمد بن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤هـ = ٨٦٨م نائباً عن واليها، وقيام ثورة الزنج .	قتل
٥	المهتدي بالله محمد بن الواثق ابن المعتصم	٢٥٥ - ٢٥٦ هـ	سيطرة الزنج على بعض المدن المهمة في العراق، مثل البصرة وواسط والأهواز، ووصولها إلى البحرين (هجر)، وارتكابها مذابح بشعة ضد السكان الآمنين،	توفي
٦	المعتمد على الله أحمد بن المتوكل ابن المعتصم	٢٥٦ - ٢٧٩ هـ	عُرف باسم صحوة الخلافة في العصر العباسي الثاني، وتم القضاء على فتنة الزنج .	توفي
٧	المعتضد بالله أحمد ابن الموفق طلحة ابن جعفر المتوكل	٢٧٩ - ٢٨٩ هـ	قضى على ثورة الخوارج في الموصل بزعامة هارون بن عبد الله الشاري الذي وقع في الأسر، وضرب عنقه سنة ٢٨١ هـ ، وظهور قرامطة البحرين - وإعلان الدعوة العبيدية في المغرب، وظهور البرقي بالأهواز.	توفي

م	الخليفة	خلافته	أبرز الأحداث في عهده	نهايته
٨	المكتفي بالله أبو محمد علي ابن المعتضد	٢٨٩ - ٢٩٥ هـ	ازدياد خطر القرامطة وتهديدهم للشام والحجاز واليمن، وجرت على أيديهم مذابح بشعة ضد حجاج بيت الله الحرام وعامة الناس، ونشروا الفرع في أنحاء العالم الإسلامي .	توفي
٩	المقتدر بالله أبو الفضل جعفر ابن محمد	٢٩٥ - ٣٢٠ هـ	تدهورت الأوضاع في عهده لصغر سنه، وازداد خطر القرامطة سنة ٣١٧ هـ ، حينما دخلوا مكة وقتلوا الحجاج في المسجد الحرام، واستولوا على الحجر الأسود وأخذوه إلى مركزهم الرئيس في القطيف.	خلع
١٠	القاهر بالله أبو منصور محمد ابن المعتضد	٣٢٠ - ٣٢٢ هـ	ظهور النفوذ البويهى في بلاد فارس سنة ٣٢١ هـ = ٩٣٣م، وكان ذلك مقدمة لامتداد نفوذهم إلى العراق وسيطرتهم على مقاليد الأمور هناك في سنة ٣٣٤ هـ .	خلع
١١	الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد	٣٢٢ - ٣٢٩ هـ	انقطع الحج من بغداد في عهده بسبب القرامطة، وظاهر في الدولة منصب أمير الأمراء . وظهور الخلافة الأموية في الأندلس . وازدادت الحركات الاستقلالية عن الدولة .	توفي
١٢	المتقي لله أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر	٣٢٩ - ٣٣٣ هـ	سلسلة من الصراع بين كبار رجال الدولة على منصب أمير الأمراء، مما أضاف مزيداً من الاضطراب والفوضى إلى الأوضاع الداخلية، فازداد الوضع سوءاً .	خلع
١٣	المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله ابن علي المكتفي	٣٣٣ - ٣٣٤ هـ	تدهورت الأحوال الداخلية في عهده بشكل غير مسبوق؛ فتملح البويهيون إلى بسط سلطانهم على العراق، وقد نجحوا في ذلك سنة ٣٣٤ هـ .	توفي
١٤	المطيع لله الفضل ابن جعفر المقتدر	٣٣٤ - ٣٦٣ هـ	خرج في الكوفة المتبرقع وادعى أنه هاشمي سنة ٣٥٢ هـ، وكانت الدولة منشغلة بحروب الحمدانيين في الموصل، وفي الديلم خرج عبد الله بن محمد ابن الحسين مدعيًا الهاشمية.	توفي

م	الخلافة	خلافته	أبرز الأحداث في عهده	نهايته
١٥	الطوائف لله عبد الكريم بن الفضل المطيع، أبو بكر	٣٦٣ - ٣٨١ هـ	كان شديد الميل إلى الطالبين، سقطت هبة الخلافة في أيامه جداً حتى هجاه الشعراء. استطاع العبيديون الشيعة الاستيلاء على الحرمين الشريفين .	توفي
١٦	القادر بالله أحمد ابن إسحاق المقتدر	٣٨١ - ٤٢٢ هـ	عرف بالتقى والصلاح والعلم، صنف كتاباً في فضل الصحابة، وإكفار من قال بخلق القرآن، واستتاب القادر فقهاء المعتزلة، فتبرؤوا من الاعتزال والرفض .	توفي
١٧	القائم بأمر الله عبد الله بن القادر	٤٢٢ - ٤٦٧ هـ	عرف بالصلاح والتقوى وظهرت فتنة البياسيري مما أدى إلى استجاده بالسلاجقة، ودخل طغرل بك بغداد سنة ٤٧٧ هـ .	توفي
١٨	المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد ابن القائم	٤٦٧ - ٤٨٧ هـ	ظهور الإسماعيلية في قلعة الموت في جنوبي بحر قزوين، وانتصر المسلمون في ملاذكرد، وفي الأندلس حقق المسلمون نصراً عظيماً في موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ .	أخرج من بغداد
١٩	المستظهر بالله أحمد بن المقتدي	٤٨٧ - ٥١٢ هـ	بداية الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي سنة ٤٨٩ هـ، وبداية تأسيس الإمارات الصليبية في بلاد المسلمين .	قتل
٢٠	المسترشد بالله الفضل بن المستظهر	٥١٢ - ٥٢٩ هـ	أحيا دور الخلافة العباسية وحاول إعادة هيبتها؛ قتله الإسماعيلية غيلة قال منصور بن إسماعيل الفقير يوم أسره: فَلَا عَجَبٌ لِلْأَسَدِ أَنْ ظَفَرَتْ بِهَا كَلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ فَحَرَبَةٍ وَحَشِيٍّ سَقَتْ حِمَزَةَ الرَّدَى وَمَوْتَ عَلِيٍّ مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ	قتل
٢١	الراشد بالله منصور ابن المسترشد	٥٢٩ - ٥٣٠ هـ	كان أديباً شجاعاً جواداً حسن السيرة، محباً للعدل مؤثراً للسلامة؛ لكن الباطنية الإسماعيلية هي من نفذت قتله.	قتل

م	الخلافة	خلافته	أبرز الأحداث في عهده	نهايته
٢٢	المقتضي لأمر الله محمد بن المستظهر	٥٣٠ - ٥٥٥ هـ	استطاع عماد الدين زنكي استرداد الرها من أيدي الصليبيين، وفي عهده بدأ الضعف ينخر في جسد الدولة العبيدية.	توفي
٢٣	المستنجد بالله يوسف بن المقتضي	٥٥٥ - ٥٦٦ هـ	عرف بالثقة والصلاح والعدل وحب الأدب، قال شعراً: عيرتني بالشيب وهو وقار ليبتها عيرتني بما هو عار إن تكن شابت الذوائب مني فالليالي تزينها الأقمار	توفي
٢٤	المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد	٥٦٦ - ٥٧٥ هـ	محباً للسنة قامعاً للبدعة، قال الذهبي: في أيامه ضعف الرفض في بغداد ووهم، قضى صلاح الدين الأيوبي على دولة العبيديين في مصر.	توفي
٢٥	الناصر لدين الله أحمد بن الحسن المستضيء بالله	٥٧٥ - ٦٢٢ هـ	انتصار المسلمين العظيم على الصليبيين في حطين سنة ٥٨٣ هـ، واسترداد بيت المقدس. وقوي أمر خوارزمشاه واسقطوا السلاجقة.	أخرج من بغداد
٢٦	الظاهر بأمر الله أحمد بن المقتدي	٦٢٢ - ٦٢٣ هـ	أعاد سنة العمرين، حيث أعاد الأموال المفقودة، والأملاك المأخوذة في أيام أبيه وقبلها شيئاً كثيراً، وأبطل المكوس، وأزال المظالم.	توفي
٢٧	المستنصر بالله منصور بن الظاهر	٦٢٣ - ٦٤٠ هـ	أحيا دور الخلافة العباسية وحاول إعادة هيبتها؛ وضع في بغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة، وجعل فيها دار حديث وحماماً ودار طب.	توفي
٢٨	المستعصم بالله عبد الله بن منصور المستنصر بالله	٦٤٠ - ٦٥٦ هـ	استجاب لنصيحة ابن العلقمي بتقليل الجند، ومصانة المغول وإكرامهم، حتى سقطت بغداد في أيدي القائد (هولاكو).	قتله المغول

في عهد الخلافة العباسية استقلت بعض الدول عنها استقلالاً تاماً، بينما أخذ بعضها يتجه نحو استقلال جزئي أصبح البلاد فيه تابعة للخلافة اسماً (فقط) بحيث تستمد منها مكانتها الروحية وقدرها العظيم في نفوس المسلمين.

ويقف المؤرخون والمحللون أمام قيام بعض الدول وانهيار أخرى وقفات تأملية يبحثون عن الأسباب والعوامل التي أدت إلى قيام هذه وانهيار تلك.

وعلى كل، فقد كان قيام الدويلات نتيجة لضعف الخلافة، وسبباً لمزيد من الانحلال، وخطوة على طريق النهاية، لقد قامت أولى هذه الدويلات - كما تطرقنا في الباب الثاني من هذا الأطلس - في أقصى الغرب؛ لبعده عن عاصمة الدولة، ومركز السلطان فيها، فقامت دولة الأمويين في الأندلس، وقيامها في سنة ١٣٨ هـ/ ٧٥٦م ضعف نفوذ العباسيين على الغرب، وسرعان ما نشأت الدويلات في شمال إفريقيا.

وحين تطرق الضعف إلى جسد الخلافة العباسية جميعاً، نشأت الدويلات في بقية أجزاء الدولة، وقد تسببت هذه الدول في ضعف الدولة العباسية وانحلالها؛ ذلك لأن علاقة هذه الدويلات بالدولة العباسية كانت مختلفة اختلافاً كبيراً، فقد انفصل بعضها عن الدولة انفصلاً تاماً، ونافسها بعضها على تولي الخلافة نفسها.

كما ظل قسم آخر على علاقة اسمية بالدولة، فيكفي الخليفة أن يذكر اسمه على المنابر، ويصك اسمه على العملة، وفي حقيقة الأمر أنها دولة مستقلة تماماً لا تخضع له في شيء. وهناك دويلات ظلت على صلة متغيرة بالدولة، تقوى حيناً، وتضعف حيناً آخر تبعاً لتغير الأحوال.

العلاقات بين الدول المستقلة والخلافة العباسية

علاقة ولاء وتبعية	علاقة تبعية مع قدر من الاستقلال الذاتي	علاقة متقلبة حسب المصالح	علاقة عدائية واضحة
وقد قامت دول هذا النوع بتوجيه واذن من الخلافة العباسية لتحقيق مصالح معينة للدولة العباسية مثل: دولة الأغالبة في تونس، والدولة الطاهرية في خراسان، والدولة الإخشيدية في مصر والشام.	وقد قامت دول هذا النوع دون إذن الخلافة مع استمرارها بالاعتراف بالخلافة العباسية والدعاء للخليفة العباسي فوق المنابر وسك العملة باسمه مثل: الدولة الحمدانية في الموصل والشام، والدولة الفزنوية في الهند، والدولة الأيوبية في مصر والشام، ودولة المرابطين والموحدين في المغرب.	مثل الدولة الطولونية في مصر، والدولة الصفارية في خراسان، والدولة الخوارزمية في بلاد ما وراء النهر.	وذلك بسبب العداء الدائم الذي يتركز على تناقض في المصالح السياسية مثل: الدولة الأموية في الأندلس، والدولة الإدريسية في المغرب، أو على الأسس المذهبية في المعتقد مثل الدولة العبيدية الشيعية في إفريقية ومصر.

مصفوفة زمنية للإمارات السياسية في عهد القادة الأتراك خلال العصر العباسي الثاني

بتصرف من كتاب التاريخ الإسلامي للشيخ / محمود شاكر

العصر العباسي الثاني:

أولاً: عصر النفوذ التركي (٢٣٢ - ٣٣٤ هـ / ٨٤٧ - ٩٤٦ م)

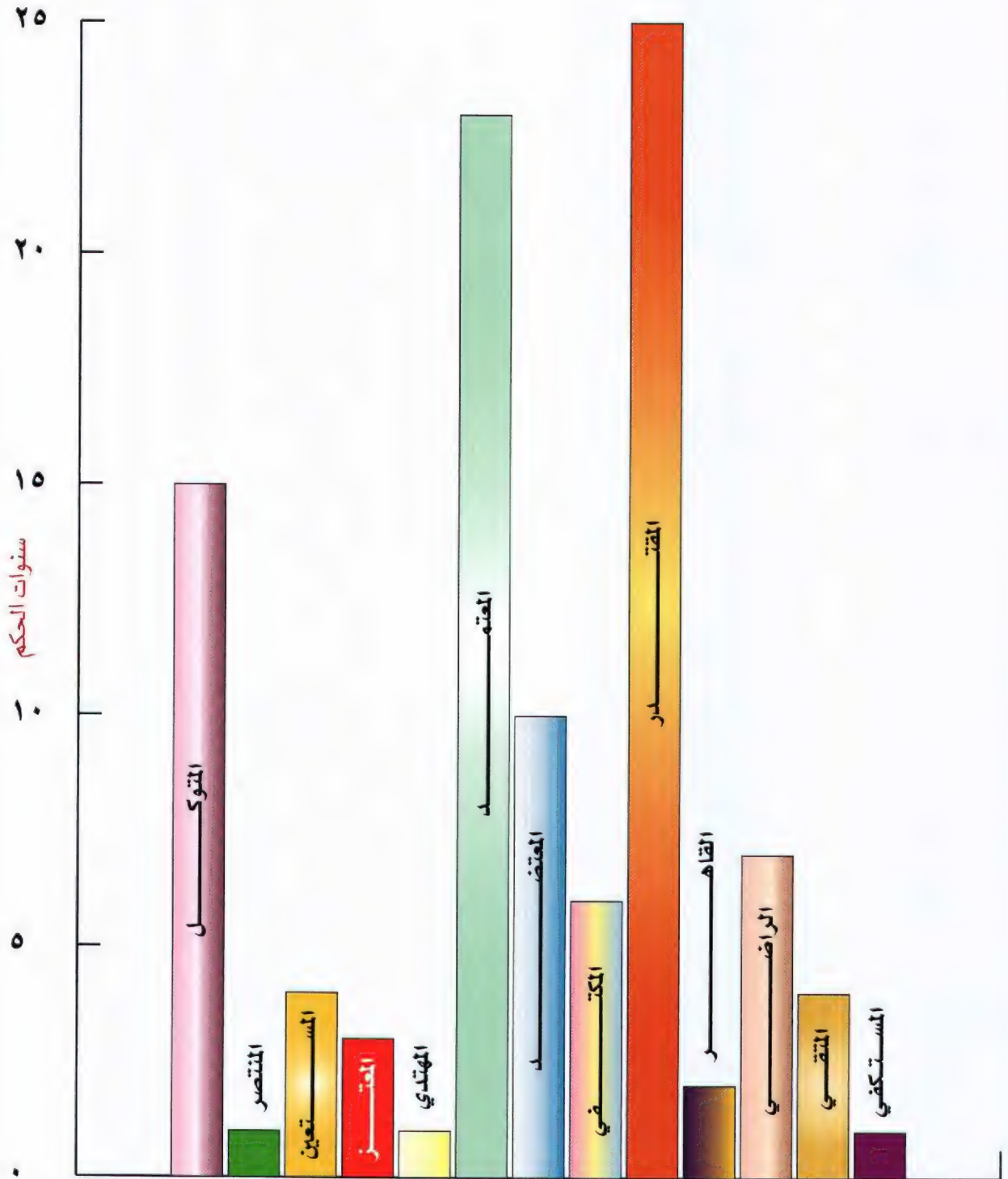
يبدأ العصر العباسي الثاني (عصر نفوذ الأتراك) بخلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م، وينتهي في ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م، في خلافة المستكفي بالله عبد الله بن المكتفي بن المعتضد. ويعرف العصر العباسي الثاني بعصر "نفوذ الأتراك" حيث برز العنصر التركي، واستأثر بالمناصب الكبرى في الدولة، وسيطر على الإدارة والجيش. وقد تمت الاستعانة بهذا العنصر التركي المجلوب من إقليم "تركستان" و"بلاد ما وراء النهر"، منذ عهد المأمون والمعتصم في العصر "العباسي الأول". وظهرت بوادر هذا الضعف في مستهل هذا العصر الذي تختلف ملامحه عن العصر العباسي الأول، فبعد إقدام القادة الأتراك على **قتل الخليفة المتوكل على الله** في الخامس عشر من شهر شوال سنة ٢٤٧ هـ، لهُوَ تأكيد على استبداد القادة بالسلطة، وكيف أصبح الخليفة طوع إرادتهم وأسير هواهم، وقد عبر عن ذلك شاعر فقال:

خليفة في قمص بين وصيف وبغا

يقول ما قال له كما تقول البغا

وقد أصبح مصير الخلافة في أيديهم، فمن شاءوا خلعه ثم قتلوه، ومن شاءوا ألزموه خلع نفسه وسملوه وصادروا أمواله. وحين خلع الخليفة أحمد المستعين بالله، وهو أول خليفة خلع، لم يلبث أن قتل بعد خلعه. وشهدت خلافة المستعين بالله قيام **الدولة الطاهرية** في خراسان، كما استقلت طبرستان تحت حكم **الدولة العلوية** بزعامة الحسن بن زيد الملقب بـ«الداعي إلى الحق»، وحصرت وظيفة السلطان بعائلة بغا التركي، مما مهد لظهور الفتن بين الأتراك أنفسهم، فحاصر المتمردون قصر الخليفة في سامراء فهرب إلى بغداد، عندها بايع الجند النّوّار المعتز بالله خليفة، فأرسل جيشاً بخمسين ألف مقاتل إلى بغداد، التي قام أهلها بخلع المستعين ومبايعة المعتز، حقناً للدماء، بل إن المستعين نفسه بايع المعتز، إلا أن الخليفة الجديد قتل سلفه.

وفي خلافة المعتز بالله قامت **الدولة الطولونية** في مصر، والتي لم تترك للخليفة سوى الخطبة والسكة، واستولى **يعقوب الصفار** على بلاد فارس، مما دفع المؤرخ محمد فريد بك للقول بأن أملاك الخلافة العباسية لا تزيد عن ربع ما كانت قبلاً لدولة بني أمية. ورغم مسالمة المعتز للأتراك وتعيين من شاؤوا في مناصب الدولة العليا، إلا أنهم قد خلعه عام ٢٥٦ هـ لتردي الوضع الاقتصادي ونضوب خزينة الدولة، وبايعوا المهدي بالله بن الواثق بالخلافة، وقد مات المعتز في سجنه من العطش والجوع. وهكذا توالى الفواجع على بني العباس خلال هذه الحقبة كما سيتضح لنا من خلال المرسّمت والتعليقات القادمة في هذا الباب إن شاء الله تعالى.



الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الثاني (عصر النفوذ التركي)

نجح **المتوكل على الله جعفر بن المعتصم** ٢٢٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٧ - ٨٦١ م، في البداية في التخلص من أخطر العناصر التركية في عهده، وهو **إيتاخ** الذي استفحل خطره حتى إنه هَمَّ يوماً بقتل الخليفة المتوكل حين تبسّط معه في المزاح، لكن الخليفة نجح في التخلص منه سنة ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م، كما عزم على التخلص من قادة الأتراك ووجوههم، مثل وصيف وبُغا، إلا أنهما استغلوا ما بينه وبين ابنه وولي عهده محمد المنتصر من خلاف وجفوة، ودبروا مؤامرة انتهت بقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان في الخامس من شوال سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م، وبايعوا ابنه المنتصر خليفة.

وقد استطاع المتوكل في عهده أن يظفر بمكانة عظيمة في قلوب جماهير المسلمين، حين منع النقاش في القضايا الجدلية التي أثارها المعتزلة، **مثل قضية خلق القرآن**، كما رد للإمام **أحمد بن حنبل** اعتباره وجعله من المقربين إليه، بعد أن اضطهد في عهد المأمون والمعتصم والواثق؛ لعدم إقراره القول بخلق القرآن، كما أمر المتوكل الفقهاء والمحدثين أن يجلسوا للناس ويحدثوهم بالأحاديث التي فيها رد على المعتزلة فأثنى الناس عليه، حتى قالوا: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق قاتل أهل الردّة حتى استجابوا له، وعمر بن عبد العزيز رد مظالم بنى أمية، والمتوكل قمع البدع وأظهر السُنّة.

وكان المتوكل على الله قد أمر سنة ٢٣٦ هـ بهدم **ضريح الحسين بن علي** - رضي الله عنهما - في كربلاء وهذا نص الطبري في تاريخه: (هدم قبر الحسين وما حوله، وحرث وإسقاء وضع القبر) أ. هـ، أما ما ذكره ابن الأثير في الكامل مؤكداً على بغض المتوكل لعلي وأهل بيته، بل كان يبغض من كان محباً لعلي من الخلفاء قبله؟ وهل صحيح أن «ندماء المتوكل كانوا مشهورين بالبغض لعلي؟ هذا فيض من غيظ من تحامل ابن الأثير على المتوكل؟ وإذا كان الإمام أحمد من مستشاري المتوكل فهل لهذا اكتفى بالإشارة إلى وفاته مجرد إشارة وهو علم من علماء المذاهب السنية الأربعة وعلماء الحديث النبوي؟ ووصف ابن الأثير المتوكل بأن فيه (نصب) - والعياذ بالله - وهذا أمر غاية في الخطورة، فهل سليل العباس بن عبد المطلب يعادي ابن عمه علي بن أبي طالب من الناحية العقديّة (إن هذا لظلم عظيم)؛ وهل يستحق من ابن الأثير أن يقول عنه: «إن هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتله! ويقول: إن هذه السيئة غطت جميع حسناته؟! وهو الخليفة الذي أثنى عليه طائفة من العلماء، فقال: خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ تقريباً): استخلف المتوكل فأظهر السنة - وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وبسط السنة ونصر أهلها.

وقال ابن خلكان: رفع المحنة في الدين وأخرج أحمد بن حنبل من الحبس وخلع عليه. وقال ابن تيمية: «وفي أيام المتوكل عز الإسلام حتى ألزم أهل الذمة بالشروط العمرية، وألزموا الصغار، فعزت السنة والجماعة، وقمعت الجهمية والرافضة ونحوهم».



يقع جامع أبي دلف في **مدينة المتوكلية** التي بناها **المتوكل على الله** في أواخر سنوات حكمه واتخذها عاصمة له شمالي مدينة سامراء انظر ص ١٣٥. وتبعد أطلال الجامع ويقاياه عن مدينة سامراء الحالية بنحو ١٥ كم. ويعد جامع أبي دلف من جملة منشآت المتوكل على الله في **مدينة المتوكلية** فقد ذكر البلاذري أن المتوكل على الله (أحدث مدينة سماها المتوكلية، وبني فيها مسجداً جامعاً)، انظر الخارطة ص ١٣٥ من هذا الأطلس.

مئذنة جامع أبي دلف، شمالي سامراء، بواسطة الأخ د. رفيق السامرائي أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير محمد بن فهد

أبرز فرق الشيعة في العصر العباسي

١ علي بن أبي طالب رضي الله عنه

فاطمة الزهراء رضي الله عنها

خولة الحنفية رضي الله عنها

٢ الحسن

٣ الحسين (شهيد كربلاء)

محمد ابن الحنفية غيبة كيسانية

زيد بن الحسن

الإمامة - عند الإمامية -
واقفة على الحسين بن علي بن
أبي طالب رضي الله عنهم .

الكيسانية

عبد الله بن محمد ابن الحنفية

الهاشمية (فرقة)

الهاشمية : ترى أن محمد ابن
الحنفية مات والإمام بعده
عبد الله بن محمد ابنه وكان
يكنى أبا هاشم وهو أكبر ولده
والله أوصى أبوه فسميت هذه
الفرقة الهاشمية بأبي هاشم .

٤ علي زين العابدين (السجاد)

زيد بن علي

٥ محمد الباقر

الجارودية

السليمانية

البتيرية

الزيدية

٦ جعفر الصادق

ملاحظة : لا يُدخل الاثنا
عشرية إسماعيل بن جعفر رقم
(٧) مكرر معهم في الإمامة .

٧ إسماعيل بن جعفر

٧ موسى الكاظم

الإسماعيلية

الاثنا عشرية (الإمامية)

٨ علي الرضا

٩ محمد الجواد

١٠ علي الهادي

١١ حسن العسكري

١٢ محمد المهدي

صاحب الغيبة في سرداب سامراء
مدة إمامته معتدة لأن الشيعة الاثنا
عشرية يعتقدون أنه حي ومزقب
الظهور . انظر الصفحة المقابلة من
هذا الأطلس .

مذاهب أصبحت
عقائد مستقلة :
البهائية
البابية
الدرزية

الأصولية

الشيخية

الإخبارية

العلويون ، التصيرية ، طائفة من
الشيعة الإمامية ، تنسب إلى محمد بن نصير
النميري . عقيدتهم هي نفس العقيدة الإمامية
الجعفرية ولهم نفس تسلسل الأئمة الاثنا عشر
وقد اختلفوا عن الاثنا عشرية ما بعد الإمام
الحادي عشر الحسن العسكري ، وكان
الاختلاف في المرجعية والزعامة وفي بعض
الأمر التي جرت عليها العادة عند الإمامية .

٨ - أحمد (الوافي)	٧ - محمد بن إسماعيل المكتوم (غيبة السبعية)	٩ - محمد (النقي)	١٠ - عيد الله (الزكي)	١١ - عبيد الله المهدي
١٢ - القائم بأمر الله القائم	١٣ - المنصور إسماعيل	١٤ - المعز لدين الله	١٥ - العزيز بالله نزار	١٦ - الحاكم بأمر الله
١٧ - الظاهر علي	١٨ - المستنصر بالله	١٩ - نزار بن المستنصر بالله	٢٠ - علي بن نزار (الهادي)	٢١ - الطيب أبو القاسم (إمام مستور)
الدرزي : وهم يسوقون الإمامة إلى الحاكم بأمر الله (السادس عشر) ، ثم يقولون بقيته وينتظرون ظهوره .				
النازيرية : هؤلاء يسوقون الإمامة إلى المستنصر بالله ، ثم يقولون بإمامة ابنه الآخر نزار ، وقد انقسمت النازيرية إلى : مؤنسية وقاسمية المعروفة بالاغانية .				
وجد في قلعة الموت				



الترميمات الحديثة على ضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكري في (مدينة سامراء) التي أنشأها الخليفة العباسي المعتصم بالله

ولادة الإمام المهدي وغيبته في سرداب سامراء عند الشيعة (الاثنا عشرية) - كما هي في معتقدتهم ومصادرهم - .

أحاط الإمام العسكري (ع) ولادة الإمام المهدي (عج) بستر من السرية. كما أسهمت إرادة الله عز وجل في أن تكون ولادته معجزة إذ لم تظهر آثار الحمل على والدته "ترجس" إلا في الليلة التي ولد فيها صلوات الله عليه، وخفي أمر ولادته إلا على جماعة قليلة من الموالين المخلصين.. **أحيات المخطط العباسي**: تسلم الإمام المهدي الإمامة الفعلية سنة ٢٦٠هـ. بعد وفاة والده الإمام العسكري (ع). وكان محاطاً بالسرية التامة كما تقدّم، بحيث خفي أمره عن السلطة العباسية التي جهدت في إطفاء نوره عبر اعتقال زوجات الإمام العسكري في أشهر الحمل. بل خفي أمر ولادته حتى عن خادم بيت الإمام العسكري (ع). وأيضاً شاركت شخصية **"جعفر الكذاب"** عم الإمام المهدي (عج) في لعب دور مضلل ومدعوم من قبل السلطة التي قدّمته للصلاة على جنازة الإمام العسكري (ع) بصفته الوريث الشرعي الوحيد للإمام.

ولكن المفاجأة كانت عندما تقدّم فتى في الخامسة من عمره يخرج من الدار ويأخذ برداء عمه جعفر إلى الورا قاتلاً، "تأخر، فأنا أحق منك بالصلاة على أبي" فيتأخر جعفر من دون أن تبدر منه أية معارضة. وباءت جهود السلطة بالفشل. وأحببت المخططات التي حاولت النيل من إمامة الإمام الحجة (عج) الغيبة الصغرى، ونتيجة للاحاح السلطة الحاكمة على تعقب الإمام المهدي (عج) **توارى الإمام عن الأنظار**

في غيبة سميت الغيبة الصغرى. وقد شغل منصب النيابة عن الإمام في إدارة شؤون الأمة ولدة سبعين سنة أربعة نواب عرفوا بالسفراء، هم: ١- عثمان بن سعيد العمري. ٢- محمد بن عثمان بن سعيد العمري. ٣- أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي. ٤- أبو الحسن علي بن محمد السمري. وقد قام السفراء الأربعة بجهود عظيمة في سبيل الحفاظ على خط ونهج أهل البيت (ع) من خلال المحافظة على بقاء الإمام (ع) في الخفاء إلا في الحالات الضرورية. وإزالة الشكوك التي أثّرت بشأن المهدي (عج) والتصدي للغلاة.. فعملوا على تهئية أذهان الأمة وتوعيتها لمفهوم الغيبة الكبرى وتعويد الناس تدريجياً على الاحتجاب، بالإضافة إلى رعاية شؤون الأمة والتوسط بينها وبين الإمام..

الغيبة الكبرى: امتدت الغيبة الصغرى منذ وفاة الإمام العسكري (ع) سنة ٢٦٠هـ. حتى سنة ٣٢٩هـ. وبعد أن حققت الغيبة الصغرى أهدافها فحصّنت الشيعة من الانحراف وجعلتهم يتقبلون فكرة النيابة التي تحولت من أفراد منصوب عليهم إلى خط عام هو خط المرجعية... بدأت الغيبة الكبرى التي ستمتد حتى يأذن الله تعالى ١٩. موقع كربلاء لازالت كرب وبلاء، منتدى الوداد على الشبكة العنكبوتية.

الدولة الزيدية في طبرستان

أصول الزيدية العلوية

ترجع **الزيدية** إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهما (١٢٢.٨٠هـ/٧٤٠.٦٩٨ م)، قائد ثورة شيعة في العراق ضد الأمويين أيام هشام بن عبد الملك، فقد دفعه أهل الكوفة لهذا الخروج ثم ما لبثوا أن تخلوا عنه وخذلوه عندما علموا بأنه لا يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر ولا يلعنهما، بل يترضى عنهما، فاضطر لمقابلة جيش الأمويين وما معه سوى ٥٠٠ فارس حيث أصيب بسهم في جبهته أدى إلى وفاته عام ١٢٢هـ.

تنقل في البلاد الشامية والعراقية باحثاً عن العلم أولاً وعن حق أهل البيت في الإمامة ثانياً، فقد كان تقياً ورعاً عالماً فاضلاً مخلصاً شجاعاً وسيماً مهيباً ملماً بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. تلقى العلم والرواية عن أخيه الأكبر محمد الباقر الذي يعد أحد الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية. اتصل بواصل بن عطاء رأس المعتزلة وتدارس معه العلوم، فتأثر به وبأفكاره التي نقل بعضها إلى الفكر الزيدي، وإن كان هناك من ينكر وقوع هذا التلمذ، وهناك من يؤكد وقوع الاتصال دون التأثير.

يُعد الحسن الزيدي مؤسس **دولة للشيعة الزيدية** في التاريخ الإسلامي في منطقة طبرستان وجرجان في شمال غربي إقليم خراسان، والأمير الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وجده إسماعيل أخو السيدة نفيسة نزيلة القاهرة والمشهورة بين أهلها.

وُلد «الحسن» في مدينة «الري» ونشأ فيها وظل مقيماً فيها حتى **سنة ٢٥٠ هـ**، وهي السنة التي ظهر فيها الحسن «الزيدى» وكان سبب ظهوره، أن والي منطقة **طبرستان** قد أساء السيرة مع أهلها وتمادى في غيه معهم، فاعتدى على عشيرة الديلم وهم مسالمون لأهل طبرستان، فاتفق الديلم والطبريون على خلع طاعة هذا الوالي الظالم، واستدعاء رجل من آل البيت ليبياعوه ويولوه عليهم، وبالفعل تم استدعاء «الحسن الزيدى» من «الري» وبايعه الجميع وأطاعوه، وأخرجوا عمال الخليفة من منطقتهم.

خاض الحسن الزيدي معارك كثيرة ضد والي خراسان «محمد بن عبد الله ابن طاهر» لعدة سنين استطاع خلالها «الحسن» أن ينتصر على جيوش الخلافة، بل ويضم منطقة **جرجان** إليه، واستفحل أمره حتى أخذ أيضاً **«الري»** مسقط رأسه، وقد ساعده على القيام والبقاء انشغال الخلافة العباسية بالعديد من الفتن العاتية مثل فتنة **صاحب الزنج** وحالة الفوضى الداخلية حيث تعاقب العديد من الخلفاء على منصب الخلافة في حقبة وجيزة، والحصانة الطبيعية لطبرستان.

لم تكن دولة «الحسن الزيدى» دولة شيعة صرفة أو حتى تجبر السكان على التشيع كما فعلت دول أخرى مثل الدولة الصفوية الطائفية، بل كانت دولة تميل إلى التشيع وفقاً لمبادئ المذهب الزيدى الذي وضعه «زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب» وقد لقب «الحسن» باسم «الداعي» ذلك لأنه أخذ في نشر الإسلام في قبائل الديلم والأتراك. توفي الحسن الزيدى في ٧

شعبان ٢٧٠هـ. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، التدوة العالمية للشباب الإسلامي.



على مدى عشرين سنة من حكم **الحسن بن زيد** قامت قواته بمهاجمة مناطق **الري**، **زنجان**، **قزوین**، وفي عام الثورة نفسه بعث الحسن أحد العلويين ويدعى محمد بن جعفر إلى الري، ولكنه وقع في قبضة الطاهريين وفي سنة (٢٥١هـ) انتفض الحسن بن أحمد العلوي في قزوین، وتمكّن من طرد المسؤولين الحكوميين التابعين للطاهريين. كما ثار أخوه الحسين بن زيد في منطقة لارجان وقصران شمال الري (طهران حالياً) وأخذ البيعة لأخيه الحسن، يقول الطبري في أحداث سنة (٢٥٠هـ) «فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الري إلى حد همدان».

الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠ هـ / ٨٦٨-٩٠٣ م)

قضى **يعقوب بن الليث الصفار** على **الدولة الطاهرية**، وأقام دولته على أنقاضها، وقد لقب بهذا اللقب؛ لأنه كان في بداية أمره يحترف صناعة النحاس الأصفر بسجستان، ثم اشتهر بالفروسية، فتطوع لقتال الخوارج مع رجل صالح كان يظهر التطوع لقتال الخوارج في سجستان بجنوبي خراسان، فقاتل معه يعقوب، ثم مع من خلفه حين مات، فصار الأمر إليه، فراح **يحارب الخوارج** في **"سجستان"** معلناً ولاءه للخليفة المعتز، ومظهراً شجاعة خارقة في قتالهم حتى سيطر على سجستان، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصار يمد نفوذه على الأقاليم المجاورة حتى ملك **"هراة"**، وكانت تابعة للدولة الطاهرية.

وقد توجه **"الصفار"** إلى **"كرمان"**، وبسط نفوذه عليها، ثم توجه إلى **فارس** فأخذها بعد قتال عنيف مع غريمه **"علي بن الحسين"** الذي وقع أسيراً جريحاً في يده.

ولم يكتف بهذا، بل توجه إلى خراسان، وحاصر العاصمة **"نيسابور"** ودخلها سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م - خلافاً لما أمره به الخليفة - بحجة أن أهل خراسان طلبوه للضعف الذي يعانيه الطاهريون في عهد الخليفة العباسي **"المعتد"**، وقبض على جميع الطاهريين بها، واستولى على البلاد التي كان يحكمها الطاهريون. وتقدم **"الصفار"** في البلاد بعد أن هزم خصومه، وذهب إلى **"طبرستان"** فدخلها سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م، وهزم صاحبها **"الحسن بن زيد العلوي"** الذي عاد إليها مرة أخرى في العام نفسه ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م.

ويدرك الخليفة خطره، فقد اتجه إلى بغداد، ولم يبق في يد الخليفة إلا هي، بعد استيلائه على **"الأهواز"**، فأمر الخليفة أن يجهز جيشاً بقيادة أخيه الموفق لمواجهة **"يعقوب"**، وذلك في عام ٢٦٢ هـ / ٨٧٦ م، ويشاء الله أن تدور الدائرة على يعقوب فيهزم، ولكن **"المعتد"** يرى الاحتفاظ بولائه للخلافة، فمثله يمكن الاعتماد عليه في مواجهة الثورات والانتفاضات، فبعث إليه يستميله ويترضاها، ويقلده أعمال فارس وغيرها مما هو تحت يديه، ويصل رسول الخليفة إليه، وهو في مرض الموت، ولكن بعد أن كوّن دولة، وبسط سلطانه عليها.

ويظهر أخوه (عمرو) من بعده ولاءاً للخليفة، فيوليه الخليفة **خراسان**، و**فارس**، و**أصبهان**، و**سجستان**، و**السند**، و**كرمان**، و**الشرطة ببغداد**، وكان **"عمرو"** كأخيه ذا أطماع واسعة، فانتهاز فرصة تحسن العلاقة بينه وبين الخليفة وراح يتمم رسالة أخيه. لقد اتجه بنظره إلى إقليم ما وراء النهر الذي كان يحكمه السامانيون، ولكن قوتهم لا يستهان بها، فما العمل؟

كتب إلى الخليفة المعتضد ليساعده على تملك هذا الإقليم، ولكن على الباغي تدور الدوائر، وما طار طائر وارتفع إلا كما طار وقع، لقد هُزم عمرو بن الليث الصفار هزيمة ساحقة ماحقة، ووقع أسراً في أيدي السامانيين، وأرسل به إلى بغداد ليقتل عليه سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م. ولم تكد تمر ثماني سنوات حتى كان السامانيون قد قضوا نهائياً على الصفاريين واستولوا على أملاكهم، والأيام دول^(١).

أطلس تاريخ الدولة العباسية





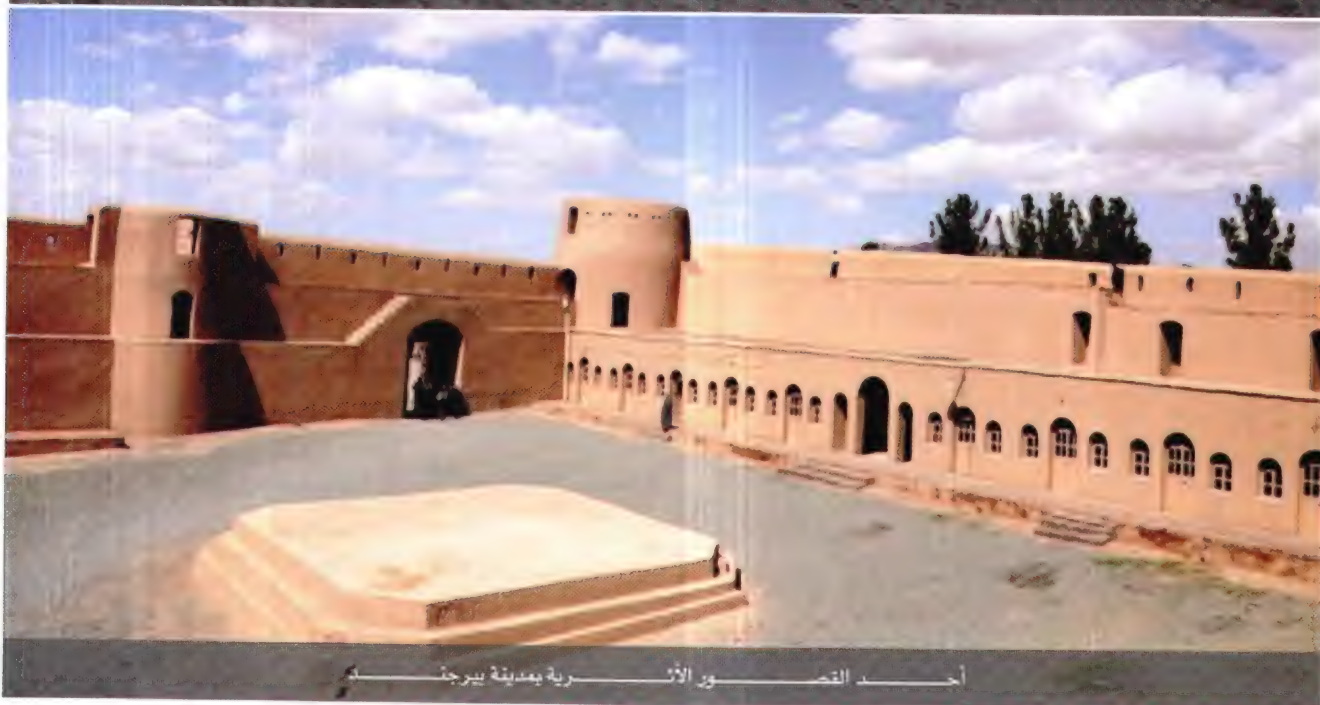
أحد الجوامع البُنية في مدينة زاه — دان بإقليم جستان الإي — راني



قلعة قديمة في إحدى راساتيق (قري) سجدستان



القلعة الأُلى — ربة بمدينة ف — رح الساجس — تانية



أحمد القم — ور الألى — ربة بمدينة بيجر

الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ / ٨٦٨-٩٠٥م)

أسرة تركية حكمت مصر والشام وانتسب إلى والد مؤسسها أحمد بن طولون الذي تقلد ولاية مصر سنة ٢٥٤هـ، نيابة عن بايكباك، الذي كان قد عينه الخليفة المعتمد بالله (٢٥١-٢٥٥هـ) واليا على مصر، ثم حصل أحمد على وثيقة رسمية سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م من الخليفة بتولية الشام والثغور، فتوحدت مصر والشام في عهده. كان للنزاع الذي حدث بين أحمد بن طولون والموفق أخي الخليفة المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ) والمفوض في إدارة الدولة أثره في موقف ابن طولون في الشام والثغور، وأثره في موقفه العسكري، فنارت ضده بعض المدن وحلت به الهزيمة في طرسوس.

توفي أحمد بن طولون سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م فخلفه ابنه خمارويه، وظلت أملاك الطولونيين في مصر والشام في عهد خمارويه، كما كانت في عهد أبيه، محط أطماع المتنافسين من القواد الأتراك، ومثار حسد الموفق، ولذلك فإن الموفق لم يجب خمارويه على كتابه الذي طلب فيه إقراره على سائر البلاد التي في يده. أدرك خمارويه أن ولايته لن تكون مستقرة وأن حكمه لن يكون شرعياً ما لم يحصل على اعتراف الخليفة، وأن أعداءه سوف يكيدون له مستغلين ذلك، وحدث ما كان يتوقعه، فقد أيدت الخلافة العباسية مطامع إسحاق بن كنداج أحد قادة الأتراك في أخذ الشام، ولكن إسحاق فشل في تحقيق مبتغاه، فاعترف الخليفة المعتمد على الله وأخوه الموفق سنة ٢٧٢/٨٨٦م بولاية خمارويه على مصر والشام والثغور لمدة ثلاثين سنة، على أن يحمل خمارويه إلى الخلافة مبلغ ٢٠٠ ألف دينار بعد أن يكون قد قام بجميع مصاريف المنطقة التابعة له وأرزاق أجنادها.

وفي سنة ٢٨١هـ/٨٩٤م تزوج الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ) (وهو ابن الموفق) من ابنة خمارويه قطر الندى، وكانت احتفالات الزواج رائعة استمر ذكرها^(١).

اضطربت أحوال الدولة الطولونية بعد موت خمارويه سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م، وتدخل الجند في الحكم واشتعلت الفتن والثورات، وكان ابنه جيش صبيّاً أرعن لم يتجاوز الرابعة عشر من العمر، إلا أنه كان أكبر أولاد خمارويه، وتولى طفج بن جف حاكم دمشق أخذ البيعة له من قواد الجيش، ولم يكن جيش بن خمارويه على مستوى المسؤولية التي حملها فلم يستطع أن يقوم بالمهمات التي يتطلبها مركزه كحاكم لمصر والشام، ومدافع عن الثغور الشامية، ولم تكن مشكلات الإمارة تنحصر في سوء سياسة جيش، بل إنه تسلم الحكم والخزانة فارغة، وزاد من مشكلات الإمارة تفكك الأسر الطولونية وتنافس أفرادها للوصول إلى كرسي الإمارة. وما لبثت بلاد الشام أن خرجت عن طاعة جيش وحكم طفج بن جف ما بيده من أعمال الشام دون أن يقدم الطاعة للأمير^(٢).

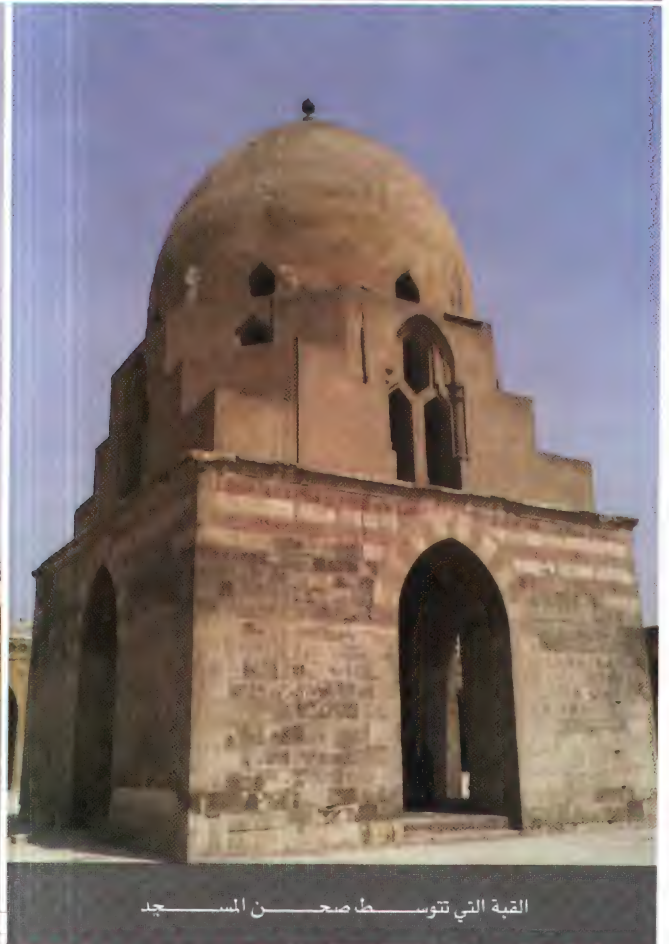


في سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م تولى الحكم أخوه هارون الذي كان أقل خبرة من أخيه، وزاد الأمر سوءاً عدم اعتراف الخليفة العباسي المعتضد بإمارته حتى سنة ٢٨٦هـ وفق شروط تتعلق بالثغور والأموال التي يجب أن يقدمها هارون للخلافة، إضافة إلى إرسال مولى تركي من قبل الخليفة للإشراف على هارون أمير مصر. وافق هارون على شروط الخلافة مقابل اعتراف الخليفة به أميراً للبلاد، وخاصة أنه وجد أن الثغور قد خرجت فعلاً من يده، وأن الخليفة المعتضد بدأ يتدخل مباشرة في أمورها بعد أن قدم وفد من أهالي طرسوس يناشدونه العناية بشؤونهم وضبط أمور ثغرهم وتعيين من يقودهم في الجهاد.

في ذلك الوقت كذلك نشطت حركة القرامطة في بلاد الشام، وأخفقت الجيوش الطولونية في القضاء عليهم، بل كثيراً ما انهزمت أمامهم انهزماً مخزياً، وتنبهت الخلافة العباسية إلى ضعف الطولونيين فصممت على استرداد مصر من أيديهم. وفي سنة ٢٩٢هـ أرسل الخليفة المكتفي بالله جيشاً إلى مصر بقيادة محمد بن سليمان الكاتب الذي دخل مدينة القطائع ودمرها ولم يستبق منها سوى الجامع، وبذلك عادت مصر والشام إلى حكم العباسيين بعد أن تمتعا باستقلال ذاتي مدة تقرب من أربعين سنة^(١).

حصن ابن طولون ولاية مصر وأعد الجيش وسلّحه وأنشأ السفن الحربية، وضرب دنانير خاصة، واهتم الطولونيون بالعمارة إلى درجة كبيرة، وبذل أمراًؤهم الأموال الطائلة على المباني الفخمة والمتنزهات، ومن جملة ذلك بناء أحمد بن طولون مدينة القطائع قرب الفسطاط، كما بنى فيها المسجد المعروف باسمه حتى اليوم الذي ضم مئذنة على نمط المئذنة الملوية في جامع سامراء، وبنى البيمارستان وألحق به صيدلية. تابع خمارويه اهتمامه بمدينة القطائع، ومع أن هذه المدينة ضاعت معالمها، فإن المراجع التاريخية تعطي صورة واضحة لهذه المدينة الجميلة، فيروي المقرئ في خطه وأبو المحاسن في النجوم الزاهرة أن خمارويه حوّل الميدان الذي كان أمام القصر لعرض الجند إلى بستان جميل تأنق في تنسيقه فغرس فيه الرياحين والزهور، كذلك جعل جزءاً من البستان حديقة للحيوانات والطيور المختلفة وخصص لها ضياعاً لزراعة غذائها، وبنى خمارويه في البستان بركة مربعة الشكل طول كل ضلع من أضلاعها خمسون ذراعاً، وملاها بالزئبق، ثم وضع فوقها حشية (مرتبة) من الجلد تنفخ بالهواء ثم تشد بسيور من الحرير إلى أعمدة من الفضة في أركانها الأربعة، فكان الفراش يتحرك عليها بحركة الزئبق فيجلب لخمارويه نوماً هادئاً لأنه كان يعاني الأرق^(٢).





ثورة الزنج سنة (٢٥٥-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م)

أصل الزنج

كانت البصرة أهم المدن في جنوب العراق وكان مشحوناً بالرقيق والعمال الفقراء الذين يعملون في مجاري المياه ومصابها ويقومون بكسح السبخ والأملح، وذلك تنقية للأرض وتطهير لها، كي تصبح صالحة للزراعة وكانوا ينهضون بعملهم الشاق هذا في ظروف عمل قاسية وغير إنسانية للغاية تحت إشراف وكلاء غلاظ قساة ولحساب ملاك الأرض من أشرف العرب ودهاقنة الفرس في العراق، أما العبيد فكانوا مجلوبين من إفريقيا السوداء زنوجاً وأحباشاً ونوبيين وقرمطيين إضافة إلى فقراء العرب العراقيين الذين كان يطلق عليهم في ذلك الوقت تسمية الفراتيين، فهم لا يتقاضون أجراً عن عملهم، ويقتاتون قليلاً من الدقيق والتمر والسويق، ولذلك فإنهم كانوا مستعدين لتلبية نداء دعاة التحرر الاجتماعي.

تعددت دوافع الاستجابة لثورة الزنج ما بين سياسية، واقتصادية واجتماعية:

الدوافع السياسية:

بسبب تردي أوضاع الخلافة، نتيجة تصاعد نفوذ الأتراك إلى جانب صراع خفي بين المترفين والعبيد وجد متنفساً له في دعوة علي بن محمد.

الدوافع الاقتصادية:

نتيجة الأوضاع المالية المتدهورة وظاهرة التكوين الطبقي داخل المجتمع الإسلامي من طبقة ثرية إلى طبقة تجار والطبقة العامة العاملة.. واتسعت الهوة مع مرور الزمن بين هؤلاء وبين الطبقة الإقطاعية، وبلغ التناقض الاجتماعي مداً، مما كان دافعاً للاستجابة لنداء الثورة الذي أطلقه علي بن محمد.

الدوافع الاجتماعية:

بفعل نمط حياة فئات العبيد التي كانت تعيش في ظروف قاسية وسيئة من خلال عملها في تجفيف المستنقعات وإزالة السبخ عن الأراضي، ثم نقل الملح إلى حيث يعرض وبيع، لقاء وجبة طعام، فأرادت هذه الفئات التخلص من هذا العمل الشاق ومن ضنك العيش.

وقد سيطر علي بن محمد خلال عشرة أعوام (٢٥٥-٢٦٥هـ) على رقعة واسعة تمتد بين الأهواز وواسط، وهدد بغداد، عندئذ عهد الخليفة المعتمد إلى أخيه أبي أحمد الموفق طلحة بمحاربته؛ فاصطدم بمجموع الزنج وقتل علي بن محمد، واستسلم من بقي من أتباعه ومات العديد. وياخمد الثورة، أسدل الستار على هذه الحركة التي قضت مضاجع الخلافة لعباسية، وكلفتها الكثير من الجهد والأموال والأرواح والتي دامت أكثر من أربعة عشر عاماً (٢٥٥-٢٧٠هـ).

ثورة الزنج سنة (٢٥٥-٢٧٠هـ/ ٨٦٨-٨٨٣م)

بعد انتصار العباسيين على ثورة الزنج أقام الموفق بعد ذلك بالموقية ليزداد الناس بمقامه أمناً وإيناساً، وأمر أن يكتب إلى أمصار الإسلام بالنداء في أهل البصرة والأنبلة وكور دجلة وأهل الأهواز وكورها وأهل واسط وما حولها أن يعودوا إلى أوطانهم، وأرسل ابنه أبا العباس إلى مدينة السلام (بغداد) ومعه رأس صاحب الزنج ليراه الناس.



أثارت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة لهؤلاء الزنوج اهتمام أحد المغامرين، وهو **علي بن محمد الذي زعم أن نسبه ينتهي لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه**، وادّعى ادعاءات أخرى ليثبت مركزه ويزيد عدد أنصاره، فهو فضلاً عن ادعائه النسب العلوي، نادى بالمبادئ الديمقراطية التي يتطلع إليها العديد من أفراد الطبقة الدنيا، كما ادعى علم الغيب وزعم أن له آيات عرّف بها ما في ضمائر أصحابه، وتمكّن بفضل ذلك كله من أن يضم إليه هؤلاء الزنوج إضافة إلى العبيد الفارين من القرى والمدن المجاورة تخلصاً من سوء حالهم.

أما فيما يتعلق بأصله الحقيقي فإن الطبري يورد أن اسمه هو علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد القيس، وأمه ابنة علي بن رحيب من بني أسد بن خزيمه من ساكني قرية من قرى الري يقال لها ورزّين كان بها مولده ومنشؤه.

بدأ طموح **علي بن محمد** الذي عرف **بصاحب الزنج** بالظهور منذ سنة ٢٤٩هـ عندما أقام في البحرين، وأخذ يبشر بمذهبه حتى كثر أتباعه وعظم مقامه، ولكنه اضطر إلى مغادرة البحرين إثر فتنة وقعت بينه وبين المناوئين له، فنزل البصرة سنة ٢٥٤هـ، ونزل في بني ضُبَيْعَة فاتبعه جماعة كثيرة، منهم علي بن أبان المهلبّي الذي صار من كبار قاداته، إلا أن قوة والي البصرة محمد بن رجاء الحضاري أجبرته على ترك البصرة فالتجأ إلى بغداد ليعود بعد سنة إلى البصرة إثر عزل واليها ابن رجاء.

أخذ صاحب الزنج يُعرض الزنوج على هجر أسيادهم والانضمام إليه واعداء إياهم بتحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، ولمع نجمه منذ أن استطاع استمالة بعض غلمان البصرة الذين أقبلوا عليه لمبادئه في تحرير العبيد وتحسين أوضاع الفقراء، وقد وعدهم بأن يجعلهم قواداً ويرئسهم ويملكهم الأموال وحلف لهم الأيمان المغلظة ألا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئاً من الإحسان إلا أتى إليهم، وقد نفذ وعده حين سمح لهؤلاء بضرب ساداتهم الذين جاؤوا لمفاوضة صاحب الزنج لردّهم مقابل خمسة دنانير عن كل منهم.

كانت حركة صاحب الزنج في بادئ الأمر حركة ضد كبار الملاكين، ثم تطورت فصارت حركة مناهضة للدولة «لأن الخلفاء والولاة ظالمون ينتهكون حرمة الله»، فسمح صاحب الزنج لرجاله بسلب السلاح والأموال لاستخدامها في قتال أعدائهم وأن من يأسر رجلاً يغدو هذا الرجل عبداً له، وبذلك تحولت جموع هؤلاء إلى قوى مسلحة واستطاعوا أن ينتصروا على جيوش الخلافة فتملكوا الأبلّة وعبادان والأهواز سنة ٢٥٦هـ، واستولوا سنة ٢٥٧هـ على البصرة وقتلوا الكثير من أهلها، وأحرقت البصرة في عدة مواضع وعظم الخطب وعمها القتل والنهب والإحراق، ثم اجتاحت جموع صاحب الزنج واسط ورامهرمز وأصابوا مالا كثيراً، وصار هؤلاء الزنوج يملكون السادة من البيض. سير الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ/ ٨٧٠-٨٩٢ م) الكثير من مشهوري قواده من أمثال موسى بن بغا الذي قتل عدداً كبيراً منهم، غير أن هذه الانتصارات التي حققها بعض القواد لم تفل شوكتهم بل ظل خطرهم يتزايد وانتصاراتهم على جيوش الخلافة تتوالى حتى أمسك زمام المبادرة أبو أحمد الموفق أخو الخليفة المعتمد الذي انتقلت إليه السلطة الحقيقية في الإدارة والجيش، ولم يكد الموفق يفرغ من معالجة مشكلة الصفارين الذين ثاروا في سجستان حتى عمد إلى تعبئة الجيوش وإعدادها للقضاء على ثورة الزنج، وخرج من بغداد إلى واسط سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨١م، ونجح في إجلاء الزنج عن الأهواز وأحرز عدة انتصارات إلا أنها لم تكن حاسمة، لأن الثوار كانوا متحصنين في مناطق صعبة المسالك، فعزم الموفق على أن يحاصر «المختارة» مدينتهم، وبني إزاءها مدينة سماها «الموفقية» وأمر ابنه أبا العباس أحمد (المعتضد بالله) بقطع الميرة عن مدينة صاحب الزنج فاستولى الجزع عليهم وطلب جماعة من وجوه أصحابه الأمان، فأمنهم الموفق وخلع عليهم ووصلهم بصلات كثيرة،

وكان ذلك كما يقول ابن الأثير: من أنجح المكاييد لأن هذا شجع آخرين على الانضمام إلى الموفق، وفي أواخر ذي الحجة ٢٦٧هـ، أجمع الموفق على العبور إلى «**المختارة**» مدينتهم بجيوشه أجمع وأمر الناس بالتأهب، وجمع المعابر والسفن وفرّقها عليهم. وقصد الموفق إلى ركن من أركان المدينة وهو أحصن ما فيها، وعليه من المجانيق والآلات للقتال ما لا حدّ له، فأمر الموفق غلمانه بالدنو من ذلك الركن، فتسلقوا السور بسلاسل كانت معهم، ونصبوا على الركن علماً من أعلام الموفق **فانهزم الزنج** وتخلوا عن الركن بعد قتال شديد، وكان أبو العباس قصد ناحية أخرى فتوجه علي بن أبان لمقاتلته فهزمه أبو العباس، وقتل جمعاً كثيراً من أصحابه، ولما حلّ الظلام أمر الموفق الناس بالرجوع، وهبّ ريح عاصفة وقوي الجزر ففاصل أكثر السفن في الطين، فهاجمهم الزنج وقتلوا منهم جماعة وأسروا جماعة وهذا ما أضعف أصحاب الموفق، ثم أقام الموفق لا يحارب ليريح أصحابه حتى شهر ربيع الآخر سنة ٢٦٨هـ، ثم قصد الموفق مدينة الزنج المختارة وفرّق قواده على جهاتها، وجعل مع كل طائفة منهم جماعة من النّقابين وأخرى لهدم السور، وأمرهم أن يهدموا السور فقط ولا يدخلوا المدينة. وفي تلك السنة عينها أوقع أبو العباس أحمد بن الموفق بقوم من الأعراب كانوا يحملون الميرة إلى عسكر صاحب الزنج وأرسل إلى البصرة من أقام بها لقطع الميرة، وسيرّ رشيقاً مولى أبي العباس فأوقع بقوم من بني تميم كانوا يجلبون الميرة إلى الزنج، وبذلك انقطعت الميرة كلها عنهم فأضر بهم الحصار وأضعف أبدانهم فكثّر المستأمنون عند الموفق، فكان يعرضهم، فمن كان ذا قوة وجلد أحسن إليه وخلطه بغلمانه، ومن كان ضعيفاً أو شيخاً أو جريحاً كساه وأعطاه دراهم وأمر به أن يحمل إلى معسكر صاحب الزنج فيلقى هناك لكي يذكر ما رأى من إحسان الموفق إلى من صار إليه، فتهيأ له بذلك استمالة الزنج، وجعل الموفق وابنه العباس يتناوبان قتال صاحب الزنج، حتى كان الثالث من محرّم سنة ٢٧٠هـ، حين انضم لؤلؤ غلام ابن طولون إلى الموفق في جيش عظيم فأكرمه الموفق وخلع عليه وعلى أصحابه، وطلب من لؤلؤ أن يتأهب لقتال صاحب الزنج، وأقام الموفق حتى الأول من صفر يصلح ما يحتاج الناس إليه وفي الثاني من صفر عبر بالناس وأمر برد السفن وسار بهم إلى المكان الذي قدر أن يلقاهم فيه، فوجد الموفق المتسرعين من فرسان غلمانه والرجالة قد سبقوا الجيش **وأوقعوا بصاحب الزنج وأصحابه وقعة هزموهم بها**، وتفرقوا لا يلوي بعضهم على بعض، وتبعهم أصحاب الموفق يقتلون ويأسرون من لحقوا به منهم، **وقُتل صاحب الزنج في ذلك اليوم**، وأتى غلام من أصحاب لؤلؤ برأسه فعرضه الموفق على جماعة ممن كان بحضرته من قواد المستأمنة فعرّفوه، فخرّ لله ساجداً وسجد أبو العباس وسجد معه قواد موالي الموفق وغلمانه شكراً لله، وأمر الموفق برفع رأس صاحب الزنج على قناة ونصبه بين يديه لكي يراه الناس ويعرفوا صحة الخبر بقتله. نجدة خماش، الموسوعة العربية، دار

الدولة السامانية ٢٦١-٣٨٩هـ / ٨٧٤-٩٩٩م

ينتسب **السامانيون** إلى جد الأسرة سامان خداه - كما ذكر بعض المؤرخين - من أحفاد بهرام ابن جوبين البطل الساساني، ويصل نسبهم عند مؤرخين آخرين إلى كيومرث أول ملوك العجم، ولقب « خداه » الذي أطلق على سامان بن ميا، كان يطلق على أمراء بخارى ودهاقنتها.

اعتنق سامان خداه الإسلام على يد الوالي الأموي أسد بن عبد الله القسري في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥.١٢٥هـ) وحظي بحماية هذا الوالي فسمي ابنه أسداً اعترافاً بفضل حاميه ومحبته له، وظهر أولاد أسد بن سامان في عهد الخليفة العباسي المأمون (١٩٨.٢١٨هـ) فولي نوح بن أسد سمرقند سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م وأحمد بن أسد فرغانة، ويحيى بن أسد الشاش وأشروسنة، والياس بن أسد هراة ولما ولي المأمون طاهر بن الحسين خراسان أقرهم في هذه الأعمال.

كان لأحمد بن أسد سبعة أولاد، اشتهر منهم إسماعيل ونصر الذي تولى حكم سمرقند وما يليها من قبل الطاهريين، ثم ولاه **الخليفة المعتمد** بلاد ما وراء النهر سنة ٢٦١هـ فولى أخاه إسماعيل على بخارى، ولكن النزاع لم يلبث أن وقع بين الأخوين بسبب إثارة خصومهما العداوة والبغضاء بينهما، فقامت الحرب بينهما سنة ٢٧٥هـ وظفر إسماعيل بأخيه نصر فلما حمل إليه عامل معاملة كريمة وأعادته والياً على سمرقند. توفي نصر سنة ٢٧٩هـ فالت زعامة السامانيين إلى أخيه إسماعيل الذي يعد المؤسس الفعلي للدولة السامانية، وقد اعترف الخليفة المعتضد بإسماعيل سنة ٢٨٧هـ / ٩٠٠م حاكماً شرعياً في بلاد ما وراء النهر وخراسان بعد انتصاره على عمرو بن الليث الصفاري (ت ٢٨٩هـ). وغدا السامانيون قوة كبيرة تحكم أراضي شاسعة امتدت من جهة إلى **ممتلكات البويهيين في العراق، ومن الجهة الأخرى إلى أطراف أفغانستان المتصلة بحدود الهند.**

كانت علاقة السامانيين بالخلافة العباسية علاقة مميزة، فقد اعتمد العباسيون على أمراء البيت الساماني في إقرار سلطانها في بلاد المشرق، وعلى ذلك قام السامانيون بحملات مستمرة لتأمين وصول القوافل التجارية، وحماية الأراضي الإسلامية من غزوات الأتراك.

في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بدأت علامات الضعف والتدهور تظهر على الدولة السامانية، وظهر هذا في عدد من الثورات التي قادها بعض القادة العسكريين الذين أصبحت غالبيتهم من الأتراك، وتفاقمت الأوضاع بين السامانيين والبويهيين لاختلاف في العقائد والمطامح التوسعية، وكان لاعتلاء عدد من الأمراء العرش بعد إسماعيل، والذين كانوا دونه في المقدرة ومستوى الأحداث أن نجح الغزنويون والقراخانيون في الإجهاز على الدولة السامانية ووراثتها^(١).



كان **للدولة السامانية** دور حضاري بما حققته من تقدم في مجال العلم والأدب والعمارة، وقد تجمع في مدينة **بخارى** الدولة السامانية كبراء الدولة والعلماء والتجار وأرباب الصناعات. ويشار إلى أن اللغة الفارسية التي كاد استخدامها يتلاشى بسبب سيطرة اللغة العربية، ظلت مستخدمة على نطاق شعبي في المناطق الشرقية من الخلافة العباسية، وأخذت تعود للاستخدام الثقافي منذ مطلع القرن الرابع الهجري، متخذة الحرف العربي مادة كتابتها.



من العصر العباسي

دينار ساماني

ضرب السامانيون عملاتهم من معدني الذهب والفضة، وتعكس كتاباتها ونقوشها حقيقة الأوضاع السياسية للأمراء الذين ظهرت أسماؤهم على العملات إلى جانب أسماء الخلفاء العباسيين من أمثال المقتدر بالله، والقاهر بالله، بالإضافة إلى اسم المعتمد على الله^(١).

فعلى وجه الدنانير نجد كتابة مركزية تتوج بلفظ الجلالة "الله"، ثم اسم الرسول صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله واسم الخليفة العباسي، وأخيراً اسم الوالي الساماني نصر بن أحمد أو إسماعيل بن نصر، وفي هامش الوجه الاقتباس القرآني محمد رسول الله «أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون».

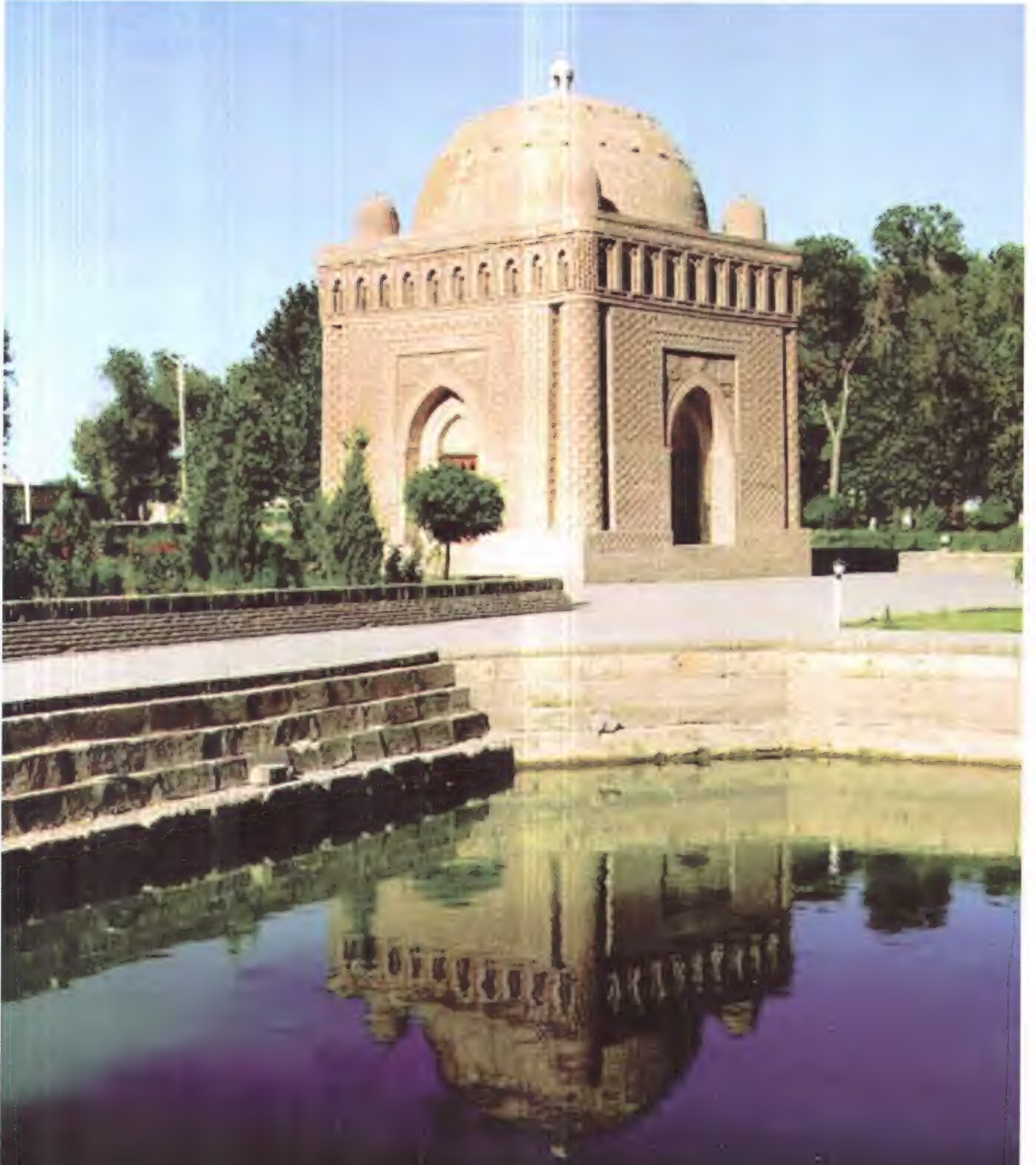
أما الظهر فكانت تسجل في مركزه ثلاثة أسطر متوازية "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، بينما تتوزع كتابات الهامش بين هامش داخلي يحتوي الاقتباس القرآني الذي طرأ على النقود العباسية منذ استيلاء المأمون على الخلافة «لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله»، وهامش خارجي يحتوي عبارة السك التي حملت إشارات إلى دور السك المختلفة التي ضرب بها السامانيون دنانيرهم ودراهمهم مثل بخارى، وسمرقند، ونيسابور، ومرو.

وتميزت نقوش الدنانير السامانية بثبات واضح لالتزامها الشديد بالطراز العام للدنانير العباسية، ولا يكاد يفرق بينها وبين مثيلاتها المضروبة في مدن الخلافة المختلفة سوى أسماء الحكام السامانيين التي كانت تنقش أسفل أسماء الخلفاء على مركز الوجه، وأيضاً الإشارة إلى اسم دار الضرب الواقعة في خراسان، أو بلاد ما وراء النهر.

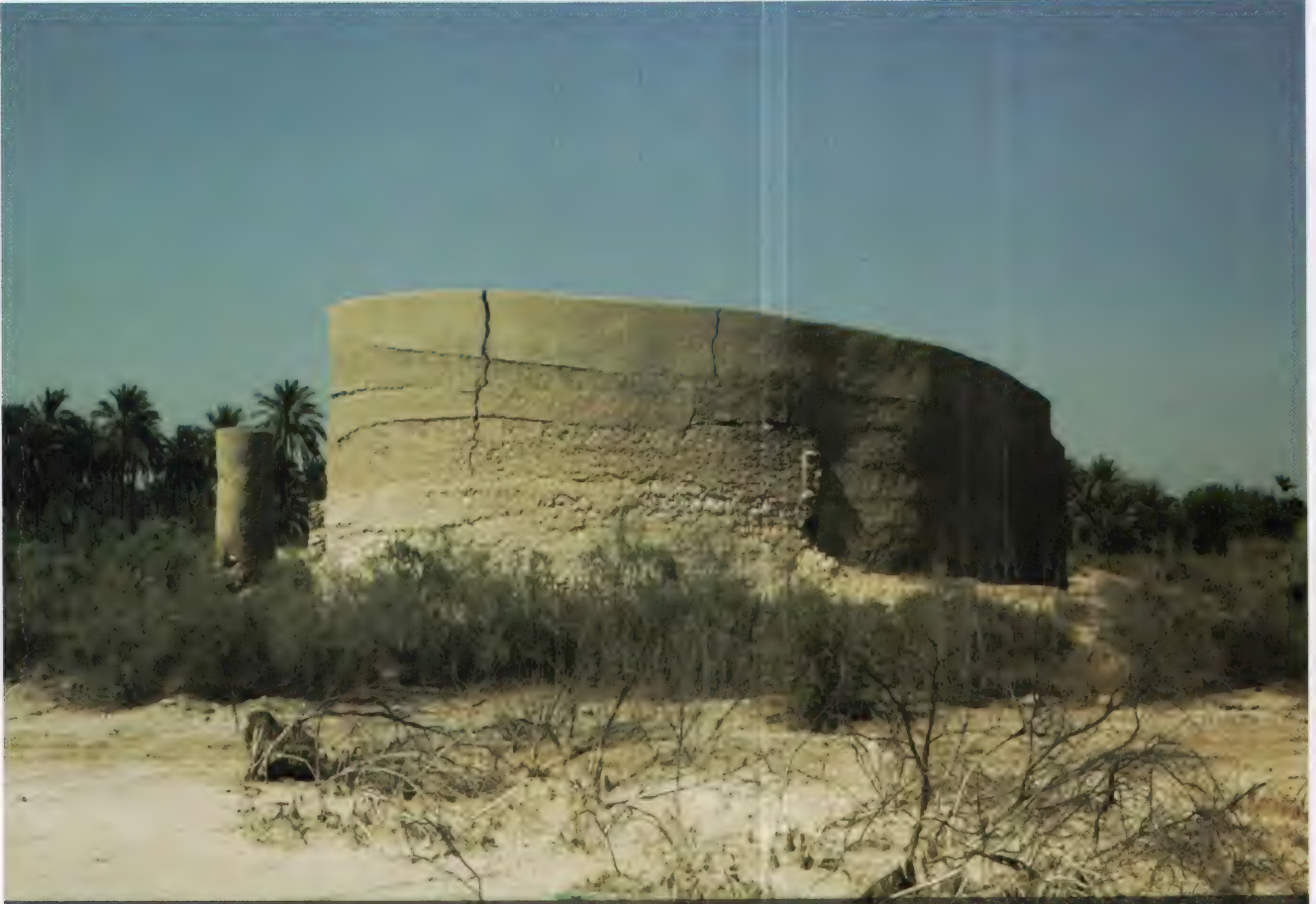
ولا توجد استثناءات من هذه القاعدة سوى دينار ضرب سنة ٣٠٦هـ بمدينة نيسابور في ولاية إسماعيل ابن أحمد حيث نقش أسفل عبارة التوحيد بمركز الظهر "لا إله إلا الله وحده / لا شريك له" اسم أحمد بن سهيل في ذات المكان الذي كان يخصص في الدنانير العباسية لاسم ولي العهد^(٢).

١ - د. أحمد الصاوي، جريدة الاتحاد الإماراتية، الأربعاء ١٠ أكتوبر سنة ٢٠٠٧ م.

٢ - د. أحمد الصاوي، المصدر نفسه.



قُبة السامانيين، التي شيدها السلطان "إسماعيل الساماني" سنة (٨٩٢ م)، والمبنى عبارة عن مربع تعلوه قبة ترتكز على رقبة تبدأ بثمانية أضلاع وتنتهي بستة عشر ضلعاً في أركانها أربع قباب صغيرة.



عين ماء الكعبية (تصغير للكعبة المشرفة) التي نقل إليها القرامطة الحجر الأسود وتقع بمحافظة القطيف في شرقي المملكة العربية السعودية

الأفكار والمعتقدات لدى القرامطة:

- حينما قام القرامطة بحركتهم أظهروا بعض الأفكار والآراء التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، فقد نادوا بأنهم يقاتلون من أجل آل البيت، وإن لم يكن آل البيت قد سلموا من سيوفهم.
- ثم أسسوا دولة شيعوية تقوم على شيوع الثروات وعدم احترام الملكية الشخصية.
- يجعلون الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن إخوانه، وأشاعوا أن ذلك يعمل زيادة الألفة والمحبة (وهذا ما كان عليه المزدكيون الفارسيون من قبل).
- إلغاء أحكام الإسلام الأساسية كالصوم والصلاة وسائر الفرائض الأخرى.
- استخدام العنف ذريعة لتحقيق الأهداف.
- يعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب وأن الجنة هي النعيم في الدنيا، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد .

- ينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين والبدو الجفاة وضعفاء النفوس وبين الذين يميلون إلى عاجل اللذات، وأصبح القرامطة بذلك مجتمع ملاحدة وسفاكين يستحلون النفوس والأموال والأعراض.
- يقولون بالعصمة، وإنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر ويساوي النبي في العصمة، ومن تأويلاتهم:
- الصيام: الإمساك عن كشف السر.
- البعث: الاهتداء إلى مذهبهم.
- النبي: عبارة عن شخص فاضت عليه من الإله الأول قوة قدسية صافية.
- القرآن: هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه ومركب من جهته وسمي كلام الله مجازاً.
- يفرضون الضرائب على أتباعهم إلى حد يكاد يستغرق الدخل الفردي لكل منهم.
- يقولون بوجود إلهين قديمين: أحدهما علة لوجود الثاني، وأن السابق خلق العالم بواسطة اللاحق لا بنفسه، الأول تام والثاني ناقص، والأول لا يوصف بوجود ولا عدم، فلا هو موصوف ولا غير موصوف.
- يدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي بن أبي طالب وقتلهم الحسين.
- يقولون بالرجعة وأن علياً يعلم الغيب، فإذا تمكنوا من الشخص أطلعوه على حقيقتهم في إسقاط التكاليف الشرعية وهدم الدين.
- يعتقدون بأن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلا ضلالاً.
- يدعون إلى مذهبهم اليهود والصابئة والنصارى والمجوسية والفلاسفة وأصحاب المجون والملاحدة والدهريين، ويدخلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه.

الانتشار ومواقع النفوذ:

دامت هذه الحركة قرابة قرن من الزمان، وقد بدأت من جنوبي فارس، وانتقلت إلى سواد الكوفة والبصرة، وامتدت إلى الأحساء وأوال (البحرين الحالية) واليمن وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان. وقد دخلوا مكة واستباحوها واحتلوا دمشق ووصلوا إلى حمص والسلمية. وقد مضت جيوشهم إلى مصر وعسكرت في عين شمس قرب القاهرة، ثم انحسر سلطانهم وزالت دولتهم وسقط آخر معاقلمهم في الأحساء والبحرين^(١).



الحكام العبيديون :

- المنصور بالله (أبو طاهر إسماعيل) ٣٣٤ - ٣٤١ هـ.
- المعز لدين الله (أبو تميم معد) : وفي عهده غزا مصر سنة ٣٦١ هـ وانتقل إليها المعز في رمضان سنة ٣٦٢ هـ.
- العزيز بالله (أبو منصور نزار) - ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ.
- الحاكم بأمر الله (أبو علي المنصور) - ٣٨٦ - ٤١١ هـ.
- الظاهر (أبو الحسن علي) - ٤١١ - ٤٢٧ هـ.
- المستنصر بالله (أبو تميم) وتوفي سنة ٤٨٧ هـ.
- وبوفاته انقسمت الإسماعيلية العبيدية إلى **نزارية شرقية**، و**مستعلية غربية**، والسبب في هذا الانقسام أن الإمام المستنصر قد نص على أن يليه ابنه نزار لأنه الابن الأكبر. لكن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي نَحَى نزاراً وأعلن إمامة المستعلي وهو الابن الأصغر، كما أنه في الوقت نفسه ابن أخت الوزير. وقام بإلقاء القبض على نزار ووضعه في سجن وسدَّ عليه الجدران حتى مات.
- استمرت الإسماعيلية العبيدية المستعلية تحكم مصر والحجاز واليمن بمساعدة الصليحيين والأئمة

هم :

- المستعلي (أبو القاسم أحمد) - ٤٨٧ - ٤٩٥ هـ.
- الأمر (أبو علي المنصور) - ٤٩٥ - ٥٢٥ هـ.
- الظافر (أبو المنصور إسماعيل) - ٥٤٤ - ٥٤٩ هـ.
- الفائز (أبو القاسم عيسى) - ٥٤٩ - ٥٥٥ هـ.
- العاضد (أبو محمد عبد الله) - من ٥٥٥ هـ حتى زوال دولتهم على يدي صلاح الدين الأيوبي.

الإسماعيلية الحشاشون :

- وهم إسماعيلية نزارية انتشروا بالشام، وبلاد فارس والشرق، ومن أبرز شخصياتهم :
- الحسن بن الصباح : وهو فارسي الأصل وكان يدين بالولاء للإمام المستنصر قام بالدعوة في بلاد فارس للإمام المستور، ثم استولى على قلعة **الموت** وأسس الدولة الإسماعيلية النزارية الشرقية. وهم الذين عرفوا بالحشاشين لإفراطهم في تدخين الحشيش، وقد أرسل بعض رجاله إلى مصر لقتل **الإمام الأمر بن المستعلي**، فقتلوه مع ولديه . توفي الحسن بن الصباح عام ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م.
- كيا بزرگ أميد توفي سنة ١١٣٥ م.
- محمد بن كيا بزرگ أميد توفي سنة ١١٦٢ م.
- الحسن الثاني بن محمد توفي سنة ١١٦٦ م.
- محمد الثاني بن الحسن توفي سنة ١٢١٠ م.

- الحسن الثالث بن محمد الثاني توفي سنة ١٢٢١م.
- محمد الثالث بن الحسن الثالث توفي سنة ١٢٥٥م.
- ركن الدين خورشاه: من سنة ١٢٥٥م إلى أن انتهت دولتهم وسقطت قلاعهم أمام جيش هولاكو المغولي الذي قتل ركن الدين ففترقوا في البلاد وما يزال لهم أتباع إلى الآن.

إسماعيلية الشام:

- وهم **إسماعيلية نزارية**، لقد أبقوا خلال هذه الأحقاب الطويلة على عقيدتهم يجاهرون بها في قلاعهم وحصونهم غير أنهم ظلوا طائفة دينية ليست لهم دولة بالرغم من الدور الخطير الذي قاموا به، ولا يزالون إلى الآن في منطقة **سلمية** بالذات وفي مناطق **القدموس ومصيف وبانياس والخابي والكهف**. ومن شخصياتهم (راشد الدين سنان) الملقب بشيخ الجبل، وهو يشبه في تصرفاته الحسن بن الصباح، ولقد كون **مذهب السنانية** الذي يعتقد أتباعه بالتناسخ فضلاً عن عقائد الإسماعيلية الأخرى.

الإسماعيلية البهرة:

- وهم **إسماعيلية مستعلية**، يعترفون بالإمام المستعلي ومن بعده الأمر ثم ابنه **الطيب**، ولذا يسمون **بالطيبية**، وهم **إسماعيلية الهند واليمن**، تركوا السياسة وعملوا بالتجارة فوصلوا إلى الهند، واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعرفوا بالبهرة، والبهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر. الإمام الطيب دخل الستر سنة ٥٢٥هـ والأئمة المستورون من نسله إلى الآن لا يعرف عنهم شيء، حتى إن أسماءهم غير معروفة، وعلماء البهرة أنفسهم لا يعرفونهم.

• انقسمت البهرة إلى فرقتين:

- **البهرة الداودية**: نسبة إلى قطب شاه داود: وينتشرون في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري وداعيتهم يقيم في بومباي.
- **البهرة السليمانية**: نسبة إلى سليمان بن حسن وهؤلاء مركزهم في اليمن حتى اليوم.

الإسماعيلية الأغاخانية:

- ظهرت هذه الفرقة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، وترجع عقيدتهم إلى الإسماعيلية النزارية، ومن شخصياتهم: حسن علي شاه: وهو الأغاخان الأول: الذي استعمله الإنجليز لقيادة ثورة تكون ذريعة لتدخلهم فدعا إلى الإسماعيلية النزارية، ونفي إلى أفغانستان ومنها إلى بومباي، وقد خلع عليه الإنجليز لقب أغاخان، مات سنة ١٨٨١م.
- أغا علي شاه وهو الأغاخان الثاني: ١٨٨١م - ١٨٨٥م.



الباب الرابع



العصر العباسي الثاني

٣٣٤-٤٤٧ هـ / ٩٤٦-١٠٥٦ م

ثانياً: عصر النفوذ البويهى الفارسي

الدول المغاربية عند مجيء العبيديين

أوروبا



أسس عبيد الله المهدي أول دولة إسماعيلية عبيدية بإفريقية (تونس) واستولى على رقادة سنة ٢٩٧ هـ، ثم انتقل إلى **المهديّة** وتتابع بعده العبيديون وهم: المنصور بالله (أبو طاهر إسماعيل) ٢٣٤ - ٣٤١ هـ. المعز لدين الله (أبو تميم معد): وفي عهده غزو مصر سنة ٣٦١ هـ وانتقل إليها المعز في رمضان سنة ٣٦٢ هـ. العزيز بالله (أبو منصور نزار) ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ. الحاكم بأمر الله (أبو علي المنصور) ٣٨٦ - ٤١١ هـ. الظاهر (أبو الحسن علي) ٤١١ - ٤٢٧ هـ. المستنصر بالله (أبو تميم) وتوفي سنة ٤٨٧ هـ.



كان محمد بن إسماعيل بن جعفر يعتمد في نشر دعوته على ميمون القداح الذي يقول عنه الإسماعيلية إنه من نسل سلمان الفارسي؛ لكن الحقيقة أن جده كان يهودياً، وبوفاة محمد تولى ابنه الإمامة (عبد الله الرضي) الذي أمعن في التخفي في **سلمية** بسوريا واتخذ من عبد الله بن ميمون القداح داعية له، حيث انتشرت الدعوة في اليمن وبعض مناطق الجزيرة العربية، وتوالت الزعامة المنتسرة إلى الحفيد عبيد الله بن الإمام الحسين بن أحمد في سلمية، الذي قدم عليه وفد من كتامة المغربية يدعو لزيارتها فاستجاب لهم بذلك.



٢ وصول عبيد الله المهدي قادماً من الفسطاط إلى طرابلس، ثم قام فبعث رسلاً إلى داعيته أبي عبد الله الشيعي يخبره بوصوله إليه؛ لكن أمير الأغالبة قبض على أحد هؤلاء الرسل في القيروان ليتعرف على مكان عبيد الله، لكن عبيد الله استطاع بفضل الأموال التي أعطاهها لعامل طرابلس أن يهرب مع أتباعه إلى سجلماسة.

٣ ظل عبيد الله المهدي يغدق الأموال على والي سجلماسة اليسع بن مدرار؛ لكن الأمور تبدلت بعد انتصار أبي عبد الله الشيعي الصنعاني على الأغالبة سنة ٢٩٦ هـ، فتم إيداع المهدي السجن فيما أخذت حركة أبي عبد الله الشيعي في التوسع في الأراضي المغاربية، بل استطاع أن يمد نفوذه إلى سجلماسة، ويقوم بتخليص عبيد الله المهدي من سجنه، ومن ثم أخذ البيعة له.

٤ رحل عبيد الله المهدي من سجلماسة إلى إفريقية (تونس) في حقل كبير من العساكر، وكان أبو عبد الله الشيعي وروّاء كتامة مشاة بين يديه وولده من خلفه فلما اقترب من رقادة واتخذها حاضرة له في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٧ هـ وأمر بذكر اسمه في الخطبة على منابر البلاد وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين، وبذلك قامت الخلافة العبيدية في شمال إفريقية، ونظراً لمكانة أبي عبد الله في صفوف الكتامين، رأى المهدي أن يقوم بتصفيته مع أخيه أبي العباس في جمادى الآخرة سنة ٢٩٨ هـ.

المهدية: مدينة بناها عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين واليه تنسب، وكان ابتداء بناتها لها سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م، وجعلها دار مملكته. وأول ما ابنتى منها سورها الغربي الذي فيه أبوابها، ثم أمر بحفر مرسى المدينة، وكان حجراً صلباً، فتقره نقراً وجعله حصناً لمراكبه الحربية، وأقام على فم هذا المرسى سلسلة من حديد رفع أحد طرفيها عند دخول السفن ثم تعاد كما كانت، تحصيناً للمرسى من دخول مراكب الروم وابتنى "دار الصناعة"...



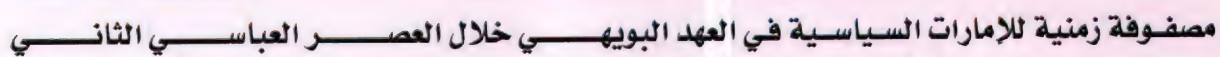
النص التأسيسي لتشييد القصر



قصر القائم بأمر الله العبيدي بالمهدية التونسية: بناه عبيد الله المهدي في أوائل القرن العاشر م لإبنه وخليفته القائم بأمر الله، وتواصل استعماله كقصر من قبل الأمراء الزيريين



لقطات متنوعة من داخل وخارج القصر ويرى المؤلف أمام أحد المقصورات الداخلية





الخلافة العباسية في عهد السيادة البويهية

ينتسب **البويهيون** إلى أبي شجاع بويه الذي نشأ في **بلاد الديلم** التي تقع جنوب غربي بحر قزوين (الخرز) بين منطقتي طبرستان والجبّال. وكانت هذه البلاد معقلاً لنفوذ العلويين، فانتشر فيها التشيع، ورغم أن أبا شجاع بويه كان فقيراً فإنه كان يتحلى بروح المغامرة والشجاعة، كما تشرب الروح الشيعية التي كانت سائدة في بلاد الديلم، وقد انضم أبو شجاع إلى العلويين في صراعهم مع السامانيين، ومع ذلك فلم يكن هو المؤسس الحقيقي لأسرة بني بويه، وإنما كان أبناؤه الثلاثة علي، وحسن، وأحمد هم الذين قاموا بذلك، فقد التحق أبناؤه بخدمة ماكان بن كاكي أحد القادة البارزين المناصرين للدعاية الشيعية الحسن بن علي، الملقب بالأطروش، وأبرزوا تميزاً في خدمته فارتقوا من مرتبة الجنود إلى رتبة القادة، ثم حدث صراع بين ماكان ومرداويج بن زيار أحد القادة الفرس في منطقة الديلم، وأحس أبناء بويه أن كفة مرداويج هي الراجحة في هذا الصراع، فانضموا إليه، فيما بين عامي ٣١٦ و٣١٧هـ = ٩٢٨ و٩٢٩م وكان ذلك بداية تمكن نفوذهم في فارس والمناطق المحيطة بها، وقد ظهر بنو بويه -أو البويهيون- على مسرح الأحداث في أواخر عصر نفوذ الأتراك، فبدؤوا منذ عام ٣٢١هـ = ٩٣٣م يؤسسون لأنفسهم مناطق نفوذ تخضع لسيطرتهم التامة، فاستولوا على فارس، وشيراز وأصبهان، والري، وهمدان والكرج وكرمان، وأغراهم ذلك على التطلع إلى مد نفوذهم إلى العراق موطن الخلافة العباسية، وقد ساعدهم على ذلك تضائل النفوذ التركي، واشتداد الصراع على منصب أمير الأمراء الذي ابتدعه الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٤هـ = ٩٣٦م، مما أدى إلى تمزق الكلمة وضعف الجبهة التي يمكن أن تحمي دار الخلافة فلم يجد أحمد بن بويه أي صعوبة في دخول بغداد والسيطرة عليها بدون قتال في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٣٣٤هـ = يناير سنة ٩٤٦م.

دولة بني يعفر: ٢٤٧-٣٩٣هـ / ٨٤٠-١٠٠٢م

ترتيب حكام بني يعفر

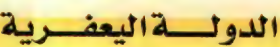
- ١ - يعفر بن عبد الرحيم (٢٤٧ هـ - ٨٦١ م).
- ٢ - محمد بن يعفر (٢٥٩ هـ - ٨٧٢ م).
- ٣ - عبد القادر أحمد بن يعفر (٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م).
- ٤ - إبراهيم بن محمد (٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م).
- ٥ - أسعد بن إبراهيم (٢٨٥ هـ - ٨٩٨ م).
- فترة حكم القرامطة: (٢٨٨ - ٢٩٩ هـ) الموافق (٩٠١ - ٩١٦ م).**
- ٦ - أسعد بن إبراهيم (٣٠٣ هـ - ٩١٦ م).
- ٧ - محمد بن إبراهيم (٣٣٢ هـ - ٩٦٣ م).
- ٨ - عبد الله بن قحطان (٣٥٢ - ٣٨٧ هـ) الموافق (٩٦٣ - ٩٩٧ م).

دولة بني يعفر ثاني دولة تحكم اليمن

بعد دولة بني زياد ولكنها انتهت قبل نهاية الزياديين. أسسها يعفر بن عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالي عام (٢٤٧ هـ - ٨٦١ م) من **طرف الخليفة المعتمد العباسي** واتخذ من صنعاء عاصمة له. وحكمها بواسطة نائبه إبراهيم بن محمد بن يعفر. وقد احتل القرامطة صنعاء من عام (٢٨٨ - ٣٠٣ هـ) الموافق (٩٠٠ - ٩١٦ م) حتى استردها أسعد بن إبراهيم مرة أخرى. واستمرت تلك الدولة حتى عام (٣٩٣ هـ - ١٠٠٢ م).

تنسب دولة بني يعفر إلى إبراهيم بن يعفر الحوالي نسبة إلى ذي الحوال الحميري أحد أقبال اليمن، بدأت هذه الدولة سنة ٢٢٥ هـ / ٨٣٩ م من مدينة **شِبام**، وامتد نفوذها إلى الشمال بعد أن انضم إليها عدد كبير من القبائل، وفي أعقاب دخول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اليمن سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م جرت معارك عنيفة بين أتباعه وآل يعفر وحلفائهم (آل الضحاك وآل طريف). ومن أشهر تلك المعارك **معركة أثافت** ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م، والمعارك التي دارت حول سور صنعاء سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م، وانتهت بدخول آل يعفر إلى صنعاء التي أصبحت عاصمة لهم، واستمرت المواجهات بين آل يعفر والزيدية سنين طويلة بلغت ذروتها في معركة **بيت بوس** (ضاحية جنوب صنعاء) ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م التي أسرف فيها محمد المرتضى ابن الإمام الهادي، وبقي في أسرهم نحو عام.

وفي عهد أسعد بن أبي يعفر ٣٣١.٢٨٢ هـ دارت معارك طاحنة بينه وبين علي بن الفضل **القرمطي** بنواحي صنعاء وشبام استمرت حتى نهاية القرن الثالث الهجري، قتل فيها عدد كبير من أنصار القرمطي من بينهم ولده عبد الله الذي أرسل رأسه مع رؤوس أنصاره إلى **الخليفة العباسي في بغداد**، وقد بلغ عدد سلاطين هذه الدولة ستة، كان آخرهم أسعد بن عبد الله الذي انتهت الدولة اليعفرية في أيامه بدخوله في طاعة الإمام الزيدي القاسم بن علي العياني سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م.



أثافت : بضم أوله، وبالفاء بعدها معجمة باثنتين من فوقها. قال الهمداني: وبعضهم يقول أثافة، على لغة من يقول في تابوت: تابه. وهو في بلاد همدان، وهي دار الكباريين، من ولد ذي كبار بن سيف بن عمرو بن سبيع بن البيع بن صعب بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد. أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم



حكام السلاطين البويهيين في الري وأصفهان وهمدان:

- ١- ركن الدولة أبو علي حسن (٣٢٠-٣٦٦ هـ / ٩٣٢-٩٧٦ م).
- ٢- مؤيد الدولة أبو منصور (٣٦٦-٣٧٣ هـ / ٩٧٦-٩٨٣ م).
- ٣- فخر الدولة أبو الحسن علي (٣٧٣-٣٨٧ هـ / ٩٨٣-٩٩٧ م).
- ٤- شمس الدولة أبوطاهر (في همذان فقط) (٣٨٧-٤١٢ هـ / ٩٩٧-١٠٢١ م).
- ٥- مجد الدولة أبوطالب رستم (في الري فقط) (٣٨٧-٤٢٠ هـ / ٩٩٧-١٠٢٩ م).
- ٦- سماء الدولة أبو الحسن (في همذان فقط) (٤١٢-٤١٤ هـ / ١٠٢١-١٠٢٣ م).

في العاشر من المحرم سنة ٣٥٢ هـ أمر معز الدولة الناس أن يخلعوا دكاكينهم، ويبيعوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهرُوا التَّيَاحة، ويلبسوا قباياَ عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منشآت الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطنن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما. ففعل الناس ذلك، ولم يكن للسُّنَّة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة، ولأن السلطان معهم.

معهم. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٥.

الدولة البويهية في عيون المؤرخين:

يرى الإمام السيوطي: أن الدولة البويهية ظهرت فيها بعض الأفكار الهدامة، التي تبعد كل البعد عن الدين الإسلامي، ويتضح ذلك في أثناء حديثه عن التناسخية حيث يقول: "وفي سنة ٢٤١هـ ظهر قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أن روح علي انتقلت إليه، وأمراته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها، وآخر يدعي أنه جبريل؛ فضربوا فتعزّزوا بالانتماء إلى أهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم لميله إلى أهل البيت، فكان هذا من أفعاله الملعونة". السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٥.

ويرى الأستاذ محمود شاكر: أن الدولة البويهية الشيعية لم تكن دولة إسلامية بالمعنى الصحيح، فهي تخالف عقائد وفكر أهل السنة مخالفة واضحة؛ فلذلك بدرت منها أفعال منكرة تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، ويتضح ذلك من قوله: "لقد كانت أسرة آل بويه شيعية، فبدرت منهم أعمال منكرة". محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية ١٤٢/٦.

أما الدكتور محمد طقوش فيقول: "كان من المتوقع أن يعيد البويهيون الاستقرار والوحدة إلى أقاليم الخلافة بفرض سيطرتهم عليها، وكبح جماح جندهم، وإفساح المجال أمام الخلافة كي تضطلع بمسئولياتها، وتجنب إثارة الفتن المذهبية إلا أن ذلك لم يتحقق؛ لأنهم دخلوا بغداد يحملون روح العداء للخلفاء العباسيين المخالفين لهم في المذهب، وقد فكّر معز الدولة بعد دخوله بغداد وسيطرته على مقاليد الأمور فيها، في إلغاء الخلافة العباسية وإقامة خلافة شيعية على أنقاضها، وتنصيب أحد الزعماء الشيعة الزيدية، وكان بإمكانه تحقيق ذلك، إلا أنه أحجم بعد استشارة أصحابه؛ لأن مثل هذا التغيير كان سيعرّض العالم الإسلامي لهزات عنيفة، إضافة إلى زعزعة الحكم البويهي. ومن ثم فإن شيعة العراق الذين حاول معز الدولة استمالتهم إليه كانوا على مذهب الإمامية، وهذا يدل على أن تنصيب خليفة زيدي سيكون مماثلاً في نظرهم، بالمقارنة مع الخليفة العباسي؛ لهذا أدرك معز الدولة من خلال فكرته السياسية الثاقبة بأن البقاء على الخلافة العباسية أجدر متبعاً للمبدأ الزيدي القائل: "بجواز إمامة المفضل مع وجود الأفضل". وأجاز على هذا الأساس الذي أقره المبدأ الزيدي، وعلى أساس المصلحة السياسية أن يدين بالولاء لخليفة سني، إلا أنه اتّبع سياسة ترمي إلى الحد من سلطته مقابل تقوية نفوذه. د. طقوش: تاريخ الدولة العباسية ص ٢٢٣، ٢٢٤.

ويرى كثير من المؤرخين بأن بني بويه أذلوا الخلفاء العباسيين وسلبوهم سلطانهم، ولم يتورعوا عن التعدي على أشخاصهم أحياناً، وأن الخلافة فقدت هيبتها وضعف شأنها في عهدهم، وأن الخليفة أضحي العوبة في أيديهم، يمثل رمزاً دينياً ليس له من الأمر شيء سوى الاسم فقط، أما السلطة الفعلية في الدولة فكانت في يد الأمير البويهي. د. محمود و. د. الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٥٢٤.

حركة القرامطة (٢٧٧-٤٧٠هـ / ٨٩٠-١٠٧٨م)

القرامطة^(١): حركة باطنية هدامة تنسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث، ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه، وهو من **خوزستان في الأهواز**، ثم رحل إلى **الكوفة**. وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية.

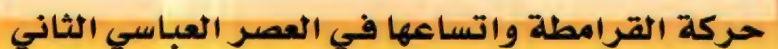
بدأ عبد الله بن ميمون القداح رأس الأفعى القرمطية بنشر المبادئ الإسماعيلية في جنوبي فارس سنة ٢٦٠هـ. ومن ثم كان له داعية في العراق اسمه الفرّج بن عثمان القاشاني المعروف بذكرويه الذي أخذ يبيث الدعوة سرّاً. وفي سنة ٢٧٨هـ نهض حمدان قرمط بن الأشعث يبيث الدعوة جهراً **قرب الكوفة** ثم بنى داراً سماها **دار الهجرة** وقد جعل الصلاة خمسين صلاة في اليوم. هرب ذكرويه واختفى عشرين عاماً، وبعث أولاده متفرقين في البلاد يدعون للحركة. استخلف ذكرويه أحمد بن القاسم الذي بطش بقوافل التجار والحجاج وهزم في **حمص** وسيق ذكرويه إلى بغداد وتوفي سنة ٢٩٤هـ. التف القرامطة في **البحرين** حول الحسن بن بهرام ويعرف **بأبي سعيد الجنابي** الذي سار سنة ٢٨٣هـ **البصرة** فهزم. قام بالأمر بعده ابنه سليمان بن الحسن بن بهرام ويعرف **بأبي طاهر** الذي استولى على كثير من بلاد الجزيرة العربية ودام ملكه فيها ٣٠ سنة، وبعد مؤسس دولة القرامطة الحقيقي ومنظم دستورها السياسي الاجتماعي، بلغ من سطوته أن دفعت له حكومة بغداد الإتاوة، ومن أعماله الرهيبة أنه: - فتك هو ورجاله بالحجاج حين رجوعهم من مكة ونهبوهم وتركوهم في القفر حتى هلكوا. - ملك الكوفة أيام المقتدر ٢٩٥-٣٢٠هـ لمدة ستة أيام استحلها فيها.

- هاجم مكة عام ٣١٩هـ، وفتك بالحجاج، وهدم زمزم، وملاً المسجد بالقتلى، ونزع الكسوة، وقلع البيت العتيق، واقتلع الحجر الأسود، وسرقه إلى الأحساء في إحدى الروايات وفي أخرى إلى القطيف (انظر الصورة ص ١٩٤)، وبقي الحجر هناك عشرين سنة إلى عام ٣٣٩هـ.

توفي سليمان فآلت الأمور لأخيه الحسن الأعصم الذي قوي أمره واستولى على **دمشق** سنة ٣٦٠هـ، ثم توجه إلى **مصر** ودارت معارك له مع الدولة العبيدية، لكن الأعصم ارتد وانهزم القرامطة وتراجعوا إلى الأحساء.

خلع القرامطة الحسن لدعوته لبني العباس، أسند الأمر إلى رجلين هما جعفر وإسحاق اللذان توسعا ثم دار الخلاف بينهما وقتلهم الأصفر التغلبي الذي ملك البحرين والأحساء وأنهى شوكتهم ودولتهم.

١ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب . (الندوة العالمية للشباب الإسلامي).





عين ماء الكعبية (تصغير للكعبة المشرفة) التي نقل إليها القرامطة الحجر الأسود وتقع بمحافظة القطيف في شرقي المملكة العربية السعودية

الأفكار والمعتقدات لدى القرامطة:

- حينما قام القرامطة بحركتهم أظهروا بعض الأفكار والآراء التي يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها، فقد نادوا بأنهم يقاتلون من أجل آل البيت، وإن لم يكن آل البيت قد سلموا من سيوفهم.
- ثم أسسوا دولة شيعية تقوم على شيوع الثروات وعدم احترام الملكية الشخصية.
- يجعلون الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة فلا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن إخوانه، وأشاعوا أن ذلك يعمل زيادة الألفة والمحبة (وهذا ما كان عليه المزدكيون الفارسيون من قبل).
- إلغاء أحكام الإسلام الأساسية كالصوم والصلاة وسائر الفرائض الأخرى.
- استخدام العنف ذريعة لتحقيق الأهداف.
- يعتقدون بإبطال القول بالمعاد والعقاب وأن الجنة هي النعيم في الدنيا، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد .

- ينشرون معتقداتهم وأفكارهم بين العمال والفلاحين والبدو الجفاة وضعفاء النفوس وبين الذين يميلون إلى عاجل اللذات، وأصبح القرامطة بذلك مجتمع ملاحدة وسفاكين يستحلون النفوس والأموال والأعراض.
- يقولون بالعصمة، وإنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر ويساوي النبي في العصمة، ومن تأويلاتهم:
- الصيام: الإمساك عن كشف السر.
- البعث: الاهتداء إلى مذهبهم.
- النبي: عبارة عن شخص فاضت عليه من الإله الأول قوة قدسية صافية.
- القرآن: هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه ومركب من جهته وسمي كلام الله مجازاً.
- يفرضون الضرائب على أتباعهم إلى حد يكاد يستغرق الدخل الفردي لكل منهم.
- يقولون بوجود إلهين قديمين: أحدهما علة لوجود الثاني، وأن السابق خلق العالم بواسطة اللاحق لا بنفسه، الأول تام والثاني ناقص، والأول لا يوصف بوجود ولا عدم، فلا هو موصوف ولا غير موصوف.
- يدخلون على الناس من جهة ظلم الأمة لعلي بن أبي طالب وقتلهم الحسين.
- يقولون بالرجعة وأن علياً يعلم الغيب، فإذا تمكنوا من الشخص أطلعوه على حقيقتهم في إسقاط التكاليف الشرعية وهدم الدين.
- يعتقدون بأن الأئمة والأديان والأخلاق ليست إلا ضلالاً.
- يدعون إلى مذهبهم اليهود والصابئة والنصارى والمجوسية والفلاسفة وأصحاب المجون والملاحدة والدهريين، ويدخلون على كل شخص من الباب الذي يناسبه.

الانتشار ومواقع النفوذ:

دامت هذه الحركة قرابة قرن من الزمان، وقد بدأت من جنوبي فارس، وانتقلت إلى سواد الكوفة والبصرة، وامتدت إلى الأحساء وأوال (البحرين الحالية) واليمن وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان. وقد دخلوا مكة واستباحوها واحتلوا دمشق ووصلوا إلى حمص والسلمية. وقد مضت جيوشهم إلى مصر وعسكرت في عين شمس قرب القاهرة، ثم انحسر سلطانهم وزالت دولتهم وسقط آخر معقلهم في الأحساء والبحرين^(١).



دولة بني الرّسي ٢٨٤ - ٤٤٤ هـ / ٨٩٧ - ١٠٥٢ م

في سنة ٢٨٤ هـ قامت دولة **بني الرّسي** في اليمن التي تعد أول دولة تستقل عن الخلافة العباسية استقلالاً كاملاً .

أسس هذه الدولة الإمام الهادي إلى الحق **يحيى بن الحسين ابن القاسم الرّسي** الذي دعا لنفسه بصعدة، فالتف الناس حوله، فملك **صعدة وأعمالها** ومعظم شمالي اليمن، وقطع الخطبة لبني العباس **وضرب السكة باسمه**. » انظر العملة التي سكّت باسمه في الصفحة المقابلة « توفي الإمام الهادي إلى الحق سنة ٢٩٨ هـ، بعد أن نجح في تكوين **دولة يمنية زيدية المذهب** في بعض أقاليم اليمن. وبعض المراجع التاريخية المعاصرة تذكر أن هذه الدولة شيعية إمامية ^(١)، وتزامن مع قيام دولة بني الرّسي الزيدية ظهور الدعوة الإسماعيلية الشيعية في اليمن، ولكن في مناطق الجنوب، وبعد وفاة الهادي تولى بعده ابنه محمد المرتضى الذي ساءت الأمور في عهده، فأعلن تنازله عن الحكم لأخيه الناصر أحمد، الذي استطاع أن يضبط أمور دولته ويبسط نفوذه على كثير من البلدان اليمنية. وبوفاة الناصر أحمد سنة ٣٢٢ هـ ضعفت الدولة الزيدية وتدهورت، وذلك بسبب الخلافات والحروب التي حدثت بين أبناء الناصر على السلطة .

استمرت الأوضاع تزداد سوءاً فوق سوء، وما أن تولى الإمام أبو الفتح بن ناصر الديلمي سنة ٤٣٩ هـ، حتى واجه العديد من الثورات الداخلية والأخطار الخارجية التي كانت تتبئ بنهاية الدولة الزيدية، ففي سنة ٤٤٤ هـ استطاع علي بن محمد الصليحي هزيمة الإمام أبي الفتح وقتله، وضم البلاد التي كانت خاضعة للأئمة الزيدية إلى ملكه، وبذلك سقطت الدولة الزيدية الأولى في اليمن .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسيني العلوي الرّسي

ولد في المدينة المنورة، وكان يسكن الرّقع من أرض الحجاز مع أبيه وأعمامه. والهادي من أئمة الزيدية الذين يرون أن الإمام الحق يجب أن تتوافر فيه صفات خاصة : كالشجاعة والعلم والعدل إلى جانب الفضيلة والزهد. **واسله أحد ملوك اليمن** ويدعى أبا العتاهية الهمداني يدعو للخروج إلى اليمن، فخرج سنة ٢٨٣ هـ حتى بلغ موضعاً يقال له **الشرفة بالقرب من صنعاء** فبايعه الناس وأطاعوه، ثم خذله بعضهم وانصرفوا عنه؛ مما ترك عنده ردة فعل بعدم الرغبة في متابعة الأمر لعدم ثقته برسل أهل اليمن.

سار بمن معه حتى وصل **«صعدة»** سنة ٢٨٤ هـ، وبايعه أبو العتاهية الهمداني وعشائره، وبعض قبائل خولان، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عبد المدان، فأمرهم بالمصالحة لوجود فتنة بينهم وكان له ما أراد، ثم عاهدوه على الطاعة والقيام بأمر الله وخوطف بلقب أمير المؤمنين، وتلقب «الهادي إلى الحق»، وأصلح أمور أتباعه وحكم فيهم بالعدل ثم ولى الولاية على المخاليف «القرى» وكتب لكل وال عهداً بذلك، وقد تضمن العهد الذي كتبه كيفية التعامل مع الناس بما يحقق العدل ويرضي الله وحدد لكل وال حدود صلاحياته وطريقة عمله.

ثم سار يريد **نجران** في عسكر كبير وتبعته قبائل وأدعة وشاكر وتقيف وبيام والأحلاف، وبايعوه، وخطب في أهالي نجران . ثم بعث الولاية وأمرهم بتقوى الله وحدد أسس العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين وأهل الذمة وفق ما أقره الشرع ومصلحة المجتمع. وبعد ضم نجران **ملك صنعاء** سنة ٢٨٨ هـ وامتد ملكه فخطب له بمكة سبع سنين وضربت السكة باسمه. وفي سنة ٢٩٤ هـ ظهر الفساد بنجران، كما ظهر أتياع القرامطة في بني الحارث واليامين، وظهر علي بن الفضل القرمطي الذي تغلب على أكثر البلاد ويقال إنه حاول قصد الكعبة ليهدمها فحاربه الهادي، واستمرت مواجهاته طويلاً مع القرامطة، وقد استردوا منهم صنعاء أكثر من مرة فكانت الحرب بينه وبينهم سجلاً، وقد استعادها آخر مرة سنة ٢٩٧ هـ ونكّل بكثير من دعاة القرامطة. عبد الكريم العلي، الموسوعة العربية، ص ٢١، ص ٢٨٧ .

١ - د. أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف في مصر، ص ٢١١ .



المصدر - الدينار عبر العصور الإسلامية

١ - دينار بني الرسي ضرب في صعدة سنة ٢٩٨هـ

الوجه: المركز: لا إله إلا الله وحده / لا شريك له
محمد رسول الله

هامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بصعدة سنة
ثمان وتسعين ومائتين
هامش خارجي: لله الأمر.....

الظهر: الهادي إلى / الحق أمير / المؤمنين / بن رسول الله
الهامش: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً





الباب الرابع



العصر العباسي الثاني

٣٣٤-٤٤٧هـ / ٩٤٦-١٠٥٦م

ثانياً: عصر النفوذ البويهى الفارسي

العصر العباسي الثاني :

ثانياً : عصر النفوذ البويهي الفارسي (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ / ٩٤٦ - ١٠٥٦ م)

لم يكن دخول البويهيين إلى بغداد شبيهاً بدخول الأمراء الآخرين، وما كان مجرد استبدال أمير بأمير، فقد أنشأ البويهيون إمارة وراثية في قلب عاصمة الخلافة منفصلة عن الخليفة نفسه، كما أنهم جاؤوا على رأس جيش أجنبي استولى على عمل الخليفة وعاصمته. فساد الاتجاه العسكري في مؤسسات الدولة، ويلاحظ ذلك في كل أعمالهم وفي طريقة الإدارة التي اتبعوها، **وكان بنو بويه شيعة لا يعترفون بحق العباسيين في حكم العالم الإسلامي**، ولم يبق البويهيون هؤلاء الخلفاء إلا لاعتبارات سياسية، فقد أراد معز الدولة نقل الخلافة للمعز لدين الله الفاطمي أو لغيره من العلويين، فحذّره خواصه من سخط الناس ومخالفتهم، وبينوا له الخطر على مركزه في حالة تعيين خليفة علوي قائلين: «ومتى أجلس بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا»^(١).

تميز موقف الأمراء البويهيين من الخلفاء بعدم احترامهم والتعدي على سلطتهم وألقابهم وشاراتهم. وتجلى هذا في مظاهر كثيرة من عزل وإهانة وسجن ومصادرة. وسلب البويهيون الخليفة كل سلطة سلباً شرعياً، فقد جعلوا الخلفاء يفوضونها إليهم تفويضاً رسمياً، ففي سنة ٣٦٧ هـ وفي حفل مهيب فوّض الطائع إلى عضد الدولة السلطان قائلاً: «قد رأيت أن أفوض إليك ما وكل الله تعالى إليّ من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصتي وأسبابي، فتولّ ذلك مستخيراً الله». وفي سنة ٣٨١ هـ اجتمع الأشراف والقضاة والشهود عند الخليفة القادر (٣٨١-٤٢٢ هـ) وسمعوا يمينه بالوفاء لبهاء الدولة وبتقليده ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة.

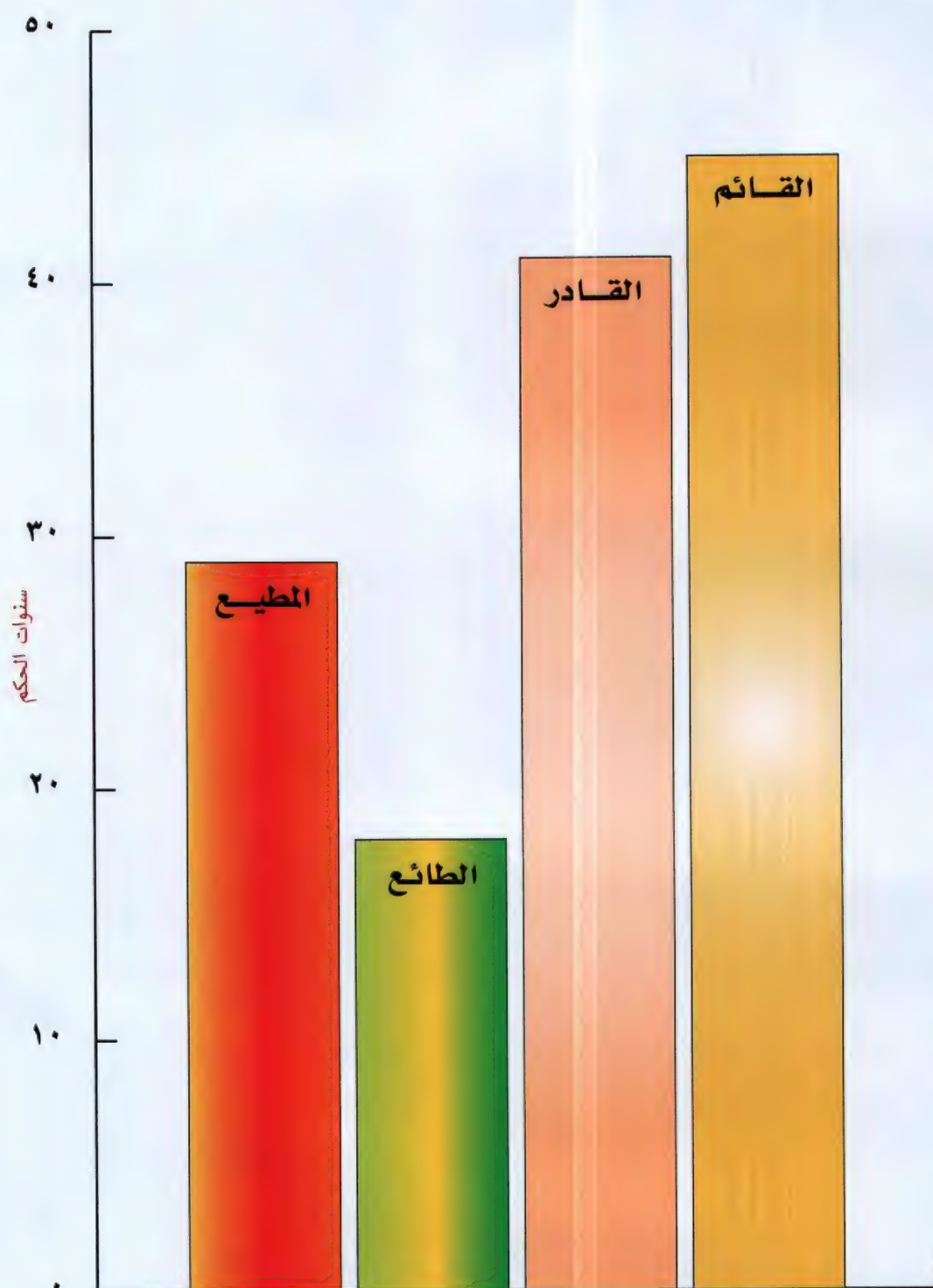
لم يقتنع البويهيون بالسلطة وحيازتها، بل شاركوا الخلافة في امتيازاتها الأخيرة، فالخطبة في بغداد كانت رمز السيادة السياسية للخليفة، ولكن لم يمض ربع قرن حتى اغتصب البويهيون هذا الامتياز، وأدخلوا اسمهم مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة، وتسلم البويهيون السكة وهي الرمز الثاني للخليفة، فحذفوا لقب أمير المؤمنين واكتفوا بذكر اسم الخليفة في حين ذكر الأمير البويهي اسمه ولقبه وكنيته. ويعلق البيروني: «إن الذي بقي في أيدي العباسية إنما هو أمر ديني اعتقادي لا ملكي دنيوي». وقد اضطر البويهيون على طموحهم وتناولهم على الخليفة أن يراعوا سلطانهم الشرعي، فلم يكن الأمير منهم يعد شرعياً ما لم يصدر عهد الخليفة بتوليته، ويجري تسليم العهد في حفل رسمي، ويختم بقسم الخليفة للأمير بخلوص النية، ومن الأمير للخليفة بالولاء وصدق الطاعة، وبقي للخليفة كذلك سلطة منح الألقاب^(٢).





الخلافة العباسية في عهد السيادة البويهية

ينتسب **البويهيون** إلى أبي شجاع بويه الذي نشأ في **بلاد الديلم** التي تقع جنوب غربي بحر قزوين (الخرز) بين منطقتي طبرستان والجلال. وكانت هذه البلاد معقلاً لتفوذ العلويين، فانتشر فيها التشيع، ورغم أن أبا شجاع بويه كان فقيراً فإنه كان يتحلى بروح المغامرة والشجاعة، كما تشرب الروح الشيعية التي كانت سائدة في بلاد الديلم، وقد انضم أبو شجاع إلى العلويين في صراعهم مع السامانيين، ومع ذلك فلم يكن هو المؤسس الحقيقي لأسرة بني بويه، وإنما كان أبنائه الثلاثة علي، وحسن، وأحمد هم الذين قاموا بذلك، فقد التحق أبنائه بخدمة ماكان بن كاكي أحد القادة البارزين المناصرين للدعاية الشيعي الحسن بن علي، الملقب بالأطروش، وأبرزوا تميزاً في خدمته فارتقوا من مرتبة الجنود إلى رتبة القادة، ثم حدث صراع بين ماكان ومرداويج بن زيار أحد القادة الفرس في منطقة الديلم، وأحس أبناء بويه أن كفة مرداويج هي الراجحة في هذا الصراع، فانضموا إليه، فيما بين عامي ٣١٦ و٣١٧هـ = ٩٢٨ و٩٢٩م وكان ذلك بداية تمكن نفوذهم في فارس والمناطق المحيطة بها، وقد ظهر بنو بويه -أو البويهيون- على مسرح الأحداث في أواخر عصر نفوذ الأتراك، فبدءوا منذ عام ٣٢١هـ = ٩٣٢م يؤسسون لأنفسهم مناطق نفوذ تخضع لسيطرتهم التامة، فاستولوا على فارس، وشيراز وأصبهان، والري، وهمدان والكرج وكرمان، وأغراهم ذلك على التطلع إلى مد نفوذهم إلى العراق موطن الخلافة العباسية، وقد ساعدهم على ذلك تضائل النفوذ التركي، واشتداد الصراع على منصب أمير الأمراء الذي ابتدعه الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٤هـ = ٩٣٦م، مما أدى إلى تمزق الكلمة وضعف الجبهة التي يمكن أن تحمي دار الخلافة فلم يجد أحمد بن بويه أي صعوبة في دخول بغداد والسيطرة عليها بدون قتال في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ٣٣٤هـ = يناير سنة ٩٤٦م.



الخلفاء العباسيون في عصر النفوذ البويهّي الفارسي ٣٣٤-٤٤٧ هـ / ٩٤٦-١٠٥٥ م

حكام السلاطين البويهيين في فارس :

- ١- عماد الدين أبو الحسن علي بن بويه (٣٢٠-٣٣٨ هـ / ٩٣٢-٩٤٩ م).
- ٢- عضد الدولة أبو شجاع خسرو (٣٣٨-٣٧٢ هـ / ٩٤٩-٩٨٢ م).
- ٣- شرف الدولة أبو الفوارس شيرزاد (٣٧٢-٣٧٩ هـ / ٩٨٢-٩٨٩ م).
- ٤- صمصام الدولة أبو كاليجار المرزبان (٣٧٩-٣٨٨ هـ / ٩٨٩-٩٩٨ م).
- ٥- بهاء الدولة أبو نصر (٣٨٨-٤٠٣ هـ / ٩٩٨-١٠١٢ م).
- ٦- سلطان الدولة أبو شجاع (٤٠٣-٤١٥ هـ / ١٠١٢-١٠٢١ م).
- ٧- عضد الدولة أبو كاليجار المرزبان (٤١٥-٤٤٠ هـ / ١٠٢٤-١٠٤٨ م).
- ٨- الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز (٤٤٠-٤٤٧ هـ / ١٠٤٨-١٠٥٥ م).

حكام السلاطين البويهيين في العراق والأهواز وكرمان :

- ١- معز الدولة أبو الحسين أحمد (٣٢٠-٣٥٦ هـ / ٩٣٢-٩٦٧ م).
- ٢- عز الدولة بختيار (٣٥٦-٣٦٧ هـ / ٩٦٧-٩٧٧ م).
- ٣- عضد الدولة أبو شجاع خسرو (٣٦٧-٣٧٢ هـ / ٩٧٧-٩٨٢ م).
- ٤- شرف الدولة أبو الفوارس شيرزاد (٣٧٢-٣٧٩ هـ / ٩٨٢-٩٨٩ م).
- ٥- بهاء الدولة أبو نصر (٣٧٩-٤٠٣ هـ / ٩٨٩-١٠١٢ م).
- ٦- سلطان الدولة أبو شجاع (٤٠٣-٤١٢ هـ / ١٠١٢-١٠٢١ م).
- ٧- مشرف الدولة أبو علي (٤١٢-٤١٦ هـ / ١٠٢١-١٠٢٥ م).
- ٨- أبوطاهر جلال الدولة (٤١٦-٤٣٥ هـ / ١٠٢٥-١٠٤٣ م).
- ٩- أبو كاليجار مرزبان (٤٣٥-٤٤٠ هـ / ١٠٤٣-١٠٤٨ م).
- ١٠- الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز (٤٤٠-٤٤٧ هـ / ١٠٤٨-١٠٥٥ م).



حكام السلاطين البويهيين في الري وأصفهان وهمدان:

في العاشر من المحرم سنة ٣٥٢هـ أمر معز الدولة الناس أن يفتقروا دكاكينهم، ويبتلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قبايا عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منشترات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما. ففعل الناس ذلك، ولم يكن للسنة قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة، ولأن السلطان معهم.

معهم. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٣٥.

- ١- ركن الدولة أبو علي حسن (٣٢٠-٣٦٦هـ / ٩٣٢-٩٧٦م).
- ٢- مؤيد الدولة أبو منصور (٣٦٦-٣٧٣هـ / ٩٧٦-٩٨٣م).
- ٣- فخر الدولة أبو الحسن علي (٣٧٣-٣٨٧هـ / ٩٨٣-٩٩٧م).
- ٤- شمس الدولة أبو طاهر (في همدان فقط) (٣٨٧-٤١٢هـ / ٩٩٧-١٠٢١م).
- ٥- مجد الدولة أبو طالب رستم (في الري فقط) (٣٨٧-٤٢٠هـ / ٩٩٧-١٠٢٩م).
- ٦- سماء الدولة أبو الحسن (في همدان فقط) (٤١٢-٤١٤هـ / ١٠٢١-١٠٢٣م).

الدولة البويهية في عيون المؤرخين:

يرى الإمام السيوطي: أن الدولة البويهية ظهرت فيها بعض الأفكار الهدامة، التي تبعد كل البعد عن الدين الإسلامي، ويتضح ذلك في أثناء حديثه عن التناسخية حيث يقول: "وفي سنة ٣٤١ هـ ظهر قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أن روح علي انتقلت إليه، وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها، وآخر يدعي أنه جبريل؛ فضربوا فتعزّزوا بالانتماء إلى أهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم لميله إلى أهل البيت، فكان هذا من أفعاله الملعونة". السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٥.

ويرى الأستاذ محمود شاكر: أن الدولة البويهية الشيعية لم تكن دولة إسلامية بالمعنى الصحيح، فهي تخالف عقائد وفكر أهل السنة مخالفة واضحة؛ فلذلك بدرت منها أفعال منكرة تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي الصحيح، ويتضح ذلك من قوله: "لقد كانت أسرة آل بويه شيعية، فبدرت منهم أعمال منكرة". محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية ١٤٢/٦.

أما الدكتور محمد طقوش فيقول: "كان من المتوقع أن يعيد البويهيون الاستقرار والوحدة إلى أقاليم الخلافة بفرض سيطرتهم عليها، وكبح جماح جندهم، وإفساح المجال أمام الخلافة كي تضطلع بمسئولياتها، وتجنب إثارة الفتن المذهبية إلا أن ذلك لم يتحقق؛ لأنهم دخلوا بغداد يحملون روح العداء للخلفاء العباسيين المخالفين لهم في المذهب، وقد فكّر معز الدولة بعد دخوله بغداد وسيطرته على مقاليد الأمور فيها، في إلغاء الخلافة العباسية وإقامة خلافة شيعية على أنقاضها، وتنصيب أحد الزعماء الشيعة الزيدية، وكان بإمكانه تحقيق ذلك، إلا أنه أحجم بعد استشارة أصحابه؛ لأن مثل هذا التغيير كان سيعرّض العالم الإسلامي لهزات عنيفة، إضافة إلى زعزعة الحكم البويهي. ومن ثم فإن شيعة العراق الذين حاول معز الدولة استمالتهم إليه كانوا على مذهب الإمامية، وهذا يدل على أن تنصيب خليفة زيدي سيكون مماثلاً في نظرهم، بالمقارنة مع الخليفة العباسي؛ لهذا أدرك معز الدولة من خلال فكرته السياسية الثاقبة بأن البقاء على الخلافة العباسية أجدر متبعاً للمبدأ الزيدي القائل: "بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل". وأجاز على هذا الأساس الذي أقره المبدأ الزيدي، وعلى أساس المصلحة السياسية أن يدين بالولاء لخليفة سني، إلا أنه اتّبع سياسة ترمي إلى الحد من سلطته مقابل تقوية نفوذه. د. طقوش: تاريخ الدولة العباسية ص ٢٢٣، ٢٢٤.

ويرى كثير من المؤرخين بأن بني بويه أذلوا الخلفاء العباسيين وسلبواهم سلطانهم، ولم يتورعوا عن التعدي على أشخاصهم أحياناً، وأن الخلافة فقدت هيبتها وضعف شأنها في عهدهم، وأن الخليفة أضحي العوبة في أيديهم، يمثل رمزاً دينياً ليس له من الأمر شيء سوى الاسم فقط، أما السلطة الفعلية في الدولة فكانت في يد الأمير البويهي. د. محمود و. د. الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص ٥٢٤.



مشهد وضريح الخليفة الراشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مدينة النجف العراقية

وقد شاهد الرحالة **ابن بطوطة**، عمارة عضد الدولة البويهية، ووصفها حين وروده النجف، سنة ٧٧٧ هـ بأنها: (معمورة أحسن عمارة، وحيطانها مزينة بالقاشاني، وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق، ونقشه أحسن، وإذا ما دخل زائر بأمرونه بتقبيل العتبة، وهي من الفضة وكذلك العضادتان، ثم يدخل بعد ذلك إلى القبة، وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه، وبها قناديل الذهب والفضة، منها الكبار والصغار، وفي وسط القبة مسطبة مربعة، مكسوة بالخشب، عليها صفايح الذهب المنقوشة الحكيمة العمل، مسطرة بمسامير الفضة، قد غلبت على الخشب، لا يظهر منه شيء، وارتقاها دون القامة، وفوقها ثلاثة من القبور، يزعمون أن أحدها قبر آدم عليه السلام، والثاني قبر نوح عليه السلام، والثالث قبر الإمام علي عليه السلام) (١). **قلت**، والقبران الأولان ادعاء من دون سند، لمزيد من الإيضاح ينظر في كتابنا **أطلس تاريخ الأنبياء والرسول**، ط. ١١ طبع ونشر مكتبة العبيكان.

في أواخر القرن الرابع الهجري سيطرت الإمارات الشيعية على معظم العالم الإسلامي آنذاك: كنتيجة لضعف الحكام العباسيين، وجاءت إمارة آل بويه فعزّم **عضد الدولة البويعي ت ٣٧٢ هـ** على إقامة أعظم عمارة للنجف، فبذل الأموال الطائلة وجلب البنائين ومواد البناء والصنّاع وأهل الخبرة، ونقل الأخشاب والصخور من أماكن عديدة، وأنشأ قريباً من المكان المعروف ببئر ملاحه مصاهر للطابوق والجصّ، وكان ينقل ماء الشرب على ظهور الجمال، ثم حفر قناة للماء تصعد من الفرات إلى النجف، وهي اليوم موجودة تعرف بقناة آل بويه، وأنهض رواقاً عالياً عقد عليه قبة بيضاء، وأقام عضد الدولة أمام الرواق بهواً كان يجلس فيه، وفي هذا البهو وتحت الرواق عُقدت حفلة للافتتاح. وأقام الغرف والإيوانات وأنشأ داراً للضيافة وبذل الطعام للزائرين ثلاثة أيام، وأجرى الجرايات وبثّ العطاء للذين ينوون الإقامة والمجاورة، وتمكّنت عمارة عضد الدولة إلى أواخر القرن الثامن للهجرة، ثم كانت تُجدّد وترمم من قبل البعض.

الحمدانيون (٣١٧ - ٣٩٤ هـ / ٩٢٩ - ١٠٠٣ م)

ينتسب **الحمدانيون** إلى قبيلة تغلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار، وكانوا من نصارى العرب في الجاهلية الذين لهم محل في الكثرة والعدد.

وكانت مواطنهم في الجزيرة وديار ربيعة، ثم ارتحلوا مع هرقل إلى بلاد الروم، ثم رجعوا إلى بلادهم، ونزلوا ساحل "الرقّة" الفسيح، ومنها انتقل حمدان بن حمدون إلى "الموصل".

وكان حمدان جد الأمراء الحمدانيين رئيس قبيلة أنجبت عدة أولاد اعتمدوا على أنفسهم، وألقوا بأنفسهم في ميادين المغامرة والحرب، فانتصروا وخذلوا، وكانت حياتهم تتصف بالعنف والقوة، ولا تعرف الهدوء والسلم إلا قليلاً. وقد رافقت نشأة الحمدانيين ضعف الدولة العباسية، وغروب شمسها. ورافق ظهور الأسرة الحمدانية ارتقاء "المتقي" عرش الخلافة، وقد تسلمها وهي على ما هي عليه من التفكك والانحلال، على يد الأتراك أصحاب وظيفة "أمير الأمراء" في بغداد؛ حيث استبد أولئك الأمراء بالسلطة دون الخليفة العباسي، وراحت بعض القبائل العربية التي سكنت بادية الشام ووادي الفرات تستغل ضعف الخلافة العباسية، وتستقل بالمدن والقلاع الواقعة في أرضها. وبعد ما قامت به قبيلة "تغلب" مثلاً لهذا الذي كان يقع في حقبة ضعف الخلافة وسيادة الأمراء. فقد استطاعت "قبيلة تغلب" بفضل أبناء زعيمها "حمدان بن حمدون" أن تؤسس دولة في شمالي العراق، وأن تتخذ من مدينة "الموصل" عاصمة لها (٣١٧-٣٥٨ هـ / ٩٢٩-٩٦٩ م). وتعصبت هذه الدولة للعروبة، وساءها استبداد الأتراك بالخلافة العباسية، فجاء زعيمها "الحسن بن عبد الله الحمداني" إلى بغداد، ومعه أخوه لمناصرة الخليفة المتقي بالله سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م. وكافأ الخليفة هذا الزعيم الحمداني بأن عينه في وظيفة "أمير الأمراء"، ومنحه لقب "ناصر الدولة"، ثم منح الخليفة المتقي أخاه لقب "سيف الدولة الحمداني". وعاش الأخوان: "ناصر الدولة" و"سيف الدولة" ببغداد إلى جانب الخليفة الذي عرف لهما قدرهما، ولكن ذلك لم يعجب الأتراك، فاستطاعوا بزعامه قائدهم "توزون" أن يطردوا الحمدانيين، وأن يحملوهم على العودة إلى الموصل سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م. وتطلع سيف الدولة بعد خروج الحمدانيين من بغداد إلى القيام بمغامرة حربية تعلي من شأن دولته بالموصل فسار سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٥ م إلى شمالي الشام واستولى على "حلب" وأخرج منها حاكمها التابع للدولة الإخشيدية، صاحبة السيادة حين ذاك على مصر والشام. وكانت هذه النزاعات بين أقاليم الأمة المسلمة الواحدة وراء التعجيل بنهاية هذه الدولة، وأصبح سيف الدولة بذلك صاحب الدولة الحمدانية وعاصمتها حلب التي استمرت في شمالي الشام حتى سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م. موسوعة الأسرة المسلمة



(٩٢٩-٩٠٠م)



الإخشيديون (٣٢٣-٣٥٨هـ / ٩٣٥-٩٦٩م)

الدولة الإخشيدية التركية، أسسها في مصر «محمد بن طنج الإخشيد» من أولاد ملوك فرغانة، وقد حكمت من سنة ٣٢٣هـ = ٩٣٥م إلى سنة ٣٥٨هـ = ٩٦٩م. وكان طنج - والد محمد - قد ساهم في القضاء على الدولة الطولونية، وتوفي في سجن بغداد. توالى على الحكم مجموعة من الملوك أولهم، محمد الإخشيد بن طنج (٣٢٣-٣٣٥هـ = ٩٣٥-٩٤٦م). حيث يُعد مؤسس الدولة الإخشيدية، أصبح والياً على مصر من قبل الخليفة العباسي في عام ٣٢٣هـ = ٩٣٥م فأبدى كفاءة ونشاطاً في الحكم، **وصد الخارجين على الخلافة، وامتد سلطانه حتى حكم دمشق سنة ٣٢٨ وقلده الخليفة حكم مكة والمدينة، واليمن**، وجعل الحكم من بعده وراثياً في عقبه، غير أن ابنه (أبا القاسم الوجور) كان حدثاً صغيراً، فأقيم كافور الإخشيدي وصياً على عرشه، وقد استأثر كافور بالحكم نهائياً بعد موت سيده، ثم مات كافور فلم تقم لدولة الإخشيديين من بعده قائمة، واستولى على مصر العبيديون (الفاطميون).

مات محمد بن طنج في دمشق سنة ٣٣٥هـ = ٩٤٦م ونقل إلى بيت المقدس فدفن فيها، وقد استبد في دمشق وصادر أموال أغنيائها واستصفى أموالهم. ثم توالى على الحكم مجموعة من الحكام كان من أبرزهم **الإخشيد الحسن بن عبيد الله بن طنج أبو محمد**، ابن الأخشيد، ولد سنة ٣١٢هـ = ٩٢٤م، وهو تركي الأصل، كان صاحب الرملة، وأخذها منه **القرامطة** فانتقل إلى **مصر** وتمكن بها، ثم ولي **دمشق** سنة ٣٥٨هـ، وحارب المغاربة القادمين من مصر مع جعفر بن فلاح، فأسر وأرسل إلى مصر، فبعث به القائد جوهر الصقلي إلى المغرب، فبايع للمعز العبيدي، وأعيد إلى مصر فتوفي فيها سنة ٤٧١هـ = ٩٨٢م وكان يطلق على ملوك فرغانة (الإخشيد)، ودخل هذا اللقب في الإسلام، وكثر استعماله في العصر العباسي حين ضعف نفوذ الخلفاء واستبد بالسلطان الأتراك وغيرهم، فأحبوا ألقاب ملوكهم وتقاليدهم.

وقع الإخشيد في خلاف شديد مع سيف الدولة الحمداني، حول حكم بلاد الشام واتخذت الخلافة العباسية موقف المتفرج، على الرغم من أن الخليفة كان قد جعل حكم بلاد الشام للإخشيد وأبنائه من بعده. وكان **الحمدانيون** يرون أنهم لا يقلون شأنًا عن أصحاب تلك الدويلات المستقلة ورأوا افتقار شمال بلاد الشام إلى سلطة مركزية قوية، تفرض وجودها أمام خطر الإمبراطورية البيزنطية، التي مرت في الثلث الثاني من القرن الرابع الهجري بحقبة من أحقاب الإحياء، التي كانت تمر بها من وقت لآخر، وبخاصة أن الخلافة العباسية كانت تعاني من الضعف والعجز عن حماية هذه المنطقة أمام الخطر البيزنطي، حتى إن المنطقة الساحلية في بلاد الشام ومنطقة الجزيرة الفراتية، أصبحت بين خاضعة للسيادة البيزنطية، أو مهددة بذلك. موقع التاريخ الإسلامي.



دينار اخشيدي ضرب فلسطين سنة ٢٢٢ هـ

دخول العبيديين إلى مصر بقيادة جوهر الصقلي سنة ٣٥٨ هـ

تعددت محاولات العبيديين دخول مصر لضمها إلى دولتهم التي كانت قد قامت بالمغرب منذ سنة ٢٩٦ هـ، فقد أرسلوا ثلاثة جيوش لتحقيق هذا الهدف في السنوات ٣٠١ هـ، و٣٠٧ هـ، و٣٢١ هـ، في الحقبة بين سقوط الدولة الطولونية وقيام الدولة الإخشيدية، ولم يرسلوا بجيوش ذات قيمة طوال عهد الدولة الإخشيدية، ولكنهم اكتفوا بإرسال الدعاة الذين ينشرون دعوتهم، ويبشرون بمزايا حكمهم، ويجمعون الأنصار والمؤيدين حولهم.

ونتيجة للضعف الذي أصاب الدولة العباسية في بغداد تمكن العبيديون من تحقيق أطماعهم في الاستيلاء على مصر، وبوفاة "كافور الإخشيدي" سنة ٣٥٥ هـ ضعفت الدولة الإخشيدية فانتهز "المعز لدين الله العبيدي" رابع الخلفاء العبيديين الفرصة وبدأ في إعداد جيش كبير من مائة ألف مقاتل ليرسله إلى مصر لغزوها وضمها إلى دولته، وعهد إلى "جوهر الصقلي" قيادة هذا الجيش، وسارت حملة "جوهر" من إفريقية (تونس اليوم) إلى مصر في ١٤ ربيع الآخر سنة ٣٥٨ هـ. زود "المعز" جيشه بالأموال الوفيرة للإنفاق على الجيش وما يلزمه في مرحلة السفر، كما سحب الجيش البري إرسال عدد من السفن البحرية لترسو على ميناء الإسكندرية دعماً للجيش العبيدي. ووصل "جوهر" إلى الإسكندرية واستولى عليها دون مقاومة، وفي عاصمة مصر (الفسطاط) لم يكن الحال مختلفاً، فقد رأى المسؤولون بها أنه لا طاقة لهم بمقاومة الجيوش العبيدية الكثيفة، ولم يكن للخلافة العباسية في بغداد أي تواجد سياسي أو قوة عسكرية تصد العبيديين.

حكم جوهر الصقلي مصر لمدة أربع سنوات نائباً عن سيده الخليفة المعز، ثم لإنشائه مدينة القاهرة لتكون عاصمة للخلافة العبيدية بمصر. ويعود مولد جوهر الصقلي إلى جزيرة صقلية، حيث نشأ في كنف الدولة العبيدية وكان المعز يقربه إليه ويعامله معاملة خاصة لما لمس فيه من إخلاص وتدين ومواهب متعددة مميزة. أما خبراته الحربية فظهرت وتأكدت عندما كلف المعز بقيادة جيش لضم ما تبقى من أقاليم المغرب، وظل جوهر يحاول ضم فاس التي استعصت عليه حتى تم له ذلك، وبضمها يكون "جوهر" قد أتم ضم المغرب في أقل من سنة، ولهذا لم يكن غريباً أن يختاره "المعز لدين الله" ليقود جيشه لغزو مصر.^(١)

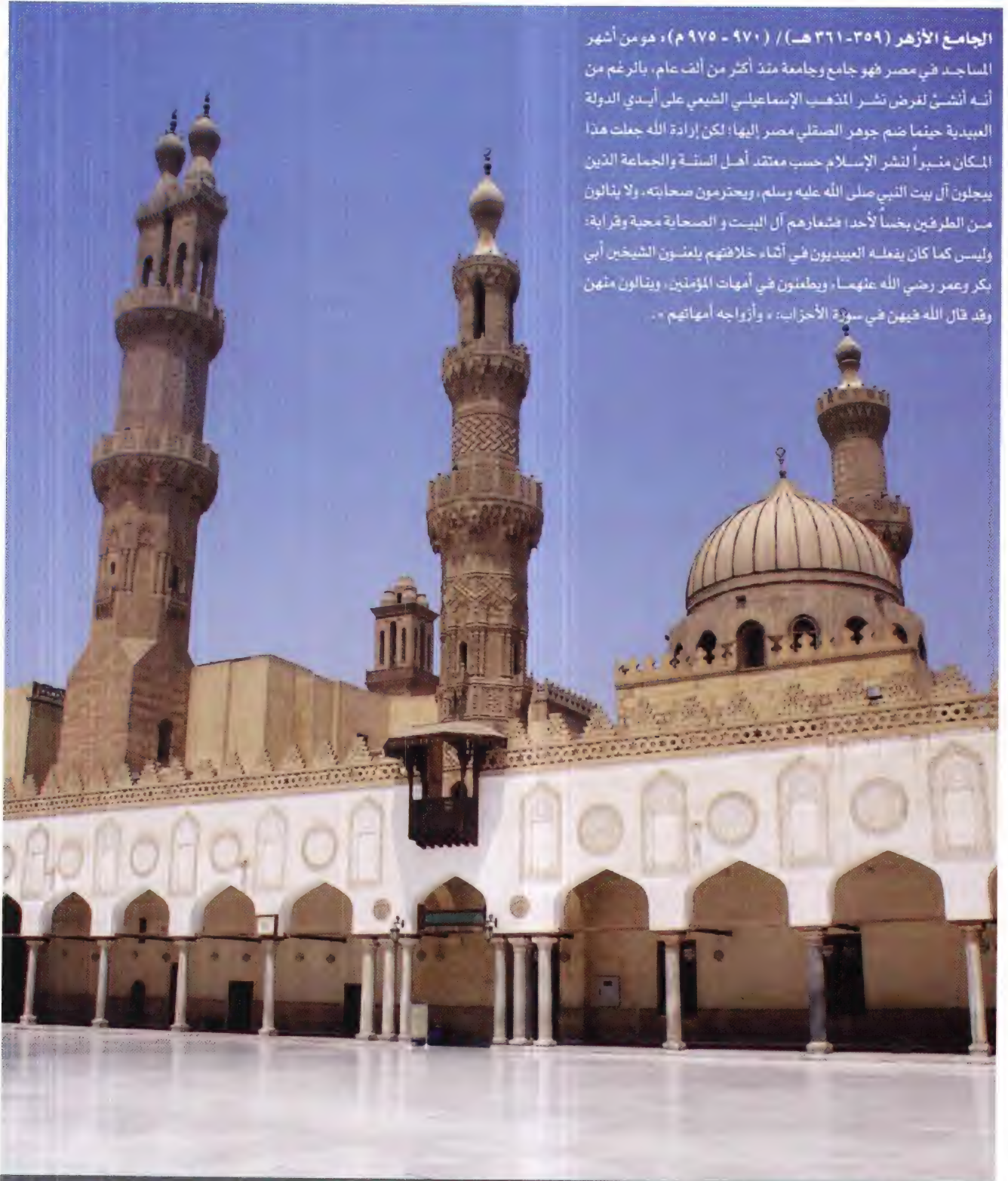
بعد أن توطد سلطان العبيديين في مصر، صار تحدي الإسماعيلية للنظام العباسي والفكر السني أكثر قرباً وأشد خطراً، وصار للعبيديين دولة واسعة الأرجاء، شملت وهي في ذروة قوتها، مصر وسورية وشمال إفريقيا وصقلية واليمن والحجاز - أحياناً - وسيطر العبيديون على جيش من الدعاة، وعلى ولاء عدد لا يحصى من الأتباع في الأراضي التي كانت خاضعة للحكم العباسي فعلياً أو اسمياً.



امتداد الدولة العبيدية إلى مصر في عهد السيطرة البويهية على الخلافة العباسية

لم تكن ردود أفعال السُّنة والخلافة العباسية تجاه قيام **الدولة العبيدية** في البداية فاعلة، إذ لم تتعدَّ بعض إجراءات أمن ضد الدعاة، و حرباً دعائية ضد السلالة العبيدية، التي اتهمت في محضر نشر في بغداد سنة ٤٠٢ هـ/ ١٠١١م، بأنها لا تمت بنسب صحيح إلى فاطمة وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -، ومع الأيام بدأت جذوة الحركة العبيدية تخبولانكشاف حقيقتها، وأخذ الإسلام السني يسترد نشاطه، وكانت أهم أسباب إخفاق الدعوة العبيدية ما عانت من تمزق داخلي وظهور **الأتراك** على مسرح الأحداث وإقامتهم للدولة السلجوقية. وكان من أهم الأحداث التي واجهت الدولة العبيدية، انفصال شمالي إفريقيا عن جسم الدولة، ففي عهد الأمير الزيري المعز بن باديس (٤٠٧-٤٥٤هـ) تم الانفصال عن العبيديين رسمياً، وعندما لم تستطع الخلافة إيقاف حركة الانفصال هذه، شجعت عدداً من القبائل العربية التي كانت قد هاجرت إلى مصر، وعلى رأسها **قبائل سليم وهلال**، على عبور النيل والاتجاه غرباً بعد أن كانوا يمنعونهم منه، واجتاز هؤلاء مصر إلى الغرب موجة إثر موجة، وأقامت سليم في ليبيا وانتشر بنو هلال في ولاية إفريقية، ولكن هذه الهجرة لم تحقق عودة إفريقية للحكم العبيدي لاختلاف المعتقد، فصبغت شمالي إفريقيا بالصبغة العربية نهائياً. كذلك عانت الخلافة أمور السيطرة على فلسطين وغيرها من أجزاء الشام ونجم عن ذلك ردود أفعال شديدة، ولاسيما بين صفوف القبائل وسكان المدن، فلقد ثارت قبيلة آل جراح من **طيء** في وجه الغزو العبيدي، وحاول زعماء القبائل إنشاء خلافة في فلسطين، فجلبوا أحد أفراد الأسرة الحسنية من الحجاز، ونصبوه خليفة ولكن محاولتهم باءت بالفشل.

الجامع الأزهر (٣٥٩-٣٦١ هـ) / (٩٧٠ - ٩٧٥ م)، هو من أشهر المساجد في مصر فهو جامع وجامعة منذ أكثر من ألف عام، بالرغم من أنه أنشئ لغرض نشر المذهب الإسماعيلي الشيعي على أيدي الدولة العبيدية حينما ضم جوهر الصقلي مصر إليها؛ لكن إرادة الله جعلت هذا المكان منبراً لنشر الإسلام حسب معتقد أهل السنة والجماعة الذين يجولون آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ويحترمون صحابته، ولا يتناولون من الطرفين بخساً لأحد؛ فسمعاهم آل البيت والصحابة بحبة وقرابة؛ وليس كما كان يفعل العبيديون في أثناء خلافتهم يلعنون الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويطلعون في أمهات المؤمنين، ويتناولون مهن وقد قال الله فيهن في سورة الأحزاب: «وأزواجه أمهاتهم».



بعدما أسس جوهر الصقلي مدينة القاهرة شرع في إنشاء هذا الجامع الأزهر وأتمه في شهر رمضان سنة ٣٦١ هجرية = ٩٧٢ م فهو أقدم أثر عبيدي قائم بمصر. وقد اختلف المؤرخون في أصل تسمية هذا الجامع، والراجع أن العبيديين سموه بالأزهر لمكانة فاطمة الزهراء رضي الله عنها في قلب كل مسلم.



الدولة العباسية في أقصى اتساع لها ٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧٢ هـ



دينار فاطمي (عبيدي) ضرب طرابلس



دينار فاطمي (عبيدي) ضرب مصر سنة ٤٤٦ هـ

إعلان الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٣١٦ هـ

عبد الرحمن الناصر ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ

ولد عبد الرحمن في الأندلس عام ٢٧٨ هـ واعتنى بتربيته جده لأبيه بعد وفاة والده وهو صغير. تولى إمارة الأندلس بعد وفاة جده عام ٣٠٠ هـ وكان عمره ٢٢ سنة، فتطلعت الأنظار نحو هذا الشاب وتعلقت الآمال به، فاستطاع توحيد الأندلس بعد التمزق، وأعاد القوة والعظمة لها.

استمر حكمه خمسين عاماً. واتسم عهده بالقوة والعظمة والنهضة العمرانية، فقد خضع له كل حكام أوروبا آنذاك. وقام بأعظم عمل عمراني عندما استقرت الأمور فبنى مدينة الزهراء عام ٣٢٥ هـ على بعد ٣٠ كم من الشمال الغربي من قرطبة. وهو أول من تلقب بالخليفة من أمراء الدولة الأموية بالأندلس، وتسمى بها لما رأى ما آلت إليه الخلافة العباسية من ضعف وفساد ووهن إضافة إلى قيام العبيديين بتلقيب أنفسهم بذلك، حيث استطاع الناصر وقف مد النفوذ العبيدي الشيعي نحو الغرب والأندلس؛ إضافة إلى الصراع مع عمر بن حفصون الذي انتهز فرصة الفوضى التي مرت بها الأندلس بعد وفاة عبد الرحمن الأوسط، وأخذ يهدد العاصمة قرطبة وعندما تسلم عبد الرحمن الناصر الخلافة استطاع القضاء عليه سنة ٣٥٥ هـ.

مستند عبد الرحمن الناصر

بعد وفاة عبد الرحمن الداخل تعاقب خلفاؤه على الإمارة، واستطاعوا الحفاظ على الدولة بتوحيد أراضي الأندلس الإسلامية ومحاربة الممالك النصرانية في الشمال، حتى وصلت إلى أوجها في عهد عبد الرحمن الأوسط، الذي شهد عهده ازدهار حركات الآداب والعلوم والعمارة وفنونها، وبلغت الأندلس مرحلة متقدمة من المدنية، فأصبحت الدولة الأموية في بلاد الأندلس مركزاً حضارياً كبيراً في غربي العالم الإسلامي. بل وتطورت عسكرياً، فاستطاعت صدّ الغزوات البحرية للنورمان على الموانئ الإسلامية في المحيط الأطلسي.

لحقت هذه المرحلة مرحلة اضطراب نتيجة تعرض الإمارة إلى ثورات داخلية من المولدين والنصارى والبربر وبعض القبائل العربية وهجمات خارجية من النورمان والممالك النصرانية في الشمال في محاولة استعادة الأراضي التي دخلت تحت حكم الإسلامي في عهد الأمراء محمد بن عبد الرحمن وابنيه المنذر وعبد الله، وكان أخطرها ثورة ابن حفصون. لكن مع تولي عبد الرحمن الناصر لدين الله (انظر المستند) استعادت البلاد وحدتها السياسية وقوتها العسكرية بعد أن خاض حروباً طويلة استطاع من خلالها استعادة السيطرة على البلاد.

وفي عام ٣١٦ هـ/٩٢٨ م، أعلن الناصر نفسه خليفة للمسلمين في الأندلس، لتقوية مركزه الديني ليساعده ذلك على مواجهة الدولة العبيدية في شمال إفريقيا، التي سبقته لإعلان اتخاذهم لقب خليفة. ولمواجهة هذا الخطر حصّن الناصر الموانئ الجنوبية للأندلس، وضم موانئ المغرب المواجهة للأندلس في مليلة وسبتة وطنجة، إضافة إلى دعم القبائل البربرية المعادية للفاطميين في المغرب مادياً وعسكرياً. كما استطاع التصدي لأطماع الممالك النصرانية في الشمال كمملكة قشتالة وليون ونافار.



كان نظام الحكم والإدارة في الأندلس في عهد الدولة الأموية متطوراً بالمقارنة بنظائره في الشرق الإسلامي أو الغرب النصراني. كان الخليفة متربعا على قمة هرم السلطة، ويعاونه "الحاجب" وهو منصب يعادل رئيس الوزراء، إضافة إلى مجموعة من الأشخاص الذين يتولون شؤون إدارة البلاد المالية والقضائية والأمنية سواء الداخلية المتمثلة في صاحب الشرطة أو الخارجية المتمثلة في قائد الجيش.



أطلال المسجد الجامع في مدينة الزهراء في قرطبة الأندلسية



أطلال القاعات القديمة داخل المدينة



الطريق المرصوف المؤدي إلى داخل مدينة الزهراء



أطلال مدينة الزهراء الساحرة في الأندلس

اهتم الأمويون في الأندلس بالعمارة الدينية والمدنية، فقد اعتنوا ببناء القصور كقصور الخلافة والرفافة والدمشق في قرطبة، وشيدوا مدناً للاستجمام كمدينة الزهراء التي أسسها عبد الرحمن الناصر سنة ٢٢٥هـ/٩٣٦م، والزاهرة التي بناها محمد بن أبي عامر عام ٣٦٨هـ/٩٧٨م، وقد ظلت الزهراء مقراً لحكم الأمويين لأربعين عاماً في عهدي عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم، إلى أن نقل ابن أبي عامر مقر الحكم إلى مدينته الزاهرة في عهد هشام المؤيد بالله، ضمت الزهراء قاعات احتفال ومساجد ودوراً حكومية وحدائق وداراً لسلك العملة وورشاً للعمال، وتكنات ومسكن للجند وحمامات، كما تم إمدادها بالمياه عبر قنوات. كما شيدوا الكثير من القصاب في العديد من المدن الأندلسية كقصبه ألمرية وبطليوس وجورماز التي بناها عبد الرحمن الداخل.



جانب آخر لأطلال مدينة الزهراء الساحرة في الأندلس



جانب من حديقة قصر الخلافة في قرطبة

**دينار أموي إسباني ضرب الأندلس ٢٣١هـ**

عبدالرحمن الثالث

الوجه: لا إله إلا الله وحده / لا شريك له / محمد
الظهر: الإمام الناصر / لدين الله عبدالرحمن / أمير المؤمنين
بسم الله ضرب هذا الدينار بالأندلس سنة
إحدى وثلاثين وثلث مائة.

القطر: ٢ سم - ص . الدينار عبر العصور الإسلامية



تعد مدينة الزهراء بالأندلس رمز الحضارة الأندلسية عام ٣٢٥ هـ ، وتبعد ٣٠ كم من الشمال الغربي من قرطبة، واستغرق بناؤها أربع سنين، وقد بناها عبد الرحمن الناصر لتمثيل دمشق عاصمة الدولة الأموية قديماً. كما بنى فيها (قصر الزهراء) وحمل إليها الرخام والمرمر من أقطار الغرب، وأقام فيها أربعة آلاف وثلاثمائة سارية، وأهدى له ملك الفرنجة أربعين سارية من الرخام.

الأشراف في الحجاز في العصر العباسي

كان **العلويون** في بلاد الحجاز كثيراً ما يصطدمون مع العباسيين، فلما قضى خلفاء العصر العباسي الأول على حركاتهم ضعف أمرهم واستكانوا، وظل ولاة بني العباس يتولون الحكم في بلاد الحجاز حتى شغل الخلفاء العباسيون بالفتن والثورات التي أثارها الأتراك في أواخر القرن الثالث الهجري، فاستغل هذه الفرصة بعض العلويين الطامحين إلى النفوذ والسلطان^(١).

وكنتاج طبيعي ظلت سيادة العباسيين قائمة بمكة بعد أن تقلد ولايتها الإخشيدون في مصر، فلما **استولى بنو بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ** شاركهم هذه السيادة، فأقيمت الخطبة بمكة للمطيع العباسي مع معز الدولة بن بويه، ثم عمل البويهيون على ألا يكون للإخشيديين نفوذ في الأراضي المقدسة ببلاد الحجاز. وقام **الخلاف سنة ٣٤٢ هـ مع أمير الحج المصري وأمير الحج العراقي على الخطبة لابن بويه أو ابن الإخشيد**، وتطور النزاع إلى نشوب الحرب بين أنصار كل منهما، فلما انهزم المصريون أقيمت الخطبة لمعز الدولة بن بويه، على أن ذلك لم يقض نهائياً على نفوذ الإخشيديين بمكة، فقد ولي **الخليفة المطيع** كافور الإخشيدي ببلاد الحجاز بالإضافة إلى مصر والشام، وصار يدعى له بمقتضى هذه التولية على منابر هذه البلاد مع الخليفة العباسي. ثم دُعي بعد وفاته للحسن بن عبيد الله بن طنج الإخشيد^(٢). وعن بروز الأشراف خلال هذه الفترة يذكر البلادي في توطئة جميلة جاء فيها^(٣): أنه عندما تكاثرت ذرية الحسن، والحسين رضي الله عنهما، كانت تدعى **الأشراف** بلا تفريق بين حسني وحسني، إلا أنه فيما بعد -وفي الحجاز خاصة- كانت **الشرافة** علماً على أولاد الحسن بن علي، ودعي أبناء الحسين **السادة**، على أن هذا ما كان مطرداً، فتجد مؤرخي مكة، يقولون: السيد الحسن بن عجلان، والسيد بركات بن الحسن، وهما حسنيان.

فمن هم الأشراف مدار موضوعنا؟

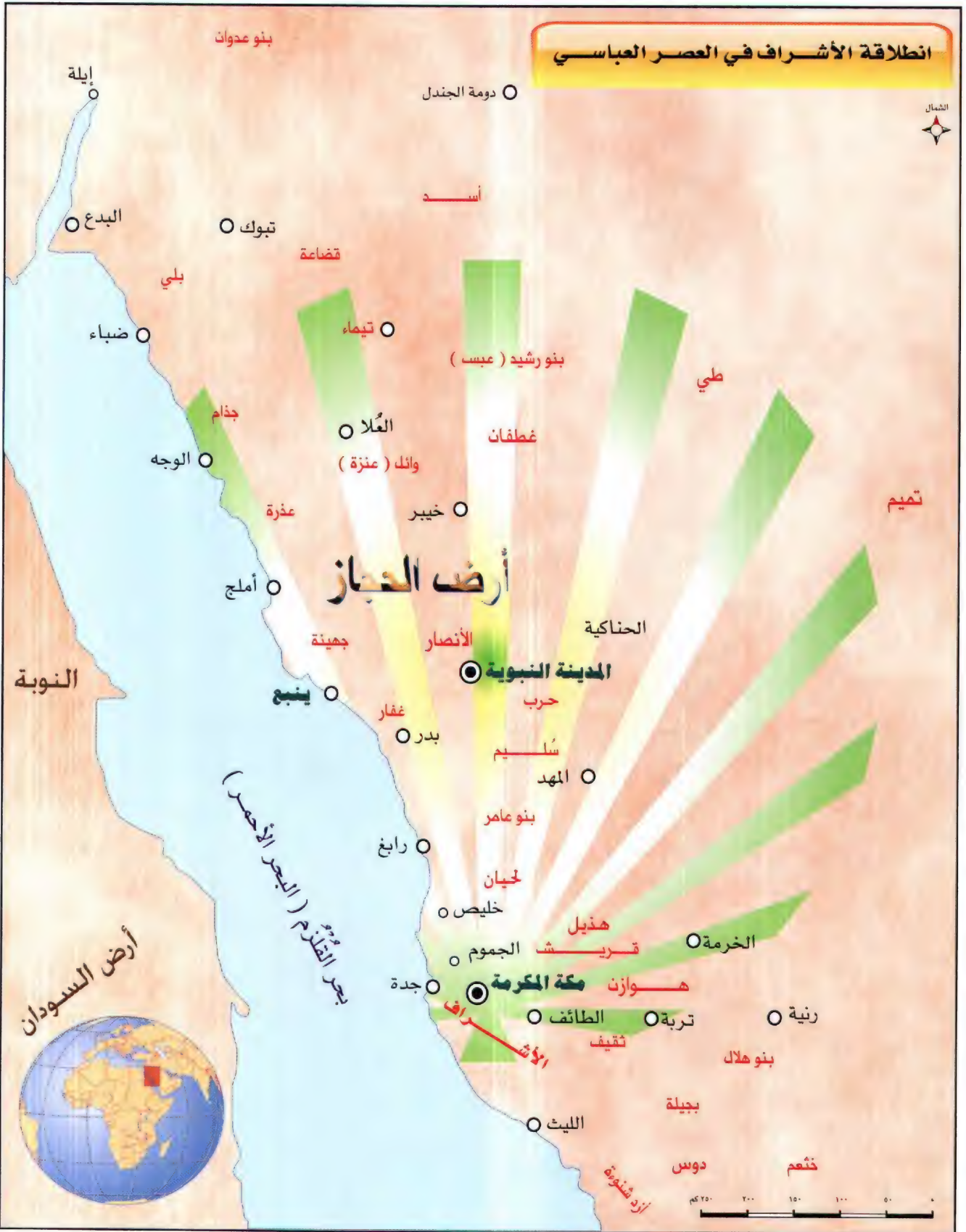
هم **أولاً**: ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، من أبناء فاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وسلم. وهم **ثانياً**: الذين حكموا الحجاز خلال مدة تقرب من ألف سنة، من (٣٥٨-١٣٤٤ هـ) كما قدمنا، ثم حكموا فيما بعد أقاليم آخر، وكانت دولتهم تمتد حتى تصل إلى **نجران وجيزان** جنوباً، و**جبلي طيء** شمالاً، وإلى **الأحساء** شرقاً، ومع هذا كان أحدهم يتشرف بأن يقال له: (شريف مكة)، شرفها الله تعالى. لذا سنقوم بتسليط الضوء - في هذا الأطلس التاريخي - على دور هذه الدول خلال هذه المرحلة بشكل يتناسب والأدوار التي قامت فيها خلال العصر العباسي بشكل موجز.

١ - د. محمد جمال سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١٨٩.

٢ - د. محمد جمال سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١٩٠ - ١٩١.

٣ - عاتق بن غيث البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، موقع أشراف الحجاز بالملكة العربية السعودية.

انطلاق الأشراف في العصر العباسي



أولاً: دولة الأشراف الموسويين (٣٥٨ - ٤٥٣ هـ / ٩٦٨ - ١٠٦١ م)

قال البلادي^(١): تنسب هذه الدولة إلى جعفر بن محمد بن الحسين، وقيل: جعفر بن الحسين بن محمد التائر بن **موسى الثاني** بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن **علي بن أبي طالب**، رضي الله عنهما. كذا ذكره الدحلان في (خلاصة الكلام)، ثم قال: تغلب جعفر المذكور على مكة **زمن الإخشيد**، قبل أن يملك **العبيديون** مصر، بعد موت كافور، وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وست وخمسين، وتغلب جعفر سنة (٣٥٨هـ)، وقيل سنة ست وخمسين، وقيل ثلاثمائة وستين، ثم ذكر أسباباً، ولم يذكر نهاية ولايته، إنما قال: ولما توفي جعفر المذكور تولى ابنه (عيسى ابن جعفر) ودامت ولايته إلى سنة ثلاثمائة وأربع وثمانين (٣٨٤هـ) ... وذكره تقي الدين الفاسي، فقال: جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد، وبقية النسب كما تقدم، إلا أن الفاسي حذف الألقاب، كالتائر والثاني والجون، ... إلخ ثم قال: **أمير مكة**، كذا نسبه ابن حزم في الجمهرة، وقال -أي ابن حزم-: إنه غلب على مكة في أيام الإخشيدية، وولده إلى اليوم - في عهد ابن حزم - ولاة مكة، منهم عيسى بن جعفر المذكور، لا عقب له، وأبو الفتوح الحسن بن جعفر المذكور، وشكر بن أبي الفتوح، وقد انقرض عقب جعفر المذكور، لأن أبا الفتوح لم يكن له ولد إلا شكر، ومات شكر ولم يولد له قط. وذكر شيخنا ابن خلدون -الكلام للفاسي- في تأريخه، في نسب جعفر والد عيسى وأبي الفتوح، ما يخالف ما ذكره ابن حزم، لأنه لما نسبه قال: هو جعفر بن أبي هاشم الحسن بن محمد بن سليمان بن داود، وذكر أن محمد بن سليمان، جد جعفر، قام بمكة سنة إحدى وثلاثمائة، وخطب في موسمهما **لنفسه بالإمامة ودعا لنفسه**، وخلع المقتدر العباسي.

وذكر أن محمد بن سليمان (**الناضض**) هذا من ولد محمد بن سليمان الذي دعا لنفسه بالمدينة، أيام المأمون وتسمى **بالناضض**، وذكر أن سليمان والد محمد بن سليمان، هو سليمان بن داود بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

ويرى البلادي أن المرجح في نسبه هو: جعفر بن محمد بن الحسن، وبقية النسب كما تقدم وهو **أول مؤسس للشرافة في مكة كما قدمنا**، وليس هو من كبار الأشراف المصنف هذا البحث من أجلهم ولكن له شرف الريادة والتأسيس، ولذا كان الافتتاح به أليق، وقد بقيت الشرافة بعده في ولد الحسن بن علي - رضي الله عنهما - نحو **ألف سنة إلا قليلاً**. فهو من الأشراف الحسينيين **كأبي العباس في العباسيين**. وبالإجمال فأخباره قليلة، ومؤرخوه ينقل بعضهم عن بعض، وشذ فيه العصامي، كما رأيت، بما لم يأت به غيره^(٢).

٢٠١ - عاتق بن غيث البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، موقع أشراف الحجاز بالملكة العربية السعودية .

الطبقة الأولى: الأشراف الموسويون في الحجاز

تشير المصادر التاريخية في عهد الخلافة العبيدية أن **عشائر طيء**، هيمنت في البلقاء، وباديتهما، وصولاً إلى القدس، والشرارة، ومن أوائل أمرائها الذين برزوا على الساحة السياسية، في ذلك العصر، الأمير الجراح الطائي، وهو أمير عرب طيء في القرن الثالث الهجري.

الحاكم بأمر الله العبيدي يستشيط غضباً لخروج أبي الفتوح أمير مكة للبلقاء ومبايعة بني الجراح الطائيين له بالخلافة؛ وتحت سلاح التهديد اعتذر **أبو الفتوح** للعبيدي وعاد أميراً لمكة تابعاً له.

حكّام المدينة من (آل مهنا من البيت الحسيني) من قبل العباسيين سنة ٣٨٠ هـ. ثم العبيديين.

المدينة النبوية

أرض المجاز

الأشراف
مكة المكرمة

اتفق **بنو الجراح** سنة ٤٠١ هـ على استدعاء **أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسيني أمير مكة** ليبايعوه بالخلافة، فأوفدوا إليه الوزير **أبا القاسم بن المغربي** ليغريه بالخروج على الحاكم بأمر الله العبيدي ويحرضه على طلب الخلافة، كما حثه على الخروج إلى **الرملة** إجابة لرجاء **حسان بن مضر** بن الجراح الطائي الذي سيكون عوناً له بعد الله في تثبيت سلطته، فرحب الأمير **أبو الفتوح** بهذه الدعوة وأقام **الخطبة لنفسه** وتلقب بالراشد بالله وسار إلى **الرملة** وتم مبايعته فيها وأقيمت له **الخطبة** في كثير من بلاد الشام.

الطبقة الأولى الأشراف الموسويون:

ويقال لهم **بنو موسى**، وهم من **بني جعفر بن أبي جعفر محمد الأمير بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضا بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -**. وأول من تولى إمارة مكة المكرمة - حرسها الله تعالى - **جعفر بن محمد بن الحسين**، وكان الأولى أن تسمى هذه الطبقة **بالأشراف الجعفريين** نسبة إلى أول من تولى إمرتها.

معنى الطبقة: الفترة التي حكم فيها أحد فروع الأشراف الحمانيين الأربعة مكة المكرمة وأبناها الله تعالى شرفاً.

(١) عُمان في العصر العباسي

بقيام **الدولة العباسية** فوض الخليفة أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر المنصور على أقاليم عُمان واليمامة والبحرين وقد اختار أبو جعفر جناح بن عباد بن قيس الهنائي عاملاً على عُمان فظل في منصبه مدة قصيرة حتى حل محله ابنه محمد بن جناح الذي حسنت سيرته في أهل عُمان فأحبوه، وقد تأثر كثيراً بالأفكار الأباضية مما دعاه إلى الاعتراف بنفوذهم فبادر أهل عُمان وعقدوا الإمامة للجلندي ابن مسعود الذي يُعدُّ **المؤسس الحقيقي للإمامة الأباضية** - تقدم ذكره -، وبذلك خرجت عُمان من يد العباسيين زمن أبي العباس السفاح.

بيد أن الخلافة العباسية كان لا يمكن أن يطول سكوتها عما كان يحدث في عُمان مما يشكل سابقة خطيرة تؤدي إلى تمزق الدولة العباسية وانفصال أطرافها، لذا فقد أرسل الخليفة **أبو العباس السفاح سنة ١٣٤هـ** حملة بحرية بقيادة خازم بن خزيمه لإخماد الثورة التي تأججت في جزيرة ابن كاوان القريبة من عُمان وإخضاع عُمان لنفوذ الخلافة العباسية، وفي الحروب التي دارت بين الجيش العباسي وبين الجلندي بن مسعود قتل الأخير وبضعة آلاف من رجاله في **موقعة جلفار**، ومع ذلك فإن أوضاع عُمان لم تستقر طويلاً ولم يستطع الولاة العباسيون أن يسيطروا على البلاد بسبب معارضة العُمانيين لهم. لقد تركت وفاة الجلندي فراغاً سياسياً كبيراً وصدمة بين أتباعه، وعلى الرغم من ذلك فلم يستطع العباسيون إخضاع عُمان، فالعُمانيون لم يستكينوا للوالي العباسي وظلوا يناوئون العباسيين ويعارضون حكمهم.

لم يلبث العُمانيون أن ثاروا سنة ١٧٧هـ وخلعوا الطاعة للخلافة العباسية واختاروا محمد بن عبد الله بن عفان اليعمدي إماماً، إلا أنه كان شديداً تنقصه المرونة فأجمع العلماء على عزله، واختاروا الوارث بن كعب الخروصي، وفي عهده استقرت الأمور وساد النظام والأمن بفضل حزمه وعزمه.

لم يرض **هارون الرشيد** عن الوضع فأرسل حملة كبيرة بقيادة عيسى بن جعفر بن سليمان لإخضاع عُمان **سنة ١٨٩هـ**، ولكن هذه الحملة باءت بالفشل، الأمر الذي أغضب الخليفة هارون الرشيد الذي لم يلبث أن توفي قبل أن يثار من عُمان وأهلها.

اجتمعت كلمة أهل عُمان على مبايعة غسان بن عبد الله اليعمدي بالإمامة بعد وفاة الوارث بن كعب سنة ١٩٢هـ وقد بقي إماماً خمس عشرة سنة وسبعة أشهر، وفي عهده امتد نفوذ عُمان إلى أقاليم أخرى من



شبه الجزيرة العربية مثل اليمامة وحضرموت فضلاً عن بعض الجزر القريبة مثل سقطرى . وبوفاة الإمام غسان بن عبد الله اليعمدي انتقلت الإمامة إلى عبد الملك بن حمير بن ماء السماء الأزدي، وخلال إمامته حدثت العديد من المشكلات والفتن الداخلية، إلى أن اختير الإمام مهنا بن جيفر اليعمدي الذي ببيع عام ٢٢٦هـ وقد تنبه إلى المخاطر التي كانت تتعرض لها عُمان، وكان أكثرها يأتي من ناحية البحر، لذا فقد أخذ في تقوية الأسطول الذي وصل في عهده إلى ثلاثمائة سفينة كاملة التسليح، مهياً لخوض غمار الحرب، أما جيشه البري فقد وصل إلى درجة أن حامية نزوى وحدها كانت تضم عشرة آلاف مقاتل وسبع مئة ناقة وست مئة فرس .

ثمة إمام آخر عظيم الهمة هو الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي، الذي ببيع بالإمامة في نفسه اليوم الذي مات فيه الإمام مهنا في السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٢٣٧هـ، وقد ببيع الصلت على ما ببيع عليه أئمة العدل من قبله، إصلاح في الداخل، وجهاد في الخارج، وكانت أرض عُمان في عهده مترامية الأطراف إذ كانت **سقطرى والمكلا وحضرموت والمهرة كلها تحت الحكم العُماني** وفي عهده اعتدى النصاري الأحباش بإسطولهم على سقطرى، وأطلقوا الأجراس وجعلوها نصرانية واستغاثت به امرأة من أهل سقطرى وكانت بمنزلة (وامعتصاه) التي أطلقتها امرأة مسلمة في عموريه، وإذا كان المعتصم قد قاد جيشاً من الفرسان حتى ظفر وانتصر فإن الإمام الصلت بعث أسطولاً من مائة سفينة حربية تحمل جنوداً أشاوس وفرساناً يحتسبون أرواحهم في سبيل الله وتمكنوا من استعادة الجزيرة من مغتصبها وقد أمضى الإمام الصلت في الحكم خمساً وثلاثين سنة من ٢٣٧- إلى ٢٧٢هـ الموافق ٨٥١ إلى ٨٨٥م.

وفي عهد الإمام الصلت **استقلت عُمان عن الدولة العباسية استقلالاً كاملاً** وقد عاصر هذا الإمام العادل ستة من خلفاء بني العباس هم المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد. وفي أواخر القرن الثالث الهجري دخلت إمامة عُمان مرحلة من مراحل الضعف حيث اشتدت الصراعات بين القبائل، ولجأ بعضهم إلى الاستعانة **بالوالي العباسي في البحرين** ضد خصومه ومنافسيه، مما أغرى محمد بن نور الوالي العباسي في البحرين **بغزو عُمان سنة ٢٨١هـ/ ٨٩٣م** فاستولى على سواحل عُمان **وأقام الخطبة للخليفة العباسي المعتضد**، وفرض على العُمانيين خراجاً سنوياً، ومع ذلك فقد ظل العُمانيون يختارون أئمتهم بعيداً عن سطوة العباسيين.

لقد بقيت عُمان متماسكة قوية في ظل أئمتها العظام من أمثال: الصلت بن مالك إلى أن تولى أمر عُمان عدد من الأئمة لم يكن الواحد منهم يبقى في منصبه إلا بقدر ما يكيد له الآخرون، وفي عهد الإمام عزان

ابن تميم وقعت حرب أهلية طال أمدها وأتسع مداها إلى أن أكلت الأخضر واليابس .

وفي أوائل القرن الرابع الهجري - أي العاشر الميلادي - **تعرضت عُمان لهجمات القرامطة** الذين اتخذوا **البحرين** مقراً لهم، ولم تحل **سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م** إلا وكان القرامطة قد سيطروا على بعض أجزاء عُمان في الوقت الذي أخذت فيه الخلافة العباسية طريقها نحو الإنحلال والضعف، **وإزداد نفوذ بني بويه في الدولة**، وانعكس ذلك بشكل واضح على عُمان التي تغلب عليها يوسف بن وجيه، وهو رجل مغامر سبق له أن حاول احتلال البصرة مرتين، إلا أنه فشل في محاولاته سنة ٣٣١هـ وسنة ٣٤١هـ ، فقد تمكن يوسف من الاستقلال بعُمان بعيداً عن الخلافة العباسية. وتشير المصادر التاريخية إلى أن العُمانيين لم يرضخوا لسلطة يوسف بن وجيه واختاروا سعيد بن عبد الله بن محمد الرحيل إماماً عليهم سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٠م .

واستطاع هذا الإمام انتزاع عُمان الداخل من قبضة يوسف بن وجيه الذي بقي محصوراً في المناطق الساحلية وبعد استشهاد الإمام سعيد بن عبد الله بالقرب من الرستاق سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٩م، اختار العُمانيون راشد بن الوليد إماماً لهم وواصل الحرب ضد مغتصبي بلادهم، وحقق انتصارات متوالية على يوسف بن وجيه الذي اغتاله مولاه نافع سنة ٣٤٢هـ، وتولى الأمر مكانه **وأعلن ولاءه للعباسيين** ووجدتها **السلطان البويهى (معز الدولة)** فرصة لغزو عُمان، إلا أن محاولاته جميعها باءت بالفشل، وبلغ من سوء الأحوال عندئذ أن بعض المتنافسين على السلطة في عُمان استعانوا بالقرامطة في البحرين سنة ٣٥٥هـ مما عرّض عُمان لخطر القرامطة من جديد .

لقد أفزع هذا الوضع المخلصين من العُمانيين فتظموا صفوفهم وتمكنوا من **طرد القرامطة نهائياً من عُمان سنة ٣٧٥هـ**، واتبعوا ذلك بالعمل على استئصال نفوذ الخلافة العباسية من عُمان. لقد ظلت عُمان خاضعة للولادة مدة خمسة وستين عاماً منذ وفاة الإمام راشد بن الوليد سنة ٣٤٢هـ حتى اختير الخليل بن شاذان إماماً في العقد الأول من القرن الخامس الهجري. وقد انتعشت **الإمامة الإباضية**، بسبب هذه الانتصارات المتلاحقة، وأحس **بنو مكرم** وهم من أعيان أهل عُمان بمنافسة الإثمة لهم فاشتد الصراع بين الطرفين ووقعت الاضطرابات والحروب الأهلية مرة ثانية، ولم يجد العُمانيون مخرجاً من هذا الوضع المتردي إلا بالاتفاق حول الإمامة الإباضية .

وبعد أن سقطت الخلافة العباسية في بغداد على أيدي التتار في أواسط القرن السابع الهجري لم يكن للتتار قوة بحرية ليفرضوا سيطرتهم على الخليج، لذا فقد بقيت عُمان بمنأى عن سيطرتهم، ومضت في طريقها بعيداً عن نفوذ التتار ولم تلبث أن دخلت منتصف القرن السادس للهجرة في عصر بني نبهان.

الدولة الزييرية ٣٦٢-٥٤٣ هـ / ٩٧٣-١١٤٨ م

الزيريون : أسرة حكمت إفريقية (تونس) وقسماً من المغرب الأوسط، ينتسبون إلى قبيلة صنهاجة البربرية، إلا أنهم يرفعون نسبهم إلى قبائل حمير القحطانية، وكانوا يقطنون الأطراف الشمالية للمغرب الأوسط (الجزائر اليوم).

أول أمير برز من صنهاجة هو **زيري بن مناد التلكتاتي** (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م) الذي خدم القائم بالله العبيدي (٣٢٢-٣٣٤ هـ)، ثم ابنه المنصور بالله إسماعيل (٣٣٤-٣٤١ هـ) ولاسيما في أثناء **ثورة أبي يزيد الخارجي** صاحب الأتان، فكانت مكافأة العبيديين له أن ثبتوا سلطته في قومه، وسمحوا له بتأسيس عاصمة لصنهاجة، فكانت **«أشير»** على بعد مئة ميل من الجزائر الحالية، في جنوبها وشرقيها انتصب برج مراقبة لتحركات قبائل **زناتة البربرية المناوئة لصنهاجة**، وقاعدة عسكرية لقمع ثوراتهم المتكررة، مثلما كانت المسيلة (المحمدية) التي أسسها القائم بالله شرقي الجزائر وأسند إمارتها مع الزاب كله إلى جعفر بن حمدون.

أسس زيري عاصمته آشير سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م وتوفي سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م في حرب مع جعفر بن حمدون المنقلب مع زناتة على المعز لدين الله العبيدي، وبقيت إمارة صنهاجة في بني زيري، **فعرفوا بالزيريين أو الأسرة الزييرية.**

أصبح **بنو زيري نواباً للعبيديين في المغرب**، حيث أسند المعز لدين الله العبيدي ولاية إفريقية والمغرب إلى **بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي** وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح، حين عزم على التحول إلى عاصمته الجديدة **القاهرة** جعله نائباً عنه في سياسة البلاد وجبايتها وحربها، واستثنى منها صقلية وكانت لبني أبي الحسين الكلبيين، والأعمال الليبية شرقاً وكانت لولاة من قبيلة كتامة. عمل بلقين في السنوات العشر من ولايته (٣٦٢-٣٧٣ هـ / ٩٧٣-٩٨٤ م) على تثبيت الحكم العبيدي والحفاظ على الطقوس الشيعية والشعارات الإسماعيلية في إمارته.

ولم يقر لبلقين قرار بالقيروان أو المنصورية عاصمة العبيديين، فقد كان يجوب المغرب الأوسط والأقصى في ملاحقة **زناتة ومغراوة وبرغواطة**، ومحاصرة أنصار الأمويين من تاهرت إلى سجلماسة ومن فاس إلى تلمسان، حتى أدركته المنية راجعاً من سجلماسة سنة ٣٧٣ هـ، واعترفاً له بكفاحه لإعلاء كلمة العبيديين أسندوا إليه حكم **المسيلة وإمارة الزاب** بعد انخزال الأمراء الحمدونيين ولجوئهم إلى الأندلس، ثم أسندوا إليه حكم **طرابلس وسرت وأجداية**، ومع انشغاله بالحرب لم يهتم بلقين العمران، فقد أسس بالمغرب الأوسط مدينتي **مليانة والمرية** وخطط لمدينة **الجزائر.**



تسلسل	الحاكم الزييري	فترته الزمنية
١	أبو الفتوح سيف الدولة بلكين بن زييري	٩٧٣-٩٨٣ م
٢	أبو الفتح المنصور بن بلكين بن زييري	٩٨٣-٩٩٥ م
٣	أبو قتادة ناصر الدولة باديس بن منصور	٩٩٥-١٠١٥ م
٤	شرف الدولة المعز بن باديس	١٠١٥-١٠٦٢ م
٥	أبو طاهر تميم بن المعز	١٠٦٢-١٠٨٧ م
٦	أبو طاهر يحيى بن تميم	١١٠٨-١١١٥ م
٧	علي بن يحيى بن تميم	١١١٥-١١٢١ م
٨	أبو الحسن الحسن بن علي	١١٢١-١١٤٨ م

الحكام الزيريون في بلاد المغرب العربي

تولى الحكم بعد وفاة بلقين ابنه **منصور** (٢٨٧.٣٧٣هـ / ٩٩٧.٩٨٤م) الذي أقلع عما كان يقوم به والده وسلالته من قبل، وهو مهاجمة زناتة وأعداء العبيديين وملاحقتهم حتى فاس والمغرب الأقصى، واكتفى بالوقوف عند المغرب الأوسط، ومع ذلك لم تكن سلطته تستقر دائماً هناك، إذ كادت تاهرت تخرج من يد السلالة، وفي أحيان أخرى يقوم **الزناطيون** بالتقدم حتى أشير قاعدة السلالة الأصلية، وقد عالج باديس ابن المنصور (٤٠٦.٣٨٧هـ) هذا الأمر بتركيز قوة زيرية في المغرب الأوسط، فعهد **لعمه حماد** الذي كان قد قاد بعض الحملات الناجحة ضد زناتة في أيام أبيه، بمحاربتهم من جديد وسمح له بأن يضم إلى إمارته كل أرض يفتحها من العصاة، وانقسمت بذلك الدولة إلى **قسمين** **بأنفصال القسم الغربي منها بما فيه أشير وحكم فيه حماد**، ثم توارث الحكم بعده أبناؤه وأحفاده.

وقدر لأيام حكم الأمير المعز بن باديس (٤٠٦.٤٥٤هـ / ١٠١٥.١٠٦٢م) أن تشهد أكثر الحوادث الحاسمة في تاريخ السلالة، إذ نبذ **المعز بن باديس الدعاء للخليفة العبيدي وصار يدعو لبني العباس سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٩م**، وحدث في عهده الانفصال عن العبيديين رسمياً. واختلف المؤرخون في تاريخ بداية القطيعة، على أن الأحداث الممهدة لها بدأت منذ تولي المعز الإمارة في سنة ٤٠٧هـ بحرب الشيعة بالقيروان وامتدت إلى المهديّة وتونس، ويبدو أن الأمير لم يتحرك بالحزم اللازم لإيقاف هذه الحرب، وعلى الرغم من ذلك فإن الحاكم العبيدي أرسل إلى المعز في آخر السنة سجلاً أسند له فيه لقب «شرف الدولة» وقد بالغت الكتب السنية ولاسيما كتب المناقب. في الانتصار لهذا الغضب ضد الشيعة وجعلوا لمؤدب المعز، محرز ابن خلف، دوراً كبيراً في التحريض على الانتقام.

نتج من القطيعة الرسمية عن العبيديين، **زحفة بني هلال المعروفة**، ذلك أن وزير المستنصر العبيدي (٤٢٧.٤٨٧هـ / ١٠٣٦.١٠٩٤م) الحسن بن علي اليازوري، نصح الخليفة بتسريح أعراب بني هلال وسليم وبطون أخرى من عامر بن صعصعة إلى إفريقية ليخلص الصعيد المصري منهم، وقد كثر فيه عيthem، ولينتقم من الزيريين من جهة أخرى، فكان لزعهم على القيروان وتخريبها، وانسحاب المعز إلى المهديّة المحصنة ما هو معروف ومردد في كتب التاريخ، مع التفاوت في المبالغة والتخفيف، فمن الدارسين من يصف قدومهم بالكارثة ومنهم من يقلل فيهمزاً بأسطورة الكارثة.

تضافرت عوامل عديدة أدت إلى **انقراض الدولة الزيرية**، منها: الانشقاق في الأسرة الحاكمة الزيرية وما تبع ذلك من حروب وحصار وهزائم وانتصارات بين الزيريين في إفريقية والحماديين الذين اتخذوا مدينة القلعة الحصينة مركزاً لهم. وتبعه انقسام ثان باستقلال مدينة تونس عن الإمارة الزيرية الملتجئة إلى المهديّة بسبب استيلاء بني هلال على القيروان ومعظم مدن إفريقية، فاستقلت تونس بإمارة عرفت بدولة بني خراسان (٤٤٧.٥٥٩هـ / ١٠٥٥.١١٦٣م) وهم أمراء عينهم عليها الناصر بن علناس الحمادي.

ومن عوامل الانقراض **سيطرة الأعراب على إفريقية وإنشأؤهم إمارات بقفصة وقابس وصفاقس، شأن ملوك الطوائف بالأندلس**، واستيلاء النورمانديين على صقلية سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م هذا مع استمرار التحاسد والتناحر في الأسرة المالكة للرقعة المتقلصة بالمهدية ودب الهرم في دولة تميم ابن المعز (٤٥٤هـ/ ١٠٦١-١١٠٧م) وابنه يحيى بن تميم (٥٠١هـ/ ١١٠٧-١١١٦م) الذي راجع الولاء العبيدي فلم يفده شيئاً. وكان ولوعاً بالصناعة أي الكيمياء التي تحول المعدن الرخيص إلى ذهب نفيس، فكان هذا الوهم سبباً لقتله غيلة من إخوة له متكرين في زي مغاربة زعموا أنهم مختصون في هذا الفن، ولم ينجح آخر الأمراء الزيريين الحسن بن علي بن يحيى ٥١٥هـ/ ٥٤٢هـ في رد الهجمات النورماندية الصقلية على سواحل إفريقية، **فاحتل النورمانديون المهدية** واضطر الحسن إلى الهروب إلى المعلقة قرب قرطاج سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م. وتم الخلاص على يد عبد المؤمن الموحي سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م الذي حرر المهدية من النورمانديين وجعل حكم إفريقية إلى الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي.

المنجزات الحضارية: لم يبق من أعمالهم المعمارية في إفريقية آثار متميزة عن أسلافهم العبيديين، وقد ذكر لهم المؤرخون القدامى تقدماً في الزخرفة في الأقمشة والجلد والمصاحف مما وصفه حسن حسني عبد الوهاب إجمالاً من دون تدقيق كاف. وخصص ج. مارسى في كتابه عن الفنون الإسلامية بعض الصفحات عن النقوش المعمارية في عهدهم.

وتحدث المعاصرون عن ازدهار الأدب ببلاد المعز بالقيروان وتميم بالمهدية، وأشادوا بتشجيعهم للشعراء والأدباء كالحصريين علي وإبراهيم والنهشلي والعلمين المتنافسين ابن رشيق وابن شرف. وذكروا مكانة العلم عندهم باختصاصهم بابن أبي الرجال العالم الفلكي والرياضي البارع والوزير المقتدر^(١).



الطبيعة في أشير الجزائرية

الدولة الغزنوية ٣٦٦ - ٥٧٩ هـ / ٩٧٦ - ١١٨٢ م

كانت "غزنة" بأفغانستان (طخارستان) ولاية نائية، تخضع للدولة السامانية التي تحكم خراسان وما وراء النهر، ويقوم عليها ولاية من قبلها، وشاءت الأقدار أن يلي غزنة سنة (٣٦٦هـ = ٩٧٦م) وال يسمى "سبكتكين" كان يتمتع بهمة عالية وكفاءة نادرة، وطموح عظيم، فنجح في أن يبسط نفوذه على البلاد المجاورة، وشرع في غزو أطراف الهند، وسيطر على كثير من المعازل والحصون هناك، حتى تمكن من تأسيس دولة كبيرة في جنوبي غرب آسيا، وتوفي سنة (٣٨٧هـ = ٩٩٧م).

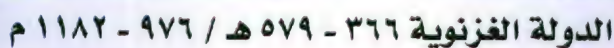
ولاية محمود بن سبكتكين:

بعد موت سبكتكين خلفه ابنه إسماعيل، بعد أن عهد إليه أبوه بالملك من بعده، غير أن أخاه الأكبر محمود - وكان سند والده في غزواته وحروبه - رفض أن يقر لأخيه بالملك لضعفه وسوء تدبيره، فنهض عليه واستطاع بعد سبعة أشهر أن ينتزع الملك لنفسه، ويقبض على زمام الأمور، وبدأ عهد جديد لم تشهده المنطقة من قبل، فلم يكد يستقر الأمر له، حتى بدأ نشاطاً واسعاً في الفتوح، وأثبت أنه واحد من كبار الفاتحين في تاريخ الإسلام^(١).

قضى محمود الغزنوي الفترة الأولى من حكمه في تثبيت أركان دولته، وتوسيع رقعتها على حساب الدولة السامانية التي دبّ الضعف في أوصالها، فرأى الفرصة سانحة للقضاء عليها، وتم له ذلك في (جمادى الأولى ٣٨٩هـ = أبريل ٩٩٩م) بعد انتصاره على عبد الملك بن نوح الساماني في موقعة حاسمة عند **مرو**، وأصبحت خراسان خاضعة له، **ثم تصدى للدولة البويهية**، وانتزع منها الري وبلاد الجبل وقزوین.

فتح الهند:

بعد أن استقرت الأحوال لمحمود الغزنوي واستتب له الحكم، **وأقرته الخلافة العباسية** على ما تحت يده من بلاد، تطلّع إلى بسط سيطرته على بلاد الهند، ومد نفوذه إليها ونشر الإسلام بين أهلها؛ ولذلك تعددت حملاته على الهند حتى بلغت أكثر من **سبع عشرة حملة**، وظل يحارب دون فتور نحواً من سبع وعشرين سنة، بدأت من عام (٣٩٠هـ = ١٠٠٠م)، حيث قاد حملته الأولى على رأس عشرة آلاف مقاتل، والتقى عند مدينة بشاور بجيش **"جيبال"** أحد ملوك الهندوس، وحقق نصر غالباً، ووقع الملك الهندي في الأسر، الذي لم يستطع أن يتحمل هزيمته والعار الذي لحق به، فأقدم على حرق نفسه، بعدما أطلق الغزنوي سراحه مقابل فدية كبيرة^(٢).



غزنة: مدينة أفغانية تقع جنوب غربي العاصمة كابول. كانت عاصمة الدولة الغزنوية، كما كانت من أهم مراكز الثقافة والآداب في العالم الإسلامي. وإلى غزنة نسب جماعة من العلماء منهم سراج الدين أبو حفص عمر، الفقيه الحنفي. وفد إلى القاهرة وولى قضاء الديار المصرية، وترك أثراً مختلفاً منها: كتاب "الشامل" في الفقه وكتاب "شرح عقيدة الطحاوي" وتوفي سنة (٧٧٣هـ).

ثم تعددت حملات الغزنوي، وفي كل مرة كان يحقق نصراً، ويضيف إلى دولته رقعة جديدة، ويبشر بالإسلام بين أهالي المناطق المفتوحة، ويغنم غنائم عظيمة، حتى توج فتوحاته في الهند بفتح بلاد **"الكجرات"**، ثم توجه إلى مدينة **"سومنا"** سنة (٤١٦هـ = ١٠٢٥م) وكان بها معبد من أكبر معابد الهند، يحوي صنماً اسمه "سومنا" وكان الهندوس يعظمونه ويحملون إليه كل نقيس، ويغدقون الأموال على سدنته، وكانت مدينة سومنا تقع في أقصى جنوب الكجرات على شاطئ بحر العرب، فقطع الغزنوي الصحاري المهلكة حتى بلغها، واقتحم المعبد، وهزم الجموع الغفيرة التي حاولت إنقاذ المعبد، ووقع آلاف الهندوس قتلى، وسقط المعبد في أيدي المسلمين^(١).

وغنم الغزنوي أموالاً عظيمة قدرت بنحو عشرين مليون دينار، وعاد إلى غزنة سنة (٤١٧هـ = ١٠٢٦م) وظلت ذكرى هدم معبد سومنا عالقة في ذاكرة الهندوس لم يمحها كثر السنين، ولا تغيرها الأحوال، حتى إذا ما ظفرت الهند باستقلالها عمدت إلى بناء هذا المعبد من جديد في احتفال مهيب. (معركة سومنا "فتح الهند الأعظم")

ولم يكن الغزنوي مدفوعاً في فتوحاته برغبة جامحة في كسب الغنائم أو تحقيق مجد يذكره له التاريخ، ولكن قاده حماسه لنشر الإسلام، وإبلاغ كلمة التوحيد في مجتمع وثني، وكانت تلك الحملات مسبقة بطلب الدخول في الإسلام، وإلى هذا أشار السير "توماس أرنولد" في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" بقوله: وفي الحق أن الإسلام قد عُرض في الغالب على الكفار من الهندوس قبل أن يفاجئهم المسلمون. وكانت حصيلة جهود محمود الغزنوي أن أتم فتح شمال شبه القارة الهندية، ففتح إقليم كابلستان، وملتان، وكشمير، وأخضع البنجاب، ونشر الإسلام في ربوع الهند، وفتح طريقاً سلكه من جاء بعده^(٢). وقد نظر المؤرخون المسلمون إلى أعماله نظر إعجاب وتقدير، فقد بلغ بفتوحاته إلى "حيث لم تبلغه في الإسلام راية، بعد محمد بن القاسم الثقفي، وأقام بدلاً من بيوت الأصنام مساجد الإسلام".



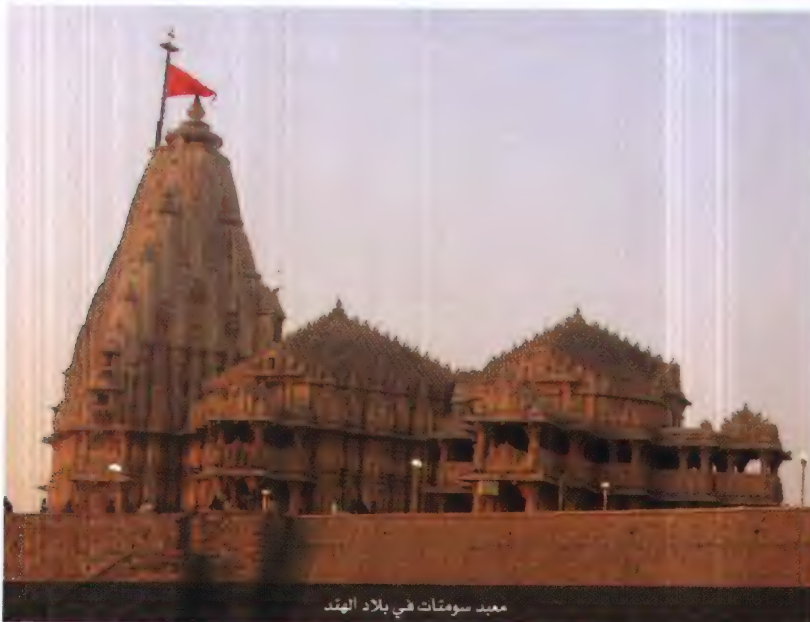
١ - دينار غزنوي ضرب نيسابور ٢٣٨٩هـ

أبو القاسم محمد بن سبكتكين
المركز: عدل / لا إله إلا الله وحده / لا شريك له / القادر بالله.
الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بنيسابور سنة تسع
وثمانين وثلثمائة.
الهامش الخارجي: لله الأمر من قبل...
المركز: لله / محمد رسول الله / الأمير السيد أمير / الدولة
وأمين / لمة أبو القاسم ولي / أمير المؤمنين.
الهامش: محمد رسول الله...
القطر: ٢.٥ سم. م. ص. الدينار عبر العصور الإسلامية





الفتح الإسلامي للهند



معبد سومنات في بلاد الهند

الغزنويون؛ سلالة من أصل تركي اتخذت غزنة (هي الحد بين خراسان والهند وقصبة زابلستان) عاصمة لها، واستمرت في الحكم مدة تزيد على ٢٠٠ سنة، من سنة ٣٦٦هـ إلى سنة ٥٧٩هـ، في أفغانستان، وبعد ذلك في أجزاء من البنجاب.

مؤسس هذه السلالة سبكتكين من قادة السامانيين وولاتهم، اتخذ لنفسه لقب أمير، فلما كان عهد إبراهيم وهو الحاكم الثاني عشر اتخذ لنفسه لقب **سلطان**، وهو أول من اتخذ هذا اللقب كما يتبين من دراسة النقد الغزنوي.

النهضة الحضارية والثقافية في عهد محمود الغزنوي

اكتسب محمود الغزنوي مكانته في التاريخ بفتوحاته التي لم تُسبق على أرض الهند، وبجهوده الحضارية التي يشغله عنها فتوحاته وغزواته، وكان الغزنوي نفسه مولعاً بعلم الحديث، يستمع إلى علمائه كما كان فقيهاً له مؤلفات، ولا يكاد يسمع بعالم له مكانة حتى يستدعيه إلى دولته، فاستقدم "أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني" المتوفى سنة (٤٤٠هـ = ١٠٤٩م) الذي نبغ في علوم كثيرة، في مقدمتها الرياضة والفلك، وعُدَّ من أعظم رجال الحضارة الإسلامية، وترجمت كتبه إلى اللغات الأوروبية، وأطلقت روسيا اسمه على جامعة أنشأتها حديثاً.

وعني السلطان محمود بالشعر وكان له به شغف، ومن أشهر الشعراء الذين ازدانت بهم دولته الشاعر الفارسي "عنصري" وكان نديماً للسلطان وشاعراً له، منحه لقب "ملك الشعراء" في مملكته، و"المسجدي"، و"الفرخي" وهو شاعر فارسي عظيم قيل فيه: إن الفرخي لدى الفرس بمثابة المتنبي لدى العرب.

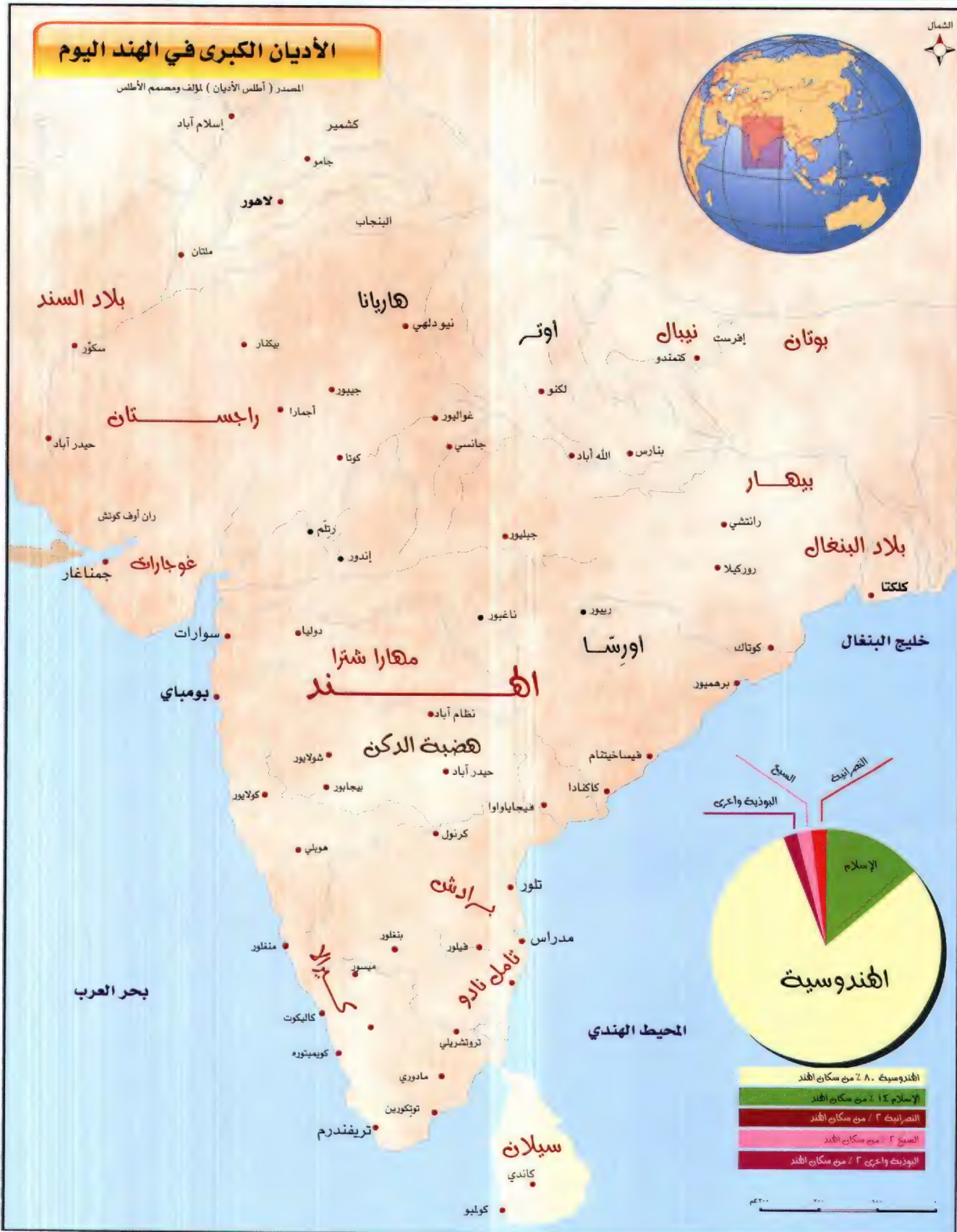
أما أبرز الشعراء في هذا العصر فهو "الفردوسي" صاحب "الشاهنامه" التي نظمها في خمسة وعشرين عاماً من الجهد والإبداع، وتشمل أخبار الفرس القدامى، وهي من عيون الأدب العالمي. ومن أبرز كتاب الدولة ومؤرخيها "أبو الفتح البستي" وكان كاتباً للسلطان وموضع سره ومستشاره في كثير من الأمور، وله شعر رائق ونظم جيد، و"أبونصر محمد بن عبد الجبار العتبي" مؤرخ الدولة الغزنوية وكاتب السلطان مع أبي الفتح البستي، له كتاب "اليميني" نسبة إلى يمين الدولة، لقب السلطان محمود الغزنوي، تناول فيه تاريخ الدولة الغزنوية.

وأصبحت غزنة في عهد السلطان محمود منارة للعلم ومقصداً للعلماء، وغدت عامرة بالمساجد والقصور والأبنية التي لا تقل بهاءً وجمالاً عن المنشآت الهندية التي اشتهرت بدقة التصميم وجمال العمارة. قال عنه ابن العماد في كتابه شذرات الذهب "لم يزل يفتح بلاد الهند إلى أن انتهى إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية". وقال عنه الذهبي: "كان صادق النية في إعلاء الدين، مظفراً كثير الغزو، وكان مجلسه مورد العلماء، وقبره في غزنة وقد خطب له في خراسان والسند والهند وطبرستان وأذربيجان".



الأديان الكبرى في الهند اليوم

المصدر (أطلس الأديان) المؤلف ومصمم الأطلس



دولة بني حماد (٣٩٨-٥٤٧هـ/١٠٠٧-١١٥٢م)

بنو حماد : قبيلة صنهاجية، إحدى أكبر القبائل في المغرب الأوسط، وكان من زعمائها المشهورين زيري بن مناد الصنهاجي، وكان قيام **دولة بني حماد** نتيجة الانشقاق الذي حصل في الأسرة الزيرية الحاكمة في عهد المنصور بن يوسف أمير الدولة الزيرية (٣٧٣-٣٨٦هـ/٩٨٣-٩٩٦م) حين ثارت قبيلة زناته، فعقد المنصور لأخيه **حماد بن يوسف** على ولايتي **المسيلة وأشير**، وطلب إليه قتال زناته، فقاتلها حماد وأعادها إلى الطاعة وهذا ما أتاح لبني زيري أن يوسعوا ملكهم إلى المغرب الأوسط.

أقر باديس بن المنصور (٣٨٧-٤٠٦هـ/٩٩٧-١٠١٦م) عمه حماداً على ولايته وعهد إليه أمر قتال زناته التي ثارت ثانية عام ٣٩٥هـ/١٠٠٥م، وشرط له ولاية **أشير والمغرب الأوسط وكل بلد يفتحه**، بذل حماد جهداً كبيراً في **محاربة الزناتيين** والقضاء على تمردهم، ثم **شرع ببناء مدينة القلعة عام ٣٩٨هـ/١٠٠٧م قرب مدينة أشير وشمال شرقي مدينة المسيلة**، وشيد بنيانها وأسوارها وأكثر فيها المساجد والفنادق، فرحل إليها طلاب العلوم وأرباب الصنائع من الثغور والبلاد البعيدة.

توفي حماد فخلفه ابنه « القائد بن حماد » (٤١٩-٤٤٦هـ/١٠٢٨-١٠٥٤م) الذي تابع سياسة أبيه في التوسع غرباً حتى **دخل ملك فاس**، حمامة بن زيري بن عطية المغراوي في طاعته، وفي سنة ٤٣٤هـ حاول المعز بن باديس (٤٠٦-٤٥٣هـ) أن يستولي على بعض المناطق التابعة للحماديين، وحاصر القلعة مدة، ولكن القائد صالحه فرجع المعز عائداً من حيث أتى بعد أن حاصر مدينة أشير دون جدوى؛ وحينما ساءت علاقة المعز بن باديس بالعبيديين أعاد القائد علاقته بالعبيديين وأمر بالدعاء للخليفة العبيدي على المنابر فمنحه الخليفة العبيدي لقب شرف الدولة.

بعد وفاة القائد تولى الحكم ابنه محسن الذي كان جباراً قوياً، فقتله ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد لتسعة أشهر من ولايته، وتولى الأمر بعده (٤٤٧-٤٥٤هـ/١٠٥٥-١٠٦٢م)، وأكثر بلكين غزواته لبلاد المغرب، وحينما بلغه **استيلاء يوسف بن تاشفين أمير المرابطين** على أرض المصامدة اتجه لقتالهم سنة ٤٥٤هـ فتراجع المرابطون نحو الصحراء وتوغل بلكين في ديار المغرب، ونزل فاس وحمل معه في أثناء عودته رهائن من أكابر أهلها وأشrafهم لكي يضمن ولاءهم وطاعتهم؛ ثم انكفأ راجعاً إلى القلعة حيث قتله عمه الناصر علناس وقام بالأمر من بعده.

ولّى الناصر علناس بن حماد (٤٥٤-٤٨١هـ/١٠٦٢-١٠٨٨م) إخوته وأبناءه على المناطق المختلفة، وعظم أمر الحمّاديين في أيامه، فكتب إليه حمو بن مليل البرغواطي من صفاقس وبعث إليه بهدية، ووفد عليه أهل قسنطينة بزعامة يحيى بن وطاس، فأعلنوا طاعتهم، وأجزل الناصر صلتهم وردهم إلى بلادهم،



تسلسل	الحاكم الحمادي	فترته الزمنية
١	حماد بن بلكين	١٠٠٨-١٠٢٨ م
٢	القائد بن حماد	١٠٢٨-١٠٤٥ م
٣	محسن بن قايد	١٠٤٥-١٠٤٦ م
٤	بلكين بن محمد بن حماد	١٠٤٦-١٠٦٢ م
٥	الناصر بن علتاس بن حماد	١٠٦٢-١٠٨٨ م
٦	المنصور بن الناصر	١٠٨٨-١١٠٥ م
٧	باديس بن منصور	١١٠٥-١١٠٥ م
٨	عبد العزيز بن منصور	١١٠٥-١١٢١ م
٩	يحيى بن عبد العزيز	١١٢١-١١٥٢ م

ووفد عليه شيوخ من تونس طالبين منه إرسال وإل إليها؛ فأرسل الناصر **عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان**، الذي حكم تونس مع مجلس من الشيوخ، كما غزا الناصر إفريقية على رأس تحالف ضخّم ضم رجالات الأثبج، ولكن تميم بن المعز (٤٥٣-٥٠١هـ/١٠٦١-١١٠٧م) استطاع بدعم من قبائل رياح العربية أن يهزم الناصر هزيمة منكرة، وأدى هذا الانتصار إلى **سيطرة القبائل الهلالية** على إفريقية والأثبج على المغرب الأوسط، فاضطر الزيريون إلى التخلي عن القيروان والتراجع إلى المهديّة، **وتخلى الحماديون عن القلعة وتمركزوا في بجاية** التي عرفت أيضاً بالناصرية نسبة إلى الناصر الذي بناها واتخذها مركزاً له بعد سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨-١٠٦٩م، ونقل إليها الناس، وأسقط الخراج عن ساكنيها، وشيد فيها الكثير من المباني العجيبة، فقد كان قصر اللؤلؤ الذي بناه من أعجب قصور الدنيا كما يذكر ابن خلدون، وقد ضعف في عهده أمر الزيريين من جراء فتنة العرب الهلاليين وكثرة التأثيرين عليهم والمتنازعين من أهل دولتهم. خلف المنصور أباه بعد وفاته (٤٨١-٤٩٨هـ/١٠٨٨-١١٠٤م) واتخذ **بجاية** معقلاً وعاصمة له، وجدد قصورها وشيد جامعها وهو الذي حضّر ملك بني حماد كما يذكر ابن خلدون، فقد تألق في اختطاط المباني وتشبيد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين.

كان على المنصور بن الناصر أن يولي اهتمامه إلى الغرب الذي كان قد سيطر عليه المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين، الذين وصلوا حتى الجزائر، ومن **تلمسان** بدأ المرابطون بمهاجمة أراضي صنهاجة بدعم من زناتة وبني مخوخ، فعاقب المنصور بني مخوخ وهاجم تلمسان بعنف، دفعت يوسف بن تاشفين إلى طلب الصلح، وشهدت سنة ٤٧٩هـ/١١٠٤م **نهاية العداء بين المرابطين والحماديين بتوقيع هدنة بينهما** فتفرغ المنصور لحرب زناتة في المغرب الأوسط. وقد قدم على المنصور معز الدولة بن صمادح صاحب المرية، بعد أن قضى يوسف بن تاشفين على **ملوك الطوائف**، فأكرم المنصور وفادته وأقطع بادي وبادس وهي آخر بلاد الزاب.

لم يستمر باديس بن المنصور الذي كان سفاكاً في الحكم أكثر من سنة، فخلفه أخوه العزيز بن المنصور (٥٠٠-٥١٥هـ/١١٠٥-١١٢١م) الذي شجع العلم والعلماء، وكان العلماء والفقهاء يتناظرون في مجلسه، ولقد قام بمصالحة زناتة، وأصهر إلى بني مخوخ واستطاع أسطوله أن يخضع جزيرة جربة في تونس، في سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، ثم حاصر مدينة تونس وأجبر أحمد بن عبد العزيز الخراساني على تقديم ولائه له، وعهد إلى ابنه يحيى مهمة استرجاع القلعة من العرب الهلاليين^(١).



كانت مدينة القلعة التي بناها حماد تتمتع بميزات إستراتيجية مهمة تفوق مدينة أشير، فقد صارت مركزاً أو محطة للقوافل التجارية إثر الخراب الذي بدأ يدب في القيروان والمغرب الأدنى، خاصة وأنه أنشئ لها فيما بعد منفذ على البحر يتمثل ببجاية (الناصرية) التي كانت قبل ذلك ميناء صغيراً للصيد، فأعمرها الناصر وجعلها عاصمة له.

دولة بني نجاح في اليمن: ٤٠٣-٥٥٥ هـ / ١٠١٢-١١٦٠ م

بنو نجاح أسرة حبشية ينسبون إلى الأمير **نجاح أحد موالي بني زياد**، أعلن نفسه سلطاناً على تهامة بعد زوال نفوذ الأسرة الزيادية، **واتصل بالخليفة العباسي** معلناً دخوله في طاعته، فأجازه الخليفة، ولقبه بالمؤيد نصير الدين. لم يكن بنو نجاح أقل عراقية من العرب، وصفهم نجم الدين عمارة اليمني فقال: « لم يكن ملوك العرب يفوقونهم في الحسب، فلهم الكرم الباهر، والعز الظاهر، والجمع بين الوقائع المشهورة، والصنائع المذكورة، والمفاخر الماثورة، وفيهم فضلاء وعلماء ». كانت عاصمتهم **زبيد**، من أشهر سلاطينهم سعيد بن نجاح الملقب بالأحول. جرت بينه وبين الصليحيين معارك عديدة أهمها **معركة المهجم** التي قتل فيها علي بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م، وأسرت زوجته السيدة أسماء بنت شهاب. و**معركة الشعر** سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م التي انتهت بمقتل سعيد بن نجاح، وأسرت زوجته أم المعارك في خبر طريف. بلغ عدد ملوك هذه الدولة ثمانية، آخرهم فاتك بن محمد، تقلد الحكم سنة ٥٣١ هـ / ١١٥٨ م، وكان ضعيف السلطان فتعرضت مناطق نفوذه لهجمات متكررة من قبل بني المهدي الحميري الذين طالت هجماتهم مدينة زبيد مما دفع الأهالي إلى مكاتبة الإمام الزيدي أحمد بن سليمان، فتصدى **لآل المهدي (الخوارج)**، لكنه ما لبث أن استولى على زبيد بعد مقتل السلطان فاتك، وبمقتله قضى على تلك الدولة. الموسوعة العربية، دار الفكر - دمشق - سوريا.

ترتيب حكام بني نجاح

- ١ - الأمير نجاح: ٤٠٣-٤٥٢ هـ / ١٠١٢-١٠٦٠ م.
- ٢ - سعيد بن نجاح: ٤٥٢-٤٨١ هـ / ١٠٦٠-١٠٨٨ م.
- ٣ - جياش بن نجاح: ٤٨٢-٤٩٨ هـ / ١٠٩٠-١١٠٤ م.
- ٤ - فاتك بن جياش: ٤٩٨-٥٠٣ هـ / ١١٠٤-١١٠٩ م.
- ٥ - منصور بن فاتك: ٥٠٣-٥٢١ هـ / ١١٠٩-١١٢٧ م.
- ٦ - فاتك بن منصور: ٥٢١-٥٣١ هـ / ١١٢٧-١١٣٦ م.
- ٧ - محمد بن إبراهيم (٥٣٢-٩٦٣ م).
- ٨ - فاتك بن محمد بن فاتك: ٥٣١-٥٥٣ هـ /

١١٣٦-١١٥٨ م.

بنو نجاح: شرع نجاح في مراسلة الخليفة العباسي القادر

بإلله ببغداد معلناً ولاءه وطاعته للدولة العباسية، فأجازه بذلك ونعته بالمؤيد نصير الدين. كما اتسمت إمارته **بالسُّنية** بحكم تبعيتها **للعباسيين** والتي كسبت بها رضى اليمنيين في منطقة نفوذها، بل وساعدتها في مقاومة الصليحيين في الحروب الطويلة والتقليدية التي قامت بين الدولتين طيلة عهديهما تقريباً. وبعد مقتله بالسهم عام (٤٥٢ هـ) عن طريق جارية جميلة أهداها إليه علي بن محمد الصليحي استولى بنو صليح على المدينة وضموها إليهم حتى استردها سعيد بن نجاح عام (٤٧٣ هـ - ١٠٨٠ م).

دولة بني نجاح

في عام (٤٠٢هـ) تأسست **دولة بني نجاح** بعد سقوط دولة **بني زياد** في **زبيد** بوفاة مؤسسها الحسين بن سلامة، فقام بأمر الدولة نجاح مولى بني زياد وأعلن نفسه سلطاناً على **تهامة وزبيد**، وراسل الخليفة **العباسي القادر بالله** معلناً له الطاعة والولاء، واستمر نجاح في الحكم الذي أقره الخليفة ونعته بالمؤيد نصر الدين، وكان سمحاً يتبع **المذهب الشافعي**؛ فدانت له تهامة طيلة حياته حتى مات سنة (٤٥٢هـ)، وخلفه ابنه سعيد بن نجاح المعروف بالأحول، وقد استمر في الحكم حتى عام (٤٨٢هـ)، وقد أغار وهو في طريقه إلى مكة عام (٤٦٨هـ) على علي بن محمد الصليحي وقتله، وعلي الصليحي هو مؤسس الدعوة الإسماعيلية الشيعية باليمن، وعرف أتباعه بالصليحيين،

دولة بني مهدي الخوارج

من الدول القصيرة الأجل التي قامت في اليمن على أنقاض دولة بني نجاح، إذ لم تعمر أكثر من خمسة عشر عاماً (٥٥٤-٥٦٩هـ/١١٥٩-١١٧٤م)، وهي تنسب إلى والد مؤسسها أبي الحسن علي بن مهدي بن محمد الحميري الرعيني.

اليمن

بدأ الأيوبيون بالتخلص من دولة **بني مهدي في زبيد**.

حضر موت



دينار بني نجاح: قام بنو نجاح بضرب دينارهم الذهبي في مدينة زبيد، ونقشوا عليه العبارات **السنية** التي تدل على مذهب الدولة، كما نقشوا أسماءهم على تلك الدنانير إضافة إلى نقش اسم الخليفة العباسي طيلة حكم بني نجاح في إشارة إلى ولائهم للخليفة العباسي في مدينة السلام.

امتاز الدينار النجاحي كغيره من الدنانير اليمنية المعاصرة بخفة الوزن وتميز عنها بنقاء المعدن والعناية بنقش العبارات التي ترد على الدينار الذي امتاز أيضاً بجودة سبكه.

كما امتازت النقود النجاحية، وخاصة الدنانير المضروبة في عهد الملك النجاحي الفاتك بن محمد، بظهور لقب فريد نقشه على دنانيره مقروناً باسمه وبترتيب معين على مركز وجه وظهر الدينار (كهف، أمر به الملك، لأجل الفاتك، الموحدين) أما مركز الظهر فيحمل تكملة للقب (مخيف الملحين). موقع قديم للتراث والتحف، شبكة الفلق الثقافية

الدولة الصليحية في اليمن: ٤٣٩-٥٣٢ هـ / ١٠٤٧-١١٣٧ م

تنسب الدولة الصليحية إلى مؤسسها علي بن محمد الصليحي، الذي أعلن ثورته في سنة ٤٣٩ هـ في **جبل مسار** في **منطقة حراز باليمن**، وكان خلالها يدعو للمستنصر **الخليفة العبيدي** بمصر. استفحل أمر الصليحي شيئاً فشيئاً، حتى استطاع أن يملك **زبيداً** وسائر تهامة ولم تمض سنة ٤٥٥ هـ إلا وقد ملك معظم بلاد اليمن، استمر الصليحي يحكم اليمن باسم **الخليفة العبيدي**، يعزل ويولي من يشاء حتى كانت سنة ٤٥٨ هـ، وفيها عزم الصليحي على الحج، وفي طريقه إلى مكة هاجمه سعيد الأحول بن نجاح وأخوه جياش عند ساحل المهجم فقتل علي بن محمد الصليحي وعدداً كبيراً من آل الصليحي. تولى من بعده ابنه المكرم أحمد بن علي الذي أعد العدة للانتقام من بني نجاح، فقصد سعيد بن نجاح في زبيد فقاتله وهزمه سنة ٤٦٠ هـ وملك **زبيداً** وتلقب **بالمكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين**، غير أن المكرم انصرف فيما بعد للهو، تاركاً تصريف أمور الدولة إلى زوجته السيدة **أروى بنت أحمد** (انظر ترجمتها في الصفحات القادمة). مات المكرم سنة ٤٨٤ هـ، فملك بعده ابن عمه أبو حمير سبأ بن أحمد بن المظفر بن علي الصليحي، غير أن الأمور ظلت تدار من قبل السيدة **أروى** حتى مات سنة ٤٩٢ هـ، فاستقلت السيدة **أروى** بالحكم لنفسها، وظلت تدير شؤون الدولة الصليحية بكل شجاعة وحسن تدبير، إلى أن توفيت سنة ٥٣٢ هـ، وبوفاتها تنتهي دولة بني الصليحي في اليمن. الموسوعة العربية، دار الفكر - دمشق - سوريا.



بوابة منطقة الحصن شاهدة على ابتداء الدولة الصليحية التي انطلقت منه والتي كان لها الحصن مهدداً ومنطلقاً إلى بقية أرجاء اليمن. في مشهد يوحي بدقة الاختيار للموقع ليروي قصة الصليحيين على ارتفاع أكثر من ٢٥٠٠ متر فوق سطح البحر.

تأسيس الدولة الصليحية



قام أبو الحسن الصليحي بقتل نجاح بالنس من طريق جارية جميلة أهداها إليه كما تضافرت على ذلك كتب المؤرخين.

ثورة أبي الحسن الصليحي: في العامين الأخيرين من (الخمس عشر عاماً) التي ظل (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) فيها دليلاً للحاج بحث مع أعيان اليمن ممن يأنس بهم أمر القيام بالدعوة **العبيدية** في اليمن ثم تعاهد مع ستين رجلاً من همدان في مكة على أن يجهروا بالدعوة، ويجاهدوا في سبيلها حتى يظفروا بها أو يموتوا، وكان المتحالفون معه في عزة ومنعة من قومهم. وقد استطاع (أبو الحسن الصليحي) بذكائه أن يغرس في نفوس الخاصة أنه إنما يدعو لنصرة الإمام المستنصر العبيدي، ولإعلاء كلمة الله، كما عمل مع ذلك على استمالة العامة باستقامته ومسلكه الديني، وعن طريق الجماعة التي تحالف معها من همدان كون جيشاً واجه به بعد إعلان الدعوة أعداءه الكثيرين، وفيهم من همدان نفسها من غير من تعاهد معهم. وحدث مع خاصته يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة من عام (٤٣٩) للهجرة موعداً لإعلان الدعوة من أعلى **جبل مسار في بلاد حراز**، وطلب منهم وصولهم في الموعد المذكور.

بقيام الإمارة النجاشية والدولة الصليحية قامت في اليمن حكومتان متعارضتان سياسياً وعقائدياً، اتسمت الأولى بالسنية بحكم تبعيتها للعباسيين، واتسمت الثانية بالشيعة بحكم تبعيتها للعبديين.

اليمن



قامت دولة (الصليحيين) على يد مؤسسها (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي)، وذلك في عام (٤٣٩ هـ)، وينسب (آل الصليحي) إلى قبيلة (الأصلوح) التي تعد حياً من (الأحجور) الحاشدية الهمدانية، من بني عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. أما موطنه الذي نشأ فيه فهو (الأخروج) من بلاد الحيمة إحدى نواحي لواء **صنعاء**، وكان والده القاضي (محمد الصليحي) يقيم في حصن (يناع) من بلاد الحيمة، وكان **سني المذهب نافذ الكلمة في قومه**؛ بينما لم يبلغ ولده (علي) الحلم حتى كان قد تضلع **بمذهب الإسماعيلية** على يد آخر دعايتها (سليمان بن عبد الله الزواحي)، وكان الدافع لهذا إلى العناية بتربية (علي بن محمد الصليحي) وتعليمه مذهب الإسماعيلية ما لاح له من مخايل النبل فيه والاستعداد لحمل أعباء الدعوة العبيدية بعد موته. ولما حضرت الداعي (سليمان الزواحي) الوفاة أوصى بكتبه وبمال وفير لعلي بن محمد الصليحي بعد أن وافق الخليفة العبيدي المستنصر (معد بن الطاهر العبيدي) على ذلك، ساعد (أبا الحسن الصليحي) كل ذلك على الاضطلاع بالمسؤولية دعوة وحكماً وعلى أكمل وجه. الجمهورية اليمنية، موقع رئاسة الجمهورية، المركز الوطني للمعلومات.

امتداد نفوذ أبي الحسن الصليحي إلى الحجاز

لم يكتف (أبو الحسن الصليحي) بما بلغه من نفوذ في اليمن، بل تطلع إلى بسط نفوذه إلى الحجاز، لأن الحجاز في نظره هو أقرب البلدان الإسلامية إلى اليمن، وفيه الأماكن المقدسة، وكجزء مما كان يطمح إليه من تحقيق وحدة إسلامية، تدين بالولاء للعبيديين في أكثر من بلد إسلامي، بما فيها العراق، بعد القضاء على العباسيين.

وقد انتهز فرصة خروج والي الحجاز (أبي عبد الله شكر بن أبي الفتوح الحسني) عن الدعوة العبيدية وقطع الخطبة للإمام المستنصر العبيدي، **وخطب للخليفة العباسي**، فاستأذن الإمام المستنصر بغزو الحجاز، وإزالة الشريف شكر عن حكمه، وضم الحجاز إليه لضمان دوام نفوذ الدعوة والدولة العبيدية فيه، فأذن له الإمام المستنصر بغزو الحجاز على ألا يسفك الدماء في مكة.

وتحرك (أبو الحسن الصليحي) من اليمن نحو الحجاز بقوة كبيرة من الفرسان في شهر ذي الحجة من عام (٤٥٤ هـ)، واستصحب معه ملوك اليمن وزعماءه، ودخل مكة وقضى مناسك الحج، ولكنه لم يصل مكة إلا وقد توفي الشريف شكر بن أبي الفتوح، وخلفه الشريف (محمد بن جعفر بن أبي هاشم الحسيني).

وأقام (أبو الحسن الصليحي) في مكة حتى يوم عاشوراء من عام (٤٥٥ هـ)، أجزل للناس فيها الهبات والصدقات، وكسى الكعبة بالديباج الأبيض، ثم عاد إلى اليمن مطمئناً إلى ولاء الشريف محمد بن جعفر المذكور للإمام العبيدي، والدعوة له، ولكنه لم يلبث بعد عودة الصليحي إلى اليمن أن خرج عن الولاء للعبيديين وأعلن ولاءه للعباسيين^(١).

تسلسل	الحاكم الصليحي	فترته الزمنية
١	علي بن محمد الصليحي	٤٣٩-٤٥٨ هـ / ١٠٤٧-١٠٦٦ م
٢	المكرم بن علي بن محمد	٤٥٨-٤٨٤ هـ / ١٠٤٧-١٠٦٦ م
٣	سبا بن أحمد بن المظفر	٤٨٤-٤٩٢ هـ / ١٠٩١-١٠٩٩ م
٤	سيدة بنت أحمد الصليحي	٤٩٢-٥٣٢ هـ / ١٠٩٩-١١٣٨ م

أشهر حكام الدولة الصليحية (صنعاء - جبلة) (٤٣٩ - ٥٣٢ هـ / ١٠٤٧ - ١١٣٨ م)

الدولة الصليحية في أقصى اتساع لها

مزار إسماعيلي للداعي حاتم بن
إبراهيم الهمداني أحد دعاة
الإسماعلية في القرن ١٦ م.



اليمن

قال الشاعر واصفاً جمال الطبيعة في جبلة:

ما مصر ما بغداد ما طبرية بمدينة قد حفاها نهـران
خدد لها شام وحب مشرق والتعكر السامي الرفيع يمان

حضرموت



أطلال الأثرية بمدينة حراز باليمن



جبل حراز باليمن

الملكة أروى الصليحية (٤٤٠-٥٣٢هـ / ١٠٤٨-١١٣٨م)

هي أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي^(١)، وأمها رداح بنت الفارح بن موسى، ملكة حازمة مدبرة، زوجة المكرم أحمد بن علي الصليحي ملك اليمن، من الأسرة الصليحية التي حكمت اليمن بعد أن وحدت معظم إماراته (٤٣٩-٥٣٢هـ) ونشرت الدعوة الإسماعيلية العبيدية **المستعلية** فيه، عرفت بلقب السيدة الحرّة حتى غلب على اسمها في كتب التاريخ.

ولدت في حصن مسار من **جبال حراز باليمن**، ونشأت في رعاية أسماء بنت شهاب زوجة الملك علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية، بعد وفاة والدها أحمد الصليحي وزواج والدتها من عامر بن سليمان بن عامر بن عبد الله الزواحي. عرفت الملكة الحرّة بالجمال والشخصية النافذة، وكانت قارئة كاتبة، تحفظ الأشعار والأخبار والتواريخ، وكان الملك علي معجباً بها فكان يوصي زوجته فيقول لها: «أكرمها فهي والله كافلة ذرارينا وحافضة هذا الأمر على من بقي فينا».

تزوجها المكرم أحمد بن علي سنة ٤٥٨هـ في حياة أبيه، وتولى الحكم من بعده (٤٥٩-٤٨١هـ) فأنجبت منه ولدين وبنتين، ومات ولداها سنة ٤٦٧هـ وفوّض الأمور إلى زوجته أروى، فكان أول ما قامت به، بعد أن غادرت صنعاء، أن اتخذت مقرها في قصر بناه زوجها في حصن ذي جبلة ونقل إليه ذخائره، وقامت بتدبير المملكة خير قيام، وبسطت سلطانها على القبائل اليمنية، فخضع الناس لها، ومنحها الخليفة العبيدي المستنصر بالله منصب داعي الدعوة ولقبها: «السيدة الحرّة، وحيدة الزمن، سيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام، ذخيرة الدين، عصمة المؤمنين، كهف المستجيبين، وليّة أمير المؤمنين، كافلة أوليائه الميامين»، وعدها المثل الأعلى للحاكم لكفايتها في تدبير شؤون الحكم، وكانت المراسلات المستنصرية العبيدية تصدر إلى اليمن باسمها. وبعد وفاة زوجها المكرم سنة ٤٨١هـ اختلف الصليحيون والزواحيون فيمن يتولى الحكم، وكان زوجها قد أوصى أن تسند أمور الدعوة إلى الأمير المنصور سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي الذي طمع إلى الزواج بالسيدة الحرّة، فلم ترض أروى بهذا الاختيار، واحتكم سبأ إلى الخليفة المستنصر بالله العبيدي الذي أمر أروى أن تقبل بسبأ زوجاً، فوافقت بعد تردد، ولكن هذا الزواج ظلّ صورياً، وظلت أروى تمسك بمقاليد الحكم الفعلية، وتُرفع إليها الرقاع، ويجتمع عندها الوزراء، ويدعى لها على منابر اليمن، فيخطب أولاً للخليفة العبيدي ثم لسبأ ابن أحمد ثم للسيدة الحرّة أروى. ولم تلبث أن استقلت بأمر الحكم بعد وفاة زوجها الثاني سبأ سنة ٤٩٢هـ، واعتمدت في تدبير أمور الملك على عدد من الثقات، منهم: المفضل بن أبي البركات، وزريع بن أبي الفضل، وعليّ بن إبراهيم بن نجيب الدولة وغيرهم، وامتدت أيام حكمها بعد ذلك أربعين سنة، استطاعت في أثنائها أن تمارس سيادتها على الإمارات اليمنية الصغيرة من دون إخضاعها.

ولما قدم ابن نجيب الدولة إلى اليمن موفداً من الخليفة العبيدي الأمر بأحكام الله سنة ٥١٢هـ وداعياً له، فأقام الحدود وأخضع الإمارات المتمردة، عزّ جانب الحرّة وانتمى أهل اليمن، إلا أنه بدأ منذ سنة ٥١٩هـ يسيء إلى الحرّة ويستخفّ بأمرها ويدّعي أنها قد خرفت واستحقت أن يحجر عليها، وحاول أن ينتزع الحكم منها، ولكن أمراء البلاد وشيوخها ساندوها واتهموا ابن نجيب الدولة بالتآمر على الخلافة **والدعوة للنزارية**، فأمر الخليفة بالقبض عليه وإعادته إلى مصر، ولكن السفينة التي كانت تقلّه غرقت في أثناء الرحلة، وأسندت الحرّة أمر الدعوة إلى سبأ بن أبي السعود **من آل زريع** (وهو أول بني زريع الذين خلفوا الصليحيين).

وقد عملت أروى إبان حكمها على تشجيع البناء والعمارة وأولت إنشاء المدارس والمستشفيات والمساجد اهتمامها الزائد، ولم يقف نفوذها عند حدود اليمن، فقد عهد إليها الخليفة المستنصر بالله ومن بعده الأمر بأحكام الله بالإشراف على الدعوة العبيدية في عُمان والهند. عمّرت أروى طويلاً، فلما ماتت تبارى الشعراء في رثائها، ودفنت في مسجد كانت قد بنته بذي جبلة، **وقبرها لا يزال حتى اليوم مزاراً يسعى إليه أتباع المذهب ويتبركون به.**

وعلى إثر وفاتها دبّ الضعف في **جسد الدولة الصليحية الإسماعيلية** وتفككت أوصالها، وصار الأمر فيها إلى الأمراء من آل زريع، وكانت الدولة العبيدية في مصر تعاني الانهيار أيضاً، وانتهى أمر الصليحيين تماماً بعد أن غزا الأيوبي **طوران شاه** ابن الملك الصالح نجم الدين اليمن سنة ٥٦٩هـ.

١ - بتصرف عن الموسوعة العربية، مج ١، ص ٩٧٦.



دار العز - قصر ملوك الدولة الصليحية بمدينة جبلة اليمنية



جامع الملكة أروى بنت أحمد الصليحي

جبلة: تقع جنوب غربي مدينة إب على بعد نحو (٧) كيلومترات تقريباً. وترتفع عن مستوى سطح البحر نحو (١٣٥٠) متراً. على هضبة مسطحة في السفح الشمالي من **جبل التعكر** الشهير. كما تطل على وادٍ ضيق متخذة شكلاً نصف دائري بمحاذاة الوادي. وكان يطلق عليها في القدم اسم مدينة النهرين لأنها تقع وسط نهرين كبيرين .. مياههما دائمة الجريان على مدار العام. وبها الكثير من الأراضي الخصبة من حولها موقوفة لصالح المشتغلين بالعلم من أساتذة وطلاب.. وما زالت إحدى مدارس مدينة جبلة قائمة، وهي من ملحقات جامع الملكة السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي.

أول من ابنتى مدينة جبلة هو الأمير الكبير عبد الله بن محمد الصليحي عام ٤٥٨ هـ ١٠٦٦ م، وسمّاها جبلة نسبة إلى اسم أحد الصّناع الحرفيين، والذي كان من اليهود يبيع الفخار فيها قبل أن تعمّر . وفي عام ٤٥٨ هـ انتقلت إليها الملكة أروى بنت أحمد الصليحي من صنعاء، لتحكم اليمن بعد وفاة زوجها وتكون أول ملكة يمنية تحكم اليمن في العصور الإسلامية.

القوى الإسلامية في بلاد الشام والعراق وديار بكر في عهد السيادة البويهية وأوائل الهيمنة السلجوقية .

المرداسيون في حلب

المرداسيون ٤١٥ - ٤٧٤ هـ من قبائل كلاب البدوية المنحدرة من عامر بن صعصعة من عرب الشمال، كانت مساكنهم في الجاهلية حمى الربرة في جهات المدينة المنورة وفدك والعوالي، ثم هاجر قسم منهم واستقر على شواطئ الفرات الشامية، وفي بدايات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وصلت موجة جديدة من قبائل عامر ابن صعصعة فيها بنو عقيل الذين سكنوا منطقة الموصل، وقشير التي توطنت حول قلعة جعبر التي كانت تدعى قديماً قلعة دوسر، ونمير التي وصلت إلى منطقة حران والرها.

إمارة بني مروان الكردية

بعد وفاة عضد الدولة البويهي (٣٧٢ هـ)، قام أحد قادة العشائر الكردية (بنو مروان) واسمه أبو علي بن مروان (٣٧٩-٣٨٦ هـ) بإنشاء إمارة مستقلة في ديار بكر وملاذكرد، بسبب الحروب المتواصلة مع جيرانهم، وضع المروانيون أنفسهم تحت حماية العبيديين.

إمارة بني مزيد في الحلة

بنو مزيد من بني أسد في صحراء القادسية (صحراء النجف) على الساحل الأيسر لنهر دجلة، أسسها أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي في عام ٣٨٨ هـ.

إمارة بني منقذ في شيزر

يُعد علي بن منقذ الكثاني، جد أسامة بن منقذ هو المؤسس الحقيقي لإمارة بني منقذ، حيث استرد شيزر من الروم (البيزنطيين) عام ٤٧٤ هـ.

بنو عقيل في الموصل

بنو عقيل ٣٨٠ - ٤٨٩ هـ قبيلة كبيرة، تنسب إلى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، من قبيلة عيلان ابن مضر، كانت مساكنهم قبل الإسلام في البحرين، طرد بنو عقيل من البحرين، فهاجروا إلى الجزيرة الفراتية، وأصبحوا رعايا لبني حمدان (حكام الموصل)، يؤدون لهم الأتاوى، ويتقربون معهم في الحروب، كما استقر بعض العقيليين في منطقة حوزان والبثينة، وقد تزعمهم ظالم بن موهوب العتيلي زمن العبيديين. وفي العراق قتل منهم بنو المنلق حول البصرة، وبنو خفاجة في صحراء العراق، وبنو عبادة سكنوا المنطقة الواقعة بين الكوفة وواسط والبصرة، وكلهم من عقيل.

إمارة بني عمار في طرابلس

بنو عمار ٣٨٦ - ٥٠١ هـ أسرة تعود أصولها إلى قبيلة كتامة المغربية الإفريقية، وعند قيام الدولة العبيدية كان شيوخها لهم الصدارة لإرتباطهم في مذهب واحد.

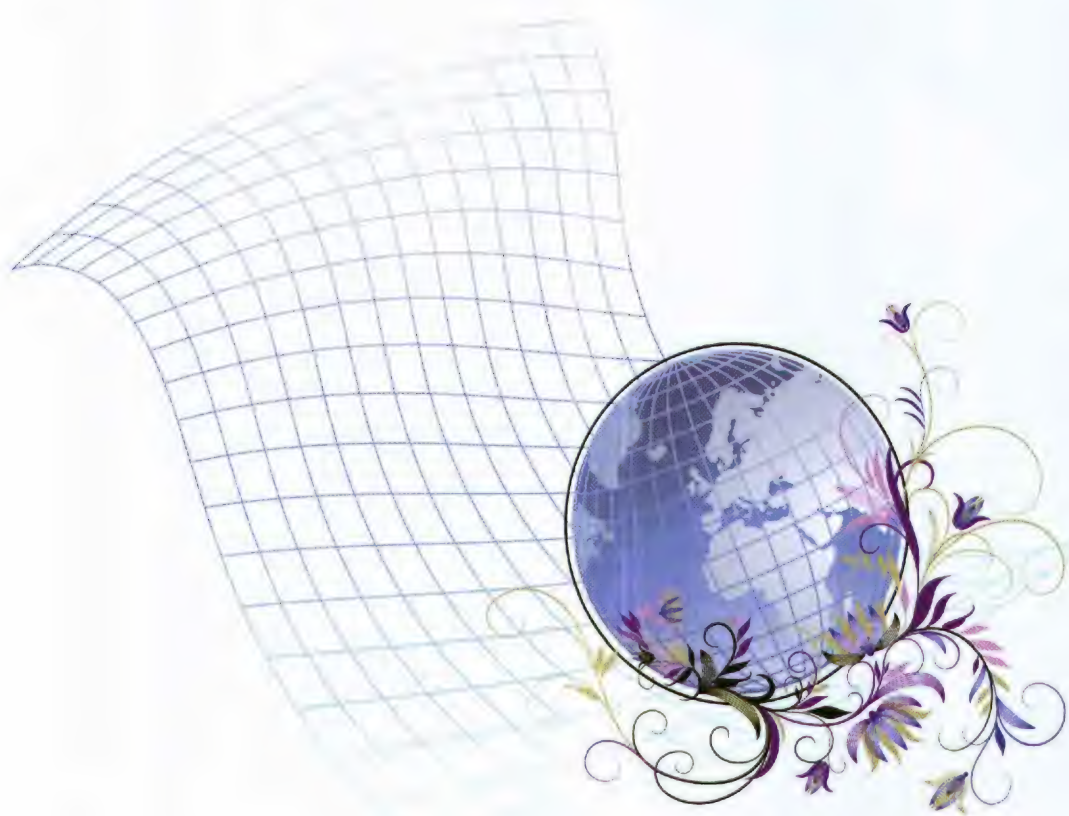
إمارة آل الجراح في الرملة

بنو الجراح الطائيون في الرملة والبقاء هم الذين استدعوا الشريف الهاشمي الحسن بن جعفر أبو الفتوح ليبايعوه خليفة للمسلمين سنة ٤٠١ هـ معاً أقض العبيديين.





الباب الخامس



العصر العباسي الثاني

٤٤٧-٦٥٦ هـ / ١٠٥٥-١٢٥٨ م

ثالثاً: عصر النفوذ السلجوقي التركي

العصر العباسي الثاني:

ثالثاً: عصر النفوذ السلجوقي التركي ٤٤٧-٦٥٦ هـ / ١٠٥٥-١٢٥٨ م

يطلق **مصطلح السلاجقة** على مؤسسي الدولة السلجوقية، وهي من أهم الدول الإسلامية التي ظهرت على مسرح التاريخ في العصر العباسي الثاني، حيث اشتبكت في قتال مع الغرب النصراني الذي أدى إلى قيام الحروب الصليبية آنذاك.

والسلاجقة: مجموعة من القبائل التركية تنتمي في الأصل إلى طائفة (الأوغوز) استقرت في إقليم ما وراء النهر في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين بعد أن أسلمت وحسن إسلامها، ثم انتقلت بعد سنوات قليلة إلى **خراسان** وكونت جيشاً قوياً تمكنت به من دخول مدينة **نيسابور** في عام (٤٢٩ هـ / ١٠٢٧ م) فأعلن زعيمها **طغرل بك** قيام دولة السلاجقة ونادى بنفسه سلطاناً على هذه الدولة، وكان قيام دولة السلاجقة حدثاً بارزاً في تاريخ إيران والعراق بخاصة، وفي تاريخ العالم الإسلامي بعامه، وكانت موقعة (داندانقان) (٤٣١ هـ / ١٠٢٩ م) من المواقع الحاسمة الفاصلة في تاريخ كل من الغزنويين والسلاجقة لأنها كانت موجهة لتاريخ كل من الدولتين، ولقد أدى انتصار السلاجقة إلى ظفرهم بمغانم كثيرة مادية ومعنوية، فأحكموا بعدها سيطرتهم على خراسان وما وراء النهر، وظفروا باعتراف الخليفة العباسي وقيام دولتهم وأخذوا يستعدون لبسط سلطانهم على إيران والعراق وآسيا الصغرى والشام^(١). وفي غمرة الصراع بين السلاجقة والغزنويين في خراسان استطاع **طغرل بك** أن يؤسس لنفسه سلطنة في العراق إلى جانب الخليفة العباسي «القائم» (٤٢٢-٤٦٧ هـ / ١٠٣١-١٠٧٥ م). وظلت خراسان تتبع الدولة السلجوقية في العراق، وكان السلاجقة أيضاً يغيرون من خراسان إلى ما وراء النهر لقتال الإيلكخانية حلفائهم القدامى بحجة أن السلاجقة يمثلون الخليفة العباسي، فاحتلوا سمرقند، وأوصلوا سلطتهم إلى شرق ما وراء النهر (٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م). وكان طغرل بك قد قدم بالسلاجقة إلى بغداد عام ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م لإنقاذ الخليفة من قائد يدعى «**البساسيري**» كان يعمل على الدعوة في بغداد **للخلافة العبيدية** في مصر، واضطره إلى الفرار، وعاد طغرل بك إلى حاضرتة **الري**.

وقدم طغرل بك ثانية بعد عامين إلى بغداد بعد أن استأذن الخليفة بالقدوم، ولما قدمها بموكب فخم استقبله الخليفة ولقبه «**سلطان المشرق والمغرب**»، وكان ذلك إيذاناً بقيام سلطنة السلاجقة في العراق، ودخول الخلافة العباسية في عهد جديد دعي بعصر النفوذ السلجوقي^(٢). كما انتزعوا مكة والمدينة من سلطة العبيديين الشيعة. ونتيجة للأوضاع السيئة التي كانت تسير الأوضاع من قبل العبيديين والحركات الباطنية الأخرى إضافة إلى ضعف مركز الخلافة في بغداد أدى إلى مواجهة سلاجقة الروم في بادئ الأمر للخطر الفرنجي في آسيا الصغرى (الحروب الصليبية).

١- أ. د. عزت الصاوي، وزارة الأوقاف المصرية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٢- مظهر شهاب، الموسوعة العربية، مج ١١، ص ٤٠.



الخلافة العباسية في عهد السيادة السلجوقية التركية

من أبرز حكام السلالة الأتراك الذين حكموا إيران والعراق وسورية وأجزاء من آسيا الصغرى في أواخر القرن العاشر الميلادي:

- أولاً:** السلالة الكبار وحكموا في الحقبة من ٤٢٩ - ٥٥٢ هـ / ١٠٣٧ - ١١٧٥ م. مؤسسها **طغرل بك**، وجفري بك، حفيدا سلجوق، واشتهر منهم ألب أرسلان وملكشاه وبركياروق.
- ثانياً:** سلالة كرمات، وحكموا من ٤٣٢ - ٥٧٦ هـ / ١٠٤١ - ١١١٨ م. مؤسسها قرة أرسلان.
- ثالثاً:** سلالة الشام، وحكموا من ٤٨٦ - ٥١١ هـ. مؤسسها تقي بن أرسلان.
- رابعاً:** سلالة العراق وكردستان، وحكموا من ٥١١ - ٥٩٠ هـ. مؤسسها مغيث الدين محمود.
- خامساً:** سلالة الروم في آسيا الصغرى، وحكموا من ٥١١ - ٦٩٩ هـ / ١١٧٧ - ١٣٠٠ م.

قام أحفاد سلجوق، **طغرل بك** (٤٢٩-٤٥٥ هـ) وجفري (٤٣٠-٤٥١ هـ) بتقسيم المملكة السلجوقية إلى قسمين. **القسم الغربي** وقاعدته **أصفهان**، و**القسم الشرقي** وقاعدته **مرو**. بعد انتصاره على الفزنويين سنة ٤٣١ هـ بالقرب من دنكان، ثم توسعت مملكة طغرل بك إلى الغرب أكثر حيث ضمت فارس إليها سنة ٤٣٣ هـ، ثم بعض الأجزاء من الأناضول (آسيا الصغرى)، وأخيراً العراق بعد القضاء على دولة البويهيين فيها حيث دخل طغرل بك بغداد في ٢٥ رمضان ٤٤٧ هـ / ٢٣ ديسمبر ١٠٥٥ م.

يطلق على عهود سلاطين السلاجقة في العراق - السبعة الأوائل - عصر السلاجقة العظام (بين ٤٤٧-٥٥٢هـ/ ١٠٥٧-١١٥٧م) لأن سلطتهم كانت تمتد من بلاد الشام إلى حدود الصين. أما من جاء بعدهم من السلاطين فقد أشغلتهم الحروب فيما بينهم، وانفصلت عن سلطتهم بعض المناطق. وكان عصر ثالث السلاطين العظام ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ/ ١٠٧٣-١٠٩٢م) **العصر الذهبي** لسلطنة سلاجقة العراق، وقد اهتم السلطان بالإصلاح ونشر العدل والأمن، وشق عدداً من الطرق، كما خفف بعض الضرائب. وبنى وزيره المصلح «**نظام الملك**» عدداً من المدارس في أنحاء مختلفة، وقد دعيت هذه المدارس بالمدارس النظامية نسبة إليه، مما أدى إلى انتشار العلم ولاسيما علمي الفلك والرياضيات^(١).

استطاع شقيق ملكشاه تتش دخول دمشق عام (٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م). وكان قد سبقه إليها قائده آتسر في العام نفسه **وانهى حكم العبيديين فيها**. وحاول تتش أن يتوسع في بلاد الشام فدخل حلب (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ولما حاول أن ينازع ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه (٤٨٧-٤٩٨هـ/ ١٠٩٤-١١٠٤م) على السلطنة. قُتل في إيران عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م قرب الري، وخلف تتش على حكم حلب ابنه رضوان كما حكم ابنه الآخر دقاق دمشق. وخلف دقاق عند وفاته عام ٤٩٧هـ/ ١١٠٥م قائد جيشه طفتكين وبه يبدأ **حكم الأتابكة** بدمشق. كما انتقل حكم حلب عند وفاة رضوان (٥٠٧هـ/ ١١١٣م) إلى واحدٍ من أتاكته. وكان سلاجقة الشام قد أسهموا في قتال الفرنجة في الحملة الصليبية الأولى.

أما سلاجقة كرمان في جنوب غربي إيران فيعود تأسيسها إلى أحد أمراء السلاجقة ويدعى قاورت بن داود بن ميكائيل في حضرته التي تحمل الاسم نفسه (كرمان) من أيام ثاني السلاجقة العظام ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥هـ/ ١٠٦٣-١٠٧٢م، وانفصل قاورت عن السلطة السلجوقية عام ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م، وأسس سلالة حاكمة فيها، وتوالى على الحكم فيها أحد عشر أميراً إلى أن انتقل الحكم إلى أحد أتاكتهم عام ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م. وقد اهتم سلاجقة كرمان بإعمار المنطقة وبالزراعة، ولاسيما زراعة النخيل وتربية المواشي.

وكان النصر الذي أحرزه **ألب أرسلان** عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م على البيزنطيين وأسره الإمبراطور البيزنطي في معركة ملاذكرد (ملاذكرد)، بين بحيرة وان ومدينة أرض روم، سبباً في قيام دولة سلجوقية جديدة في آسيا الصغرى (الأناضول)، كان حاكمها الأول سليمان بن قتلмыш ابن عم ألب أرسلان (٤٧٠-٤٧٩هـ/ ١٠٧٧-١٠٨٦م). وتعززت الدولة الجديدة بما كان يصل إلى الأناضول من قبائل تركية. وبدأت منذ ذلك الحين **آسيا الصغرى تتحول من رومية بيزنطية إلى تركية**^(٢).



أقصى مدى لدولة السلاجقة الأتراك في القرن الخامس الهجري

✂ موقعة ملاذكرد (ملاذكرد) سنة ٤٦٥ هـ

★ استطاع حكام سلاجقة الأناضول انتزاع المزيد من الأراضي من البيزنطيين واتخذوا أنفسهم مدينة قونية عاصمة لهم وكانت دولة سلاجقة الأناضول أطول عمرا من بقية دول السلاجقة .

الدولة الغزنوية

مناطق الاحتلال الصليبي

الإسماعيليون (الحشاشون) في ألمات

العيونيون

الصليحيون

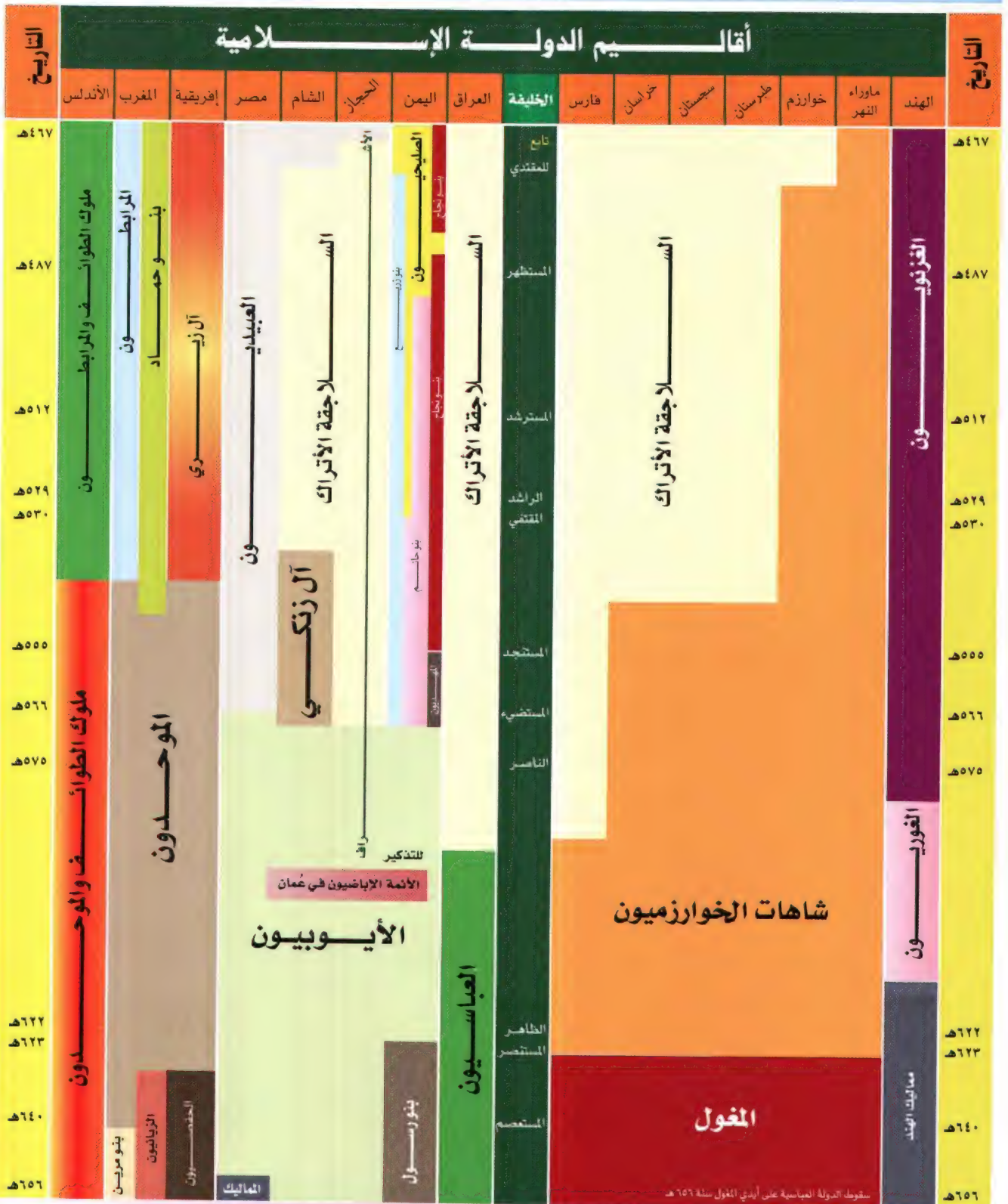
دولة السلاجقة

الإمبراطورية البيزنطية

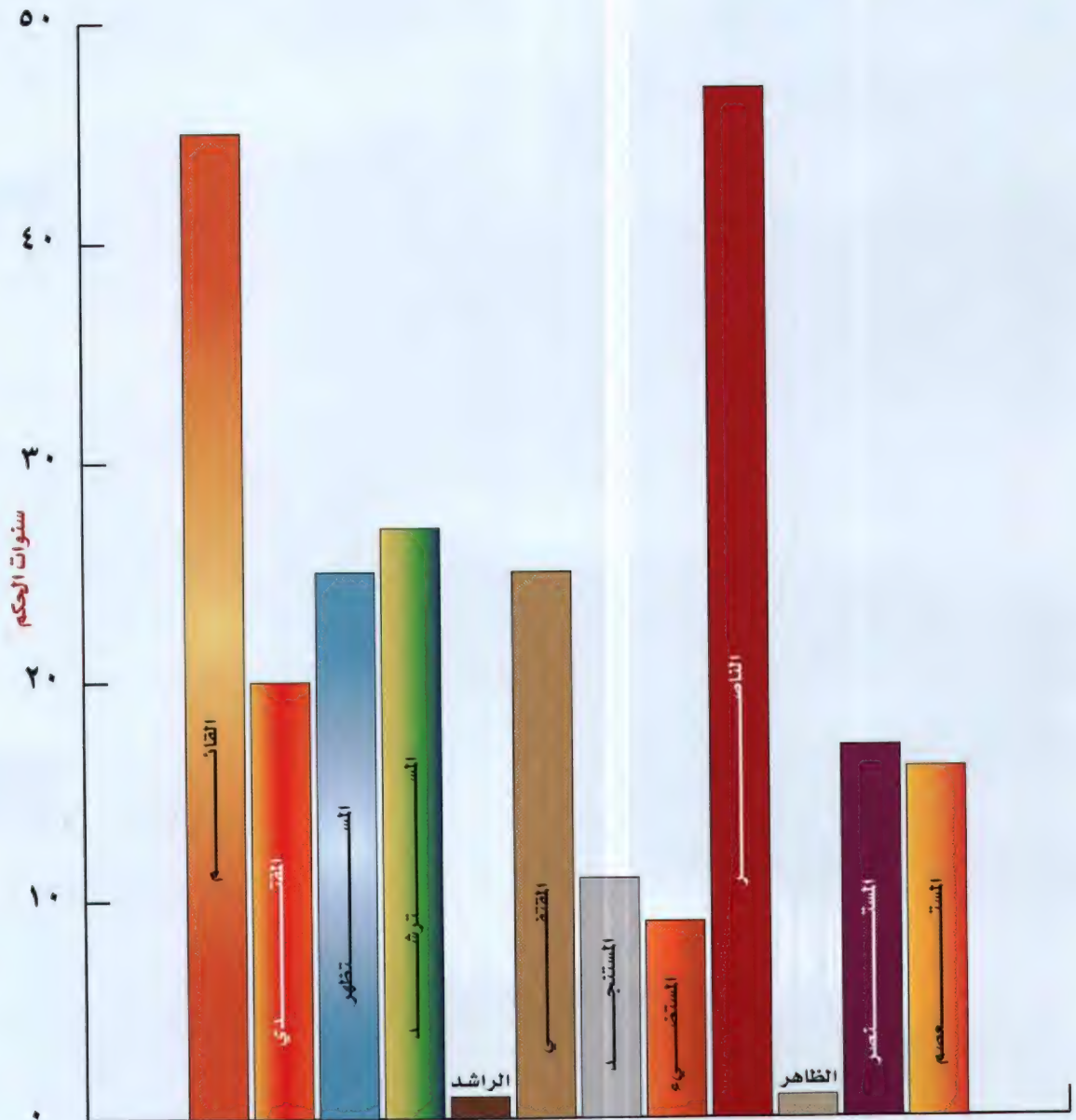
مملكة أرمينيا الصغرى والكبرى

الإمامة الإباضية

الدولة العبيدية



مصنوفة زمنية للإمارات السياسية في العهد السلجوقي التركي خلال العصر العباسي الثاني



خلفاء العصر العباسي الثاني (العهد السلجوقي من ٤٢٢ هـ - ٦٥٦ هـ)

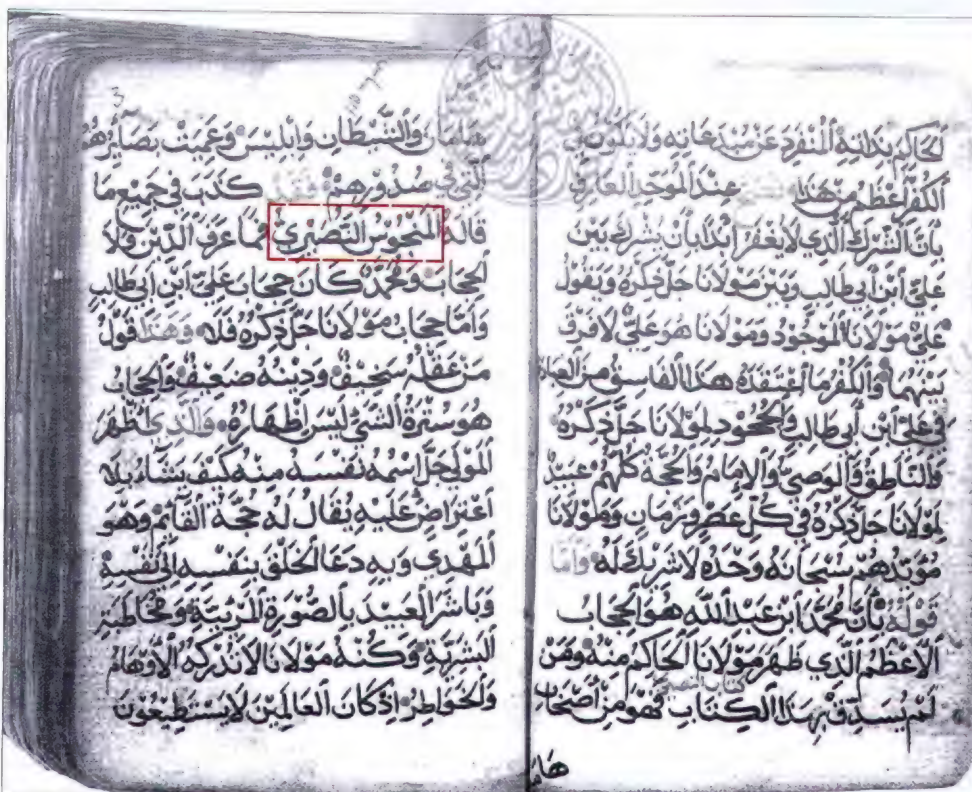


صفحتان من
مخطوطة
للداعي الدرزي
حمزة بن علي
مؤسس الطائفة
(الديانة)
الدرزية ووزير
الحاكم العبيدي
(الفاطمي) في
الرد على
النصيرية .
وهي معنونة
« الرسالة
الدائمة للفاقد
علي النصيري
لعه المولى في
كل كور ودور » .

للأهمية ؟

انظر ص ١٥٨
من هذا الأطلس

مصدر المخطوطة .
مكتبة الإسكندرية -
جمهورية مصر
العربية



☆ جهاد الدولة في عهد السلاجقة العظام

أبو شجاع ألب أرسلان

هو السلطان الكبير، الملك العادل، عضد الدولة، أبو شجاع ألب أرسلان، محمد بن السلطان جعفر بيك داود ميكائيل بن سلجوق بن تقي بن سلجوق التركماني، الغزي، من عظماء ملوك الإسلام وأبطالهم، ملك بعد عمه طغرل بك، وكان عادلاً سار في الناس سيرة حسنة، كريماً رحيماً، شفوفاً على الرعية رقيقاً على الفقراء، باراً بأهله وأصحابه ومماليكه، كثير الدعاء بدوام ما أنعم به عليه، كثير الصدقات يتصدق في كل رمضان بخمسة عشر ألف دينار، ولا يعرف في زمانه جنابة ولا مصادرة، بل يقنع من الرعايا بالخراج في قسطين، رفقاً بهم. اعتمد ألب أرسلان في الوزارة على نظام الملك، وكان وزير صدق، يكرم العلماء والفقراء، ولما عصى الملك شهاب الدولة قتلتمش، وخرج عن الطاعة، وطمع في أخذ الملك من ألب أرسلان وكان من بني عم طغرل بك، فجمع وحشد واحتفل له ألب أرسلان فقال له الوزير: أيها الملك، لا تخف؛ فإنني قد استخدمت لك جنداً ليلياً يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم، وهم العلماء والصلحاء، فطابت نفسه بذلك، فحين التقى مع قتلتمش لم ينتظره أن كسره، وقتل خلقاً من جنوده، وقتل قتلتمش في المعركة واجتمعت الكلمة على ألب أرسلان، وعظم أمره، وخطب له على منابر العراق والعجم وخراسان ودانت له الأمم.

كان **ألب أرسلان** كعمه طغرل بك - قائداً ماهراً مقدماً وقد اتخذ سياسة خاصة تعتمد على تثبيت أركان حكمه في البلاد الخاضعة لنفوذ السلاجقة، قبل التطلع إلى إخضاع أقاليم جديدة، وضمها إلى دولته، كما كان متلهفاً للجهاد في سبيل الله، ونشر دعوة الإسلام في داخل الدولة النصرانية المجاورة له، كبلاد الأرمن وبلاد الروم، وكانت روح الجهاد الإسلامي هي المحركة لحركات الفتوحات التي قام بها ألب أرسلان وأكسبتها صبغة دينية، وأصبح قائد السلاجقة زعيماً للجهاد، وحريصاً على نصرته الإسلام ونشره في تلك الديار، ورفع راية الإسلام خفاقة على مناطق كثيرة من أراضي الدولة البيزنطية، لقد بقي سبع سنوات يتفقد أجزاء دولته المترامية الأطراف، قبل أن يقوم بأي توسع خارجي، وعندما أطمأن على استتباب الأمن وتمكن حكم السلاجقة في جميع الأقاليم والبلدان الخاضعة له، أخذ يخطط لتحقيق أهدافه البعيدة، وهي فتح البلاد النصرانية المجاورة لدولته، وإسقاط الخلافة العبيدية في مصر، وتوحيد العالم الإسلامي تحت راية الخلافة العباسية السنية ونفوذ السلاجقة، فأعد جيشاً كبيراً اتجه به نحو بلاد **الأرمن وجورجيا** فافتتحها وضمها إلى مملكته، كما عمل على نشر الإسلام في تلك المناطق. وأغار ألب أرسلان على شمالي الشام وحاصر الدولة المرداسية في حلب، التي أسسها صالح بن مرداس على المذهب الشيعي سنة ٤١٤هـ وأخبر أميرها محمود بن صالح بن مرداس على إقامة الدعوة للخليفة العباسي بدلاً من الخليفة العبيدي سنة ٤٦٢هـ، ثم أرسل قائد الترك أسنسر بن أوق الخوارزمي في حملة إلى جنوبي الشام فانتزع الرملة وبيت المقدس بدلاً من العبيديين، ولم يستطع الاستيلاء على عسقلان التي تعدُّ بوابة الدخول إلى مصر، وبذلك أضحت السلاجقة على مقربة من قاعدة الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي.

وفي سنة ٤٦٢ هـ ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم إلى السلطان يخبره بإقامة الخطبة للخليفة القائم وللسلطان، **واسقاط خطبة مصر للعبيدي**، وترك الأذان بحي على خير العمل، فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وقال له: إذا فعل أمير المدينة كذلك أعطيتاه عشرين ألف دينار، وكان حريصاً على إقامة العدل في رعاياه وحفظ أموالهم وأعراضهم، بلغه أن غلاماً من غلمانه أخذ إزاراً لبعض التجار، فصلبه فارتدع سائر الممالك به، خوفاً من سطوته، وكتب إليه بعض السعاة في نظام الملك، فاستدعاه وقال له: إن كان هذا صحيحاً فهذب أخلاقك، وأصلح أحوالك، وإن لم يكن صحيحاً فاغفر لهم زلتهم بمهم يشغلهم عن السعاية بالناس، وكان كثيراً ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم، وأحكام الشريعة، ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته، ومحافظة على عهوده أذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع، وحضروا عنده من أقاصي ما وراء النهر إلى أقاصي الشام.

وضع السلطان **ألب أرسلان** نصب عينيه تحقيق هدفه في السلاجقة وهما التوسع باتجاه الأراضي البيزنطية وطرد العبيديين في بلاد الشام والحلول مكانهم، ثم استخلاص مصر منهم، وقد آثاره احتمال تقارب بين البيزنطيين والعبيديين فحرص على أن يحمي نفسه من بيزنطة بفتح أرمينية والاستقرار في ربوعها، قبل أن يمضي في تحقيق الهدف الثاني وهو مهاجمة العبيديين. والواقع أنه كان من الصعب على السلطان السلجوقي، من الناحية العسكرية والسياسية، أن يتجاوز محور الرها إلى جنوبي بلاد الشام ثم مصر دون تقدير الموقف البيزنطي من جهة، ومواقف أمراء الجزيرة وبلاد الشام من جهة أخرى، إذ إن أي اضطراب في العلاقة مع هذه الأطراف من شأنه أن يهدد بقطع خط الرجعة على جيشه الذي سيكون بعيداً عن قواعد الخلفية، واشتدت في هذه الأثناء غارات الأتراك على أراضي الدولة البيزنطية، وتوغلوا فيها، ففتح هارون بن خان أرتاح عام ٤٦٠ هـ بعد أن حاصرها خمسة أشهر، ونهض الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينوس ليوقف تقدم المغيرين، ومنعهم من التوغل أكثر في عمق الأراضي البيزنطية، وقاد حملتين عسكريتين ضد الأجزاء الشمالية لبلاد الشام بين عام ٤٦١ هـ - ٤٦٢ هـ فهاجم منطقة حلب، عقدة المواصلات التجارية والعسكرية بين العراق وأرمينية والأناضول وبلاد الشام، واصطدمت قواته بقوات محمود بن نصر المرداسي وبني كلاب، وابن حسان الطائي ومن معهم من جموع العرب وانتصر عليهم، إلا أن الإمبراطور انسحب من المنطقة على عجل دون أن يستثمر انتصاره، بعد ورود أخبار عن توغل قوات تركية بقيادة الأفشين في عمق الأراضي البيزنطية، وفتحها مدينة عمورية، وأنها بصدد التوجه نحو القسطنطينية، كما أن نفاد المؤن كان سبباً آخر دفعه إلى العودة إلى بلاده. وكان السلطان ألب أرسلان ينتظر فرصة سانحة ليحقق حلمه بضم بلاد الشام ومصر إلى الأملاك السلجوقية.

وأتاح له النزاع الذي حصل بين أركان الحكم في مصر من أجل السيطرة والتسلط على المستنصر العبيدي هذه الفرصة، كان ناصر الدولة الحسين بن الحسن الحمداني أحد أبرز القادة في القاهرة، وقد انتصر على تحالف ضم الوزير ابن أبي كدية وألكوز قائد عسكر الأتراك وذلك في عام ٤٦٢هـ، وتمادى في تخطيطه وقرّر القضاء على الدولة العبيدية وإقامة الدعوة العباسية، فأرسل أبا جعفر محمد ابن البخاري قاضي حلب، إلى السلطان السلجوقي يطلب منه أن يرسل جيشاً إلى مصر، يساعده في تحقيق هدفه وفور تسلمه الدعوة، جهز ألب أرسلان جيشاً كبيراً وخرج على رأسه من خراسان متوجهاً إلى بلاد الشام لإخضاعها لسيطرة السلاجقة، ومن ثمّ متابعة زحفه إلى مصر لإسقاط الدولة العبيدية وضّم هذا البلد إلى السلطنة السلجوقية، لكن تحركه كان بطيئاً بسبب ما صادفه من عقبات كانت أولها في الرها الواقعة تحت الحكم البيزنطي، فحاصرها في عام ٤٦٣هـ وقاوم الرهاويون الحصار ببسالة بقيادة باسيل ابن أسار الذي عينه الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينوس حاكماً على المدينة، وقطع السلاجقة أشجار الحدائق وطمروا الخنادق بجانب الأسوار الشرقية كي يعبروا عليها، وقذفوا المدينة بالمجانيق، وشرع النقبابون في حفر فجوات في السور، ولكن دون جدوى، واستعصت المدينة على السلطان ألب أرسلان واضطر إلى التفاهم مع سكانها بعد نيف وثلاثين يوماً من الحصار المتواصل ثم تابع طريقه إلى حلب، لضمها حتى يمنع أي محاولة التفاف من جانب البيزنطيين من جهة الجنوب، غير أن قسماً من جيشه تقاعس عن المضي معه بسبب تأخير أرزاقهم، فاضطر أن يتابع زحفه بمن بقي معه من الجيش وعددهم أربعة آلاف مقاتل، فغبر نهر الفرات ٤٦٣هـ ودخل أراضي الإمارة وقدم له جميع أمراء الجزيرة الولاء أمثال شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي أمير الموصل، ونصر بن مروان أمير ميا فارقين، وابن وثاب أمير حرّان، بالإضافة إلى أمراء الترك والديلم.

واصل السلاجقة ضمهم لبعض الإمارات، حيث تمكنوا من ضم حلب وإخضاعها للسلطنة السلجوقية صلحاً فوافق السلطان على بقاء محمود أميراً على حلب، على أن يكون تابعاً له ويدعو للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي، وفعلاً خرج محمود في اليوم التالي من حلب، وتوجّه إلى معسكر السلطان وحمل معه مفاتيح البلد، واصطحب معه والدته، فاستقبلها السلطان، ورحب بهما وأكرمهما وأحسن إليهما، وأعلن بقاء محمود أميراً على حلب، وكتب له توقيعاً بذلك، وقد أضحى بموجبه، تابعا فعلياً ورسمياً للسلطان، ومتولياً من قبله وبتوقيعه، وليس أميراً حاكماً بقوته يستطيع في كل لحظة نقض الولاء.

غادر السلطان ألب أرسلان المنطقة بعد ذلك، وعاد إلى بلاد ما وراء النهر للقتال هناك، وترك بعض عسكره وأتباعه بقيادة أئمز بن أوق الخوارزمي وكان معه إخوته، جاولي والمأمون وفزلو وشكلي، وأذن لهم بالاصطدام بالعبيديين وإخراجهم من بلاد الشام، وكان القاضي أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن

محمد ابن عمار قد استبدَّ بحكم طرابلس وخلع طاعة أمير الجيوش بدر الجمالي، وضم مدينة جبيل الواقعة على الساحل اللبناني إلى نفوذه، واضعاً بذلك النواة الأولى لقيام إمارة بني عمار المستقلة، وحتى يدعم موقفه في طرابلس تقرب من السلاجقة، فأرسل إليه السلطان ألب أرسلان، قبل أن يغادر المنطقة قوة عسكرية بقيادة أحد كتابه هو جابر بن سقلاب الموصلية، لم يوضح المؤرخون ما تقرّر بين السلطان ألب أرسلان وأمير طرابلس، لكن يغلب على الظن أن معاهدة عدم اعتداء عقدت بين الطرفين يسمح بموجبها لجماعة من الأتراك بالإقامة في أعمال طرابلس، وتنفيذاً لأوامر السلطان قادم محمود ابن نصر وايتكين السليماني قواتهما وتوجها جنوباً لمهاجمة دمشق وانتزاعها من أيدي العبيديين وذلك في ٤٦٤هـ وتوقفاً في بعلبك ليخططا لحمليتهما، وعلم محمود بن نصر وهو في بعلبك بأن عمه عطية هاجم حلب بالتعاون مع البيزنطيين في أنطاكية، وأحرق قسماً من معرة مصرين، فاضطر للعودة إلى مقر إمارته للدفاع عنها، واشتبك مع البيزنطيين في عدة معارك، فانهزم أمامهم، وعندما وجد نفسه عاجزاً عن الوقوف في وجههم استعان بأتسز وإخوته، وكانوا في الجنوب يحاولون انتزاع فلسطين من أيدي العبيديين، فلبوا دعوته، وقدموا إلى حلب، وتمكّن محمود بن نصر بفضل مساعدتهم من :
- صدّ البيزنطيين، ووقف أعمالهم ضد أراضيهم.

- استعاد الرحبة من مسلم بن قريش في عام ٤٦٥هـ.

وبعد أن قضى منهم ما أراد، وأمن جانب البيزنطيين، طلب منهم أن يغادروا حلب، وأغراهم بالمال والخيل، فغادروا إلى الجنوب. ويبدو أنهم تركوا قسماً منهم في خدمته يبلغ ألف فارس بقيادة أحمد شاه، بدليل أنه عندما أغار البيزنطيون على أراضي حلب عام ٤٦٦هـ، صدّهم محمود بن نصر بمساعدة الأتراك الموجودين في حلب كما فتح قلعة السن الواقعة تحت الحكم البيزنطي وضمّها أملاكه.

توجه الأتراك بزعامة أتسز، بعد رحيل السلطان ألب أرسلان عن المنطقة إلى دمشق بهدف ضمّها، فضربوا عليها حصاراً مركزاً، وأغاروا على أعمالها، وقطعوا الميرة عنها، ورعوا زرعها، ومع ذلك فقد فشلوا في اقتحامها، فغادروها إلى فلسطين، فضموا الرملة، وبيت المقدس، بعد حصار، وطرّدوا منها الحامية العبيدية وانتزعوا طبرية من أيديهم، وحاصروا يافا، فهرب حاكمها رزين الدولة العبيدي، وألغى أتسز الدعوة للمستنصر العبيدي، وخطب للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي وأرسل إلى بغداد يخبر بما حقّقه في بلاد الشام^(١).

بلاد المغرب العربي والأندلس في العصر العباسي الثاني (العهد السلجوقي)

كانت **الدولة العبيدية** التي تحكم مصر خلال هذه الفترة قد فقدت سيطرتها على الشمال الإفريقي لعدم رغبة المجتمع المغاربي المسلم لعقائد هذه الدولة الشيعية وتصرفاتها الغربية، ولم يبق لها إلا السيطرة المحدودة على مصر وبعض المناطق الجنوبية من بلاد الشام، ولا سيما أن مكة والمدينة أخذت تدعو للخليفة العباسي الشرعي تاركة الدعاء للخليفة العبيدي.

بيد أن هذه الدولة انقسمت على نفسها في سنة (٤٨٧هـ) ١٠٩٤م، - كما ذكرنا ذلك سابقاً - حينما توفي خليفتهم المستنصر، وتكوّنت فرقتان كبيرتان؛ **الأولى**؛ هي التي تقطن بمصر وتحكمها، وهي المستعلية (نسبة إلى المستعلي بن المستنصر). أما الفرقة **الثانية**؛ هي فرقة الإسماعيلية النزارية (انظر خارطة القلاع الإسماعيلية في إيران وبلاد الشام).

وكانت تونس (إفريقية) تحت **حكم آل زيري** وهي سلالة أمازيغية من قبيلة صنهاجة الأمازيغية حكمت في شمال إفريقيا تونس والجزائر ما بين ٣٦٠ - ٥١٨ هـ. واتخذت من الناصرية (بجاية حالياً) مقراً لها منذ عام ٣٦٠ هـ، ثم القيروان منذ عام ٤٣٩ هـ، ثم المهدية منذ عام ٤٦٧ هـ، إلا أن هذه الدولة دخلت في طور من الضعف؛ مما أدى إلى فقد ثغر من أعظم الثغور الإسلامية، وهي جزيرة صقلية، حيث استطاع الإيطاليون النورمانيون أن يسيطروا عليها تماماً سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م، وزال نفوذ آل زيري عنها، وبالتبعية زال وجود المسلمين من الجزيرة بعد حكم دام مائتين وسبعين سنة متصلة.

أما بقية بلاد المغرب العربي والأندلس: فقد أخذ يشهد ولادة قوة إسلامية في ذلك الزمن، فكان بلاد المغرب العربي وغرب إفريقيا والأندلس؛ حيث كانت هذه المناطق تابعة **لدولة المرابطين** العظيمة تحت قيادة قائدهم الفذ يوسف بن تاشفين رحمه الله، وهو من أعظم القادة في تاريخ الإسلام، وهو الذي أنزل بالصلبيين القادمين من شمال إسبانيا وفرنسا الهزيمة الساحقة في معركة الزلاقة سنة (٤٧٩هـ) ١٠٨٦م في وسط بلاد الأندلس (سيرد تفصيلها في الصفحات القادمة من هذا الأطلس). وهذه الدولة الكبيرة -على قوتها- لم تكن تستطيع أن تساعد بلاد المشرق في حروبهم ضد الحملات الصليبية، لا لبعد المسافة فقط ولكن لانشغالهم الشديد في حرب الصليبيين شمال الأندلس، والوثنيين في غربي إفريقيا ووسطها. فهذه كانت نظرة عامة على بلاد العالم الإسلامي في أواخر القرن الخامس الهجري (أواخر القرن الحادي عشر الميلادي).



الأندلس في عهد ملوك الطوائف (٤٢٢ - ٤٨١ هـ)

لم تكن حال **الأندلس** بأفضل من حال **المغرب** حين وصل يوسف بن تاشفين إلى سدة الحكم. فبعد زوال الخلافة الأموية في الأندلس في صدر المائة الخامسة الهجرية، **استقل الحكام بمدنهم** وتقسمت البلاد إلى دول وإمارات. فكانت هناك إمارة بني جهور في قرطبة، وإمارة بني حمود في الجزيرة الخضراء ومالقة، ودولة بني عباد في إشبيلية، ودولة بني زيري في غرناطة، وهكذا... وهذا ما أطلق عليه اسم عصر ملوك الطوائف الذي ينطبق عليه قول ابن الخطيب:

حتى إذا سلك الخلافة انتثر

قام بكل بقعة مليك

وذهب العين جميعاً والأثر

وصاح فوق كل غصن ديك

وكان ملوك الطوائف منغمسين في ترفهم، يسعى بعضهم إلى توسيع أملاكه على حساب بعضهم الآخر، وانشغلوا عن **مجاهدة العدو** بخلافاتهم المستمرة وبمحاربة بعضهم بعضاً، بل كان كثير منهم يتحالف مع العدو على إخوانه المسلمين، أو يذعن للعدو فيدفع له الجزية. وهكذا فإن ملوك الطوائف كانوا يحملون الألقاب الرنانة الطنانة دون أن تكون لهم القوة أو السلطة التي قد توحى بها تلك الألقاب. ولهذا قال الشاعر:

مما يزهدني في أرض أندلس

ألقاب مملكة في غير موضعها

ألقاب معتضد فيها ومعتمد

كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ونتيجة لهذه الأوضاع المزرية المتدهورة، أقدم **ألفونس السادس** صاحب قشتالة على شق الأندلس شقاً حتى وصل جزيرة طريف واحتل في طريقه مدينة طليطلة وحاصر مدينة سرقسطة. فكتب المعتمد بن عباد ملك إشبيلية إلى يوسف بن تاشفين يستدعيه للحوز برسم الجهاد ونصر البلاد. فأجابه يوسف بن تاشفين بقوله لا يمكنني ذلك إلا إذا ملكت طنجة وسبتة، ولما تزايد الخطر النصراني ضد مسلمي الأندلس بعد حادثة بربرشت سنة ٤٥٦ هـ وجه أبو حفص عمر بن حسن الهوزني رسالة إلى المعتمد ابن عباد (٤٣٣ - ٤٦٢ هـ) دعاه فيها إلى الجهاد، كما بين فيها شدة معاناة المسلمين، وسبب تزايد الخطر النصراني عليهم، وأنه لا خلاص للمسلمين إلا بالرجوع إلى الله ثم ضم المرابطين لهم، وهذا ما حدث سنة ٤٨١ هـ.



ملوك الطوائف في بلاد الأندلس

ملوك الطوائف: هي فترة تاريخية في الأندلس بدأت بحدود عام ٤٢٢ هـ لما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية في الأندلس، مما حدا بكل أمير من أمراء الأندلس ببناء دولة منفصلة، وتأسيس أسرة حاكمة من أهله وذويه. وتنتهي بضم المرابطين لها سنة ٤٧٩ هـ.

مملكة ليون

مملكة الفرنجة

ملوك الطوائف

التسلسل الرقمي لانفصال الدولة

كوتيه البرتغال

ريبا جورتا

قطلوونية

مثال

نبرة

مملكة قشتاله

مملكة أرجون

المرايطون

دولة المرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٧م)

الدعاء للخليفة العباسي

كانت دولة المرابطين من الدول التي عبّر زعمائها عن اعترافهم بالسيادة الروحية **للخليفة العباسي** بسك اسمه على النقود والدعاء له على المنابر، وبدأ ذلك منذ أيام أبي بكر بن عمر كما تشهد على ذلك النقود التي سكها، ثم سار يوسف بن تاشفين على سنته وطلب من الخليفة العباسي المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ) تقليده حكم المغرب، فجاءه التقليد واعترف الخليفة بلقبه «أمير المسلمين وناصر الدين» في الكتاب الذي وصله على ما يرجح في رجب سنة ٤٩١هـ حزيران/يونيو ١٠٩٨م وقد عدّ الخليفة يوسف في كتابه أيضاً نائب الخليفة والقائم بدعوة أمير المؤمنين وقائد جيوشه في المغرب.

نشأت دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري على يد قبائل صنهاجة المغربية التي تنزعمها قبيلة جدالة، ورئيسها يحيى بن إبراهيم بن قرغوت الجدالي الذي ذهب إلى الحج، وهناك قابل أحد الدعاة وطلب منه الذهاب معه لتعليم القبائل الصنهاجية الإسلام، وكان هذا الداعية هو عبد الله بن ياسين الجدولي. وصل عبد الله بن ياسين إلى مناطق قبائل صنهاجة يعلمهم الإسلام، فلقى نجاحاً كبيراً في قبيلة لمتونة، واستطاع تكوين جماعة سميت المرابطين، نظمهم للجهاد في سبيل الله. وبدأ المرابطون من عام ٤٤٧هـ الجهاد في سبيل الله، وفتح بعض بلاد المغرب؛ بقيادة أبي بكر بن عمر وابن عمه يوسف بن تاشفين وهو الذي قاد الحركة المرابطية منذ ذلك الحين، وأسس الدولة الكبرى في المغرب أولاً، ثم اتجه يوسف بن تاشفين إلى المعتمد بن عباد لينقذه، وحقق جيش المرابطين نصر ملوك الطوائف بالزلافة ودعاهم إلى الوحدة والتآلف لمواجهة النصارى.

بعد عودة يوسف بن تاشفين إلى أرض المغرب، حدثت الصراعات بين أمراء المؤمنين الموجودين في بلاد الأندلس بسبب الغنائم وتقسيم البلاد المحررة. وهنا ضج علماء الأندلس وذهبوا يستجدون بيوسف بن تاشفين من جديد، لا لتخليصهم هذه المرة من النصارى، وإنما أنقذنا من أمرائنا. يتورع يوسف بن تاشفين عن هذا الأمر، إذ كيف يهجم على بلاد المسلمين وكيف يحاربهم؟ فتأتيه - رحمه الله - الفتاوى من كل بلاد المسلمين تحمله مسؤولية ما يحدث في بلاد الأندلس إن هو تأخر عنها، وتحذره من ضياعها إلى الأبد، وتطلب منه أن يضمها إلى أملاك المسلمين تحت دولة واحدة وراية واحدة، هي دولة المرابطين. فجاءته الفتوى بذلك من بلاد الشام من أبي حامد الغزالي صاحب "إحياء علوم الدين"، وقد كان معاصراً لهذه الأحداث، وجاءته الفتوى من أبي بكر الطرطوشي العالم المصري الكبير، وجاءته الفتوى من كل علماء المالكية في شمال إفريقيا. فاستجاب لهم في سنة ثلاث وثمانين وأربعمئة من الهجرة فضم الأندلس إلى دولته.

دولة المرابطين في أقصى اتساع لها



العملة التي عرفت في سائر الحوليات القشتالية باسم المرابطي : نسبة إلى الدولة المرابطية التي حكمت المغرب في القرن السادس الهجري.



ترتيب أمراء المرابطين

- ١ - يحيى بن إبراهيم الجدالي
- ٢ - يحيى بن عمر (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م)
- ٣ - أبو بكر بن عمر (ت ٤٨٠هـ / ١٠٨٨م)
- ٤ - يوسف بن تاشفين (٤٥٣-٥٠٠هـ / ١٠٦٦-١١٠٧م)
- ٥ - علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٧-١١٤٣م).
- ٦ - تاشفين بن علي (٥٣٧-٥٤٠هـ / ١١٤٣-١١٤٥م).
- ٧ - إبراهيم بن تاشفين (٥٤٠هـ / ١١٤٥م).
- إسحاق بن علي (٥٤٠-٥٤١هـ / ١١٤٥-١١٤٦م).

بنو واد

أصول القبائل الصنهاجية

مهد قبائل المرابطين

مسوفة

جزولة

متونة

جدالة

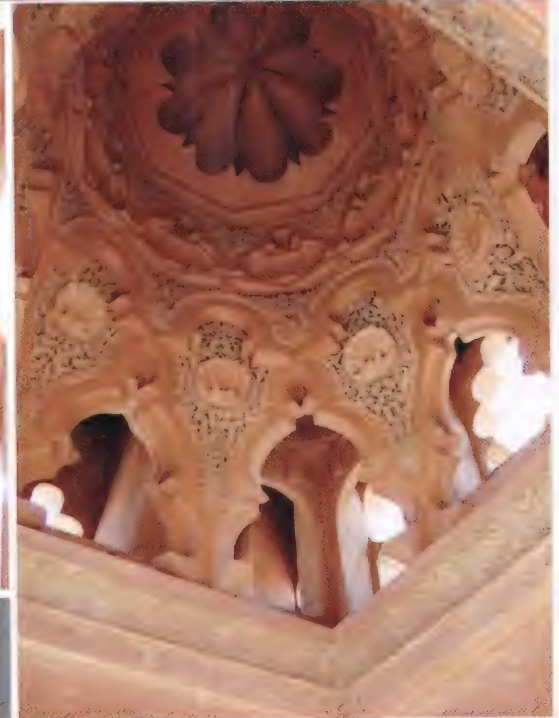
أودغست

الموريتانيون





مراكش: هي ثالث أكبر مدينة مغربية تقع في جنوبي وسط المغرب، بناها السلطان المجاهد يوسف بن تاشفين عام ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م. كعربون محبة لزوجته زينب النفزاوية. يرجع اسم مراكش إلى الكلمة الأمازيغية أمورن ياكوش: أي بلاد الله حيث يستعمل الأمازيغ كلمة تامورت أو أمور التي تعني البلاد كثيراً في تسمية البلدان والمدن.



جانب من فن الزخرفة في عهد المرابطيين على إحدى القباب في مدينة مراكش



النصر التأسيسي لمسجد أبي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين في تلمسان بالجزائر . بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم هذا مما أمر بعمله الأمير الأجل...أيده الله وأعز نصره وأدام دولته. وكان إتمامه على يد الفقيه الأجل القاضي الأوصل أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي أدام الله عزهم فتم في شهر جمادى الأخير عام ثلاثين وخمسمائة .

١ - دينار مرابطي - سجلماسة ٤٧١هـ



أبو بكر عمر اللمتوني
الوجه: المركز: لا إله إلا الله / محمد رسول الله / الأمير أبو بكر / بن عمر
الهامش: ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو
في الآخرة من الخاسرين
الظهر: المركز: الامام / عبد / الله / أمير المؤمنين
الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار بسجلماسة سنة
إحدى وسبعين وأربعمائة
القطر: ٢.٤ سم



السلطان يوسف بن تاشفين

دينار مرابطي - قرطبة سنة ٤٩٥هـ

دولة الأشراف السليمانيين في مكة المكرمة (٤٥٣ - ٤٥٥ هـ / ١٠٦١ - ١٠٦٣ م)

قال البلادي^(١): وهم **الطبقة الثانية** من أشراف الحجاز. ينسب **الأشراف السليمانيون** إلى جدهم **سليمان** بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما. **سكن السليمانيون مكة المكرمة** بجوار بني عمهم الموسويين، فلما توفى شكر بن أبي الفتوح الموسوي، سارع السليمانيون إلى الاستيلاء على الحكم، **فكونوا دولة لم تدم طويلاً**، فهاجمهم بنو عمهم الهواشم فانتزعوا ملك مكة منهم، فجلى السليمانيون إلى المخلاف السليماني (منطقة جازان اليوم) فانتشروا هناك ثم صارت لهم دول في ذلك المخلاف، ولهم اليوم فروع منتشرة في منطقة جازان ومحافظة القنفذة التابعة لإمارة مكة المكرمة، من أهمها: آل القطبي، وآل الخواجي، وآل الذروي وغيرهم، وفي محافظة القنفذة: آل ابن حمزة، الفداحية، آل شبير، وغيرهم.

أبو الطيب بن عبد الرحمن بن قاسم بن أبي الفاتك بن داود بن سليمان بن عبد الله بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن (المثنى) بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - هو ابن عم أبي الفتوح الحسني أمير مكة. ذكر بعض المؤرخين أن **الحاكم العبيدي** ولاء الحرمين لما خرج ابن عمه أبو الفتوح عن طاعته.

وفي سنة (٤٥٥ هـ) قدم إلى الحج صاحب اليمن **علي بن محمد الصليحي**، فدخل مكة في سادس ذي الحجة وملكها وانتزعها من بني أبي الطيب، واستعمل العدل والإحسان لأهل مكة فرخصت الأسعار واستراح الناس جداً وكثر الدعاء له، واستمر بمكة إلى يوم عاشوراء، وقيل إلى ربيع الأول، فقام الأشراف الحسنيون عليه، وقالوا له: اخرج إلى بلدك واجعل لك بمكة نائباً. فجعل على مكة محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم.

أما الشيخ أحمد السباعي - رحمه الله - شيخ مؤرخي مكة في هذا العصر، فذكر **دولة السليمانيين**، فقال: الطبقة الثانية من الأشراف «السليمانيون». ثم يقول: ولم يتمتع السليمانيون طويلاً بهذا الحكم، فقد اقتحم عليهم **الصليحي صاحب اليمن** بعد سنتين من استئثارهم بالحكم، ولم يذكر مؤرخو مكة أسماء من تولى مكة منهم إلا اسم محمد بن عبد الرحمن من أحفاد أبي الفاتك. أه، ما قاله السباعي. وقد ذيل في هامش ص (٢٠١) بقوله: هم أولاد سليمان بن عبد الله بن موسى الجون.. إلخ. **ولم أر من ذكر مدى اتساع دولة السليمانيين**، غير أنه من الواضح أنهم لم يجمعوا بين الحرمين الشريفين^(٢).

٢٠١ - عاتق بن غيث البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، موقع أشراف الحجاز بالملكة العربية السعودية.

الطبقة الثانية، الأشراف السليمانيون في الحجاز



دولة الأشراف الهواشم في مكة المكرمة (٤٥٦ - ٥٩٧ هـ / ١٠٦٣ - ١٢٠٠ م)

قال البلادي^(١): يسمون **الهواشم** ويسمون الأمراء، أما تسميتهم بالهواشم فتسبب إلى جدهم محمد أبي هاشم مؤسس دولتهم، الآتي ذكره، أما تسميتهم بالأمراء فتسبب إلى جدهم: الحسين الأمير، قال ابن عنبه: وأما محمد الأكبر بن موسى الثاني، ويقال له: الثائر، فأعقب من صلبه خمسة رجال وهم: عبد الله الأكبر والحسين الأمير... إلخ، وذريتهم اليوم منتشرون في مكة وممر الظهران.

وفي قصة الصليحي صاحب اليمن السابقة تبين كيف تم استيلاؤه على مكة والحج بالناس سنة (٤٥٥ هـ)، فلما قضى حجه، يقول الفاسي: وأقام إلى يوم عاشوراء - أي سنة (٤٥٦ هـ) - وراسله **الحسنيون**، وكانوا قد أبعادوا عن مكة: أخرج من بلدنا ورتب منا من تختاره، فرتب محمد بن أبي هاشم في الإمارة، ورجع إلى اليمن. ومحمد هذا هو صهر شكر على ابنته، وأمّره على الجماعة - أي الصليحي - وأصلح بين العشائر، واستخدم له العساكر، وأعطاه مالاً وخمسين فرساً وسلاحاً... إلخ.

قلت^(٢): ويكاد يجمع المؤرخون على أن محمداً هذا هو محمد أبو هاشم بن جعفر بن محمد أبي هاشم بن عبد الله بن محمد أبي هاشم بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - . حيث دامت ولاية أبي هاشم ثلاثين سنة، أي من (٤٥٦-٤٨٦ هـ).

ولكن حفيد هؤلاء الهواشم الشاب: إبراهيم بن منصور، مؤلف كتاب: (الأشراف الهواشم الأمراء) يستدرك قائلاً: وهم من بني أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني - إلى آخر ما تقدم - ثم أول من تولى **مرة مكة منهم أبو هاشم الأصغر** محمد بن عبد الله بن أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير، بخلاف ما قرره المؤرخون من أن طبقة الهواشم عرفت من عهد أبي هاشم محمد بن جعفر.

وإتمام رواية الفاسي في شفاء الغرام: ... **وأقام محمد بن أبي هاشم بمكة نائباً عنه (الصليحي)** فقصده الحسنيون بنو سليمان مع حمزة بن أبي وهاس، فلم يكن له به طاقة فحاربهم وخرج من مكة فتبعوه، فرجع فضرب واحداً منهم ضربة فقطع ذراعه وفرسه وجسده ووصل (السيف) إلى الأرض، فدهشوا ورجعوا عنه، وكان تحت فرس تسمى «دنانير» لا تكل ولا تمل، وليس لها في الدنيا شبيه. ومضى إلى **وادي ينبع** وقطعه الطريق عن مكة... إلى أن يقول: ولعل حمزة بن وهاس المذكور في هذا الخبر حفيد أبي الطيب المشار إليه. وذكر شيخنا ابن خلدون ما يقتضي أن ابن أبي هاشم ولي مكة في سنة (٤٥٤ هـ) بعد أن قاتل السليمانيين (قوم شكر) وغلبهم ونفاهم عن الحجاز، والله أعلم بذلك.

وعاد ابن أبي هاشم بعد خروجه من مكة إلى إمرتها، ودامت ولايته عليها - فيما أحسب - إلى أن مات في سنة بضع وثمانين، كما ذكر ابن الأثير وغيره^(١)، ورأيت في تأريخ ابن الأثير: أن هؤلاء (التركمان) طلبوا من ابن أبي هاشم أموال الكعبة التي أخذها وأنهم نهبوا مكة.. إلخ. وهو - أي أبو هاشم - أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة، بعد قطعها من الحجاز نحو مائة سنة، ونال بسبب ذلك مالاً عظيماً من السلطان **أب أرسال السلجوقي**، فإنه خطب له بمكة بعد **القائم الخليفة العباسي، (خلافته: ٤٢٢ - ٤٦٨ هـ)**، وصار بعد ذلك يخطب حيناً للمقتدي بن القائم العباسي، وحيناً للمستنصر العبيدي صاحب مصر، ويقدم في ذلك من تكون صلته أعظم، ولعل ذلك سبب إرسال التركمان إليه، وذكر شيخنا ابن خلدون أن مدة إمرته على مكة ثلاثون سنة، وأنه ملك المدينة، أ. هـ عن شفاء الغرام بقليل من الاختصار^(٢).

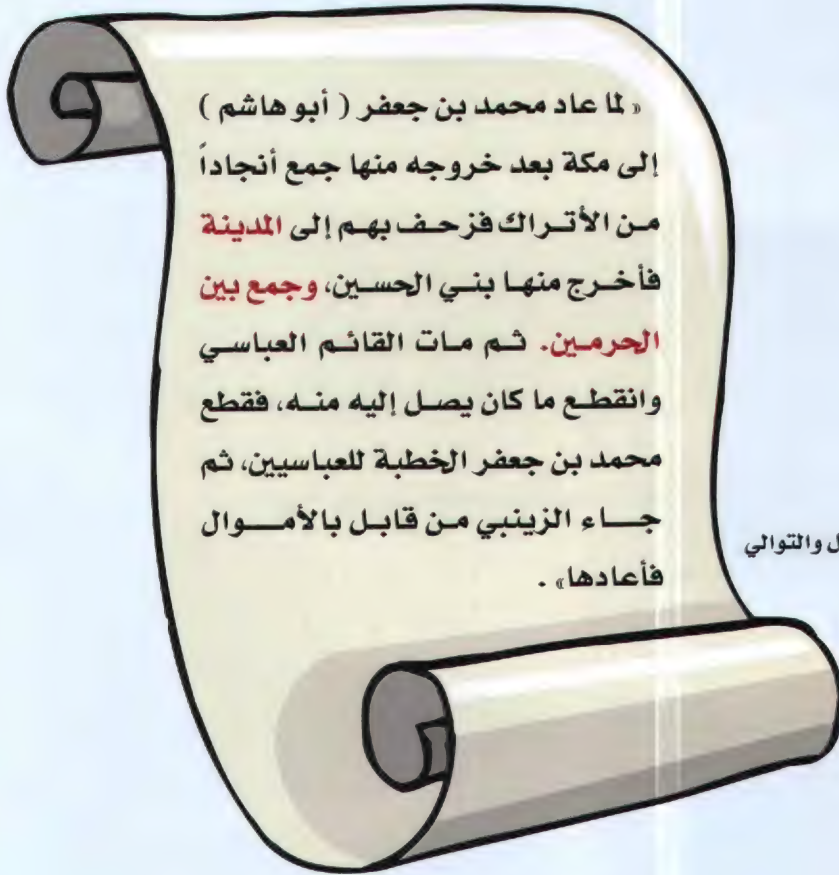
أما النجم ابن فهد، فيقول في حوادث سنة (٤٥٦ هـ): فيها في المحرم بعث **الأشراف الحسنيون** إلى علي بن محمد الصليحي - وكانوا قد هربوا عن مكة لما دخلها الصليحي - أن أخرج من بلادنا ورتب منا من تختاره. فرتب أبا هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم محمد بن الحسين (الأمير) ... إلخ النسب المعروف. وكان صهر شكر بن أبي الفتوح على ابنته، وأمره - أي الصليحي - على الجماعة، إلى آخر ما نقلناه سابقاً عن رحلته إلى اليمن متخوفاً من الأشراف العلويين، لأنهم تجمعوا، فكان أن وقع الوباء في أصحابه، فمات منهم سبعمائة رجل، ولم يبق منهم إلا نفر يسير، فأقام بمكة - نائباً عنه - أبا هاشم ثم سار إلى اليمن. ثم الرواية المتقدمة، وقصة محاربة السليمانيين له، وفرسه دنانير وضربة السيف البتار، وسفره إلى ينبع... إلخ.

وعند مراجعة كتاب العز بن فهد: نجده لم يشذ عن أبيه ومن تقدمه، فينقل عن صاحب المرأة حج الصليحي سنة (٤٥٥ هـ)، وما فعله الصليحي وما فعله الأشراف في نهاية الحج، وتولية محمد بن جعفر الأمير. إلا أن العز يورد: وذكر بعضهم أنه لما **افتتح الخطبة العباسية قال:**

الحمد لله الذي هدى بأهل بيته إلى الرأي المصيب، وعوّض بني بلبسة الشباب بعد المشيب، وأمال قلوبنا إلى الطاعة، ومتابعة أهل الجماعة. وترك الأذان بحي على خير العمل وكان فعله ذلك سنة (٤٦٢ هـ). ثم يقول: فلما لم يصل - في سنة (٤٦٧ هـ) - من جهة الخليفة العباسي ما كان يصل للأمير مكة، قطع خطبة المقتدي العباسي، وصادف مع ذلك أن المستنصر (العبيدي) أرسل إليه بهدايا وتحف ليخطب له، وقال له: إنما كانت أيمانك وعهودك للقائم وللسلطان أب أرسال، وقد ماتا، فخطب للمستنصر، ثم قطع خطبته في سنة (٤٦٨ هـ) وخطب للمقتدي: عبد الله بن محمد الذخيرة بن القائم العباسي. وصار يخطب تارة

لبنى العباس وقارة لبنى عبيد. قال العز بن فهد: ثم هرب ابن أبي هاشم من مكة في سنة (٤٨٤هـ) إلى **بغداد** لما استولى عليها التركمان الذين أرسلهم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي **للاستيلاء على الحجاز واليمن**، إلى أن يقول: وذكر شيخنا ابن خلدون أن ابن أبي هاشم هذا جمع جموعاً من الترك، وزحف بهم إلى المدينة، وأخرج منها بني حسين وملكها، وجمع بين الحرمين، وأن ولايته كانت (٣٣) سنة^(١).

ثم عاد محمد بن جعفر إلى مكة بعد خروجه، واستمر متولياً إلى أن مات في سنة (٤٨٧هـ) **وهو أول من أعاد الخطبة العباسية** بعد أن قطعت نحو مائة سنة. وقد بالغ ابن الأثير في ذمه، فقال: ما له ما يمدح به. قال الفاسي: ولعل ذلك لنتهبه الحاج، وقتله خلقاً كثيراً منهم في سنة ست وثمانين، وذكر ابن خلدون أن إمرته على مكة كانت ثلاثين سنة، وأنه ملك المدينة أيضاً^(٢).



سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي

الطبقة الثالثة : الأشراف الهواشم في الحجاز



الخلافة العباسية

العراق

أرض الشام

بدء الاحتلال الصليبي عام ٤٨٩ هـ

في ٤٦٢ هـ، الأمير محمد بن جعفر يفتتح الخطبة العباسية بقوله : الحمد لله الذي هدى بأهل بيته إلى الرأي المصيب، وعوض بنيه بلبسة الشباب بعد المشيب، وأمال قلوبنا إلى الطاعة، ومتابعة أهل الجماعة. وترك الأذان يحيى على خير العمل ...

شبه الجزيرة العربية

نجد

المدينة النبوية
بنوهمنا الحسينيون

أرض الحجاز

مكة المكرمة

نفوذ الأشراف الهواشم

القرامطة

شمر

العيونيين

الطبقة الثالثة : الأشراف الهواشم،

وهم من بني أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير بن محمد التأثير بن موسى الثاني بن عبد الله الرضا بن موسى الجون ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

معنى الطبقة : الفترة التي حكم فيها أحد فروع الأشراف الحسينيين الأربعة مكة المكرمة زادها الله تعالى شرفاً .

قال صاحب سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي :
انحرف المستنصر بن الظاهر بن الحاكم العبيدي صاحب مصر عن الأشراف الهواشم، ومال إلى الأشـشـراف السليمانيين، وكتب إلى علي بن محمد الصليحي صاحب دعوتهم باليمن أن يعينهم الأشراف (السليمانيين) على استرجاع ملكهم، وينهض معهم إلى مكة، فنهض وانتـهـى إلى المهجم.

أرض اليمن

الصليحيون

٥٠٠ ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠ كم

معركة ملاذكرت^(١) (ملاذكرد) ٤٦٣ هـ ١٠٧١ م

أغضبت فتوحات ألب أرسلان الإمبراطور البيزنطي رومانوس (أرمانوس) ، فصمم على القيام بمعركة مضادة للدفاع عن إمبراطوريته، ودخلت قواته في مناوشات ومعارك كان أهمها **ملاذكرت (ملاذكرد) عام ٤٦٣ هـ**، وتعد معركة "ملاذكرت" من أيام المسلمين الخالدة، مثلها مثل بدر، واليرموك، والقادسية، وحنين، وعين جالوت، والزلاقة، وغيرها من المعارك الكبرى التي غيرت وجه التاريخ، وأثرت في مسيرته، وكان انتصار المسلمين في ملاذكرت نقطة فاصلة؛ حيث قضت على سيطرة دولة الروم البيزنطية على أكثر مناطق آسيا الصغرى وأضعفت قوتها، ولم تعد كما كانت من قبل شوكة في حلق المسلمين، حتى سقطت في النهاية على يد السلطان العثماني المسلم محمد الفاتح.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمئة وفيها أقبل ملك الروم **أرمانوس** في جحافل أمثال الجبال من **الروم والكرج والفرنج**، وعدد عظيم وعدد، ومعه خمسة وثلاثون ألفاً من البطارقة، مع كل بطريق مائتا ألف فارس، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفاً، ومن الغزاة الذين يسكنون **القسطنطينية**، خمسة عشر ألفاً، ومعه مائة ألف نقاب وحفار، وألف روزجاري، ومعه أربعمئة عجلة تحمل النعال والمسامير، وألف عجلة تحمل السلاح والسروج والفرادات والمناجيق، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رحل، ومن عزمه - قبحه الله - أن يبديد الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد، واستوصى نائبها بالخليفة خيراً، فقال له: أرفق بذلك الشيخ فإنه صاحبنا، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة، فاستعادوه من أيدي المسلمين، والقدر يقول: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ الحجر: ٧٢ فالتقاء السلطان **ألب أرسلان** في جيشه وهم قريب من عشرين ألفاً، بمكان يقال له الزهوة، في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم ، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري **بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال** حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين، فلما كان ذلك الوقت وتواقف الفريقان وتواجه الفتیان، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عز وجل، ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره، فأنزل نصره على المسلمين، ومنحهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، **وأسر ملكهم أرمانوس**، أسره غلام رومي، فلما أوقف بين يدي الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث مقارع وقال: لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل ؟ قال: كل قبيح، قال: فما ظنك بي ؟ فقال: إما أن تقتل وتشهرني في بلادك، وإما أن تغفو وتأخذ الفداء وتعيديني. قال: ما عزمتم على غير العفو والفداء. فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار. فقام بين يدي الملك وسقاه شربة من ماء

١ - سامي بن عبد الله المفلو، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ص ١٦ - ١٧ ، مكتبة العبيكان .

معركة ملاذكرت (ملاذكرد) سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م

الجيش السلجوقي التركي المسلم

الجيش البيزنطي

بحر بنطس (البحر الأسود)

القسطنطينية

نيقية

دورليوم

أفسوس

الإمبراطورية البيزنطية

آسيا الصغرى

قونية

أظنة

أرمينية الصغرى

أنطاكية

الرها

سلطنة السلاجقة

نهر دجلة

الشافند ألب أرسلان

العراق

سوريا

دمشق

صور

عكا

القدس

غزة

الكرك

الخلافة العباسية

الدولة العبيدية

إيلة

مصر

جزيرة العرب

٤٠٠

٢٠٠

صفر



وقبّل الأرض بين يديه، وقبل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالاً وإكراماً، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها، وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعه فرسخاً، وأرسل معه جيشاً يحفظونه إلى بلاده، ومعهم راية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله، فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره، فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه، وبعث من الذهب والجواهر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الأرمن فأخذه وكحله وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك.

وهذه المعركة هي التي مهدت للحروب الصليبية بعد ازدياد قوة السلاجقة المسلمين وعجز دولة الروم عن الوقوف في وجه الدولة الفتية، وترتب على ذلك الحملة الصليبية الأولى. (انظر كتابنا الموسوم أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى).



مرتسم أوروبي قديم يصور سقوط الإمبراطور البيزنطي (رومانوس) بعد معركة ملاذكرت (ملاذكرد) أسيراً في أيدي المسلمين، حيث تبين الصورة وقوع الإمبراطور ذليلاً تحت قدم لسلطان السلجوقي المسلم (ألب أرسلان). ولا شك أن هذه الصورة من مبالغات الرسامين الأوروبيين آنذاك؛ لشحن روح العداء والكراهية ضد المسلمين، حيث لا تمت قيم وأخلاق المسلمين لمثل هذا العمل غير الأخلاقي؟ ولا سيما أن نبل ألب أرسلان وشهامته، وحسن تواقفه عند النصر تتنافى مع هذا النهج المجوج.

أتاحت **معركة ملاذكرد ٤٦٣ هـ** للسلاجقة الانسياب إلى جوف آسيا الصغرى، وشجعتهم النزاعات والحروب الداخلية التي نشبت بين البيزنطيين على الاستقرار في ربوعها، وتأسيس سلطنة عُرفت في التاريخ باسم "سلطنة سلاجقة الروم ٤٧٠ هـ - ٤٧٩ هـ" أسسها سليمان بن قتلمش الذي يعد بحق جد سلاطين آسيا الصغرى، أخذ سليمان على عاتقه إدارة شؤون المنطقة الشمالية الغربية بعد رحيل ألب أرسلان عن آسيا الصغرى، وعزم على أن يقيم لنفسه سلطنة في قونية وأقسرا وغيره من المدن التي كانت تحت حكم قتلمش، ويتولى حكمها مع الاعتراف بسيادة ملكشاه سلطان السلاجقة العظام الذي خلف أباه ألب أرسلان وكان الأول قد عهد إليه بإدارة المنطقة لصالح الأتراك، وقد ساعد سليمان على تحقيق غايته عاملان^(١) :

أ- التغير الديمغرافي الناتج عن الفتوح، إذ أضحت المناطق الشمالية والشرقية شبه خالية بعد أن هجرها سكانها، ذلك أن القبائل التركية التي ساندت سليمان في فتوحه، كانت تطوق أرجاء الأناضول تلتمس الماء والكلاء، فاضطر السكان إلى مغادرة قراهم ومزارعهم إلى مناطق أكثر أمناً فدخل إليها السلاجقة واستقروا فيها وغيروا معالمها.

ب- الأوضاع البيزنطية المضطربة، استفاد السلاجقة خلال الأعوام التي انقضت بعد ملاذكرد من الأوضاع المضطربة داخل الأجهزة البيزنطية، وراحوا يتدخلون في الشؤون الداخلية لأطراف النزاع وظهروا، كحلفاء ومساعدين لبعضهم، مما يسّر لهم التوغل بعيداً حتى وصلوا، إلى المقاطعات الغربية في آسيا الصغرى .

وقد ازدادت الفوضى في بلاد الأناضول نتيجة استمرار الانتفاضات على الحكومة المركزية، بالإضافة إلى التوسع السلجوقي، وفقدت الدولة البيزنطية سيطرتها على المنطقة، وتعطلت طرق المواصلات بفعل تدمير البدو لها، ولم يكن ثمة سياسة بيزنطية مدروسة، ويبدو أن ما جرى من استخدام القوات التركية هيباً للسلاجقة الاستقرار والإقامة في غربي آسيا الصغرى، واعترف الأتراك بسليمان زعيماً، ولم تكاد تنتهي سنة ٤٧١ هـ إلا وكانت حامية نيقية السلجوقية قد أعلنت العصيان على نقفور الثالث الذي أقامها في هذه المدينة، وبذلك فقدت الإمبراطورية البيزنطية أهم مدنها بعد أن سيطر عليها السلاجقة. وكان السلطان ملكشاه يراقب تحركات سليمان ونشاطه في آسيا الصغرى عن بعد، ورأى أن يعينه حاكماً على سلاجقة الروم بعد أن ضم إليه قونية وأقسرا وقيصرية وتوابعها، وفي الحقيقة استطاع سليمان أن يضع أساس سلطنة سلاجقة الروم، وأن يجعل من مدينة نيقية عاصمة لها^(٢) .



مركز مدينة قونية التركية (عاصمة سلاجقة الروم)



أحد المساجد القديمة في قونية وبجواره أحد المزارات الصوفية



السلاجقة الأتراك في آسيا الصغرى (سلاجقة الروم)



فلس سلجوقي من البرونز (عصر سلاجقة الروم) يحمل كتابات عربية، ورسومات للسلطان على فرسه

الدولة الخوارزمية ٤٧٠ هـ - ١٠٧٧ م / ٦١٧ هـ - ١٢٢٠ م

ظهر في عهد السلطان السلجوقي "ملكشاه" مملوك نابيه في بلاطه، يسمى **"أنوش تكين"** نجح في أن يحظى بتقدير السلطان ونيل ثقته، فجعله والياً على **إقليم خوارزم**، وظل على ولايته حتى وفاته سنة (٤٩٠ = ١٠٩٧)، فخلفه ابنه محمد وكان على مقدره وكفاية مثل أبيه، فظل يحكم باسم الدولة السلجوقية ثلاثين عاماً، نجح في أثائها في تثبيت سلطانه، ومد نفوذه، وتأسيس دولته وعُرف باسم **خوارزم شاه**، أي أمير خوارزم، والتصق به اللقب وعُرف به. وبعد وفاته سنة (٥٢٢ = ١١٢٨) خلفه ابنه **"أسز"** بموافقة السلطان السلجوقي سنجر، وكان أسز والياً طموحاً مد بصره فرأى دولة السلاجقة توشك على الانهيار، فتطلع إلى بسط نفوذه على حسابها، واقتطاع أراضيها وإخضاعها لحكمه، ودخل في حروب مع السلطان سنجر الذي وقف بالمرصاد لطموحات أسز، ولم يمكنه من تحقيق أطماعه، وأجبره على الاعتراف بتبعيته له، وظل يحكم خوارزم تحت سيادة السلاجقة حتى وفاته في سنة (٥٥١ = ١١٥٦). وفي الوقت الذي بدأ الضعف يدب في أوصال **الدولة السلجوقية** كانت الدولة الخوارزمية تزداد قوة وشباباً، حتى تمكنت من إزاحة دولة السلاجقة والاستيلاء على ما كان تحت يديها من بلاد، وكان السلطان **"تكش"** بطل هذه المرحلة، وتعد فترة حكمه التي امتدت أكثر من ربع قرن (٥٦٨ - ٥٩٦ هـ = ١١٧٣ - ١٢٠٠ م)

العصر الذهبي للدولة الخوارزمية :

لما توفي "تكش" سنة (٥٩٦ = ١١٩٩) خلفه ابنه **"علاء الدين محمد"**، وكان كأبيه طموحاً يتطلع إلى توسيع دولته وبسط نفوذها، فدخل في حروب مع جيرانه، فاستولى على معظم إقليم خراسان، وقضى على دولة القراخطاي سنة (٦٠٦ = ١٢٠٩)، واستولى على بلاد ما وراء النهر، وأخضع لسلطانه مكران وكرمان والأقاليم الواقعة غربي نهر السند، وسيطر على ممتلكات دولة الغور في أفغانستان، وبلغت بذلك الدولة أقصى اتساعها في عهده، حيث امتدت من حدود العراق العربي غرباً إلى حدود الهند شرقاً، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالاً إلى الخليج العربي والمحيط الهندي جنوباً.

ظهور جنكيز خان : تزامن مع اتساع الدولة الخوارزمية وازدياد نفوذها ظهور **المغول** وبروز دولتهم على يد "تيموجين" المعروف بجنكيز خان الذي نجح في السيطرة على قبائل المغول، وإحكام قبضته عليهم، وما كاد يهل عام (٦٠٢ = ١٢٠٦) حتى كان قد أخضع لسلطانه كل بدو صحراء جوبي، واتخذ من مدينة "قراقورم" مقراً له، ووضع للقبائل الخاضعة لها نظاماً يحكمها وقوانين يحكمون إليها، سميت بالياسا، وهو دستور اجتماعي وعسكري صارم، أساسه الطاعة العمياء للسلطان. وبعد أن رسخت أقدام جنكيز خان ووثق من قوته تطلع إلى توسيع رقعة دولته، ومد بصره إلى بلاد الصين، حيث الخصب والنماء، فشن حملات عليها، وتوج جهوده بالسيطرة على العاصمة بكين سنة (٦١٢ = ١٢١٥).

نشأة الدولة الخوارزمية

كازاخستان

الترك القراخطي

فرغيزيا

الصين

الختل

ترتيب سلاطين الخوارزمية

١ - أنوش تكين غارتشاي ١٠٧٧-١٠٩٧ م.

٢ - إكينيچي ١٠٩٧ م.

٣ - قطب الدين محمد ١٠٩٧-١١٢٧ م.

٤ - علاء الدين أتمسز عزيز الخوارزمي

١١٢٧-١١٥٦ م.

٥ - إل أرسلان ١١٥٦-١١٧٢ م.

٦ - سلطان شاه ١١٧٢-١١٩٣ م.

٧ - علاء الدين تكش ١١٧٢-١٢٠٠ م.

٨ - علاء الدين محمد الخوارزمي ١٢٠٠-١٢٢٠ م.

٩ - جلال الدين منكبرنو ١٢٢٠-١٢٣١ م.

الأترك القراخانية

بحيرة أرال «خوارزم»

خوارزم

خوارزم

تركمانستان

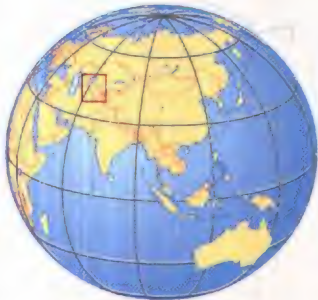
السلجقة

خراسان

طخارستان السفلى

سجستان

قوهستان



بلاد ما وراء النهر.. والنهر هنا هو نهر جيحون، وهو الحد الفاصل إلى حد ما بين الأقوام الناطقة بالفارسية، والتركية أي «إيران، وتوران»، فما كان في شماله أي ورائه من أقاليم سماها العرب ما وراء النهر وهو نهر جيحون، أما عن أصل تسميته فهو اسم أعجمي هو من جأحه إذا استأصله ومنه الخطوب الجوائح، وقد سمي بذلك لاجتياحه الأراضي.

وأصل الاسم بالفارسية: هرون وهو اسم لوادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيهان فتسببه الناس إليها وقالوا: جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ.

الإسماعيلية النزارية "الحشاشون" سنة ٤٧٨ - ٦٥٤ هـ

تعد **الإسماعيلية النزارية** طائفة وفرقة من أكبر الطوائف والفرق الإسماعيلية في العصر الحاضر، حيث بدأ انفصال هذه الفرقة وتكونها بعد وفاة المستنصر العبيدي عام ٤٧٨ هـ، وكان حسب تقاليد الإسماعيلية قد نص على إمامة ابنه نزار؛ لكن الوزير الجمالي صرف النص إلى أخيه المستعلي - ابن أخت الوزير - وحصل من جراء ذلك انقسام الإسماعيلية إلى مستعلية ونزارية وعلى الرغم من القضاء على نزار وقتله في الإسكندرية على يد وزير المستعلي الأفضل بن بدر الجمالي ولم يكن له عقب مستتر أو ظاهر، وعلى الرغم من ذلك فإن أحد دعاة الإسماعيلية ويدعى بالحسن بن الصباح انتصر لنزار وأصبح يدعو له ولأبنائه من بعده وجعل نفسه نائباً للإمام المستور من ولد نزار، وأصبح يدعو له وبذلك تكونت هذه الفرقة وأصبح يطلق عليها الإسماعيلية النزارية نسبة إلى نزار بن المستنصر كما يطلق عليها اسم الدعوة الجديدة تمييزاً لها عن الدعوة الإسماعيلية الأولى، كما يطلق عليها الإسماعيلية الشرقية نسبة إلى مكان ظهورها وانتشارها وإشارة إلى انفصالها عن الإسماعيلية الأم التي تسمى الإسماعيلية الغربية. ويسمى بعضها بعض الكتاب المعاصرين بإسماعيلية إيران نسبة إلى مكانها، وجميع هذه التسميات دالة عليها ومحددة لها وقد عاصر ظهور هذه الفرقة عالمان كبيران تولى كل واحد منهما فضح هذه الفرقة وبيان باطنيتها وشدة خطرهما وعظم ضررها على الإسلام والمسلمين، وهما: الإمام الغزالي الذي ألف كتابه (فضائح الباطنية)، والشهرستاني الذي أفرد لهم حديثاً خاصاً بهم عند قوله ثم إن أصحاب الدعوة الجديدة.. إلخ، وحفاظاً على بقاء هذه الفرقة وإظهارها، ادعى منظموها أن لنزار بن المستعلي ولداً ثم له نسلًا استمرت الإمامة فيهم وبقيت ولكنهم - أي النزاریون - فيما بعد كذبوا أنفسهم، حيث ادعوا الإمامة للحسن بن الصباح ومن جاء بعده ممن خلفه في قيادة دولة الحشاشين أو الفدائيين، ولا أدل على ذلك من ادعاء الحسن الثاني من نسل الحسن بن الصباح في عام ٥٥٩ هـ أنه هو الإمام من نسل نزار بن المستنصر وأصبح اسمه لا يذكر إلا مقروناً (على ذكره السلام) كما يطلق في العادة في الأئمة المستقرين، وبذلك أصبح حكام الموت بعد الحسن الثاني الذين جاءوا بعده من النسب الفاطمي - كما يزعمون - وهكذا أتى الحسن الثاني بثلاثة تجديدات ما لبثت النزارية في كل مكان أن قبلوها على درجات متفاوتة، أهمها أنه أعلن نفسه خليفة لله في أرضه ولم يعد مجرد داع كما كان أسلافه. ويعد الحسن بن الصباح العقل المدبر الذي نظم هذه الطائفة ووجهها ومن ثم نشرها في بلاد فارس مما نتج عن هذه الجهود قيام دولة الحشاشين أو الفدائيين^(١).

١ - موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، المبحث الثالث: نشأة الطائفة الإسماعيلية النزارية (الحشاشون)، موقع الدرر السنية.



أبرز القلاع الإسماعيلية في إيران وبلاد الشام



من بقايا آثار قلعة الموت في إيران والتي دمرها المغول حينما استعصت عليهم



مجموعة من السياح تجمع على جبل الموت لمشاهدة آثار القلعة الإسماعيلية

لم يكد الحسن الصباح يستولي على **قلعة الموت** في إيران حتى بادر بالاستيلاء على القلاع المجاورة، فأطلق دعائه لتحقيق هذا المأرب. ولم يمض وقت طويل حتى كان الصباح قد استولى على المنطقة الواقعة جنوبي بحر قزوين برمتها بعد أن سيطر دعائه على القلاع المتناثرة في أرجائها، التي تبلغ نحو الستين قلعة، كانت هذه القلاع تقع في الغالب وسط وديان صالحة للزراعة وبالقرب من موارد ثابتة للمياه.

دولة الإسماعيلية النزارية السنانية (الحشاشين في الشام)

بعد أن بدأت دولة الحشاشيين أو الإسماعيلية النزارية في الموت في الأفول ظهر داعية إسماعيلي نزاری في بلاد الشام واسمه **راشد الدين سنان ويلقب بشيخ الجبال**، وحاول تجميع طائفة الإسماعيلية من جديد حيث إن دعوة الإسماعيلية في بلاد الشام ترجع إلى وقت مبكر ولاسيما في مدينة سلمية التي كانت مقراً للأئمة المستورين والإمام الظاهر عبيد الله المهدي. ومن أساليبهم التي حاولوا بها نشر مذهبهم وتقوية سلطتهم الاستيلاء على الحصون والقلاع، ولذا يقول الدكتور محمد كامل حسين: وما زال الإسماعيلية النزارية في الشام يشتررون الحصون أو يستولون عليها حتى بلغ عدد حصونهم الرئيسة في الشام في القرن السابع للهجرة ثمانية حصون، هي: القدموس ومصيف وبانياس والكهف والخوابي والمنيقة والقليقة والرصافة، ثم يضيف قائلاً: وازدادت قوة الإسماعيلية بالشام بظهور شخصية فذة وداعية داهية في سياسته وفي مواهبه وهو (راشد الدين سنان) الذي استطاع بمقدرته وكفايته أن يجمع كل إسماعيلية الشام، فقد كان الإسماعيلية في الشام يدينون بإمامة أصحاب قلعة الموت في فارس فجاء سنان وكون مذهب السنانية واعترفوا بإمامته، غير أنهم عادوا بعد موته إلى طاعة الأئمة بالموت، وبالرغم من تحولهم هذا فإن إسماعيلية الشام إلى الآن يذكرون الإمام راشد الدين على أنه أعظم شخصياتهم على الإطلاق. وقد تعاصر شيخ الجبل مع القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وكانت بينهما مساجلات كلامية حادة في أول الأمر، ولكن صلاح الدين رحمه الله لما تبين له أنهم بقيادة شيخ الجبل يبيتون له ولجنده من أهل السنة أمراً ويضمرون لهم شراً، حيث حاول عدد من الإسماعيلية اغتيال صلاح الدين، بعد ذلك عزم على قتالهم والقضاء عليهم، ففي سنة ٥٧٢هـ **قصد صلاح الدين بلد الإسماعيليين وانتصر عليهم**، كما حاصر قلعة مصيف واضطروا بعد ذلك إلى طلب الصلح. وظل أمر الإسماعيلية النزارية في الشام بعد ذلك يضعف تارة ويقوى تارة أخرى، إلى أن استسلمت آخر قلاعهم للظاهر بيبرس عام ٦٧٢هـ، وخفت أمرهم من الحياة السياسية حتى لم يسمع عنهم شيئاً ولم تنقل الكتب التاريخية عنهم أحداثاً تذكر، ويبدو أنهم لجأوا إلى التقية والدعوة سراً إلى أن ظهر في إيران رجل شيعي يدعى حسن علي شاه ما بين سنة ١٢١٩هـ إلى سنة ١٢٩٨هـ جمع حوله عدداً من الإسماعيلية وغيرهم وقام بأعمال هدد بها الأمن وأقلق بها السلطات في إيران حتى ذاع صيته وأصبح أسطورة على ألسنة الناس وانضمت إليه جماعات كثيرة إعجاباً به أو طمعاً في مكاسب آنية تأتيهم عن طريقه، وواكب ظهور هذه الثورة التي هددت الأسرة القاجارية الحاكمة في إيران ظهور الإنجليز الذين وقفوا مع دعوته ...^(١)

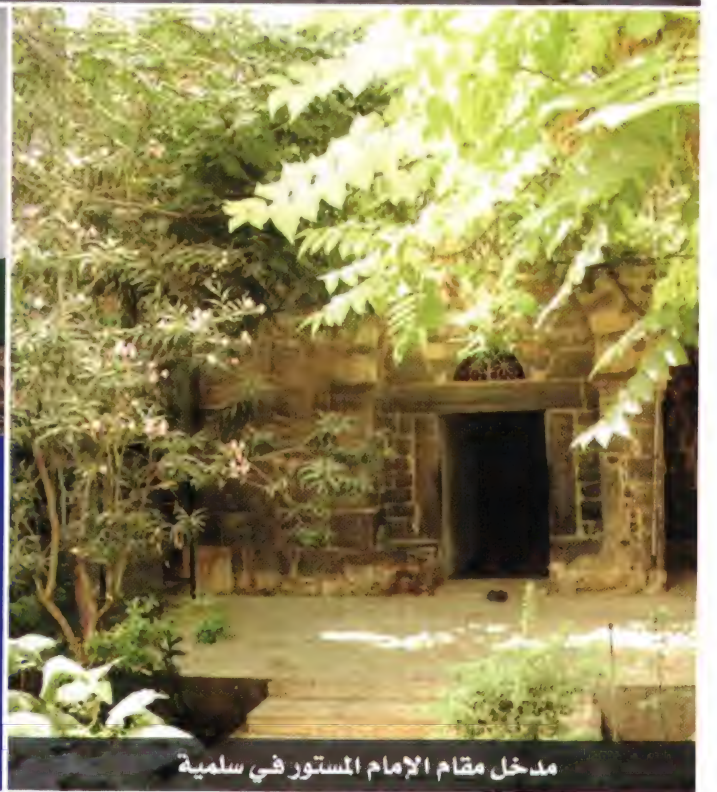
١- موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، المبحث الثالث: نشأة الطائفة الإسماعيلية النزارية (الحشاشون)، موقع الدرر السنية.



قلعة مصياف الإسماعيلية في مصياف السورية



هذه صورة مسجد الرفقة الأثري من الداخل حيث يظهر تأثر البناء بأسلوب البناء العبيدي بقناطره الهندسية، والباب الواضح في الصورة يفضي إلى ضريح شيخ الإسماعيلية محمد الرفقي.



مدخل مقام الإمام المستور في سلمية



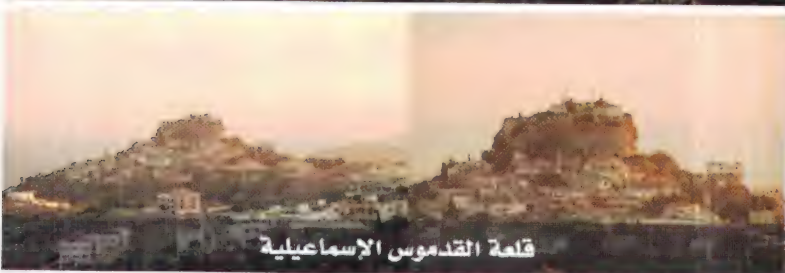
صورة لمدخل قلعة مصيف ياف الإسماعيلية



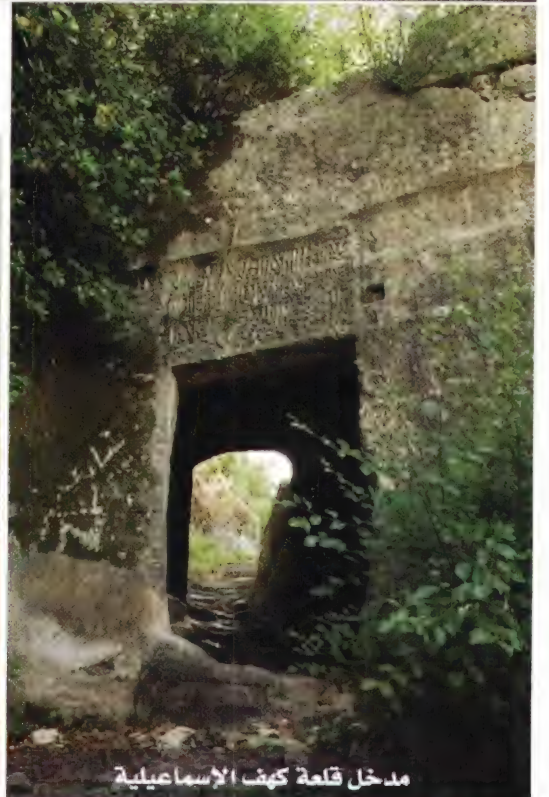
قلعة الخووي الإسماعيلية



قلعة كهف الإسماعيلية



قلعة القدموس الإسماعيلية



مدخل قلعة كهف الإسماعيلية

معركة الزلاقة في ١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٠٨٦ م

سقطت الخلافة الأموية في الأندلس إثر سقوط الدولة العامرية سنة (٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م) وتفككت الدولة الأندلسية الكبرى إلى أكثر من عشرين دولة صغيرة يحكمها ملوك الطوائف، ومن أشهرهم: بنو عباد في أشبيلية، وبنو ذي النون في طليطلة، وبنو هود في سرقسطة، وزعمت كل طائفة من هذه الطوائف لنفسها الاستقلال والسيادة، ولم تربطها بجارتها إلا المنافسة والكيد والمنازعات والحروب المستمرة، وهو ما أدى إلى ضعف، وأعطى الفرصة للنصارى المتربصين في الشمال أن يتوسعوا على حسابهم. وفي مقابل التجزئة والفرقة الأندلسية في عصر الطوائف كان النصارى يقيمون اتحاداً بين مملكتي ليون وقشتالة على يد فرديناند الأول الذي بدأ **حرب الاسترداد** التي تعني إرجاع الأندلس إلى النصرانية بدلاً من الإسلام.

وعندما احتل ألفونسو السادس **طليطلة** يوم ٢٧ رمضان ٤٧٨ هـ / ٢٥ أيار ١٠٨٥ م، وكان ذلك ناقوس الخطر للملوك الطوائف يندبرهم أن **ألفونسو** لم يعد يرضى بالمال بل يبغى القواعد أيضاً، وأسهم ذلك في توفير الدوافع للاستنجاد **بقوة المرابطين المجاورة القادرة على الوقوف في وجهه**.

ترد الرواية الشائعة والمشهورة عن كيفية دخول المرابطين إلى الأندلس في العديد من المصادر القديمة، ومؤداها بشكل عام، أن المعتمد بن عباد (ت ٤٨٤ هـ) كبير ملوك الطوائف آنذاك اختلف مع سفارة لألفونسو يرأسها يهودي جاءت لقبض الجزية، ورفض اليهودي قبول عيار نقودها، وهدد بأن سيده لن يقنع فيما بعد إلا بأخذ القواعد والبلاد، فغضب المعتمد وقتل اليهودي وأسر بقية أعضاء السفارة، ولكنه خاف مغبة الأمر، وأيقن من توجه ألفونسو إليه، فاتصل بيوسف بن تاشفين (ت ٥٠٠ هـ) أمير المرابطين في غرة جمادى الأولى ٤٧٨ هـ / ١٤ آب ١٠٨٥ م، يطلب منه القدوم للأندلس للجهاد، وقد أقدم على ذلك، ضارباً عرض الحائط بنصائح بعض من حوله بعدم إدخال المرابطين إلى الأندلس خشية أن يسلبوه ملكه، فقال قولته المشهورة بأنه خير له أن يصبح راعي جمال في المغرب من أن يصبح راعي خنازير في قشتالة.

بدأت الجيوش المرابطية العبور من سبتة إلى الجزيرة الخضراء، ثم عبر أميرهم يوسف بن تاشفين في يوم الخميس منتصف ربيع الأول ٤٧٩ هـ / ٣٠ يونية ١٠٨٦ م، ثم تحركت العساكر إلى إشبيلية، وعلى رأسهم ابن تاشفين، ونزل بظاهرها، وخرج المعتمد وجماعته من الفرسان لتلقيه، وتعانقا، ودعوا الله أن يجعل جهادهما خالصاً لوجهه الكريم^(١).

استقر الجيش أياماً في إشبيلية للراحة، ثم اتجه إلى بطليوس في الوقت الذي تقاطرت فيه ملوك الطوائف بقواتهم وجيوشهم. سار هذا الموكب من الجيش الإسلامي إلى موضع سهل من عمل بطليوس

١ - محمد عبد الحميد عيسى، الزلاقة معركة كسبها الإيمان وضيع ثمارها الخلاف، مجلة الفسطاط التاريخية.



ويسمى في المصادر الإسلامية **بالزلاقة** على مقربة من بطليوس.

فلما كان صباح الجمعة الثاني عشر من رجب سنة ٤٧٩ هـ زحف ألفونسو بجيشه على المسلمين، ودارت معركة حامية، ازداد وطيسها، وتحمل جنود الأندلس من المسلمين الصدمة الأولى، وأظهر ابن عباد بطولة رائعة، وجرح في المعركة، واختل جيش المسلمين، واهتزت صفوفه، وكادت تحقيق به الهزيمة، وعندئذ دفع ابن تاشفين بجيوشه إلى أتون المعركة، ثم حمل بنفسه بالقوة الاحتياطية إلى المعسكر القشتالي فهاجمه بشدة، ثم اتجه صوب مؤخرته فأخذ فيه وأشعل النار، وهو على فرسه يرغب في الاستشهاد، وقرع الطبول يدوي في الآفاق، قاتل المرابطون في صفوف متراسة ثابتة، مثل بقية أجنحة المعركة.

ما إن حل الغروب حتى اضطرب الملك القشتالي، وقد أصيب في المعركة، إلى الانسحاب حفاظاً على حياته وحياة من بقي من جنده، وطُورِدَ الفارُّون في كل مكان حتى دخل الظلام، فأمر ابن تاشفين بالكف. استمرت المعركة يوماً واحداً لا غير - وقد حطم الله شوكة العدو الكافر، ونصر المسلمين، وأجزل لديهم نعمه، وأظهر بهم عنايته، وأجمل لديهم صنعه.

وتجمع المصادر الإسبانية على أن الملك القشتالي ألفونسو السادس قد نجا بأعجوبة في نحو خمسمائة فارس فحسب، من مجموع جيوشه الجرارة التي كان سيهزم بها الجن والإنس والملائكة - حسب قوله - . سرت أنباء النصر المبين إلى جميع أنحاء الأندلس والمغرب، وسرى البشر بين الناس، وأصبح هذا اليوم مشهوداً من أيام الإسلام، لا على أرض شبه الجزيرة فحسب، وإنما على امتداد الأرض الإسلامية كلها، ونجح ذلك اليوم في أن يمد في عمر الإسلام والمسلمين على الأرض الإسبانية ما يقرب من أربعة قرون من الزمان^(١).



سهل الزلاقة (الذي جرت عليه أحداث المعركة)

إن ما حدث فعلاً هو عودة المرابطين إلى إفريقيا، وعودة أمراء الأندلس إلى الصراع فيما بينهم، وكأن شيئاً لم يقع، وقد أعطى ذلك الفرصة مرة ثانية للملك ألفونسو السادس أن يستجمع قواه، ويضمّد جراحه، ويعمل على الانتقام من الأندلسيين، وكان حقه شديداً على المعتمد ابن عباد، فعاد إلى مهاجمة بلاده، وركز غاراته على أشبيلية، وتمكن من الاستيلاء على حصن لبيط مما اضطرب ابن عباد إلى العودة مرة ثانية إلى الاستجداد بالمرابطين.



لقد أحرز المسلمون النصر في هذه المعركة، الفاصلة التي تماثل معركة حطين في المشرق العربي، بفضل الوحدة والإيمان بنصر الله لهم والثقة بالنفس ونبذ الخلافات وتقديم المصلحة العليا على المصالح الخاصة وصدق وعد الله لهم في قوله تعالى:

« يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » (محمد ٧).

الدويلات التي قامت في اليمن قبل مجيء الأيوبيين

دولة بني زريع: ٤٧٠-٥٦٩ هـ / ١٠٧٧-١١٧٣ م

بنو زريع: (شعبة إسماعيلية) يمانيون من قبيلة همدان استخدمهم الصليحيون أمراء على **عدن** بعد أن أمر المكرم الصليحي بتقسيمها إلى منطقتين، **المنطقة الأولى** ومقرها حصن التعكر في أعلى جبل شمسان المطل على عدن، تولى حكمها العباس بن المكرم الياامي الهمداني المعروف بابن زريع وأفراد أسرته من بعده. و**الثانية** مقرها **حصن الخضراء** **بعدن** أيضاً، وكان الحكم فيها للمسعود بن المكرم الياامي الهمداني ولأفراد أسرته من بعده على أن يسوق كل منهم مبلغاً معيناً من المال لبني صليح، وبعد وفاة الملكة أروى الصليحية استقل بنو زريع بتلك النواحي إلى أن قضى على دولتهم من قبل **طوران شاه شقيق السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م**، وقد بلغ عدد حكام هذه الأسرة في كلا القسمين أحد عشر سلطاناً، آخرهم أبو الدر جوهر المعظمي مولى بني زريع.

دولة بني حاتم: ٤٩٤-٥٦٩ هـ / ١١٠٠-١١٧٣ م

بنو حاتم: تنسب هذه الدولة إلى حاتم بن علي المغلس الهمداني الذي استغل وفاة سبأ ابن أحمد الصليحي سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م، فتغلب على **صنعاء** وما حولها، وأسس ما يعرف بدولة بني حاتم التي بلغ عدد سلاطينها ستة، آخرهم علي بن حاتم بن أحمد بن عمر، انتهت باستيلاء الأيوبيين على أملاكهم، وإلى أحمد بن حاتم بن علي المغلس مؤسس الدولة تنسب روضة حاتم المنتزه المعروف شمال صنعاء اليوم.

دولة بني مهدي ٥٥٣-٥٦٩ هـ / ١١٥٨-١١٧٣ م

بنو المهدي: (متصوفة وقيل خوارج) ينسب بنو مهدي إلى مهدي بن محمد الرعيني الحميري الزاهد المتبتل من أهل قرية العنبرة بوادي سهام. أما الدولة فقد نشأت على يد ولده علي بن مهدي الذي تمرد على بني نجاح، وحث قومه على احتلال عاصمتهم **زبيد**، فتم له ذلك ودخلها عنوة، وتابع ولده من بعده، فقام بإرسال الحملات إلى تعز وإب والجند والمعاقر، وقد استمرت دولة بني مهدي أكثر من خمسة عشر عاماً تداول الحكم فيها أربعة سلاطين، آخرهم عبد الله بن علي بن مهدي الذي زالت الدولة في عهده بدخول **طوران شاه الأيوبي إلى زبيد سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م**.



بداية الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م

في الوقت الذي كانت الحروب مستعرة في شرقي العالم الإسلامي كانت الحروب مستمرة في غربيه بين مسلمي الأندلس والدول النصرانية الغربية (شمال إسبانيا وفرنسا في الأساس)، وكانت الأيام دُولاً بين الفريقين؛ فيوم للمسلمين ويوم للصليبيين، إلا أن القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) كان في معظمه للصليبيين، وهو العصر الذي عُرف في التاريخ بعهد ملوك الطوائف، حيث تفرقت كلمة المسلمين؛ مما أدى إلى اجتياح صليبي لقطاع كبير من شمالي الأندلس، خاصة في زمن ألفونسو السادس ملك ليون وقشتالة، الذي أسقط في سنة (٤٧٨ هـ) ١٠٨٥ م مدينة طليطلة العتيدة؛ مما أحدث دويماً هائلاً في العالمين الإسلامي والنصراني، غير أن نهاية هذا القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) كانت سعيدة للمسلمين؛ حيث ظهرت دولة المرابطين القوية بالمغرب وغربي إفريقيا، وعبرت إلى بلاد الأندلس، وأنزلت بالصليبيين هزيمة فادحة في موقعة الزَّلَّاقَة سنة (٤٧٩ هـ) ١٠٨٦ م، (انظر ص ٢٩٦ من هذا الأطلس) أي بعد عام واحد من سقوط طليطلة، وبسطت دولة المرابطين سيطرتها على أجزاء كبيرة من الأندلس، إلا أنهم فشلوا في استرجاع طليطلة^(١). لكن النصاري واصلوا هدفهم من خلال ما عرف في التاريخ بحروب الاسترداد المسيحي الذي في ضوئه سقطت بلاد الأندلس سنة ١٤٩٢ م.

وكتقييم عام للموقف في نهاية القرن الخامس الهجري (نهاية القرن الحادي عشر الميلادي)، فإن العالم الإسلامي كان منقسماً بين **الخلافة العباسية الشرعية تحت سيطرة السلجوقيين وبين الدولة العبيدية في القاهرة**، وكانت نهايات القرن الخامس الهجري تمثل ضعفاً وفُرقة واضحين في المشرق الإسلامي، بينما كانت نهاية القرن الخامس الهجري في الأندلس تحمل قوة بارزة للمسلمين - كما أسلفنا - بظهور دولة المرابطين الفتية تحت قيادة القائد الفذ يوسف بن تاشفين رحمه الله.

لقد كانت الساحة مهيتة لاندلاع حروب بين الطرفين، ولا سيما بعد استجداد البيزنطيين بالغرب اللاتيني بعد معركة ملاذكرت (ملاذكرد) والتي على أثرها تم أسر الإمبراطور البيزنطي (رومانوس الرابع)، وقيام **الحاكم بأمر الله العبيدي بهدم كنيسة القيامة**؛ كتصرف شاذ لا ينسجم وسماحة الإسلام وتعاليمه الداعية إلى إعطاء الحرية لأهل الكتاب بممارسة شعائهم الدينية داخل دور العبادة، ناهيك عن تحين الغرب الصليبي لمثل هذه الفرصة السانحة، فقد وجه البابا حديثه إلى جنس الفرنجة من أجل التركيز على البعد الأثني أو العرقي في هذه الحروب، وأوضح - حسب مزاعمه - أن الله تعالى قد ميزهم بموقع بلادهم، وبعقيدتهم الكاثوليكية، وعمل على تذكيرهم بالبعد التاريخي من خلال أمجاد شارل مارتل وشارلمان وما قدماه للمسيحية من خدمات جليلة.



العالم الإسلامي عشية الحروب الصليبية

الحركة الصليبية: هي رد الفعل النصراني تجاه الإسلام، تمتد جذورها إلى بداية ظهوره، وخروج المسلمين من جزييرتهم العربية واصطدامهم بالدولة البيزنطية، وأن هذه الحركة تطورت كالكائن الحي على مدى القرون لاتكاد تخرج من طور إلا لتدخل في طور جديد، وما كانت الفترة الزمنية الممتدة بين سنتي (٤٨٩ هـ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٥ - ١٢٩١ م) إلا أحد أطوارها فقط، وأن بروز هذا الطور بهذا الشكل الذي كاد أن يطغى على باقي أطوارها يعود إلى عوامل عديدة معقدة ومتشابكة يستطيع الباحث أن يتلمسها في الدوافع والأسباب التي أدت إلى إطلاق الموجة الصليبية العاتية من عقالها في هذه الفترة^(١).

تصالح المؤرخون على إطلاق **الحروب الصليبية** على الحركة الاستعمارية الصليبية التي ولدت في غربي أوروبا واتخذت شكل هجوم مسلح على بلاد المسلمين في الشام والعراق والأناضول، ومصر وتونس لاستئصال شأفة الإسلام والمسلمين والقضاء عليهم واسترجاع بيت المقدس وما يزعم بقبر المسيح، وجذور هذه الحركة نابع من الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية التي سرت في غربي أوروبا في القرن الحادي عشر واتخذت من الدين وقوداً لتحقيق أهدافها^(٢).

١ - د. مهدي حسين، ود. شاكر مصطفى، الحروب الصليبية في شمال افريقية وأثرها الحضاري، ص ١٠.

٢- د. محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٥.

الحمالات الصليبية على المشرق الإسلامي

قراءة في خطاب أوربان الثاني

كان البابا أوربان الثاني بارعاً في عرض أفكاره وكذلك في إخفاء بعضها، وقد ركز على أمر بيت المقدس حتى يقدم طريفاً واحداً على الغرب الأوروبي السير فيه دون تردد ويخلق لمعاصريه (وحدة الهدف) من خلال وحدة المؤسسة الدينية الداعية له في صورة البابوية، وعلى هذا الأساس، لم يرد في الخطاب المذكور أية عبارات عن رغبته العارمة في توحيد الكنائس وإخضاع كنيسة القسطنطينية لسيطرة الكنيسة الأم في روما.

أن الخطاب الذي ألقاه البابا في مجمع كليرمونت يعد على جانب كبير من الأهمية التاريخية، فلم نسمع من قبل في تاريخ أوروبا القرون الوسطى أن خطاباً كان معبراً عن عصره يمثل هذه الصورة كما لم نسمع عن خطاب حرك الجماهير الأوروبية الغفيرة عن مواطنها الأصلية إلى الشرق يمثل تلك الدرجة التي تحدثنا بها المصادر التاريخية المعاصرة، ولذلك لا ننظر إليه على أنه مجرد خطاب عادي، بل إنه إعلان ما يشبه "الحرب العالمية" في العصور الوسطى من جانب الغرب الأوروبي ضد الشرق الإسلامي، وذلك دونما مبالغة أو قولية أو اعتساف في الأحكام، بل من خلال شواهد التاريخ التي وقعت في أعقابها. ويلاحظ أنه في أعقاب إلقاء البابا لخطابه صاح الحاضرون صيحة واحدة وهي الله يريد ذلك، وكانت صيحة المسيحية لمحاربة الإسلام وأهله، وأنخذوا الصليب شعاراً ومن هنا كانت تسميتهم بالصليبيين.

بادر الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين بإرسال رسله إلى البابا "أوربان الثاني" (٤٨٨ هـ - ٤٩٩ م) مستصرخاً إياه، لإرسال نجدة عسكرية لإنقاذ أراضي الإمبراطورية البيزنطية من خطر الزحف السلجوقي، وكان البابا "أوربان الثاني" في ذلك الوقت يرأس مجمع بياكنزا الديني (مارس ١٠٩٥ م)، وحضر رسول "الكسيوس كومنين" هذا المجمع وتحدث بفصاحة عما يلاقيه البيزنطيون الشرقيون من مصاعب ومخاطر في آسيا الصغرى.

وسارع البابا أوربان الثاني إلى عقد مجمع ديني في "كليرمونت" (نوفمبر ١٠٩٥ م) افتتحه بخطبة طويلة شرح فيها المقصود بالحرب المقدسة، دعا فيها أهالي غربي أوروبا النصارى إلى التكاثر من أجل استرجاع بيت المقدس من أيدي المسلمين، وتأمين طريق الحج إلى الأماكن المقدسة ببلاد الشام، حيث عمل البابا حينها على إثارة مطامع سامعيه في ثروات الشرق، فأوضح أن الأرض في الغرب الأوروبي ولاسيما في فرنسا ضاقت بسكانها، وطلب من الناس الذهاب إلى الشرق حيث أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً وفي ذلك الدليل الجلي الذي لا يقبل ارتياب مرتاب على أن البعد الاقتصادي للحركة الصليبية، قد تم الإعلان عنه بصراحة كاملة منذ اللحظات الأولى لميلادها. كذلك وعد البابا كل من يحمل السلاح ويتجه إلى الشرق بأن تغفر ذنوبه وأثامه وبمعنى آخر قدم لهم الغفران الكنسي، أما إذا مات المرء في سبيل تحقيق هدفه فإنه يعد شهيداً من شهداء النصرانية الأبرار، وجميعها مغريات مهمة في عصر سادته ظاهرة الهوس الديني العاطفي في العالم النصراني الأوروبي.

وبعد انقضاء مجمع كليرمونت أخذ "بطرس الناسك" على عاتقه مهمة نشر قرارات مجمع كليرمونت في مختلف بلاد غربي أوروبا فطاف معظم أرجاء أوروبا داعياً أهلها إلى الانضمام والمشاركة في الحروب المقدسة (الصليبية)، فلبت الجموع ذلك عبر حملات سيأتي الحديث عنها مفصلاً.



الدوافع الرئيسية للحملات الصليبية



الدافع الاقتصادي

٤

الدافع الاجتماعي

٣

الدافع السياسي

٢

الدافع الديني

١

كانت هزيمة ملاذكرت (ملاذكرد) سنة ٤٦٣ هـ هزيمة قاسية للإمبراطورية البيزنطية؛ الأمر الذي دعا بالإمبراطور البيزنطي بالاتصال بالبابوية في روما على رغم الخلاف الحاد بينهما من أجل الوقوف صفاً واحداً أمام تنامي قوة السلاجقة الأتراك المسلمين؛ إضافة إلى ما أثاره (بطرس الناسك) الراهب الفرنسي الأصل، الذي جاء لزيارة " بيت المقدس "، وزعم أنه أسيتت معاملته مع غيره من الزوّار ، وفور عودته إلى بلاده، مر **بروما** وقابل البابا (أوربان الثاني) ودعاه إلى إنقاذ الأماكن المقدسة. ثم أخذ يجوب ألمانيا وفرنسا وبلجيكا محرضاً الجماهير في خطبه على الزحف لإنقاذ ما يسمى "**قبر المسيح**" ، **قال تعالى** : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بَأْثَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكَفَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ * وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْأَيُّمَنِ بِهِ قَبْلُ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿ النساء ١٥٥ - ١٥٨

فكان لتلك الخطب الحماسية، وتشجيع البابا لهذه الحركة؛ أثر كبير في قلوب الناس؛ لتهيج مشاعرها، وإثارة عواطفها. وكانت أولى ثمار هذا التحرك، انعقاد مؤتمر كليرمونت في تشرين الثاني ١٠٩٥م برئاسة البابا، وكان له تأثير كبير في الدعوة للحروب الصليبية ورعايتها، فعمل على المقاربة وإزالة الخلاف بين الكنيستين الشرقية (البيزنطية) والغربية (اللاتينية)، إذ رفع قرار الحرمان الذي كان موقعاً من الإمبراطور البيزنطي. كما أعطى هذا البابا توجيهاته للأمرء ورجال الدين وكبار التجار الإيطاليين المشاركين في " مجمع كليرمونت " ، بأن يحيك كل محارب صليبا من القماش الأحمر على رداؤه الخارجي من ناحية الكتف، رمزا للفكرة التي خرج ليحارب من أجلها، وقد تم تحديد سنة ١٠٩٧م موعداً للحملة الصليبية الأولى. وقد أخرج البابا علامة الفداء المقدسة وهي (صليب الخلاص) عندهم، وقال: (احمלוه على عواتقكم، أو على صدوركم، وليشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم)، ولم يكتف البابا عند هذا الحد بل أخذ بالتثقل بين المدن والبلدان داعياً لهذه الحرب المقدسة.

٢

كان الملوك والأمراء الذين أسهموا في الحركة الصليبية يسعون وراء أطماع سياسية لم يستطيعوا إخفاءها سواء قبل وصولهم الشام وفلسطين أو بعد استقرارهم فيهما، والمعروف أن النظام الإقطاعي ارتبط دائماً بالأرض، وبقدر ما يكون الإقطاع كبيراً والأرض واسعة بقدر ما تكون مكانة الأمير سامية في المجتمع، وهذا ما تأكد حينما هبوا ملبين لدعوة البابا أوربان الثاني لشن الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي؛ إضافة إلى ما حل بالعالم الإسلامي من فرقة وتناحر واضح نتيجة الانقسام بين الخلافة العباسية الشرعية تحت سيطرة السلاجقة، وبين الدولة العبيدية في القاهرة، فالسلاجقة حاربوا البويهيين وسيطروا على الخلافة في بغداد، واتجهوا إلى العبيديين في مصر والشام، فطهروا منهم الشام وأجأوهم إلى مصر، وفي نيته القضاء على دولتهم كلها، ثم التفت السلاجقة على البيزنطيين في القسطنطينية فحصنوا آسيا الصغرى (تركيا اليوم)، واستولوا على مدينة نيقية التي تطل على الساحل الشرقي لبحر مرمرة وتقابل مدينة القسطنطينية، وحصنوها وأعدوها لحروب طويلة. وهذا الأمر أخاف البيزنطيين ولا سيما بعد هزيمتهم في معركة ملاذكرد، فاتصلوا بابا الكاثوليك لنجدتهم وأغروه بالمقدسات النصرانية ببلاد المسلمين؛ علماً أن بيت المقدس قد عاد إلى حكم العبيديين منذ بضعة أشهر فقط، ويحكمه في أثناء الزحف الصليبي أمير يسمى (افتخار الدولة) من قبل الخليفة العبيدي (المستعلي بالله) تؤيده حامية لا تتجاوز ألف جندي.

٤

برزت على الناحية الاقتصادية في المجتمع الأوروبي آنذاك الدور التجاري للمدن الإيطالية (بيزا- جنوة- البندقية) التي كانت راغبة في توسيع رقعة تجارتها، ولعل ما دفعها إلى ذلك هو سيطرة النورمان على صقلية وجنوبي إيطاليا بعد أن كانت تحت حكم المسلمين ردحاً من الزمن، وبعد سيطرة القوى النصرانية على شمالي الأندلس منذ سنة ١٠٨٥ م؛ أدى إلى ثراء المدن الإيطالية وسيطرتها على البحر المتوسط وتطلعت إلى توسيع رقعتها التجارية على حساب الدول الإسلامية في الجزء الشرقي من البحر المتوسط.

كذلك التحفيز الديني أيضاً للحث على الاشتراك في هذه الحروب قد نجح هذا الجزء نجاحاً باهراً بالاعتماد على أكاذيب كثيرة عن وحشية المسلمين وما يفعلونه في النصراني ومقدساتهم، خصوصاً عندما أقدم العبيديون على حرق كنيسة القيامة، وتصرفات الحاكم بأمر الله العبيدي الموتورة.

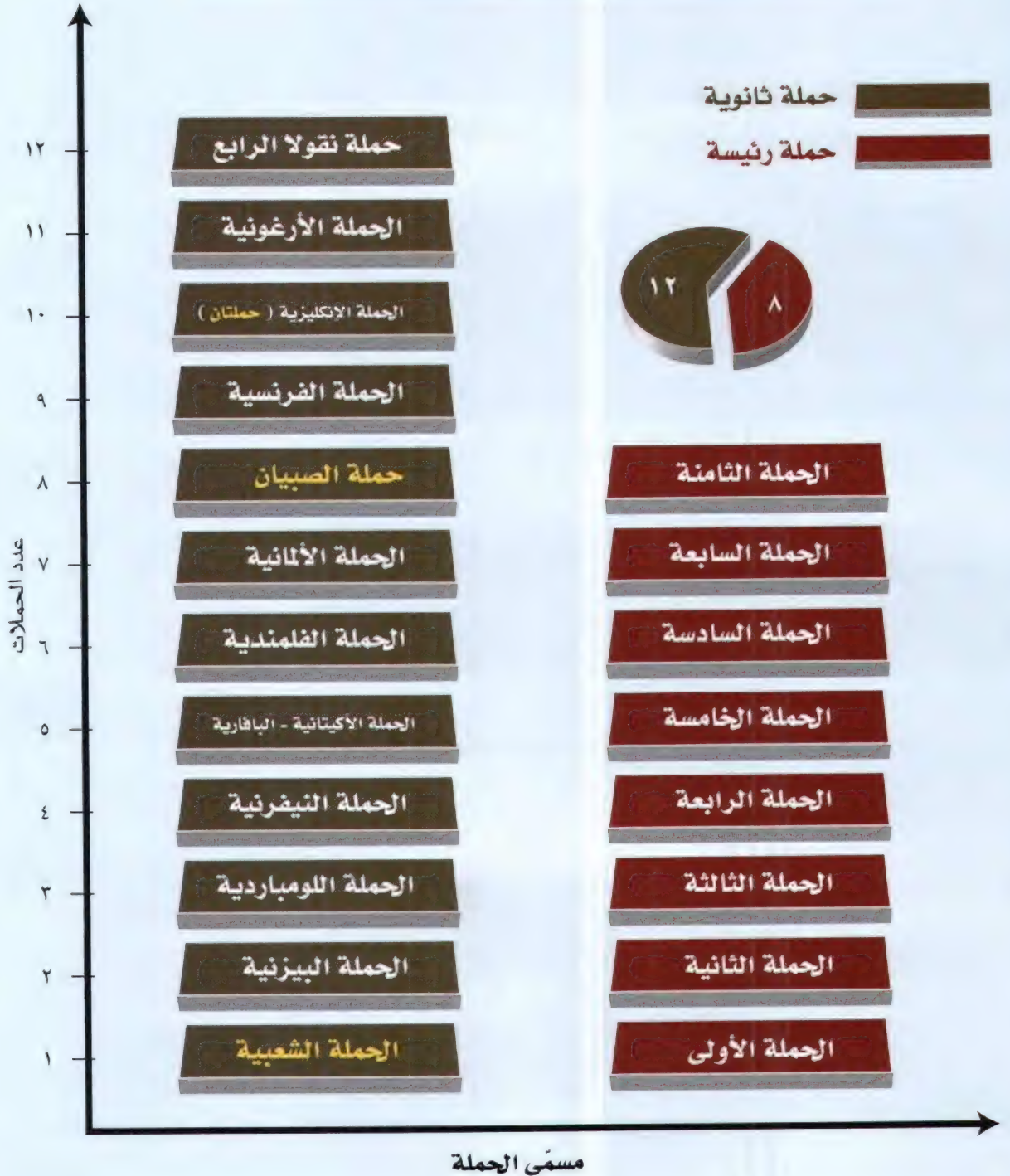
٣

مثل طبقة الفلاحين في أوروبا نسبة كبيرة من المجتمع الأوروبي الإقطاعي، وكانت هذه الطبقة تعيش حياة قاسية تقتصر الأمان والاستقرار؛ إضافة إلى أن الأراضي الزراعية قد خربت وأصابها البوار من جراء الهجمات الشمالية فخربت الجسور وغطت المياه الأراضي، كما أن النبلاء كانوا يرفضون تحويل غاباتهم إلى أراض زراعية، وذلك لرغبتهم في الاحتفاظ بهذه الغابات للصيد واللهو، وبذلك لم تعد الموارد تكفي حاجات السكان فتوجهوا إلى الحرب.

كما وجدت عوامل خاصة شجعت طبقة النبلاء على الاشتراك في الحروب الصليبية وهي أن الإقطاعيات في أوروبا لم تعد تكفي أفراد العائلات النبيلة خاصة بعد تطبيق نظام ينص على منح الابن الأكبر للسيد الإقطاعي إقطاعه بعد وفاة والده.

كما أيضاً انتشرت التنبؤات بقرب ظهور السيد المسيح ﷺ فأسرع الجميع بالتوبة والاشتراك في الحروب الصليبية و الحج لكنيسة القيامة.

الحملة الصليبية على المشرق الإسلامي (إبان الحروب الصليبية)





خارطة مجملة لوصول الحملات الصليبية الثمانية إلى المشرق الإسلامي

استطاع البابا «أوربان الثاني» أن يوحد شعوب الغرب في مشروع عام على الرغم من أن لغات هذه الشعوب وعاداتها المحلية، واهتمامات أبنائها كانت تختلف اختلافاً بيناً، ولكن الفكرة الصليبية التي جمعت جماهير الغرب الأوروبي لم تكن لتنجح لو لم تكن متوافقة مع حركة المجتمع ومع هذا التوافق بين الفكر والواقع.

الحملة الصليبية الأولى

سنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م - ١٠٩٩ م

قادة الحملة : ريموند دي سنجيل ، روبرت كورت هوز ، وغود فري بويون ، وبوهيومند .

سبب الحملة ومسارها :

أطلقها البابا أوربان الثاني بعد مؤتمر كليرمونت سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م؛ لإعادة السيطرة النصرانية على المدينة المقدسة (القدس) وعموم الأراضي المقدسة النصرانية من أيدي المسلمين. وما بدأ كدعوة للمساعدة!! تحول بسرعة إلى هجرة جماعية وسيطرة وغزو لمناطق خارج أوروبا؛ وارتحل العديد من الفرسان والأقنان بغير كثير من الإدارة المركزية عبر البر والبحر من مناطق غربي أوروبا.

وصلت الحملة الصليبية الأولى إلى أبواب **القسطنطينية** - بعد **الحملة الشعبية** التي قادها **بطرس الناسك** وآلت إلى الفشل -، وخاف إمبراطورها منهم فاتفق مع بعض القادة على أن يمدّهم بالمؤن والذخيرة على ألا يدخلوا المدينة وأن يردّوا عليه ما يستولون عليه من أملاكه، فاجتازوا البوسفور، ووصلوا إلى **نيقية** فحاصروها، ونقل أميرها قليج أرسلان مقره إلى **قونية**، واتفق مع الإمبراطور أن يدخل جنده **نيقية** دون القادمين من أوروبا وبهذا غضب الصليبيون لأن الإمبراطور بهذا التصرف لم يسمح لهم بنهب المدينة، وبهذا يكون الإمبراطور البيزنطي قد دعم الصليبيين بكل قوته وسار معهم نحو **نيقية**، وحصل خلاف بين الصليبيين القادمين من أوروبا والبيزنطيين، إذ وجد الإمبراطور أنه لا يستطيع التفاهم مع هؤلاء القادمين فانصرف لاسترداد **آسيا الصغرى من السلاجقة** فاتجه نحو الغرب ودخل **إزمير وأفسوس** وأخذهما من أمراء السلاجقة لانقطاعهم عن دولة السلاجقة، ولم يعد يدعم الصليبيين بل حرص أن يضم له ما أخذوه ، فكان دعمه بقتال المسلمين بجهات ثانية ثم بعد مدة عاد لتقديم الدعم.

لقد اختلف القادة الصليبيون بعضهم مع بعض، فاتجه بعضهم إلى **الرّها** تلبية لدعوة أميرها الأرمني فدخلها وأسس بها **إمارة نصرانية لاتينية** وكان يطمح بتأسيس دولة صليبية في أرمينيا وقد دعمه في الأمر الأرمن. وسار باقي القادة إلى **أنطاكية** فألقوا الحصار عليها ودخلوها عنوة عام ٤٩١ هـ بعد حصار دام سبعة أشهر وقتلوا من أهلها أكثر من عشرة آلاف، ومثلوا بالقتلى وبالناس، وفعلوا أبشع الجرائم، وولوا عليها أحدهم وقد استقبل النصارى من أهلها والأرمن الصليبيين بكل ترحاب، ثم اتجهوا بعدها نحو **بيت المقدس**، فسار لقتالهم **"كربوقا"** صاحب الموصل، وصاحب دمشق **"دقاق"**، وصاحب حمص **"جناح الدولة"** غير أن الصليبيين قد انتصروا عليهم ودخلوا **معرة النعمان**، ووصلوا إلى **بيت المقدس** ودخلوها عام ٤٩٢ هـ فقتلوا من أهلها أكثر من **سبعين ألفاً** وخاضت خيولهم ببحر من الدماء، وانتخب **غودفري ملكاً على بيت المقدس**، وأخذ لقب حامي **ما يسمى** « قبر المسيح ». وكان العبيديون قد استغلوا تقدم الصليبيين من الشمال فتقدموا هم من الجنوب ودخلوا القدس وطرّدوا السلاجقة منها (قبل وصول الصليبيين إليها) وجرت مفاوضات بين الأفضل بن بدر الجمالي الوزير العبيدي وبين الصليبيين على أن يكون شمال بلاد الشام للصليبيين، وجنوبيها للعبيديين ثم نقض الصليبيون العهد عندما شعروا بالنصر.



في الوقت الذي كان **السلالة الأتراك** يتعرضون فيه للزحف الصليبي في آسيا الصغرى وشمالي بلاد الشام، استغل **العبيديون** الفرصة فاحتلوا **صور** ٤٩٠ هـ، وسيطروا على **بيت المقدس** في شباط / فبراير ٤٩١ هـ، في أثناء حصار الصليبيين لأنطاكية، واستقل بطرابلس **القاضي بن عمار أحد أتباع العبيديين**، بل أرسل العبيديون للصليبيين في أثناء حصارهم لأنطاكية سفارة للتحالف معهم وعرضوا عليهم قتال السلالة بحيث يكون القسم الشمالي «سوريا» للصليبيين، وفلسطين للعبيديين، وأرسل الصليبيون وفداً إلى مصر ليدلوا على «حسن نياتهم» !!، وهكذا... ففي أثناء انشغال السلالة بحرب الصليبيين كان العبيديون منشغلين بتوسيع نفوذهم في فلسطين على حساب السلالة الأتراك حتى إن حدودهم امتدت حتى نهر الكلب شمالاً ونهر الأردن (الشرية) شرقاً!!

وظهرت الخيانات وانكشف التخاذل من إمارات المدن التي حرصت كل منها على نفوذها، وكسب ود الصليبيين أثناء توسعهم، ومن ذلك ما حدث من اتصال صاحب إقليم شيزر بالصليبيين (انظر القلعة في كتابنا الموسوم **أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى**)، حيث تعهد بعدم اعتراضهم وتقديم ما يحتاجون من غذاء وموئن؛ بل وأرسل لهم دليلين ليرشدهم على الطريق !!، وقدمت لهم **حمص** الهدايا!! وعقدت معهم **مصيف** الإسماعيلية اتفاقية !!.. أما **طرابلس** فدفعتم لهم الجزية، ودفعت **بيروت** المال، وعرضت عليهم الدخول في الطاعة إذا نجحوا في احتلال بيت المقدس!!

احتلال بيت المقدس وقيام مملكة صليبية (لاتينية) فيه

تسليم القدس للصليبيين

استطاع النصارى بواسطة
البرج الثاني وتحت
رماية مكثفة من المنجنيق
والرماح من الصعود
إلى أسوار الحصن،
وبدأ القتال على أسوار
القدس، وسقطت أخيراً
الحامية العبيدية،
واستسلمت القدس
للنصارى، والواقع أن الذي
سلم القدس للنصارى هم
العبيديون، فهم لم يرسلوا
جيشاً لمساعدة المسلمين،
ولم يقدموا يد العون
لحاميتهم في القدس،
وتعد هذه خيانة عظيمة في
تاريخهم، بتصرف عن د.
طارق السويدان، فلسطين
التاريخ المصور، ص ١١٤.

فحق ضائع وحمى مباح

وسيف قاطع ودم صبيب

وكم من مسجد جعلوه ديراً

على محرابه نصب الصليب

أمور لو تأملهن طفل

لطفل في عوارضه المشيب

تحركت باقي جموع الصليبيين نحو **بيت المقدس** بعد أن مكثوا نحو خمسة عشر شهراً في شمالي بلاد الشام، نجحوا خلالها في احتلال كثير من المدن والقرى، (انظر كتابنا الموسوم أطلس الحملات الصليبية)، وفي الطريق إلى بيت المقدس كان بعض الحكام المسلمين يدخلون في طاعة الصليبيين، مؤثرين السلامة على المواجهة، ولم يكتفوا بذلك بل نزلوا على شروط الصليبيين بتقديم العون والمساعدة لهم، وتوالى سقوط المدن الساحلية وغيرها في أيدي الصليبيين حتى بلغوا أسوار بيت المقدس في (١٥ من رجب ٤٩٢هـ = ٧ من يونيو ١٠٩٩م).

وكان "**افتخار الدولة**" حاكم بيت المقدس من قبل **الدولة العبيدية** قد اتخذ استعداداً لمواجهة الصليبيين، فسمم آبار المياه وقطع موارد المياه، وطرد جميع من بالمدينة من النصارى لشعوره بخطورة وجودهم في أثناء الهجوم الصليبي، وتعاطفهم معهم، وقوى استحکامات المدينة.

كانت قوات **الصليبيين** التي تحاصر المدينة المقدسة تقدر بأربعين ألفاً، وظلت ما يقرب من نحو خمسة أيام قبل أن تشن هجومها المرتقب على أسوار المدينة الحصينة. وكان الجند في غاية الشوق والحماسة لإسقاط المدينة، فشنوا هجوماً كاسحاً في يوم الإثنين الموافق (٢٠ رجب ٤٩٢هـ = ١٢ من يونيو ١٠٩٩م) انهارت على إثره التحصينات الخارجية لأسوار المدينة الشمالية، لكن طبيعة السجال في الحرب بين الطرفين أفشلت الهجوم الضاري إلى حد ما، وقتلت الحماس المشتغل في نفوس الصليبيين، فتراجعت القوات الصليبية بعد ساعات من القتال.

كان موقف **الصليبيين** سيئاً، فهم يعانون العطش وقلة المؤن، وكان يمكن للحامية العبيدية أن تشن هجوماً مضاداً على الصليبيين وهم في هذه الحالة من الإنهاك، فتستأصل شأفتهم وتقضي عليهم، لكنها لم تفعل ثقة منها في مناعة أسوارها، وعدم قدرة الصليبيين على الاستمرار وهم في هذه الحالة، ثم قدر الله - تعالى - أن تصل سفن حربية من **جنوة الإيطالية** إلى **يافا** لتستولي عليها، وتمد الصليبيين بالمؤن والإمدادات والأسلحة والمواد اللازمة لصناعة آلات وأبراج الحصار، وكان لهذه النجدة أبلغ الأثر في نفوس الصليبيين فقويت عزائمهم وثبتت أركانهم، وطمعوا في الفوز المرتقب وهو احتلال بيت المقدس.

الشمال

سلطنة السلاجقة العظمى

الإمبراطورية البيزنطية

الدولة السلجوقية

تواجد اسماعيلي

مسار الحملة الصليبية الأولى

معركة حاسمة

مناطق سيطر عليها الصليبيون في الحملة الصليبية الأولى .

مناطق كسبها الصليبيون منذ ١١٠٠ - ١١٤٤ م.

تواجد نصيري

البجدر الشامى (البجدر الأبيض المتوسط)

139

• شق

الأردن

المساعدات الجنوبية الإيطالية

الدولة العبيدية الإسماعيلية

تألفت الجيوش الأساسية التي أرسلها **البابا** من الفرنسيين المدربين جيداً والفرسان النورمنديين. وشارك فيها غودفري البولوني، وريموند كونت تولوز، وروبرت الفلاندري، وبوهيموند من تارنتو. وانضمت إليهم القوات البيزنطية في القسطنطينية وتمكن الجيش الموحد من الاستيلاء على نيقية عام ٤٩١هـ،
١٠٩٧م.

وبعد ذلك، انقسم الجيش وسار الأوروبيون الغربيون نحو القدس، وخاضوا العديد من المعارك الدموية على طول الطريق، وكان أكثرها صعوبة **حصار أنطاكية** (مدينة تركية الآن)، حيث هلك الكثيرون بسبب الهزيمة التي ألحقها بهم الأتراك، ورحل الآخرون. ووصل الأوروبيون القدس في صيف ٤٩٣هـ، ١٠٩٩م، واستولوا على المدينة المقدسة (**بيت المقدس**) بعد ستة أسابيع من القتال، ثم عاد معظمهم لأوطانهم. وقسّم القادة الأراضي التي احتلوها إلى أربع دول سمّوها دول الصليبيين اللاتينية، وتضم مقاطعة إديسا (الرّها) وإمارة أنطاكية، ومقاطعة طرابلس، ومملكة بيت المقدس.

م . خ . سامي بن عبد الله المغلوث، **أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى** .

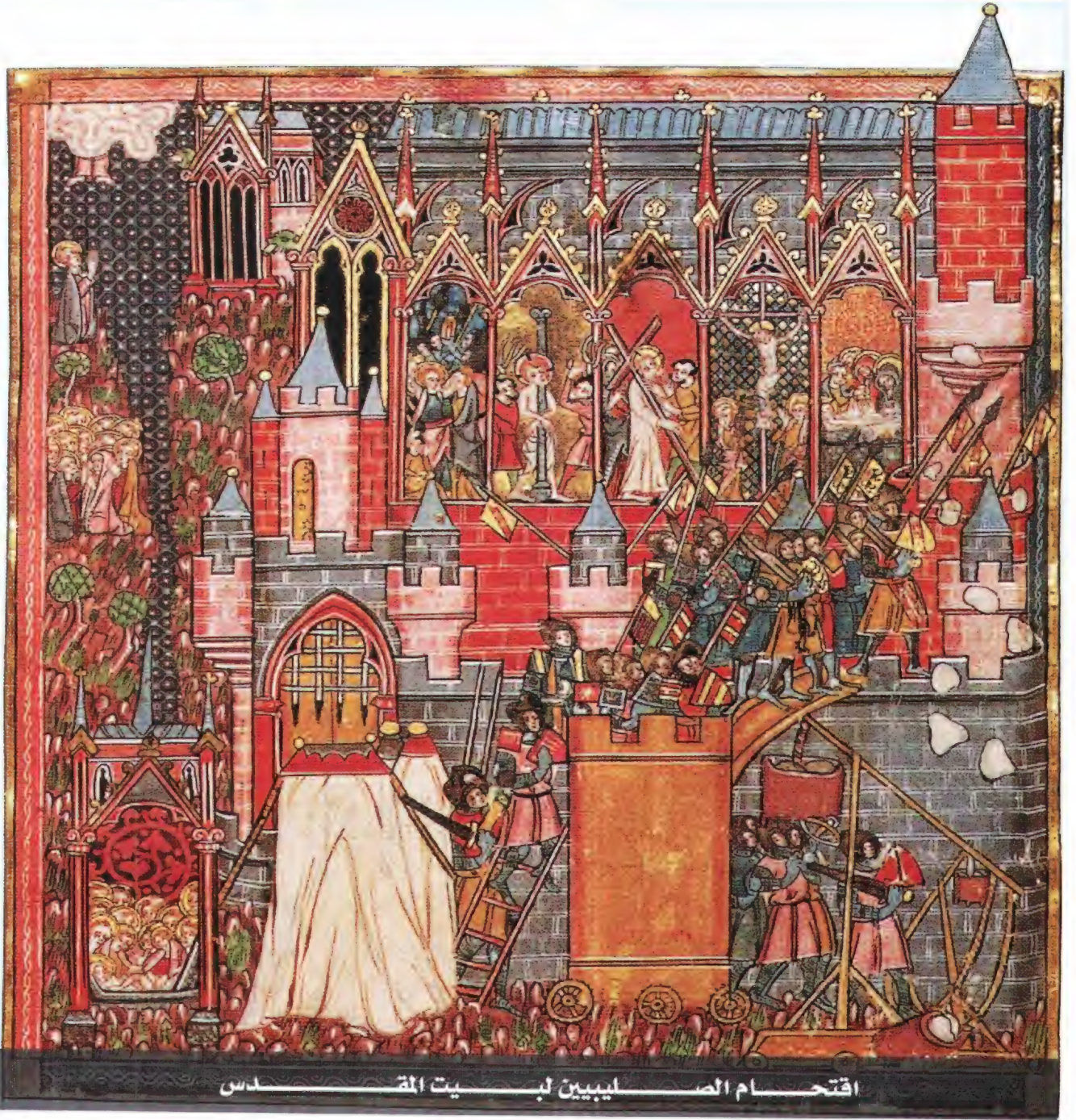
مجزرة الصليبيين في بيت المقدس

شهادة للتاريخ

رصد التاريخ الإسلامي الحدث عن مجزرة الصليبيين في بيت المقدس بكثير من التفصيل والدقة.

قال ابن الأثير: إن المذبحة استمرت طوال يوم الدخول وليلته، واقتحم النصارى المسجد الأقصى في صباح اليوم التالي، وأجهزوا على من احتموا فيه، وصبغت ساحات المسجد بدماء العباد والزهاد الركع السجود، وتوجه قائد الحملة (ريموند) في الضحى لدخول ساحة المسجد، متمسكاً طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبته، وكان النظر لا يقع إلا على أكوام من الرؤوس والأيدي والأقدام المقطعة في الطرقات والساحات، نهب النصارى جميع الأمتعة وخرّبوا أثاث المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ونهبوا القناديل التي بلغت نيفاً وأربعين قنديلاً، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمئة درهم، وأخذوا نيفاً وعشرين قنديلاً من ذهب).

تعد المستشرقة الألمانية الراحلة « زيجريد هونكه » من أوسع المستشرقين اطلاعاً على تاريخ الإسلام، وقد وصفت بعبارات مؤثرة انتصار الصليبيين على المسلمين، واستيلاءهم على القدس، فقالت: "عقب وصول الصليبيين إلى هدفهم المنشود «بيت المقدس» طغت حماسهم فجرفت أمامها كل السدود، وانطلقوا سيلاً بشعاً بربرياً يأتي على الأخضر واليابس، وقد أجج ذلك صياهم ثلاثين يوماً حماسة متعصبة ونذراً للرب تقرباً. ولقي هذا كله رد فعل لدى سفاكي الدماء... من فرسان "الفرنجة" من فرنسيين ونورمان وجموعهم التي انحدرت في طرقات بيت المقدس تحصد الأرواح حصداً، لا تقع على إنسان إلا قتلته... رجالاً ونساءً وشيوخاً وولداناً. وتذكر مصادرنا الغريبة ذاتها أن ذلك الحصاد الوحشي بلغ عشرة آلاف ذبيح. ويصف المؤرخ الأوروبي ميشائيل دارسيرر كيف كان البطريك نفسه يعدو في زقاق بيت المقدس وسيفه يقطر دماً حاصداً به كل من وجد في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة - وما يسمى - قبر المسيح، فأخذ في غسل يديه تخلصاً من الدماء اللاصقة بها، مردداً كلمات المزمور التالي: "يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويفسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقاً، إن للصديق مكافأة، وإن في الأرض إليها يقضي". أما الميدان الذي يتحلق قبة الصخرة والمسجد الأقصى الذي لجأ إليه معظم الأهالي المسلمين الهاربين هلعاً واحتماءً به، فقد تحول تحت زحف الفرنجة المدمر... إلى حمام دماء خاض فيه مهاجمو النصارى حتى الكعبين، مواصلين الإجهاز على المسلمين. لقد كانت الحملة الصليبية الأولى... (١٠٩٥م) بمنزلة المقدمة الإنشادية الحزينة لواحدة من كبريات مآسي العتب في تاريخ الإنسانية. لقد حفر ذلك اليوم حفراً يتأبى على المحو أبداً في ذاكرة التاريخ... ولئن كانت الحملة الصليبية الأولى قد انتهت لوقت مؤقت معلوم بالغلبة الساحقة لمقاتلي النصارى دفاعاً عن المسيح، فإنها كانت في الوقت نفسه هزيمة أخلاقية مهولة سجّلها تاريخ الإنسانية بحروف من الخزي... ولقد أيقظت تلك الحملة البربرية ما أيقظت في نفوس المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي... ولن تزال تلك الحملة الصليبية الأولى بقعة عارٍ وخزيٍ لاصقةً بالغرب مشيرةً إليه بإصبع الاتهام" ص ٢١-٢٢.



يروى المؤرخ الفرنسي (جوستاف لوبون) هذه القصة عن الكاهن (ريمون دوجلوس) الذي حضر مشهد مجزرة الصليبيين في بيت المقدس، ويقول: (لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان حتى صارت الجثث تعوم على الدماء، وصارت الأيادي والرجل تسبح، وما عاد الجنود يطبقون رائحة البخار الذي يخرج من الجثث !!). و يروي أيضاً في قصة أخرى عن (دوهمن): اقتيد الأسرى الباقون فجمعوا في برج القصر، وأكثرهم من الأطفال والنساء والعجائز والشيخوخ، فأمر الحاكم الصليبي بذبح الأطفال والنساء والعجائز والشيخوخ، وإبقاء الشباب على قيد الحياة، ثم تم أخذهم عبيداً وبيعوا في أنطاكية.

يقظة العالم الإسلامي بعد الحملة الصليبية الأولى

تحت ضغط العلماء وجهدهم الدؤوب لتنشيط وإشعال الحماس في قلوب الشعب والحكام، بدأ أول تحرك مضاد من قبل المسلمين بحركة جهادية بقيادة العلماء، واستجاب لهم حاكم الموصل فقط بين جميع البلاد الإسلامية، وكان يحكم الموصل رجل تركي مسلم اسمه (مودود) دعا هذا الرجل للجهاد؛ فاستجاب له خلق كثير، وبدأ الناس يتوافدون إليه، ثم ما لبث أن قاد جيشه هذا نحو (الرُّها) واستطاع أن يفتحها ويقتل العدو المغتصب ويأسر بعضهم، ومن الأسرى أخذ بعض الأرمن الذين تعاونوا معهم، وبدأ بعض الأمل يعود للمسلمين بهذا الفتح.

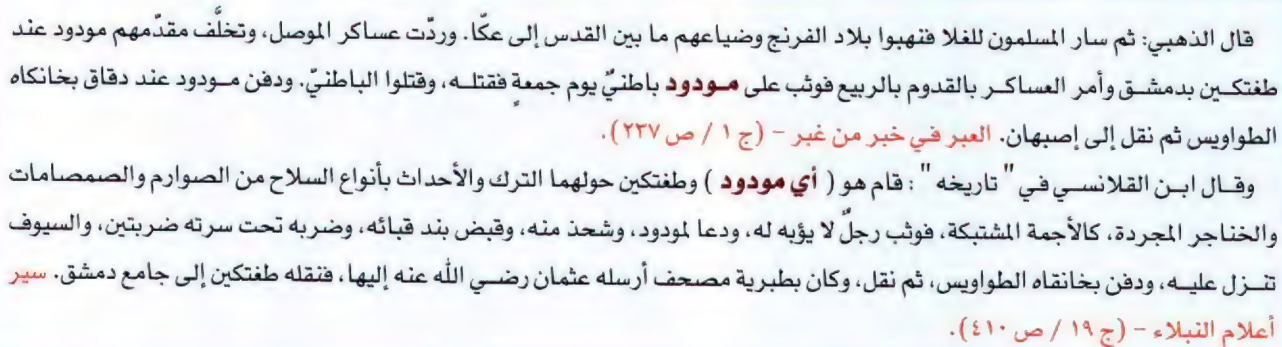
في عام ٥٠٧ هـ ١١١٣ م، توافدت جموع من المسلمين الذين بعثتهم بوادر الأمل إلى (مودود) فشكل منهم جيشاً وتحرك نحو القدس، وشعر النصارى بخطر الجيش الزاحف نحوهم، ولم يكن لدى مودود إلا جيش بسيط متناثر الأطراف، في مواجهة قوة عظيمة من النصارى كانت قد تجمعت بعتاد وأعداد ضخمة، ثم اشتبك الطرفان في معركة هائلة لم يستطع أحد الطرفين أن يحسمها لصالحه، ورأى مودود أن يعيد ترتيب صفوفه فانسحب نحو دمشق، وكانت لا تزال تابعة له، وفي دمشق نزل في المسجد الأموي يوم الجمعة فتربص له أحد رجال (الحشاشين) وهي فرقة باطنية ضالة، وقتلته غيلة. ولعل في ذلك قمة الخيانة أن يعمد أحد ممن يدعون الانتساب للإسلام فيقتل مجاهداً مسلماً بعث الله فيه أمل الأمة المكرومة، ولكن هذا - كان ولا يزال - ديدن الفرق المنحرفة والباطنية، فهم يضمرون العداء للمسلمين ومن خالفهم أكثر من عدائهم للكفار والنصارى واليهود ومن والاهم.

معركة قسطنطين ✕ ٥١٣ هـ ١١١٩ م

وُئدت هذه الحركة الجهادية في مهدها، ولم يكتب لها التوفيق والنجاح، لكن العلماء لم يلبثوا أن بثوا العزيمة والحماس في نفس حاكم آخر، وهو حاكم مدينة نارددين فجمع هذا الأخير جيشاً وتحرك به مرة أخرى نحو الرُّها، وبعد معركة بسيطة تسمى معركة (قسطنطين) استطاع الجيش المسلم التغلب على النصارى ودرهمهم، وانتشر مجدداً الأمل والتفاؤل بين الناس بهذا القائد الجديد، وبدأت عمليات استعدادات الجهاد والنهضة في الأمة مرة أخرى - د. السويدان، فلسطين التاريخ المصور، ص ١١٥ - ١١٦.

من تاريخ الحشاشين الباطنيين

هم من غلاة الإسماعيلية ويطلق عليهم النزارية، ومؤسس دولتهم الحسن بن الصباح، وتذكر كتب التاريخ: أن فخر الدين الرازي كان يعلم الناس في حلقاته في المسجد ما يراه حقاً، ولم يكن لدى المسلمين آنذاك شبهة فصل الدين عن الحياة، وفي ذلك الزمان كانت فتنة الحشاشين قد ذرت، وبدأت تشر الإرهاب واغتيال قادة المسلمين، فاغتالوا، شرف الدولة مودود، ونظام الملك، وحاولوا اغتيال صلاح الدين أكثر من مرة، وكل ذلك إرضاء للصليبيين، ووصولاً إلى أهدافهم الباطنية، وكان أحد هؤلاء الحشاشين قد انتظم في حلقة الفخر الرازي لمدة طويلة، ليراقب الشيخ ثم يسكته عن النقد أو يقتاله، وسئل ذات يوم عنهم فشرح رأيه في الحشاشين وبين خطورتهم على الإسلام وأهله، ثم خرج الشيخ إلى داره، وفي ناحية من الطريق انفراد الحشاش بالشيخ - وكان الحشاش ضخماً قوياً - وعدا على الفخر وصرعه أرضاً، ثم جلس على صدره، وسل خنجره وقال: عدني ألا تعود إلى نقد الحشاشين مرة أخرى وإلا قتلتك الآن، فتخلص منه الشيخ بالوعد الذي أراد، وفي يوم آخر سأل أحد الحاضرين الشيخ عن الحشاشين فقال له: يا بني هؤلاء القوم لا أقول فيهم شيئاً، لأن لهم حججاً ثقيلة؛ وأخرى حادة ١٩. يتصرف من د. محمد حامد الأميري، أطراف القضية الجزائية.



قيام الدولة الزنكية سنة ٥٢٠ - ٥٦٩ هـ / ١١٢٧ - ١١٧٤ م

بعد تأسيس الدولة الزنكية استطاع **عماد الدين زنكي** بفضل الله ثم بجهوده الميمونة؛ أن ينتزع من الصليبيين إمارة **الرُّها** التي تأسست في الشرق الإسلامي سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م بزعامه **بلدوين الأول** وكان تحريرها في عام ٥٣٩ هـ، وقد ساعد عماد الدين زنكي عوامل عديدة في فتح الرُّها من أهمها؛ تنامي حركة الجهاد الإسلامي حتى عصره وحصاد تجربة المسلمين في ذلك المجال، فلا ريب في أن التجارب السابقة أثبتت أن إمارة الرُّها مرشحة أكثر من غيرها لكي تكون أولى الإمارات الصليبية المعرضة للسقوط في أيدي قادة الجهاد الإسلامي حينذاك، وقد أجهدها أمر الإغارات المستمرة من جانب **أمراء الموصل** خلال فترة تزيد على أربعة عقود من الزمان على نحو مُمَثِّل: (موتاً بطيئاً لها) إلى أن تم الإجهاد عليها في العام المذكور، ويضاف إلى ذلك براعة عماد الدين العسكرية، الذي فاجأ تلك الإمارة الصليبية بالهجوم، بعد أن اطمأن الصليبيون إليه وتصوروا أنه لن يهاجم فاستغل فرصة غياب أميرها **جوسلين الثاني** عنها، ووجه لها ضربته القاضية التي انتهت بإسقاطها، وهكذا أثبت ذلك القائد الكبير أنه اختار التوقيت الملائم لذلك العمل العسكري العظيم لقد حقق عماد الدين زنكي بفتح الرُّها؛ أهم إنجازاته التي قام بها ضد الصليبيين طوال مدة حكمه، وكان لهذا النصر نتائج مهمة في العالمين الإسلامي والنصراني ومن **أهم تلك النتائج على الإجمال** ^(١):

١ - تأكيد للمسلمين أن حركة الجهاد الإسلامي وصلت ذروتها دون أن يكون ذلك إجحاف بإنجازات القادة السابقين على زنكي ولا سيما الأمير مودود بن التونتكين، وإذا كانت أولى الإمارات الصليبية تهاوت تحت أيديهم فإنها البداية، واليوم إسقاط الرُّها وغداً إسقاط باقي الكيان الغازي الدخيل والتقدم إلى الأمام بكل ثقة، وإباء.

٢ - تأكيد منطلق التاريخ من أن مثل تلك الكيانات الصليبية غير الشرعية لن تستمر على الأرض المسلمة، لأن أبناء المنطقة أصحاب الهوية الدينية الموحدة لن يقبلوا بذلك الوضع السياسي والعسكري الدخيل، ومن ثم عاد التجانس لمنطقة شمالي العراق ولم تعد الرُّها تمثل دور الفصل والكيان الصليبي الحاجز المانع من الاتصال بين كل من **سلاجقة آسيا الصغرى، وسلاجقة الروم، وكذلك سلاجقة بلاد فارس**.

٣ - كما أدى سقوط الرُّها بمثل هذه الصورة إلى تحرك الحلف الدفاعي الإستراتيجي القائم بين الكيان الصليبي في الشرق والرحم الأم، فلم يكن ذلك الغرب يسمح لامتداده السياسي، والتاريخي في الشرق أن ينهار قطعة قطعة، بل لا بد من التدخل من أجل إعادة الأمور إلى نصابها وإجهاد فعاليات **إمارة الموصل**، ومن ثم كان قيام **الحملة الصليبية الثانية سنة ٥٤٢ هـ** وهي من النتائج المباشرة **لإسقاط الرُّها**، وهو أمر يوضح لنا بجلاء كيف أن قادة الجهاد الإسلامي حاربوا قوى عالمية، ولم تكن مجرد قوى محلية محدودة التأثير والفعالية، وأنهم بالفعل كانوا جزءاً من صراع قاري أو عالمي على نحو يجعل لهم مكانة بارزة في تاريخ المسلمين، وقد مدح الشعراء الإنجاز الكبير الذي قام به عماد الدين لفتحه إمارة الرُّها.

فتوحات عماد الدين زنكي (حاكم الموصل) واسترداد الرها سنة ٥٣٩ هـ ١١٤٥ م



آل زنكي؛ ينتمي عماد الدين بن آق سنقر بن عبد الله آل ترغان إلى قبائل (السابايو) **التركمانية**، وقد حظي والده أبو سعيد آق سنقر الملقب بـ **قسيم الدولة**، والمعروف بالحاج، باهتمام المؤرخين بسبب الدور الذي لعبه على مسرح الأحداث السياسية والعسكرية للدولة السلجوقية، وكان آق سنقر من أصحاب السلطان ملكشاه الأول و أتراه، وقيل إنه كان لصيقه، ومن أخصّ أصدقائه، فقد نشأ الرجلان وترعرا معاً، ولما تسلم ملكشاه الحكم عنه حاجباً له، وحظي عنده فكان من المقربين، ووثق به حتى أفضى إليه بأسراره، واعتمد عليه في مهماته، فكان أبرز قادته. ومن أقوى الدلائل على الخطوة التي حازها آق سنقر عند السلطان، منحه لقب "قسيم الدولة"، وهذا يعني الشريك، وكانت الألقاب في تلك الآونة مصنونة لا تُعطى إلا لاستحقاقها، ويبدو أنه قاسم ملكشاه شؤون الحكم والإدارة، بالإضافة إلى ذلك، فإن آق سنقر كان يقف إلى يمين سدة السلطنة ولا يتقدمه أحد، وصار ذلك أيضاً لعقبه من بعده. د. علي الصلابي، المرجع السابق.

القائد التركي؛ نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي (رحمهما الله)

كيف قُتل عماد الدين زنكي؟

فكر الصليبيون في كيفية التخلص من عماد الدين زنكي، وبعد تفكير وتقلب فيمن سيقوم بهذه المهمة قرروا إسناد مهمة الاغتيال إلى جماعة معروفة بذلك وبالفعل وفي ربيع الآخر سنة ٥٤١ هـ والبطل الفذ عماد الدين زنكي يحاصر أحد القلاع المطلة على نهر الفرات واسمها قلعة جعبر قامت مجموعة من الباطنية الحشاشين بالاتفاق مع الصليبيين بعد أن قبضوا الثمن بالتسلل إلى معسكر عماد الدين زنكي واندسوا بين حراسه وفي الليل دخلوا خيمته وهو نائم وقتلوه - رحمه الله - وهكذا مات البطل وترجل الفارس وحمل الراكب بعد حياة طويلة كلها جهاد وكفاح ونصرة للإسلام وأهله، وبعد أن أحيا ما كان مندثراً وأعاد ما كان مفقوداً، ووضع الأساس المتيين لما جاء بعده فرحمه الله رحمة واسعة، وغفر له ما كان من خطايا وزلات.

ولد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، في ١٧ شوال سنة ٥١١ هـ، وهو ثاني أولاد عماد الدين زنكي بعد سيف الدين غازي، وقد تأثر أبناء عماد الدين بما كان لأبيهم من خلال طيبة وفضائل جمّة، فكانوا جميعاً من رجال الجهاد وفرسانه، على تفاوت في ذلك بينهم.

وبعد وفاة عماد الدين زنكي، اقتسم ولداه: سيف الدين غازي ونور الدين محمود دولته، فحكم الأول الموصل وثبت أقدامه بها، وانفرد الآخر بحكم حلب، وكان الحد الفاصل بين أملاك الأخوين هو نهر الخابور في الجزيرة الفراتية، وكان كلا الأخوين مؤهلاً لما وجهته له الأقدار، فكان سيف الدين غازي صاحب سياسة وأناة، على حين كان نور الدين مجاهداً مخلصاً جياش العاطفة صادق الإيمان، ميالاً إلى جمع كلمة المسلمين وإخراج الأعداء من ديار المسلمين، مفطوراً على الرقة ورهافة الشعور؛ وهو ما جذب الناس إليه، وحبب القلوب فيه.

وكان على نور الدين أن يواصل سياسة أبيه في جهاد الصليبيين، يدفعه إلى ذلك طبيعته المفطورة على حب الجهاد، وملازمته لأبيه في حروبه معهم. وقرب إمارته في حلب في شمالي سوريا من الصليبيين جعله أكثر الناس إحساساً بالخطر الصليبي.

استهل نور الدين حكمه في سوريا بالقيام ببعض الهجمات على إمارة أنطاكية الصليبية، واستولى على عدة قلاع في شمالي الشام ومنطقة الساحل السوري، ثم قضى على محاولة "جوسلين الثاني" لاستعادة الرها التي فتحها عماد الدين زنكي وكانت هزيمة الصليبيين في الرها أشد من هزيمتهم الأولى، وعاقب نور الدين من خان المسلمين من أرمن الرها، وخاف بقية أهل البلد من النصارى على أنفسهم فغادروها. كان نور الدين دائم السعي إلى استمالة القوى الإسلامية المتعددة في الشام وشمال العراق وكسب ودها وصادقتها؛ لتستطيع مواجهة العدو الصليبي، فعقد معاهدة مع "معين الدين أنر" حاكم دمشق سنة (٥٤١ هـ = ١١٤٧ م) وتزوج ابنته، فلما تعرض أنر لخطر الصليبيين وكانت تربطه بهم معاهدة وحلف، لم يجد غير نور الدين يستجير به بعد الله سبحانه، فخرج إليه، وساراً معاً؛ صاحب دمشق، ونور الدين، واستوليا على بصرى وصرخدا في جنوبي سوريا قبل أن يقعا في أيدي الصليبيين، ثم غادر نور الدين دمشق؛ حتى يبعث في قلب حاكمها الأمان، وأنه لا يفكر إلا في القضاء على الصليبيين؛ فتوجه إلى حصون إمارة أنطاكية، واستولى على أرتاح وكفر لاثا وبصرهوت وغيرها.

وعلى أثر ذلك ملك الرعب قلوب الصليبيين من نور الدين، وأدركوا أنهم أمام رجل لا يقل كفاءة وقدرة عن أبيه عماد الدين، وكانوا قد ظنوا أنهم قد استراحوا بموته، لكن أمهم تبدد أمام حماسة ابنه وشجاعته، وكانت سنة إذ ذاك تسعاً وعشرين سنة، لكنه أوتي من الحكمة والتدبير خيراً كثيراً. وفي سنة (٥٤٢ هـ = ١١٤٧ م) وصلت الحملة الصليبية الثانية على الشام بزعامة لويس السابع وكونراد الثالث، لكنها فشلت في تحقيق أهدافها، كما سيتضح لنا في الصفحة ما بعد القادمة، وعجزت عن احتلال دمشق أهم مدن الشام، ويرجع الفضل في ذلك لصبر المجاهدين واجتماع كلمة جيش المسلمين ووحدتهم صفهم، وكان للقوات التي جاءت مع سيف الدين غازي وأخيه نور الدين أكبر الأثر في فشل تلك الحملة، واستغل نور الدين هذه النكبة التي حلت بالصليبيين وضياح هيبتهم للهجوم على أنطاكية بعد أن ازداد نفوذه في الشام، فهاجم في سنة (٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م) الإقليم المحيط بقلعة حارم الواقعة على الضفة الشرقية لنهر العاصي، ثم حاصر قلعة إنب، فنهض "ريموند دي بواتيه" صاحب أنطاكية لنجدة، والتقى الفريقان في (٢١ من صفر ٥٤٤ هـ = آخر يونيو ١١٤٩ م) ونجح المسلمون في تحقيق النصر وكان من جملة القتلى صاحب أنطاكية وغيره من قادة الفرنج.

الموقف العام على الساحة الشامية بعد مقتل عماد الدين زنكي

أم جوسلين الثاني بعد موت عماد الدين باستعادة إمارته السابقة (الرها) .
عمل على الاتصال بأهلها من الأرمن. واتفق معهم. على دخولها. ومهاجرة
حاميتها التركية. وبالفعل قام الأرمن بفتح الأبواب لجوسلين وجيشه وقابلوه
بالترحيب. وهضى على حاميتها التركية سنة ٥٤١ هـ: لكن القلعة بقيت بيد
أتراك المسلمين. واستجدوا بطور الدين محمود. الذي نسي النداء .

لقد كان لمقتل عماد الدين زنكي ، أثر كبير في مجرى الحوادث، فقد قام صاحب **دمشق: مجير الدين أبق** ، وحاصرها ، وكان بها نجم الدين أيوب ، مستحفظاً فأضطر لتسليم قلعة بعلبك لجزءه عن المقاومة ، وانتقل إلى دمشق وأقام بها سنة ٥٤١ هـ .

موقع معركة

إمارة نور الدين محمود بن عماد

امارة سيف الدين غازي بن عماد

مملكة الأرمن (الصغرى)

الإمارات الصليبية

الخلافة العباسية

العراق

الأردن

العبيديون

۱۰۰ ۵۰

داس چشمه

جی راس جیسنٹ ورس

ف القائمة بـ

في القلعة المحصنة

٤٥: طالع الخوص

ولمّا حاول الخروج

2. 11. 415. 63.

م قوی دلتك الجیس

[illegible]

سرعه جيادهم. اما

• 1991 •

في ٢ تشرين الثاني

1. 2. 3.

ضحية، ما بين قتيل

٣ لم يقف نور الدين محمود مكتوف اليدين أمام ما جرى على أرض الرُّها، حيث لبى طلب الحامية التركية المتمركزة فيها، وأسرع من حلب على رأس جيشه ومن انضاف إليه من التركمان وغيرهم، في زهاء عشرة آلاف فارس، قاصداً الرُّها. ولما وصل إليها أقام الحصار عليها، فيما كانت الحامية التركية في القلعة، تعطل المحاصرين بسهامها، فتزرع الفوضى بينهم، وتبدهم. وعندما تحقق **جوسلين** من قوة الحصار، وتراخي مقاومة الأرمن، وتباطؤ الإفرنج بالمجيء لمعاونته، حاول الخروج من المدينة مع أهاليها الأرمن، واقتحموا جميعاً، جيش المسلمين، بغية اختراقه، والإفلات من الطوق، بالهرب، ولكن أين لهم أن ينفذوا؟ وقد أحاطت بهم قوى ذلك الجيش من جميع الجهات بسرعة، وأطبقت عليهم فأبادتهم، ولم يسلم من جيش أمير الرُّها السابق، سوى قلة ضئيلة من فرسانه، استطاعوا الفرار برفقته لسرعة جيادهم. أما الأهالي الأرمن الذين وقعوا بيد نور الدين، فقد عوقبوا بما يستحقونه، فهلكوا جميعاً، ومن لم يقتل منهم، أسر وبيع رقيقاً في أسواق **حلب** في ٣ تشرين الثاني سنة ١١٤٦م - ٥٤١هـ وكانت حصيلة هذا الخطأ الذي ارتكبه جوسلين الثاني، بدخوله الرُّها، بعد فتحها من قبل عماد الدين، ما ينوف عن ٤٥٠٠ ضحية، ما بين قتل وأسير من إفرنج وأرمن، وبعد هزيمته، لجأ **جوسلين الثاني** إلى **سُميساط** وتحصن في قصره على الجانب الآخر من الفرات.

الحملة الصليبية الثانية

سنة ٥٤١ هـ - ٥٤٣ هـ - ١١٤٧ - ١١٤٩ م

قادة الحملة : كورنراد الثالث ملك ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا

سبب الحملة ومسارها :

استطاع المسلمون بقيادة عماد الدين زنكي ومن ثم ابنه نور الدين محمود من استرجاع **الرُّها** من أيدي الصليبيين كما أوضحنا ذلك في الصفحات السابقة.

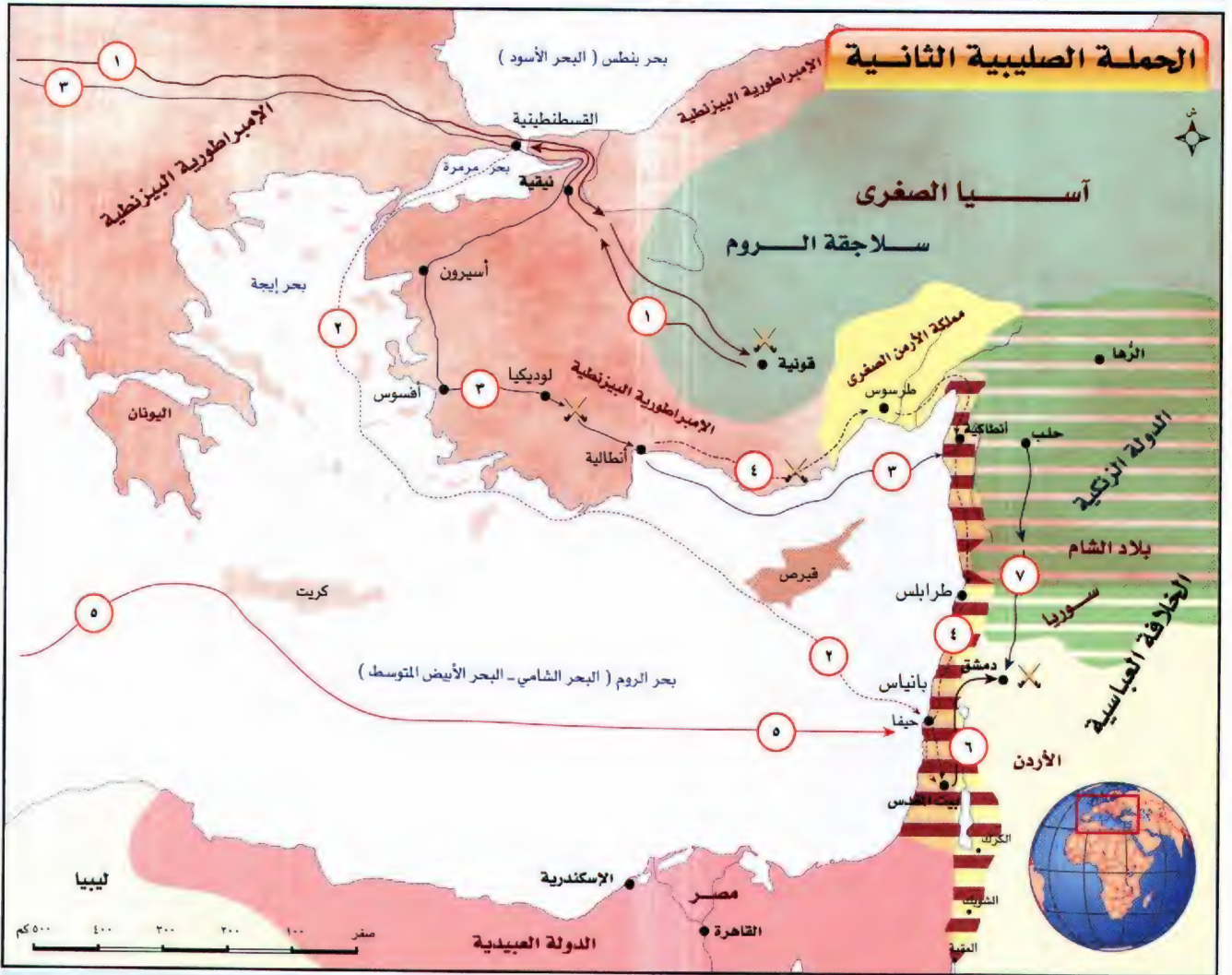
وتحتل الرُّها مكانة دينية كبرى لدى النصارى - لكثرة ما فيها من الأديرة والكنائس، ويؤمن النصارى : أن بكنيستها العظمى منديل المسيح عليه السلام، كما بها معالم إسلامية؛ كجامع ينسب للخليل عليه السلام، وأماكن تاريخية أخرى - فخشي الأوروبيون بعد فقدان الرُّها على مصير الإمارات الصليبية الباقية نتيجة لهذه الصحو الإسلامية المباركة.

وكان الداعي المحرض لهذه الحملة الصليبية **الراهب الفرنسي** (سان برنارد) وكان البابا إذ ذاك (أوجان الثالث) ، حيث عقد مجمع كنسي في مدينة فيزولاي في مارس ٥٤٠ هـ - ١١٤٦ م، واستجاب لذلك ملك فرنسا (لويس السابع) وإمبراطور ألمانيا (كورنراد الثالث).

سار إمبراطور ألمانيا مع مسار الحملة الصليبية الأولى نفسه واصطدم مع السلاجقة الأتراك المسلمين في **قونية** مما أدى إلى رجوعه إلى **نيقية** ثم **القسطنطينية** لاستخدام سفن حربية للوصول لبيت المقدس بحراً؛ بينما سلك **لويس الفرنسي** طريق الساحل الأناضولي (انظر الخارطة في الصفحة المقابلة لتوضيح ذلك) ، ثم واصل من أنطاكية إلى بيت المقدس حيث كان يريد للحاق بملك ألمانيا قبل أن يصل إلى بيت المقدس. **فسار أكبر جيشين في أوروبا الغربية لاسترداد الرُّها** وتعزيز الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي.

كانت نتائج الحملة الصليبية الثانية إلى الشرق فشلاً كبيراً للصليبيين، ونصراً عظيماً للدويلات الإسلامية. وأدت نتائجها إلى استرجاع المسلمين للقدس كما سيتضح ذلك في الصفحات القادمة، وقيام الحملة الصليبية الثالثة في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي بعد سلسلة من الأحداث في الشام.

كان النصر الصليبي الوحيد في تلك الحملة على الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسط، حيث توقفت سفن الصليبيين الإنجليز في أثناء عبورهم للبحر قرب **لشبونة** مصادفة، فساعدوا جنود قشتالة في السيطرة عليها عام ١١٤٧ م. وفي تلك الأثناء، في أوروبا الشرقية، كانت أولى الحملات الصليبية الشمالية لتحويل القبائل الوثنية للنصرانية قد بدأت، واستمرت تلك الحملات بعد ذلك قروناً حتى أذعنت جميعها بالنصرانية.



- | | | | |
|---|---|--|------------------------|
| ١ | ← | إمبراطور ألمانيا (كونراد الثالث) | الإمبراطورية البيزنطية |
| ٢ | ← | المسار الآخر لإمبراطور ألمانيا (كونراد الثالث) | سلطنة الروم |
| ٣ | ← | ملك فرنسا (لويس السابع) | الدولة العباسية |
| ٤ | ← | الفرع الآخر لملك فرنسا (لويس السابع) | الإمارات الصليبية |
| ٥ | ← | إمدادات بحرية صليبية أخرى | الدولة الزنكية |
| ٦ | ← | الجيوش الصليبية تتجه لحصار دمشق | مملكة الأرمن الصغرى |
| ٧ | ← | نور الدين محمود يتوجه لمساعدة حاكم دمشق | أراض إسلامية |
| | × | مواقع معارك مع الصليبيين | |

دولة الموحدين (٥٤١-٦٦٨ هـ / ١١٤٦-١٢٦٩ م)

الموحدون: أتباع حركة دينية سياسية، قامت على **أنقاض دولة المرابطين** وإمارات أخرى، وكانت أطول عمراً من دولة المرابطين وأكثر اتساعاً، إذ ضمت كل الجزء الباقي كله من الشمال الإفريقي، وفي حين كانت حركة المرابطين حركة فقيه مالكي مثلها الأعلى تطبيق الشرع وفق أحكام هذا المذهب الفقهي، كانت حركة الموحدين تجمع بين تيارات الفكر الإسلامي آنذاك. ارتبطت نشأة الحركة ونشر مبادئها الدينية والسياسية **بمحمد بن تومرت** الذي ولد في إيجليز الواقعة على منحدرات الأطلس الصغير، ونشأ في وسط قبيلة «هرغة» وما يجاورها من القبائل المصمودية التي تعمر كل الأطلس.

في سنة ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م ارتحل ابن تومرت إلى الأندلس ومنها إلى مصر والشام والديار المقدسة والعراق، حيث كان يأخذ العلم ويلتقي المفكرين أينما حلّ، وفي رحلة العودة سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م عبر مصر ثم طرابلس وبعدها تونس ثم قسنطينة ومنها إلى بجاية، وأخيراً في **ملالة** وعلى مقربة منها التقى **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**.

بعد مغادرة ابن تومرت ملالة برفقة عبد المؤمن تدخل رحلة عودته مرحلة جديدة، إذ ستدخل في الأراضي الخاضعة لسلطان المرابطين، وأصبح المضمون السياسي واضحاً في تصرفاته ممتزجاً بعمله أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر؛ لأنه أخذ يتعرض للحكام المرابطين والسلاطين، فطرد من فاس بأمر من حاكمها إثر تحريض مجموعة من الفقهاء عليه، وفي مرآكش تعرض لكبار الموظفين المرابطين، ومن بعدهم لأفراد الأسرة الحاكمة بل للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، فأجبر على مغادرة مرآكش، فتوجه نحو جبال الأطلس ليستقر في مسقط رأسه **إيجليز**، وفي أثناء تنقله كان يجمع بعض الأتباع من المصامدة لعل أشهرهم أبو حفص **عمر بن يحيى الهنتاتي**، الذي كان له دور بارز في بناء دولة الموحدين، وعندما حاول أن ينتقل من ضم الأفراد إلى ضم قبائل مصمودية كاملة عن طريق إرسال المبعوثين، أدرك المرابطون خطر هذه الدعوة الدينية عليهم، فحاولوا القضاء عليه وكادوا ينجحون في ذلك، فانتقل ابن تومرت إلى قلب الأطلس الأعلى ونزل في قرية **تينمل** التي كانت غاية في المنعة والحصانة، وفي هذا الحصن نظم دعوته التي قامت على مبادئ دينية في الأصل ولكنها ذات أهداف سياسية تهدف إلى تحطيم سلطان المرابطين^(١).



ينتسب **بنو غانية** إلى قبيلة مسوفة الأمازيغية الطوارقية التي كانت تستوطن ما يعرف الآن بالصحراء الغربية وموريتانيا والجزائر. أهمهم غانية، وكان المرابطون كثيراً ما ينسبون أبناءهم لأمهاتهم لعادت عندهم، وكانت أسرة بني غانية من كبار الأسر في الدولة المرابطية. فهي إذن أسرة أمازيغية قادت ثورة في إفريقيا من ٦ شعبان ٥٨٠هـ / ١٣ نوفمبر ١١٨٤م إلى ٦٣١هـ / ١٢٣٣م (نحو ٥٠ سنة) هدفت إلى إحياء دولة المرابطين والقضاء على دولة الموحدين.

حيث كان أحد أبناء أسرة بين غانية إسحاق بن غانية والياً على الجزر الشرقية باسم المرابطين (منروقة ويابسة وميورقة أو جزر البليار حالياً) فلما رأى ما حل بدولتهم استقل بالجزر، ولكنه رأى أنه من الأحسن له موادة الموحدين للقوة الكبيرة التي أصبحت عليها هذه الدولة خاصة بعد سيطرتها على كل المغرب (المغرب والجزائر وتونس وليبيا) وأجزاء كبيرة من الأندلس. لكن الموحدين ما إن أكملوا سيطرتهم على الأندلس في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن حتى أرسلوا سنة ٥٧٩هـ الرسل له تباعاً يدعوونه للدخول في طاعتهم ويحذرونه من مغية العصيان؛ وهنا تردد إسحاق في البت في الموضوع وخرج في غزوة إلى قطلونيا (كاتالونيا) فاستشهد في هذه الغزوة دون أن يبيت الأمر. فلما تولى ابنه محمد بن إسحاق بن غانية الحكم أظهر استعداداً لقبول طاعة الموحدين، غير أن إخوته رفضوا ذلك وعزلوه وولوا عليهم أخاهم علي بن غانية.

عقيدة الموحدين

أكمل صورة لعقيدة الموحدين نجدها في كتاب «أعز ما يطلب» الذي جمع فيه عبد المؤمن بن علي خليفة المهدي بن تومرت كل تعاليمه، وأول ما يميز هذه التعاليم كونها خليطاً متنافراً غير متجانس من الأفكار، تجتمع منه كل المذاهب والتيارات التي سار معها ابن تومرت كلياً أو جزئياً في إطار السنة، وجعل مبدأ تنزيه وحدانية الله حجر الزاوية بالنسبة إلى مبادئه حتى سُمي الذين آمنوا بدعوته بالموحدين، ولكنه خالفها بأجمعها ودفعه واحدة بقوله **بعقيدة الإمامة والمهدوية على الطريقة الشيعية**، وعدَّ الإمامة ركناً من أركان الدين، وعدَّ اعتقادها والعمل بها والتزامها ديناً، ومن مقتضيات هذا الالتزام، الهجرة إلى الإمام، كما عدَّ أن الإمام لا يكون إلا معصوماً من الباطل لهدم الباطل.

ظل محمد بن تومرت يعمل في تنمّل مع أصحابه على نشر عقيدته، وتنظيم المجتمع الموحدي، ومحاربة المرابطين.

السحبياني المرجع نفسه

وهكذا نرى أن **دعوة ابن تومرت**، وإن كانت قد تغلّلت في قلوب العامة والسذج من الناس، في بعض بلاد المغرب الأقصى والأندلس، فإن ما تحمله من باطل وزيف قد بدا لمن كان عنده شيء من العلم، مما دفع العقلاء من الموحدين وهم حماتها إلى العمل على إزالتها، والسعى لبيان وجه الخطأ فيها، فالمنصور ثالث أمراء الموحدين بعد ابن تومرت عمل على بيان باطلها وسعى لتقويضها ولم يمضِ على انتشارها بين الناس سوى نصف قرن، وهي مدة قصيرة في عمر الدعوات، لكن ما تحمله هذه الدعوة من غلو وشطط جعلت أقرب الناس منها يسعون لتقويضها - كما بينا في السطور السابقة -.

وهنا قد يرد تساؤل وهو: لماذا لم يعلن المنصور الموحدي للناس صراحة بطلان ما دعا إليه ابن تومرت ويعمل جاداً للقضاء على دعوته؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يقال: إن الكثير من الناس ببلاد المغرب الأقصى لاسيما العامة وشيوخ الموحدين وزعماء القبائل قد تعلقوا بدعوة ابن تومرت واقتنعوا بصحة ما قال به ودعا إليه، فلو واجههم المنصور بالنقد الصريح أو العمل الجاد للقضاء على دعوة ابن تومرت لنشأ عن ذلك رد فعل خطير من قبل أولئك القوم، وهذا بلا شك جعله يكتفي ببيان موقفه منها دون اتخاذ أي خطوات عملية ضدها^(١).

في **بلاد السوس** أسس ابن تومرت مسجداً يجتمع به مع تلاميذه وزعماء قبيلته، حيث التف حوله الكثير من المؤيدين والأنصار فاختر منهم نخبة لتكون قاعدة لدعوته، حيث شرع في تدريسهم على شكل حلقات ودروس منظمة ومن خلال تلك الدروس بث أفكاره بين تلاميذه، وأخذ يعدمهم إعداداً خاصاً، فألف لهم كتاباً سماه كتاب التوحيد لسانهم البربري قسمه إلى سبعة أحزاب عدد أيام الأسبوع، وأمرهم بقراءة حزب واحد منه في كل يوم بعد صلاة الصبح، ويحتوي هذا الكتاب على معظم أفكار ابن تومرت والأسس العقدية لدعوته، ولهذا يذكر ابن أبي زرع أن ابن تومرت قال لتلاميذه: من لا يحفظ هذا (التوحيد) فليس بمؤمن وإنما هو كافر لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته، فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز.

١ - د. حمد بن صالح السحبياني، مجلة البيان، مج ١٨، ص ٦٠.

تسلسل	الحاكم الموحد	فترته الزمنية
١	أبو عبد الله محمد بن تومرت	٥١٥-٥٢٤هـ / ١١٢١-١١٢٨م
٢	عبد المؤمن بن علي	٥٢٧-٥٥٨هـ / ١١٣٢-١١٦٣م
٣	أبو يعقوب يوسف الأول	٥٥٨-٥٨٠هـ / ١١٦٣-١١٨٤م
٤	أبو يوسف يعقوب المنصور	٥٨٠-٥٩٥هـ / ١١٨٤-١١٩٩م
٥	محمد الناصر لدين الله	٥٩٥-٦١٠هـ / ١١٩٩-١٢١٣م
٦	أبو يعقوب يوسف الثاني	٦١٠-٦٢٠هـ / ١٢١٣-١٢٢٤م
٧	أبو محمد عبد الواحد المخلوع	٦٢٠-٦٢١هـ / ١٢٢٤م
٨	أبو محمد عبد الله العادل	٦٢١-٦٢٤هـ / ١٢٢٤-١٢٢٧م
٩	المأمون	٦٢٤-٦٣٠هـ / ١٢٢٧-١٢٣٠م
١٠	أبو محمد عبد الواحد الرشيد	٦٣٠-٦٤٠هـ / ١٢٣٠-١٢٤٢م
١١	أبو الحسن علي السعيد المقتدر بالله	٦٤٠-٦٤٦هـ / ١٢٤٢-١٢٤٨م
١٢	أبو حفص عمر المرتضى	٦٤٦-٦٦٥هـ / ١٢٤٨-١٢٦٦م
١٣	أبو العلاء أبو دبوس الواثق بالله	٦٦٥-٦٦٨هـ / ١٢٦٦-١٢٦٩م

بلغت **الدولة الموحدية** أوجها في عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (١١٦٣-١١٨٤ م) ثم أبي يوسف يعقوب المنصور (١١٨٤-١١٩٩ م) الذي تلقب بالمنصور وعمل على النهوض بالدولة الموحدية والأندلس علمياً وثقافياً، وكان قائداً ماهراً وسياسياً قديراً استطاع عقد الصلح مع مملكة قشتالة، ولكن نقضهم للصلح اضطره لقتالهم في **معركة الأرك** «انظر تفاصيلها في الصفحات القادمة» مع بناء العديد من المدن الجديدة وتشجيع الثقافة والحياة الفكرية (ابن رشد، ابن طفيل).

وبعد موقعة **الأرك** عقدت هدنة بين ملك قشتالة الفونسو الثامن والمسلمين، ولكن ألفونسو استغل الهدنة في تقوية بلاده ومخالفة أمراء النصارى وحين وجد نفسه مستعداً أغار على بلاد جيان وبياسة وأجزاء من مرسية، فاضطر الملك الناصر "محمد بن يعقوب" الذي خلف والده المنصور إلى الذهاب إلى الأندلس لغزو قشتالة فغبر البحر وذهب إلى أشبيلية لتنظيم جيشه، ومنها اتجه إلى قلعة "شلطيرة" إحدى قلاع مملكة قشتالة، واستولى عليها بعد حصار ٨ شهور، ولكن الملك الفونسو الثامن دعا البابا أنوسنت الثالث "بروما إلى إعلان الحرب الصليبية ضد الأندلس، وكان من نتاج ذلك أن اجتمع للإسبان ١٢٤٥٥٣ مقاتل انطلقوا ليستولوا على حصن رباح والأرك وغيرها وقام المسلمون بجمع جيش مماثل والتقى الجيشان عند حصن العقاب إلا أن الموحيدين تلقوا هزيمة قاسية على يد النصرانيين في معركة حصن العقاب (١٢١٢ م) - لم تقم للمسلمين بعد هذه المعركة قائمة- «انظر تفاصيلها في الصفحات القادمة».

بعد سنة ١٢١٣ م بدأت الدولة تنهار بسرعة مع سقوط الأندلس في أيدي النصارى (بعد ١٢٢٨ م)، وإفريقية (تونس) في أيدي الحفصيين والمغرب الأوسط (الجزائر) في أيدي بني عبد الواد -الزيانيون- (١٢٢٩-١٢٣٦ م).

يتجلى الازدهار الفكري في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب بن يوسف اللذين كانا من المشاركين فيها، وقد هياتهما لذلك حياتهم في ربوع الأندلس وفي إشبيلية على وجه الخصوص، ويؤثر عن الأول أنه كان أعرف الناس بكلام العرب وأحفظهم لأيامهم ومآثرهم وأخبارهم في الجاهلية والإسلام، وكان مبرزاً في العلوم الدينية من ناحية والفلسفية بجميع فروعها من ناحية ثانية، وقد جمع كتب هذه العلوم من كل جهة حتى توفر له منها عدد يقرب مما كان لدى الحكم المستنصر الخليفة الأموي الشهير، كما استقدم العلماء المشاهير في هذا الباب، واستصحب محمد بن الطفيل الفيلسوف الشهير الذي عمل في ميدان الجمع بين الحكمة والشريعة، ولم يقتصر دور ابن الطفيل على مصاحبة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، بل كان يدل على العلماء من جميع الأقطار، فكان الوساطة لجلب أبي الوليد محمد بن رشد الذي اتصل منذ ذلك الوقت ببلاط الموحيدين، وقام بترجمة كتب أرسطو الفلسفية إلى العربية بعنوان «كتاب الجوامع»، ثم لخصها بعد ذلك وشرح أغراضها بناء على طلب الخليفة.



- ١ - **المرحلة الأولى:** الاستيلاء على تلمسان ووهران في المغرب الأوسط، وقد تمت هذه المرحلة **سنة ٥٣٩هـ** - ١١٤٤م.
- ٢ - **المرحلة الثانية:** الاستيلاء على بلاد المغرب الأقصى بما في ذلك مراكش وفاس وبقية المغرب إلى الزقاق وهو مضيق جبل طارق وقد تمت سنة **٥٤٢هـ**.
- ٣ - **المرحلة الثالثة:** فتح بقية المغرب الأوسط وقد تمت بدخول الموحدين مدينة الجزائر سنة **٥٤٨هـ** - ١١٥٣م.
- ٤ - **المرحلة الرابعة:** بسط فيها الموحدون سلطانهم على إفريقية بما في ذلك شرق إقليم طرابلس ليبيا وقاموا باستعادة المهديّة وجربة جربة تونس وبقية سواحل إفريقية من النورمان، وقد تمت سنة **٥٥٥هـ** - ١١٦٠م التي تسمى **سنة الأخماس**، وبذلك يكون الموحدون أول من وحد بلاد المغرب (المغرب العربي) كله عدا برقة وما يليها شرقاً إلى حدود مصر.

الصلبيون على أبواب دمشق

في سنة (٥٤٢هـ = ١١٤٧م) وصلت الحملة الصليبية الثانية إلى دمشق لكنها فشلت في تحقيق أهدافها، وعجزت عن احتلالها ويرجع الفضل لله سبحانه، ثم لصبر المجاهدين واجتماع كلمة جيش المسلمين ووحدة صفهم، إضافة للقوات المساعدة التي جاءت مع سيف الدين غازي من الموصل لتشكل مع أخيه نور الدين محمود سداً منيعاً أفضل خطة الصليبيين وحملتهم.

قوات نور الدين محمود
مساندة حاكم دمشق، ضد
الصلبيين.

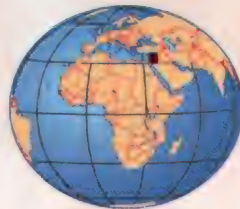
قوات سيف الدين غازي بن
عماد الدين زنكي وهي قادمة
من الموصل، لمساندة جيش
أخيه نور الدين محمود في
أثناء حصار دمشق.

تابع "لويس السابع" سيره إلى "بيت المقدس"، وهناك استقبل استقبالاً حافلاً، ولكن للمرة الثانية انحرفت الحملة الصليبية الثانية عن أهدافها، عندما تم عقد مجلس صليبي كبير، ضم "لويس السابع" و"كونراد الثالث" - الذي سبقه إلى "بيت المقدس" - والملك "بلدوين الثالث"، وأمراء مملكة "بيت المقدس"، وعدداً كبيراً من كبار رجال الدين والأمراء الصليبيين، حيث اتفق الجميع على مهاجمة "معين الدين أنر" حاكم "دمشق" الفعلي، الذي كان حليفاً للصليبيين، ولكن نور الدين زنكي حاكم حلب؛ تناسى غدر حاكم دمشق به ووقف بجانبه. وبالفعل، جهّز الصليبيون جيشاً لهذه الغاية وحضفوا إلى دمشق (ربيع الأول ٥٤٢هـ = حزيران ١١٤٨م) فحاصروها، ولكن أهالي دمشق تصدوا لهم بقوة بمشاركة الزهاد والفقهاء في القتال، الذين كان لهم دور كبير في إذكاء شعلة الصمود والتصدي، وبدأت قوات "معين الدين أنر" تتزايد، وتدفقت النجدة إلى "دمشق" من الأبواب الشمالية، وهو ما جعل الصليبيين يتحولون من الهجوم إلى الدفاع.

والذي زاد من حراجه الموقف الصليبي هو تلك الشقاكات والخلافات التي وقعت بينهم حول تبعية "دمشق" ومصيرها، وأحقية كل فريق منهم في ضمها إليه في حالة سقوطها والاستيلاء عليها.

قادة الحملة الثانية: ملك
فرنسا "لويس السابع"،
وإمبراطور ألمانيا
"كونراد الثالث"، والملك
"بلدوين الثالث" ملك
بيت المقدس، يتوجهون
لحصار دمشق.

بيت المقدس
بيت لحم



فتوحات نور الدين محمود على أرض الشام



١ استغل نور الدين هذه النكبة (الفشل في حصار دمشق)، والتي حلت بالصلبيين وضياح هيبتهم للهجوم على أنطاكية بعد أن ازداد نفوذه في الشام، فهاجم في سنة (٥٤٤ هـ = ١١٤٩ م) الإقليم المحيط بقلعة حارم الواقعة على الضفة الشرقية لنهر العاصي، ثم حاصر قلعة إنب، فتهض "ريموند دي بواتيه" صاحب أنطاكية لنجدتها، والتقى الفريقان في (٢١ من صفر ٥٤٤ هـ = آخر يونيو ١١٤٩ م)، ونجح المسلمون في تحقيق النصر، وكان من جملة القتلى صاحب أنطاكية وغيره من قادة الفرنج وممن قال فيه القيسراني في قصيدته المشهورة التي أولها:

وهذه الهمم اللاتي متى خطبت ... تعثرت خلفها الأشعار والخطب
ما زال جدك يبني كل شاهقة ... حتى بنى قبة أوتادها الشهب
ضربت كبشهم منها بقاصمة ... أودى بها الصلب وانحطت بها الصلب
ظهرت أرض الأعداء من دمائهم ... طهارة كل سيف عندها جنب

هذي العزائم لا ما تدعي القضب ... وذو المكارم لا ما قالت الكتب
صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها ... براحة للمساعي دونها تعب
أغرّت سيوفك بالفرنج راجفة ... فؤاد رومية الكبرى لها يجب

الصراع على ضم مصر بين نور الدين والصلبيين

مسألة في العبيديين؟

يقول ابن تيمية - موضحاً رأي أهل السنة في ملوك الدولتين الأموية والعباسية - : "ما قال أهل السنة أن الواحد من هؤلاء كان هو الذي تجب توليته وطاعته في كل ما أمر به، بل كذا وقع، فيقولون تولى هؤلاء وكان لهم سلطان وقدرة؛ فانتظم لهم الأمر، وأقاموا مقاصد الإمامة من الجهاد وإقامة الحج والجمع والأعياد وأمن السبل ولكن لا طاعة في معصية الله" وعندما طعن العلماء في نسب العبيديين الذين كانوا بمصر والذين تسموا (الفاطميّين) . وقالوا: ليس لهم أي صلة بنسب علي ابن أبي طالب، وأنهم مجوس ملحدون، فهذا الطعن له أهمية كبيرة، ويساعدنا على فهم تصرفات هذه الدولة. فهؤلاء العلماء من أمثال أبي حامد الإسفراييني وأبو الحسن القدوري والبيضاوي وابن الأكفاني وغيرهم لا يمكن أن يشهدوا هذه الشهادة تقريباً وتملقاً للخليفة العباسي ببغداد، كما يريد أن يصورهم البعض، وهؤلاء أجل من أن يشهدوا زوراً من

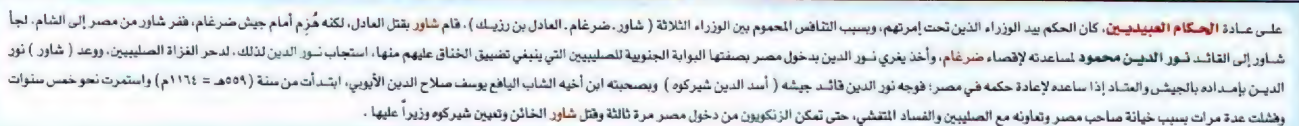
كان فتح مصر من أعظم منجزات نور الدين محمود - رحمه الله -، فقد تمكن من إسقاط الدولة الفاطمية العبيدية، التي استمرت أكثر من قرنين تنشر الفساد السياسي والخلل العقدي في أنحاء العالم الإسلامي، فهي التي أعانت الصليبيين في احتلال بلاد الشام بتحالفها وتآمرها معهم، وهي التي تبنت المذهب الباطني ونشرته في ديار المسلمين، وعندما سادت الفوضى إدارة الحكم فيها، وتحكم الوزراء بالأمر دون الخلفاء، طمع الصليبيون في غزو مصر فهاجموها المرة، تلو المرة وعندها جرد نور الدين محمود حملاته العسكرية لتخليص مصر من مطامعهم، ولإعادة أرض الكنانة إلى منهج أهل السنة والجماعة، وجمع كلمة المسلمين، ويمكن تلخيص أبرز الدوافع التي أدت إلى غزو مصر ما يأتي :

الدافع الأول : حالة الفوضى التي سادت مصر آخر أيامها، فقد أصبحت الدولة تعاني كثيراً من مظاهر الانحلال والفساد، حتى صار من الأمور الشائعة، أن يصبح الخليفة أو الوزير مقتولاً، خلال الصراع الدائر بين الوزراء أنفسهم، أو بين الوزراء والخلفاء، فقد قتل الظافر على يد وزيره، وتحكم الوزراء فيمن جاء بعده وفي اختيار من يشاءون، وقتل الوزراء بعضهم بعضاً، فقد تولى الوزارة في عام واحد ثلاثة وزراء : **العادل بن رزيك، وشاور وضرغام**، فضعفت الدولة وسادت الفوضى في البلاد ومن أواخر هذا الصراع خروج شاور من مصر، بعد أن طرده "ضرغام" ومن ثم استجاده بنور الدين محمود، الذي وجد الفرصة مواتية لتوحيد الوحدة الإسلامية في بلاد الشام ومصر.

الدافع الثاني : إن مطامع الصليبيين شجعت القائد المجاهد نور الدين على التفكير جدياً في ضم مصر إلى الجبهة الإسلامية، كما أن تلقيه العهد من الخليفة العباسي في إطلاق يده في بلاد الشام ومصر عام ٥٤٩هـ شد من عزيمته لإنجاز هذا الأمر .

الدافع الثالث : من أقوى الأسباب التي أدت إلى القضاء على الخلافة الفاطمية العبيدية، العامل العقدي، فقد كانت دولة باطنية المعتقد، إسماعيلية المذهب فرقت وحدة المسلمين وتآمرت مراراً مع أعدائهم . فكان لابد من إقامة وحدة قوية في عقيدتها، شرعية في توجهها تضم إلى الخلافة العباسية أرض الكنانة مع بلاد الشام^(١).

أجل الخليفة. مجلة البيان، ج ٤، ص ٩٠ .



الدولة الغورية (٥٥٠-٦١٢هـ، ١١٥٥-١٢١٥م)

قامت الدولة الغورية في بلاد **الغور** في أفغانستان الحالية، بين هراة و غزنة. أقام الغور دولة مستقلة في هذه المنطقة تتخذ من **فيروزكوه** عاصمة لها. غزاها السلطان الغزنوي محمود سبكتكين سنة ٤٠١هـ، ١٠١٠م، وأدخلهم في الإسلام، مع الإبقاء على الحكم في أيديهم. وعلا شأن أمرائهم في ظل السيادة الغزنوية، ولكنهم أخذوا يتحينون الفرص للاستقلال عن غزنة. وكانت المحاولة الأولى على يد أميرهم محمد بن الحسين الذي انتهز فرصة انشغال الغزنويين بدفع خطر السلاجقة، فصار إلى غزنة بغية الاستيلاء عليها سنة ٥٤٢هـ، ١١٤٨م، لكن السلطان الغزنوي بهرام شاه أحبط محاولته وهزمه وقتله. استنكر الغور قتل سلطانهم، فتكتلوا وراء أميرهم الجديد سوري بن الحسين وتمكنوا من الانتقام والاستيلاء على **غزنة**.

لجأ بهرام شاه إلى الهند الغزنوية، وحشد قوات تمكن بها من استرداد غزنة وقتل سوري بن الحسين. وتمكن خلفه علاء الدين الحسين بن الحسين من الاستيلاء على غزنة للمرة الثانية، واستردها منه بهرام للمرة الثانية، وعندما حاول الغور الاستيلاء عليها للمرة الثالثة تركها لهم خسرو شاه بن بهرام وخليفته، واستقر **في لاهور**. فدخل الغور غزنة سنة ٥٥٠هـ، ١١٥٥م.

قويت دولة الغور في عهد أميرها علاء الدين وتطلع إلى توسيع رقعة دولته، فصار إلى خراسان وخربرها، وضم إليه بلخ. وتصدى للسلاجقة وهزموه وأخرجوه من خراسان وبلخ. طمع الغور في غزنة بعد وفاة علاء الدين عام ٥٥٦هـ، ١١٦٠م، فاستولوا عليها، واستردها منهم **غياث الدين محمد**، خليفة علاء الدين وابن أخيه. وعقد العزم على القضاء التام على آل سبكتكين حتى يضمن لدولته الاستقرار. فاستولى على بلدان الغزنويين غير الهندية. واستولى أخوه شهاب الدين على ممتلكات الغزنويين بالهند، ودخل لاهور، وقبض على السلطان الغزنوي خسرو شاه، وبذلك فقدت الدولة الغزنوية آخر معاقلها. **واعترفت الخلافة العباسية بالدولة الغورية**. وتوسع الغور على حساب السلاجقة، فضموا إليهم هراة وبوشمنج وبادغيس وبعض البلدان المجاورة لها في إقليم خراسان. واستولى الغور على بلاد السند والبنجاب، وحكمها شهاب الدين الغوري نيابة عن أخيه السلطان غياث الدين، واتخذ **لاهور** مركزاً وسعى للتوسع في بلاد الهند.

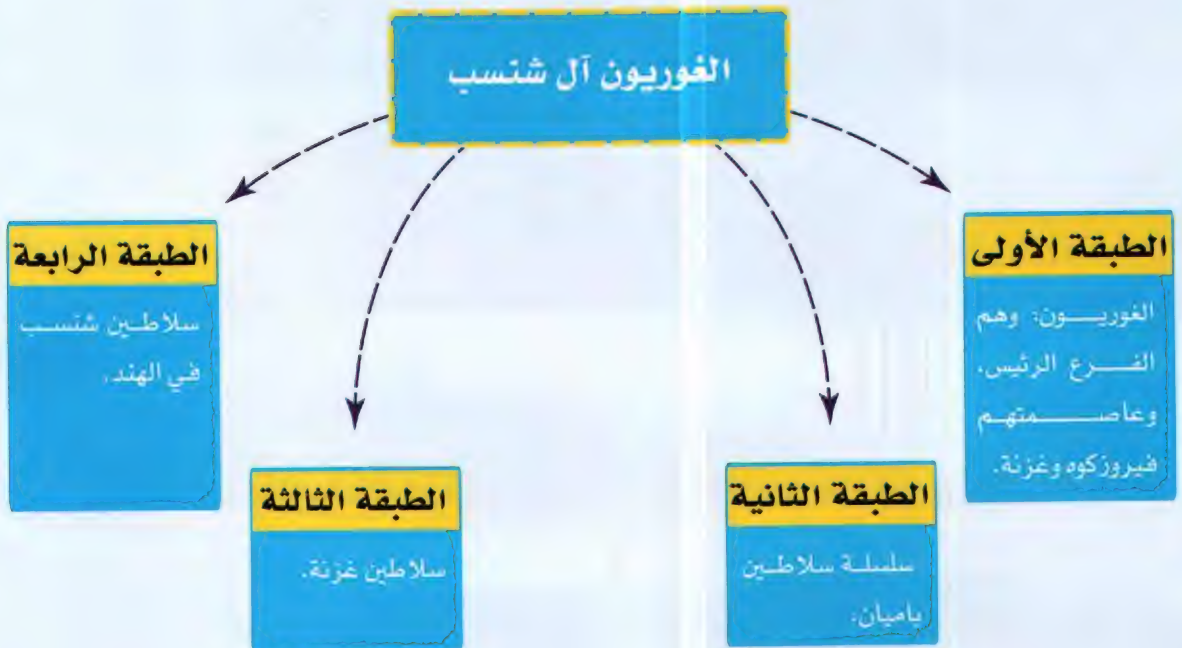
خشى الأمراء الراجبوتيون. حكام شمالي الهند. من خطر الغور فحشدوا قواتهم لطردهم من الهند، وتمكنوا في المعركة الأولى من هزيمة الغور، ولكن تمكن الغور من هزيمتهم في العام التالي واستولوا منهم على شمالي الهند، وضموا **دلهي** ملكهم. وحاول الراجبوتيون استرداد ملكهم، ولكنهم فشلوا. وضم الغور إليهم المزيد من بلاد شمالي الهند، واستولوا على **جاوهار ونهرواله وكاننجار**، وبذلك سيطروا على أراضي شمالي الهند كلها. واستولوا على إقليم بهار وإقليم البنغال.



بدأت متاعب الغور في بلاد الهند في مستهل القرن السابع الهجري، وذلك أن بعض الولايات الهندية خرجت على دولة الغور منتهزة فرصة انشغالها بالحروب في إيران. ومن أبرز الانتفاضات ثورة الكهكوية الذين قطعوا الطريق بين غزنة ولاهور، واستفحل أمرهم، فاضطر السلطان الغوري إلى أن يسير إليهم بنفسه ويهزمهم هزيمة نكراء.

سار غياث الدين وشهاب الدين سيرة حسنة في دولتهما، على أن دولتهما اضطربت بعد وفاة السلطان شهاب الدين محمد. فقد تنافس الأمراء على عرش السلطنة وحدثت حروب أنهكت قوى الدولة الغورية، وتسببت في زوالها.

انتهاز **الخوارزميون** ضعف الدولة فانتزعوا منها بلاد خراسان، ثم انتزعوا ممتلكات الغور في أفغانستان، وساروا إلى فيروزكوه. عاصمة الغور. وتمكنوا من قتل السلطان الغوري غياث الدين محمود نجل السلطان غياث الدين محمد سنة ٦٠٥هـ، واستولوا بعد هذا على غزنة عام ٦١٢هـ، و١٢١٥م، وأزالوا آخر معاقل الدولة الغورية^(١).





الغوريون: دخلت قبيلة الشنسباني التي تتحدر من الجبال الواقعة وسط أفغانستان في الإسلام في القرن الـ ١١ م. وضعت القبيلة نفسها ومنذ ١٠١٠ م في خدمة الغزنويين. منذ ١٠٩٩ م، وأصبح الشنسباني ولاية على غزنة من قبل الغزنويين. ثم أسسوا إمارة في فيروز رخ منذ ١١٤٦ م. مع تولي علاء الدين حسين (١١٤٩-١١٦١ م) استولوا على غزنة سنة ١١٥٠ م. ثم سيطروا وحتى ١١٦١ م على كل المناطق التي كانت تحت حكم الغزنويين.

منذ سنة ١١٧٨ م بدؤوا حملاتهم على الهند، بشاور والساحل حتى السند (١١٨٢ م)، ثم استولوا على لاهور سنة ١١٨٦ م وقضوا على الغزنويين نهائياً. حكم فرعين للأسرة:

أحدهما في فيروز رخ تحت سلطة غياث الدين (١١٦٣-١٢٠٣ م).

والآخر في غزنة تحت سلطة أخيه معز الدين (١١٧٣-١٢٠٦ م) والذي كان في لاهور منذ ١١٨٦ م. استولى الغوريون على دلهي (دلهي) سنة ١١٩٣ م. وسعوا مملكتهم حتى غوجرات جنوباً والبنغال شرقاً (١٢٠٢). كان مقتل معز الدين بداية النهاية للدولة الغورية. سقطت أفغانستان (١٢١٢ م) في أيدي الخوارزم شاهات والهند (١٢٠٦ م) في أيدي القائد التركي أيبك، الذي أسس دولة المماليك في الهند (سلطنة دلهي).

مصر تحت حكم الدولة الزنكية

كان **نور الدين محمود** يرى إزالة **الدولة العبيدية** هدفاً إستراتيجياً للقضاء على **الوجود الصليبي**، و**النفوذ الباطني** في بلاد الشام، ولذلك حرص على إعادة **مصر لعقيدة أهل السنة والجماعة**؛ فوضع الخطط اللازمة وأعد الجيوش المطلوبة وعين الأمراء ذوي الكفاءة المنشودة فتم الله له ما أراد على أيدي جنديه المخلصين (أسد الدين شيركوه) وابن أخيه الفتى الياقوت والقائد الصالح يوسف صلاح الدين الأيوبي، والأخير طبق سياسة نور الدين الحكيمة الرشيدة، وحق للأمة الإسلامية وزعمائها أن تفرح بهذه البشيرة من إزالة هذه الدولة الباطنية. فلما انتهى الخبر إلى **الملك العادل نور الدين** بالشام أرسل إلى الخليفة العباسي ببغداد يعلمه الخبر مع ابن أبي عصرون فزينت بغداد، وغلقت الأبواب وعُملت القباب وفرح المسلمون فرحاً شديداً، وكانت الخطبة قد قُطعت من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع العباسي حين تغلب العبيديون (الفاطميون زوراً) عليها أيام المعزّ العبيدي، بأني القاهرة إلى هذه الأوان، وذلك مائتا سنة وثمانين سنين، وقد تفاعل الشعراء مع هذا الحدث المدوّي في أرجاء الدنيا فقد قال العماد الأصفهاني في قصيدته المشهورة :

توفي العاضد الدعي نـمـا * * يفتح ذو بدعة عصر فما
وعصر فرعونها انقضى وغدا * * يوسفها في الأمور محتكما
قد طفئت حمرة الغواة وقد * * داخ من الشرك كل ما اضطرما
وصار شملُ الصلاح ملتئماً * * بها وعقد السداد منتظماً
لما غدا مشعراً شعار بني * * العباس حقاً والباطل اكتما
وبات داعي التوحيد منتظراً * * ومن دعاة الإشرار منتقماً
وظل أهل الضلال في ظلل * * داجية من غيابه وعمى
وارتبك الجاهلون في ظلل * * لما أضاءت منابر العلماء
وعاد بالمتضيئ متههداً * * بناء حقّ قد كان منههداً
واعتلّت الدولة التي اضطهدت * * وانتصر الدين بعدما اهتضما
واهتزّ عطف الإسلام من جذل * * واقتـرّ ثغر الإيمان وابتسما
واستبشرت أوجه الهدى فرحاً * * فليقرع الكُفر سيئه نـدـما
عاد حريمُ الأعداء متهك * * الحمى وفيء الطغاة مقتسماً
قصور أهل القصور أخرجها * * عامر بيت من الكمال سـمـا
أزعج بعد السكون ساكنها * * ومات ذلاً وأنفه رَغَمـاً^(١)



بابستان النوري

بناه نور الدين محمود بن زنكي
سنة ٦٥٥ هـ - ١٢٥٧ م
للك الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب
عهد الأيوبي

البابستان النوري في جنوب شرقي جامع البهرمية. بناه نور الدين زنكي في منتصف القرن ١٢م أيام الطبيب ابن بطلان وهو أقدم الأبنية الإسلامية في حلب

القائد يوسف صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ هـ - ٥٨٩ هـ) وقيام الدولة الأيوبية

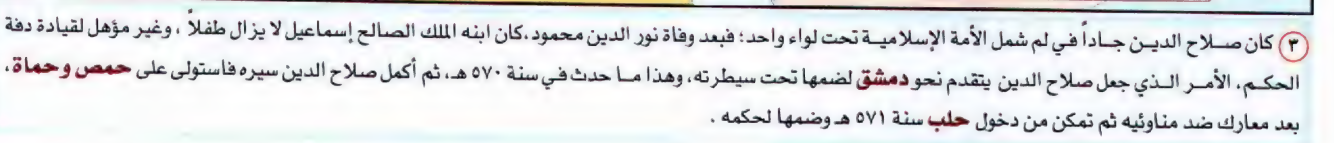
ذكر المؤرخون: أن أسد الدين شيركوه؛ لما مات استقرت الأمور بعده للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ابن أخيه فبذل الأموال وملك قلوب الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمة الله تعالى عليه، وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بقميص الجد والاجتهاد، استعداداً لمواجهة مستمرة مع الصليبيين المعتدين من جهة، ومع بدع الدولة العبيدية من جهة أخرى.

ففي الربع الأخير من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، قامت **الدولة الأيوبية** في خضم الأحداث المضطربة، وأخذت على عاتقها مهمة قيادة العالم الإسلامي ومكافحة القوى الأجنبية الغازية؛ فكان على **الصليبيين** أن يواجهوا السياسة التي رسمها الأيوبيون والقائمة على أساس الجهاد ومكافحة الصليبيين. فبعد وفاة نور الدين زنكي، استطاع صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٩ هـ / ١١٧٣-١١٩٣ م) أن يرسخ جذور دولته ويوسع حدودها لتشمل **مصر ومعظم بلاد الشام والجزيرة واليمن والموصل**. وبذلك أصبحت ممتلكات الأيوبيين تغطي مساحة شاسعة من العالم العربي آنذاك، ويرجع الفضل الأعظم في تأسيس الدولة الأيوبية بمصر واستمرارها زهاء ثمانين عاماً إلى شخصية السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب القوية وحنكته السياسية، وقدراته العسكرية العالية، وجهاده المتواصل ضد قوى الصليبيين المغتصبين لديار المسلمين، وعن طريق توحيد الجبهة الإسلامية، وجمعه لشمل المسلمين في مصر والشام والجزيرة، والحجاز واليمن، وتأليف كلمتهم، وحسم مادة الفتن بينهم تجنباً لتمزقهم فبذل ذلك ورث صلاح الدين راية الجهاد التي رفعها شرف الدولة مودود، وعماد الدين زنكي، وورث الروح التي سادت في البلاد الإسلامية لدعم الجهاد في سبيل الله لتحرير بيت المقدس، كما ورث جزءاً كبيراً من الجيش الذي أعد للجهاد وأضاف عليه جيش مصر، و**جيش المغرب** الذي انتدبه سلطانه للمشاركة في تحرير بيت المقدس وفلسطين، هذا إلى جانب الجيوش الإسلامية الأخرى.

نسب ومولد صلاح الدين الأيوبي

هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر صلاح الدين. اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من (دوين)، وهي بلدة في آخر أذربيجان وأنهم أكراد روادية، والروادية بطن من الهذبانبة، وهي قبيلة كبيرة من الأكراد. يقول أحمد بن خلكان: قال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين: إن على باب دوين قرية يقال لها (أجدانقان) وجميع أهلها أكراد روادية وكان شاذي - جد صلاح الدين - قد أخذ ولديه أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب وخرج بهما إلى بغداد ومن هناك نزلوا تكريت ومات شاذي بها وعلى قبره قبة داخل البلد.

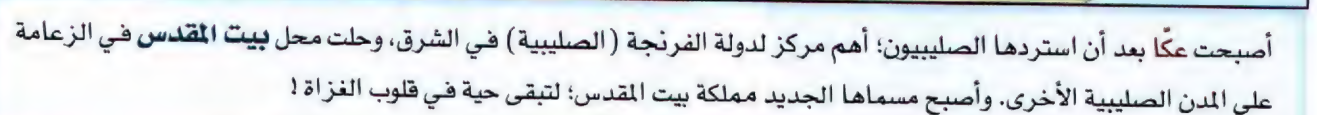
ولد صلاح الدين سنة ٥٣٢ هـ بقلعة **تكريت** لما كان أبوه وعمه بها والظاهر أنهم ما أقاموا بها بعد ولادة صلاح الدين إلا مدة يسيرة، ولكنهم خرجوا من تكريت في بقية سنة ٥٣٢ هـ التي ولد فيها صلاح الدين أو في سنة ثلاث وثلاثين لأنهما أقاما عند عماد الدين زنكي بالموصل ثم لما حاصر دمشق وبعدها بعلبك وأخذها رتب فيها نجم الدين أيوب وذلك في أوائل سنة أربع وثلاثين.



الأيوبيون في اليمن ٥٦٩-٦٢٦هـ، ١١٧٣-١٢٢٩م

تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبي من إنشاء ملك خالص له في مصر ابتداء من عام ٥٦٧هـ على أنقاض العبيديين، ومد سلطانه إلى الشام ليرث مملكة نور الدين زنكي، ومع ذلك أبقى صلاح الدين على ولائه **للخلافة العباسية في بغداد**، التي أعانته في إضفاء شرعية على طموحه في توسيع مملكته، وكان على صلاح الدين الذي أخذ يحل في مصر قواعد **المذهب السني الشافعي محل المذهب العبيدي الشيعي الإسماعيلي**، أن يتابع جهاده ضد الصليبيين الذين ظهروا على مسرح الأحداث في الشام ومصر مع نهاية الحكم العبيدي، وكان طموح صلاح الدين في تأسيس مملكة واسعة له قد أقتنعه بضرورة إرسال حملة إلى اليمن لضمها إلى مصر والشام في مجابهته للصليبيين، خاصة أن اليمن كانت تابعة للدولة العبيدية المنهارة، وإلى جانب الطموح السياسي لصلاح الدين في ضم اليمن إلى ملكه، رويت أخبار عن رسائل من بعض أهل اليمن تشكوا ولائها وتطالب الدولة الأيوبية في مصر بالقدوم إلى اليمن، فأرسل صلاح الدين الأيوبي أخاه توران شاه إلى اليمن عام ٥٦٩هـ / ١١٧٣م، وكانت اليمن منقسمة على نفسها بين دول وقبائل تتصارع على السيادة والنفوذ، فأخذ الأيوبيون بسهولة أحياناً وبيع بعض الصعوبات أخرى يقضون على تلك الدول دولة فدولة، فبدأوا بدولة **بني مهدي في زبيد**، ثم تحولوا للقضاء على دولة **بني زريع في عدن وتعز ومخلاف جعفر اب**، ثم تطلعوا للقضاء على سلطة **بني حاتم في صنعاء**، وفي الطريق جابهتهم قوات قبلية انتهت إلى صلح بدفع إتاوة مجزية للأيوبيين، وكان السلطان علي بن حاتم قد خرج من صنعاء فاراً من الأيوبيين ووجه لهم في الوقت نفسه من يتفاوض معهم على صلح وافقوا عليه، وفيه دفع لأموال وأحصنة، وبهذا تكون دولة بني حاتم وإن احتفظت بسلطانها قد خضعت هي الأخرى لنفوذ الأيوبيين، ثم اتجه القائد الأيوبي إلى زبيد ومنها إلى تعز ثانية ومنه إلى مخلاف الحجرية حيث استولى على حصونها باستثناء حصن الدملوة، حيث قاوم نائب الزريعين هناك أبو الدر جوهر المعظمي، ثم اختط توران شاه مكان قرية ذي عدينة مدينة تعز كمقر لحكمه بعد نصيحة أطبائه له بأنها طيبة الهواء والمكان الذي يصلح لإقامته، ومع ذلك فإن رسائله وشعره لأخيه صلاح الدين أظهرت شوقه لمصر وبلاد الشام التي افتقدها، وافتقد خيرات لم يجدها في اليمن التي لم تغن عن مصر والشام شيئاً رغم كثرة أموالها وسعة ملكها كما وصفها السلطان صلاح الدين الأيوبي نفسه.

وبقي تاريخ الأيوبيين في اليمن الذي زاد قليلاً عن **نصف القرن** قد توزع بين منافسات ولاة الأيوبيين وحرب الخارجين عليهم من آل حاتم وإمام الزيدية العالم الغزير عبد الله بن حمزة الذي ظهر في الجوف وصعدة عام ٥٨٢ للهجرة محاولاً استغلال ضعف آل حاتم ليستولي على صنعاء وليرسي ثانية نفوذاً للعلويين في اليمن، وهو ما كان الإمام أحمد بن سليمان قد حاوله وهو يشهد تصدع الدولة الصليحية عقب



وفاة الملكة الصليحية السيدة بنت أحمد، لكن وصول الأيوبيين إلى اليمن أعاق طموحات الإمام أحمد بن سليمان واضطر لمصالحتهم والاعتراف بنفوذهم في جهاته، ثم دخل الإمام عبد الله بن حمزة في حروب مع زعماء الدولة الأيوبية في اليمن كانت الغلبة فيها لجيوش الأيوبيين، ولعل أحد أسباب الهزيمة هذه يكمن في أن الإمام ابن حمزة كان قد بذل جهوداً حربية وفكرية جبارة للقضاء على فرقة المطرفية المنشقة على المذهب الزيدي وتمكن من إقنائهم فكراً وجسداً.

وكان آخر الولاة الأيوبيين في اليمن السلطان المسعود الأيوبي الذي تمكن من فرض هيبة الأيوبيين على مختلف القوى والمنافسين في اليمن، وقد عاد إلى مصر عام ٦٢٠هـ لزيارة والده السلطان الأيوبي الكامل مخلفاً الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول نائباً له في اليمن، استمرت غيبة السلطان المسعودي في مصر أربع سنوات تمكن خلالها نائبه في اليمن وأخوته من السيطرة على الأمور في اليمن وتحقيق انتصارات مهمة على المنافسين من أبناء الإمام عبد الله بن حمزة، وغيرهم من رؤساء القبائل الطامحين، فعلت بذلك مكانتهم وعظمت قوتهم، وخشي من تطلعهم إلى الاستقلال عن الأيوبيين فعاد السلطان الأيوبي المسعود إلى اليمن مكرهاً من قبل أبيه السلطان الكامل كما تذكر المصادر، إذ ما لبث أن عبر عن فرحته حين استدعاه أبوه السلطان الكامل ليتسلم ولاية الشام، فغادر اليمن سنة ٦٢٦ للهجرة مخلفاً عليها صديقه **نور الدين عمر بن علي بن رسول**، وأوصاه بأن يستأثر لنفسه بالملك بعد موته، وألا يسمح لأحد من بني أيوب بدخول اليمن ولو كان أبوه السلطان نفسه مطوياً في كتاب، وقد مات السلطان مسعود في مكة وهو في طريقه إلى الشام، وهكذا مهد السبيل **لظهور الدولة الرسولية** في اليمن على يد مؤسسها نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي تلقب بعدئذ بالمنصور.

تسلسل	الحاكم الأيوبي	فترته الزمنية
١	المعظم شمس الدين توران شاه بن أيوب	١١٧٤-١١٧٥ م
٢	العزیز سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب	١١٨٤-١١٩٤ م
٣	معز الدين إسماعيل بن طغتكين	١١٩٤-١٢٠٤ م
٤	الناصر أيوب بن طغتكين	١٢٠٣-١٢١٥ م
٥	المظفر سليمان بن طغتكين	١٢١٥-١٢١٦ م
٦	المسعود صلاح الدين يوسف بن طغتكين	١٢١٦-١٢٢٩ م

الحكام الأيوبيون في اليمن

ظهور عبد الله بن حمزة في الجوف اليماني وصعدة عام ٥٨٢ للهجرة محاولاً استغلال ضعف آل حاتم ليستولي على صنعاء وليرسي ثانية نفوذ العلويين في اليمن.



اليمن

٣ القضاء على سلطة بني حاتم في صنعاء.

١ بدأ الأيوبيون بالتخلص من دولة بني مهدي في زبيد.

٢ القضاء على دولة بني زريع في عدن وتعز ومخلاف جعفر إِب.

اختط توران شاه مكان قرية ذي عدينة مدينة تعز كمقر لحكمه.

مخلاف جعفر إِب

تعز (مدينة)

عدن

حضر موت

بحر العرب

خليج عدن

٢٥ ٥٠ ٧٥ ١٠٠ ١٢٥ كم

المخلاف السليماني

الجوف

نجران

صعدة

عثر

حرض

عبس

حوث

قمران

الزيدية

صنعاء

مأرب

الحديدة

بيحان

رداغ

حبان

زبيد

زفر

حنيش الكبرى

إِب

البيضاء

المخا

عصب

ج. فاطمة

التربة

ج. بريم
مضيق باب القليب

أرض الحبشة

بحر القلزم (البحر الأحمر)

صلاح الدين الأيوبي وصاحب حصن الكرك (أرناط)



عملة صليبية تعود إلى أرناط (صاحب الكرك)

بعد أن أصبح الجيشان الشامي والمصري تحت قيادة واحدة، رأى **صلاح الدين** تأديب **صاحب الكرك**؛ ففي سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م. قام أحد القادة الصليبيين يدعى رينو الشاتينيوني (Renaud de Chatillon)، صاحب حصن الكرك (جنوب شرقي الأردن)، والمعروف في المصادر الإسلامية باسم **أرناط**، بتجهيز مراكب

وشحنها بالرجال وآلات القتال، ومضى بها نحو **عيذاب**، فقطعوا طريق التجار وشرعوا في القتل والنهب والأسر، ثم توجهوا إلى أرض **رابغ بالحجاز** وتعذر على الناس وجه الاحتراز فعظم البلاء... وأشرف أهل **المدينة النبوية** منهم على خطر **ويرى ابن جبير** : أنهم كانوا عازمين على دخول مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإخراجه من قبره الشريف. فلما وصل الخبر إلى **مصر**، أمر الملك العادل (شقيق صلاح الدين ونائبه بمصر) الحاجب حسام الدين لؤلؤ، فعمر المراكب بالرجال البحرية ذوي التجربة من أهل النخوة للدين والحمية، مع أنجاد من المغاربة البحرين وسار إلى **إيلة**، فظفر بالمركب الفرنجي عندها، فخرق السفينة وأخذ جندها، ثم عدى إلى **عيذاب** وشاهد بأهلها العذاب ودل على مراكب العدو فتبعها فوقع بها بعد أيام فأوقع بها وواقعها ورد عليهم ما أخذ لهم... وعاد إلى **القاهرة** ومعه الأسارى. فكتب السلطان إليه بضرب رقابهم وقطع أسبابهم، بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف. بعداً دينياً، بمعنى أن هدفها كان هو الهجوم على الأراضي الإسلامية المقدسة (إخراج رفات الرسول صلى الله عليه وسلم من قبره الشريف).

حرص القائد **صلاح الدين** منذ تأسيسه للدولة الأيوبية في تأمين سلامة المرور في البحر الأحمر، وتأمين الملاحة فيه للسفن الإسلامية. إذ كان قيام إمارة **الكرك الصليبية** حافزاً على بذل مزيد من الجهود لتنفيذ سياسته في البحر الأحمر سواء ما يتعلق بالتجارة الشرقية أو **بسلامة الحجاج** الذين كانوا يسلكون منذ أن سيطر الصليبيون على المناطق الجنوبية من الشام الطريق النهري عبر النيل إلى قوص ومنها في الصحراء الشرقية عبر وادي العلاقي إلى ثغر **عيذاب** ومن **عيذاب** بالسفن المعروفة بالجلاب إلى **جدة** وتحول درب الحج بذلك من سيناء إلى **عيذاب** ولتأمين الملاحة في البحر الأحمر، وقصره على خدمة المصالح الإسلامية كان لزاماً عليه التصدي لكل محاولة للعبث في هذا البحر والبطش بأي قوة صليبية تقدم على التسلل إلى عمق هذا المعبر المائي المهم اقتصادياً وإستراتيجياً. ولهذا حرص على تحصين مدخل البحر الأحمر الشمالي بالسيطرة على قلعة **إيلة** التي كان الصليبيون قد اتخذوها لاعتداءاتهم المتكررة منذ أن أسسها **بلدوين** ملك بيت المقدس في سنة ٥١٠ هـ وحصنها وبنى قلعة أخرى منيعة في جزيرة فرعون القريبة من الساحل فأصبحت هي وقلعة **إيلة** تتحكمان في القوافل المارة بين مصر والشام والحجاز.

المقر الجديد لقيادة صلاح الدين

البحر الشامى (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)

الصراع بين المسلمين والصليبيين في البحر الأحمر

الدولة الأيوبية

بلاد الشام

الأردن

الكرك

الشويك (مونتريال)

سيناء

تبوك

الدولة الأيوبية

الصعيد

الصحراء الشرقية

النوبة

أسوان

نهر النيل

إبريم

السودان

١٠٠ ٥٠ كم

تشير المصادر التاريخية؛ إلى أن المغاربة شاركوا إخوانهم
يمصري في التصدي لما عرف في التاريخ بحملة البحر
الأحمر؛ ويعتقد أحد الباحثين المعاصرين، أن اسم حسام الدين
يدعو إلى التفكير في الأمير حسام الدين لؤلؤ، قائد أسطول صلاح
الدين الذي أنزل بقوات أرنؤاط صاحب إمارة الكرك الصليبية
هزيمة نكراء في موقعة الحوراء سنة ٥٧٨ هـ. فقد عرف
المغاربة بمهارتهم في قيادة السفن والملاح في البحر منذ عصر
مبكر، وذاعت شهرتهم في الجهاد البحري في العصر الأيوبي،
فكان البحريون منهم موضع احترام الناس وتبجيلهم، فكان يقال
لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله، وكان قد
اشترك منهم عدد كبير في مهاجمة مراكب الصليبيين عند رايغ
وعيذاب وقت تعرضها لعدوان أرنؤاط، واستعان الحاجب حسام
الدين لؤلؤ بجماعة من أنجادهم في مراكب عمرت من مصر
والإسكندرية في مهاجمة مراكب الفرنج وحرقتها وأسر من كان بها.

المدينة النبوية

أرض الحجاز

مكة المكرمة

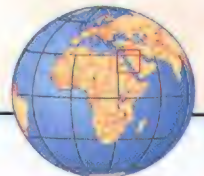
وصول الأسطول المصري إلى رايغ ليقطع على
الصليبيين الوصول إلى المدينة النبوية، وإنزال الهزيمة
بالجيش الصليبي على ساحل حوراء هزيمة كبيرة.

حدود المستعمرات الصليبية في المشرق الإسلامي

الدولة الأيوبية

الجيش الصليبي

الجيش الإسلامي



تحرير عكا وبعض المدن المحتلة

قراءة في خطاب أوروبان الثاني

لم تكن هزيمة الصليبيين في حطين هزيمة عابرة، وإنما كانت فاجعة حلت بهم؛ وغدت فلسطين عقب حطين في متناول قبضة صلاح الدين، فشرع يفتح البلاد والمدن والتغور الصليبية واحدة بعد الأخرى، حتى توج جهوده بتحرير بيت المقدس في (٢٧ من رجب ٥٨٢ هـ = ١٢ من أكتوبر ١١٨٧ م) كما سيأتي توضيحه - إن شاء الله تعالى -.

لقد هزم صلاح الدين الصليبيين في حطين وقتل منهم ثلاثين ألفاً وأسر مئتهم، وأسـر سائر أمرائهم وفرسانهم، وفي مقدمتهم ملك بيت المقدس الذي سقاه صلاح الدين قدحاً من الماء وأحسن رعايته، بينما توعد أرناط أمير الكرك، الذي قتله صلاح الدين بيده وفاءً لنذر نذره، لأنه كان يؤدي الحجاج المسلمين، ويتقاضى المعاهدات، ويهدد بالسير إلى قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليعتدي عليه، ووصلت طلائع جيش أرناط إلى عيذاب ورايح على البحر الأحمر كما ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم (أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى).

رحل صلاح الدين طالباً **عكا** فكان نزوله عليها يوم الأربعاء وقاتل **الصليبيين** بها صباح يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة ٥٨٣ هـ فأخذها واستنقذ من كان بها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف نفس، واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع لأنها كانت مظنة التجار، وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعه، فأخذوا **نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصره**، وكان ذلك لخلوها من الرجال لأن القتل والأسر أفنى كثيراً منهم، ولما استقرت قواعد عكا وقسم أموالها وأسراها، سار يطلب **تبين** فنزل عليها يوم الأحد ١١ جمادى الأولى، وهي قلعة منيعة فتصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها، فقاتلوا قتالاً شديداً ونصره الله سبحانه عليهم، فتسلمها منهم يوم الأحد ١٨ عنوة، وأسر من بقي فيها بعد القتل، ثم رحل عنها إلى **صيدا** فنزل عليها وتسلمها في غد يوم نزوله عليها وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى الأولى، وأقام عليها ريثما قرر قواعدها، وسار حتى أتى **بيروت** فنازلها ليلة الخميس ٢٢ من جمادى الأولى وركب عليها المجانيق وداوم الزحف والقتال حتى أخذها في يوم الخميس ٢٩ من الشهر المذكور، وتسلم أصحابه **جبيل** وهو على **بيروت**، ولما فرغ من هذا الجانب رأى أن قصده **عسقلان** أولى؛ لأنها أيسر من **صور** فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد ١٦ من جمادى الآخرة من السنة نفسها، وتسلم في طريقه إليها مواضع كثيرة **كالرملة والداروم**، وأقام في عسقلان المناجيق وقاتلها قتالاً شديداً وتسلمها في يوم السبت نهاية جمادى الآخرة من السنة ٥٨٣ هـ، وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه **غزة وبيت جبريل والنطرون** بغير قتال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الإفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة، فإنهم كانوا قد أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ.

فتوحات صلاح الدين بعد حطين



الدولة الأيوبية

مناطق دخلت تحت سيطرة صلاح الدين بعد معركة حطين مباشرة

الخلافة العباسية
الدولة الأيوبية

مناطق دخلت تحت سيطرة صلاح الدين بعد معركة حطين مباشرة

لما دخل صلاح الدين بيت المقدس، حافظ على ما بها من آثار، وعمر ما تخرب منها في أثناء الحصار، ثم أرسل أخاه العادل لفتح حصن الكرك ففتحه سنة ٥٨٤ هـ، وتوجه هو على رأس بقية الجيش إلى مدينة صور وحاصرها وكانت قد تجمعت بها فلول النازحين من البلاد المفتوحة واحتموا بها فاستعصت عليه لأن الإمدادات كانت تأتيها عن طريق البحر ففك عنها الحصار.

مناطق دخلت قبل وبعد معركة حطين تحت سيطرة صلاح الدين الأيوبي

الدولة الأيوبية

الدولة الأيوبية

دولة عمورية

مناطق لا تزال تحت الاحتلال الصليبي

٠ ١٥ ٣٠ ٤٥ ٦٠ كم



البحر الشامي (البحر الأبيض المتوسط)

إمدادات صليبية

منطقة تجمع الفلول الصليبية المنهزمة

رأس شكا

جبيل

بيروت

بعلبك

صيدا

صرفة

صور

تهن

عكا

حيفا

حطين

صفورية

الناصرية

بيسان

قيسارية

نابلس

يافا

بيت المقدس

بيت لحم

أشدود

عسقلان

غزة

رفح

بئر السبع

الخليل

الكرك

الشوبك

فتح بيت المقدس ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ

قال المقرئزي: وسار السلطان " وقد اجتمعت إليه العساكر " يريد فتح بيت المقدس، فتنازله يوم الأحد خامس عشر رجب، وبه حشود الفرنج وجميعهم، فتصب المجانيق، واقتتل الفريقان أشد قتال، استشهد فيه جماعة من المسلمين، وأيد الله بنصره المسلمين، حتى تمكنوا من السور وتقبوه، وأشرفوا على أخذ البلد فسأل الفرنج حينئذ الأمان، فأعطوه بعد امتناع كثير من السلطان، على أن يعطي كل رجل من الفرنج عن نفسه عشرة دنانير مصرية، سواء كان غنياً أو فقيراً، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل طفل من الذكور والإناث دينارين. ثم صولح عن الفقراء بثلاثين ألف دينار وتسلم المسلمون القدس يوم الجمعة سابع عشر رجب، وأخرج من فيه من الفرنج، وكانوا نحو الستين ألفاً، بعدما أسر منهم نحو ستة عشر ألفاً، ما بين رجل وأمرأة وصبي، وهم من لا يقدر على شراء نفسه. وقبض السلطان من مال المفاداة ثلاثمائة ألف دينار مصرية، سوى ما أخذه الأمراء، وما حصلت فيه الخيانة. والتحق من كان بالقدس من الفرنج بصور، وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس، فأتوه رجالاً وركاباً من كل جهة لزيارته، حتى كان من الجمع ما لا ينحصر، فأقيمت فيه الجمعة يوم الرابع من شعبان، وخطب القاضي محيي الدين بن الزاكي بالسواد خطبة بليغة، دعا فيها للخليفة الناصر والسلطان صلاح الدين، وانتصب بعد الصلاة زين الدين بن نجا، فوعظ الناس.

وأمر السلطان بترميم المحراب العمري القديم، وحمل منبر مليح من حلب، ونصب بالمسجد الأقصى، وأزيل ما هناك من آثار النصرانية، وغسلت الصخرة بعدة أحمال ماء ورد، وبخرت وفرشت، ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه، وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية، وأغلقت كنيسة القيامة، ثم فتحت، وقرر على من يرد إليها من الفرنج قطيعة يؤديها. وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح، وإلى سائر الأطراف. ورحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان يريد عكا، وسار العزيز عثمان إلى مصر فكان آخر العهد به. وسار العادل مع السلطان، فنزلا على عكا أول شهر رمضان، ثم رحل السلطان منها، ونزل على صور في تاسعه، وكانت حصينة، وقد استعد الفرنج فيها، فتلاحقت العساكر بالسلطان، ونصب على صور عدة من المجانيق وحاصرها، واستدعى السلطان الأسطول من مصر، فقدم عليه عشر شواني، وصار القتال في البر والبحر فأخذ الفرنج خمس شوان، ووردت مكاتبة الخليفة على السلطان، وفيها غلظة وإنكار أمور، فأجاب بالاعتذار، ورحل عن صور في آخر شوال. وعادت العساكر إلى بلادها، وأقام السلطان بعكا، وسار العادل إلى مصر، فطرق الفرنج قلعة كوكب، وقتلوا بها جماعة من المسلمين، ونهبوا ما كان بها، وأتته على عكا رسل الملوك بالتهنئة من الروم والعراق وخراسان بفتح بيت المقدس. السلوك لمعرفة دول الملوك - (ج ١ / ص ١٩).

كان أول ما قال محيي الدين بن الزاكي في مستهل خطبته بعد فتح بيت المقدس: (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين). ثم أورد تحميدات القرآن كلها، ثم قال: " الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بجهره، ومصرف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولاً بعدله، وجعل العقوبة للمتقين بفضله، وأفاض على العباد من طله وهطله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خلقه فلا ينازع، والأمر بما يشاء فلا يراجع، والحاكم بما يريد فلا يدافع، أحمده على إظهاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره، ومظهر بيت المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر إجهاره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه، وأرضى به ربه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك، ورافض الإفك، الذي أسري به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السموات العلى، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، ما زاغ البصر وما طغى، صلى الله عليه وسلم، وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصليبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك، ومكسر الأصنام، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان ". ثم ذكر الموعظة وهي مشتملة على تقبيط الحاضرين بما يسهو الله على أيديهم من فتح بيت المقدس. ابن كثير: البداية والنهاية - (ج ١٢ / ص ٢٩٧).

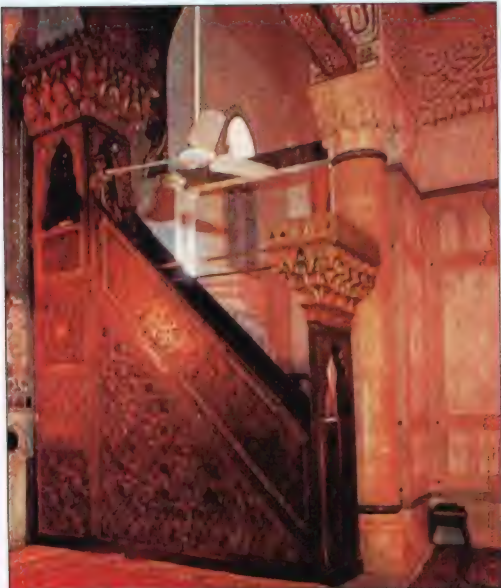


إلى بيت لحم

فتح بيت المقدس ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ



صورة بانورامية للمسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة داخل السور القديم بمدينة القدس الشريفة (فك الله أسرها)



عنبر نور الدين زنكي الذي أحضره صلاح الدين بعد الفتح



صخرة المعراج بمسجد قبة الصخرة

حصار عكا



البحر الشامي (البحر الأبيض المتوسط)

٨ رجب سنة ٥٨٥ هـ

بعد اجتماع الفلول المنهزمة من الصليبيين بمدينة صور حتى أغراها اجتماعها وكثرتها على نقض العهد الذي أعطته لصالح الدين، لهذا توجه الصليبيون إلى مدينة عكا وناصبوها الحصار، اعتماداً على قوتهم المجتمعة، وعلى الإمدادات التي ترد إليهم من أوروبا .

إمدادات صليبية من أوروبا

صالح

الدين؛ يبعث بالنفير إلى أطراف مملكته، والصليبيون تتوارد عليهم الإمدادات من أوروبا، التي ضجت لنبا فتح صالح الدين لبيت المقدس.

الدولة الأيوبية

كان السلطان صالح الدين الأيوبي، قد عانى الأحوال في حصار عكا الذي استمر أكثر من سنتين، ومع ذلك صابر الكفار كل هذه المدة قال عنه القاضي الفاضل: «وأما صبره في الجهاد، فقد رأيت به مخرج عكا وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دماطل كانت ظهرت عليه من وسطه إلى ركبتيه بحيث لا يستطيع الجلوس، ومع ذلك كله يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر يطوف على الأطلاب، ومن العصر إلى المغرب، وهو صابر على شدة الألم، وكان يقول: إذا ركب يزول عني ألمها حتى أنزل» .

الدولة الأيوبية

مناطق لاتزال تحت الاحتلال الصليبي

الدولة الأيوبية

مناطق خضعت مؤخراً للسلطان صالح الدين الأيوبي



١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ كم

الحملة الصليبية الثالثة

سنة ٥٨٥ - ٥٨٨ هـ - ١١٨٩ م - ١١٩٢ م

قادة الحملة: فريديك بربروسا (إمبراطور ألمانيا)، فيليب أغسطس (ملك فرنسا)، وريتشارد قلب الأسد (ملك إنجلترا)

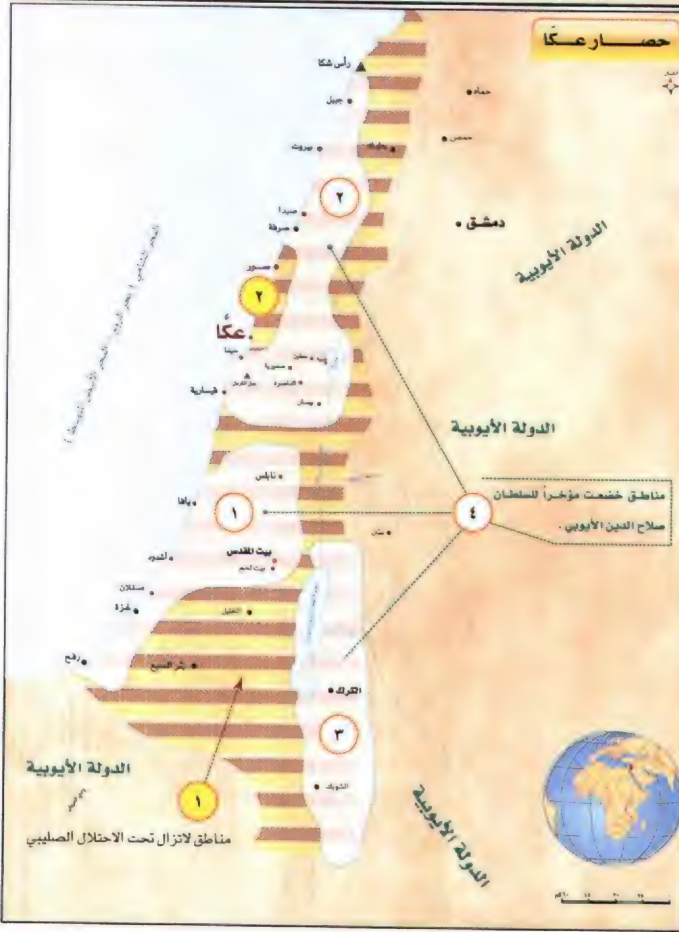
سبب الحملة ومسارها:

بينما كان الصليبيون يحاصرون مدينة **عكا** كانت ممالك أوروبا تستعد لحرب صليبية ثالثة؛ إثر الانتصارات الباهرة التي سجلها **صلاح الدين الأيوبي** ضد الإمارات الصليبية، واسترجاعه **لبيت المقدس**، وكان على رأس هذه الحملة أعظم ملوك أوروبا آنذاك، حيث سار الإمبراطور الألماني بـ ١٠٠,٠٠٠ مقاتل، مخترقاً بلاد المجر على نفس مسار الحملة الصليبية الأولى، وحينما وصلوا إلى مملكة أرمينية الصغرى ساعدهم الأرمن، وزودوهم بالموثق والعتاد؛ إلا أن فريديك غرق بنهر سالف، مما أدى إلى تشتت الجيش واضطرابه، ورجع غالبه إلى ألمانيا، أما البقية الباقية؛ فقد ركبت السفن إلى **عكا** وصور وقسم سار براً.

أما الحملتان الفرنسية والإنجليزية؛ فقد التقى الفريقان في صقلية وأقاموا فيها مدة طويلة بينما الصليبيون في **عكا** ينتظرونهم بفارغ الصبر. وإذا لم يكن الملكان على غير وفاق، فقد بارح الفرنسيون صقلية أولاً، ثم بعدهم بعشرة أيام تحرك الأسطول الإنجليزي، الذي ألقى العاصفة به على جزيرة **قبرص**، التابعة للإمبراطورية البيزنطية، فنشبت حرب بين الفريقين، انتهت باستيلاء الإنجليز على **قبرص**، ثم أبحر إلى **عكا** بعد أن استنجد به ملك بيت المقدس الذي أطلق سراحه صلاح الدين، فازداد الصليبيون قوة بمجيء ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، رغم الجهود العظيمة التي بذلها صلاح الدين وجيشه لإنقاذ **عكا**؛ لكن الصليبيين تمكنوا من دخول المدينة ورفع رايتهم الصليبية على أسوار المدينة، معلنة احتلالها واستسلامها؛ ففوجئ المسلمون وارتاعوا. واستبشر الصليبيون بذلك استبشاراً كبيراً.

كان لرجوع بيت المقدس في أيدي المسلمين رد فعل جنوني في أوروبا، فقد قام بطريك القدس الذي تركه صلاح الدين يرحل؛ بالطواف في بلاد أوروبا (الفرنجية) ومعه صورة رجل عربي يضرب المسيح عليه السلام ليحثهم على الأخذ بالتأثر لبیت المقدس، وقام البابا كليمنت الثالث بالتبشير بحرب صليبية وهي ما عرفت بالحرب الصليبية الثالثة.





الدولة الأيوبية

الجيش الفرنسي

وقال **الصليبيون**: لا نسمح لأحد أن يخرج؛ إلا أن تسلّموا لنا جميع الأموال، وتخرجوا بأنفسكم فقط، على أن يقوم السلطان صلاح الدين بدفع مائتي ألف دينار؛ فسلمها صلاح الدين حفاظاً على المسلمين. لكن ريتشارد كما أسلفنا غدر وذبح الرهائن، فتأدى صلاح الدين في حكام المسلمين بالمساعدة قبل أن تسقط فلسطين مرة ثانية بأيدي الصليبيين؟، ولكنه لم يتلق ردّاً من حكام المسلمين آنذاك إلا من **حاكم تركماني مسلم** وعد بإرسال جيشه.



مدينة عكا من الفضاء الخارجي

البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم)

المدينة القديمة



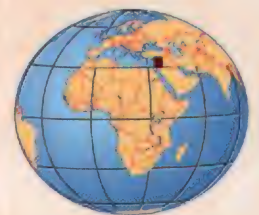
عكا ("عكاكو" باللاتينية "acre") مدينة عربية فلسطينية داخل الخط الأخضر تديرها السلطات اليهودية المنتصبة، تقع على ساحل البحر المتوسط غربي منطقة الخليل، وهي من أقدم مدن فلسطين التاريخية. تقع المدينة على بعد ١٧٢ كيلومترا تقريبا شمال غربي القدس. في عكا يوجد مركز ومعبد لأبناء الديانة البهائية الذي يعتبر من أهم المعابد البهائية إلى جانب المعبد الموجود في مدينة حيفا. تعتبر عكا مقفاح فلسطين لمكانتها الاستراتيجية، فهي بدأت كميناء كنعاني، وعرفت عكا بصناعة الزجاج والأصيف الأرجواني الملوكية، احتلها وحكمها سلسلة طويلة من العزاة الصليبيين واشتهرت بصيدها نابليون بونابرت حينما هاجم أسوارها إبان الحملة الفرنسية، وأظهر في أبنية عكا فنون معمارية متعقدة كالعمارة الميديية والصليبية والعثمانية، كما تهيمن بعمارة جامع الجوار الذي شيد من أعمدة رخامية قديمة، أما المدينة القديمة فقد دار الصليبيون بيوتها.



جزء من سور عكا الشهير

الدولة الأيوبية

سيطر عليها **الصليبيون** في العصور الوسطى ، حينما أمر **ريتشارد قلب الأسد** ، الزحف نحوها بعد سقوط عكا ، حيث دخلها الصليبيون بكل يسر وسهولة لعدم وجود تحصينات دفاعية كمعكا ، توجهت جحافل الصليبيين لاحتلال بعض المدن الفلسطينية كما سيتضح لنا في الصفحات القادمة إن شاء الله تعالى .



بمعنى شاطئ، أو الحيفة بمعنى الناحية.

أربد

● عمان

- بيت المقدس
- بيت لحم

بعضيرة لوط

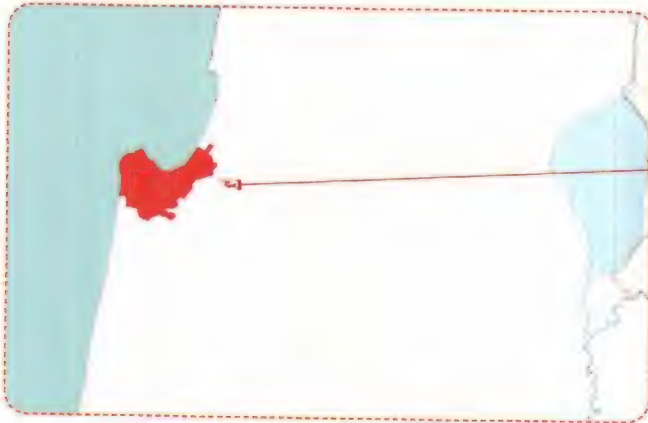
● الكرك

البحر الشمالي (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)

RS1.. Y0 0 Y0

مدينة حيفا من الفضاء الخارجي

البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم، البحر الشامي)



حَيْفَاءُ: كَأَنَّهُ تَأْنِيثٌ؛ ... وحيفا، غير ممدود: حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، ولم يزل في أيدي المسلمين إلى أن تغلب عليه كنفري الذي ملك بيت المقدس في سنة ٤٩٤، وبقي في أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٧٣ وخرَّبَه؛ وفي تاريخ دمشق: إبراهيم بن محمد بن عبد الرزاق أبو طاهر الحافظ الحيفي من أهل قصر حَيْفَة، سمع بأطرابلس أبا يوسف عبد السلام ابن محمد بن يوسف القزويني وأبا الوفاء سعد بن علي بن محمد بن أحمد النَّسَوِي، وحدث بصور سنة ٤٨٦، سمع منه غَيْث بن علي وأبو الفضل أحمد بن الحسين ابن نَبْت الكامل؛ هكذا في كتابه قصر حيفة، بالهاء، وأنا أحسبه المذكور قبله، الحموي، معجم البلدان،

معركة أرسوف وسقوط اللد والرملة

أصبحت **عكا** بعد أن استردها الصليبيون أهم مركز لدولة **الفرنجة** في الشرق وحلت محل بيت المقدس في الزعامة على المدن الصليبية الأخرى. وانضم إليها **حيفا** و**قيسارية**، وكان من المحتمل أن يكسب الصليبيون انتصارات أخرى مهمة على المسلمين ولكن سرعان ما دب ديب الشقاق بينهم ورجع **ملك فرنسا** إلى بلاده وبقي (ريتشارد) الذي استولى على مدينتي **أرسوف** بعد معركة حامية الوطيس آل فيها النصر إلى ريتشارد، ثم **مدينة يافا** وعزم على استرداد **بيت المقدس** فوجه **صلاح الدين** همته إلى تحصين المدينة، والدفاع عنها، ورأى أنه من الخير الاحتفاظ بالمدن الداخلية ريثما تتاح له فرصة تكوين أسطول بحري كبير يحمي به المدن الساحلية. وأخيراً وتحت تأثير الرغبة الملحة في العودة إلى بلاده اضطر ريتشارد إلى التنازل عن بعض شروطه، فتم عقد **صلح الرملة** في ٢ سبتمبر سنة ١١٩٢م، الموافق لسنة ٥٨٨هـ، وهو الصلح الذي نص على أن يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من **صور** إلى **يافا**، بما فيها **قيسارية** و**حيفا** و**أرسوف**؛ أما **عسقلان** فتكون للمسلمين في حين تكون **الرملة** و**اللد** مناصفة بين المسلمين والصليبيين. وفرض **صلاح الدين** دخول بلاد الإسماعيلية (الباطنية)، واشترط الصليبيون دخول صاحب إنطاكية وطرابلس في الصلح، ورضي **الاسبتارية** و**الداوية**، وسائر مقدمي الإفرنجية بذلك.

أما الأماكن المقدسة، فقد ظلت في أيدي المسلمين، على أن يكون للنصارى حرية الحج إلى بيت المقدس دون مطالبتهم بدفع أي ضريبة. وقد اتفق على أن تكون مدة الصلح ثلاث سنوات وثلاثة أشهر، وناب عن الملك ريتشارد في التوقيع على الاتفاقية هنري دي شامبني وباليان الثاني دي أبلين وأونفروي الرابع دي تورون، في حين مثل الجانب الإسلامي: الملك الأفضل والملك الظاهر ابنا صلاح الدين، وأخوه الملك العادل وبعض الأمراء الأيوبيين الآخرين.

بين صلاح الدين وريتشارد

لم يلبث ريتشارد أن اعتراه المرض في يافا، فأبت شهامة صلاح الدين إلا أن يقدم له كل معونة ممكنة في مرضه. من ذلك ما تذكره المراجع من أن الأطباء وصفوا لريتشارد الفاكهة والتلج، فأخذت رسله تتردد على صلاح الدين الذي لم يرض على خصمه بكل ما طلبه، فكانت "رسل ريتشارد لا تنقطع في طلب الفاكهة والتلج، وأوقع عليه في مرضه شهوى الكمثرى والخوخ، وكان السلطان يعمد بذلك..". ويبدو أن هذا السلوك من جانب صلاح الدين كان له أثره الطيب في نفس ريتشارد، فقال لأحد أمراء المسلمين: "سلم على السلطان وقل له: بالله عليك أجب سؤالي في الصلح، فهذا الأمر لا بد له من آخر، وقد هلكت بلادنا وراء البحر، وما في دوام هذا مصلحة لنا ولا لكم!". والواقع أن ريتشارد كان لا يستطيع العودة إلى بلاده تاركاً الموقف معلقاً في بلاد الشام بين المسلمين والصليبيين.

الوضع السياسي بعد صلح الرملة



وفاة القائد الإسلامي الكردي (صلاح الدين الأيوبي) رحمه الله تعالى

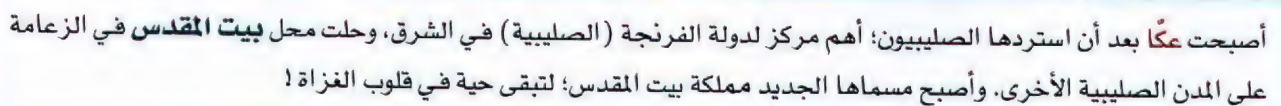
كان **صلاح الرملة** قاطعاً لسلسلة الحروب التي شنها صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين، التي اكتسب بها شهرة كبيرة، ومجداً ما زال المسلمون يتذكرون أمجاده، وقبل هذه الحروب كان المسلمون لا يملكون شيئاً غربي نهر الأردن، وإذا بنتيجة هذه الحروب تفصح عن استرجاع **بيت المقدس** إلى حظيرة الإسلام، واستيلاء المسلمين على الأراضي المحصورة بين نهر العاصي والأردن وبين البحر الأبيض المتوسط، ما عدا أجزاء ساحلية قليلة بقيت لإمارة أنطاكية وإمارة طرابلس و**مملكة بيت المقدس الجديدة (عكا)**.

بعد صلح الرملة سار صلاح الدين إلى بيت المقدس وأمر بإجراء عدة إصلاحات وتنظيمات. ثم سار إلى دمشق فوصلها في ٢٥ شوال سنة ٥٨٨ هـ، ولم يعمر طويلاً بعد الصلح، فقد وافاه الأجل المحتوم وهو بدمشق الفيحاء فأسلم الروح لبارئها في **٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ**، وفارق الحياة بعد أن أدى رسالته على الصورة الكاملة، وقد أوصى ابنه الملك الأفضل بوصية عظيمة قبل ذلك.

لقد اشتدت الضائقة على قلب كل مسلم؛ بسماع نبأ وفاة القائد الرباني صلاح الدين الأيوبي، ثم توارث أسرته حكم الدولة الجهادية التي أنشأها، حيث خرج صلاح الدين من الدنيا ولم يأخذ معه إلا الكفن، والذكر الحسن لكن ترك وراءه راية الجهاد ضد الصليبيين المفتصبين، حيث استطاعت أسرته أن تسير على خطاه وتتهج طريقه في هذا العمل الإسلامي العظيم، وهو الذب عن الدين والأعراض، والتصدي لأي هجوم صليبي في الشام ومصر وكان آخر أبطالهم الكبار في هذا الصدد (توران شاه بن السلطان الصالح أيوب)؛ الذي أظهر بطولة نادرة في حربه مع لويس التاسع ملك فرنسا، وتغلب عليه وأسره مع كثير من أمراء دولته وجنده وقتل منهم سبعة آلاف في المعركة.



عملة نقدية ليوסף صلاح الدين الأيوبي؛ سكّت بعد نصر حطين سنة ٥٨٣ هـ





تعود أهمية قلعة عجلون (الربض) أو صلاح الدين الأيوبي، في الذاكرة الإسلامية إلى دورها الكبير في أثناء الحروب الصليبية، قال توبتات: "من قلعة عجلون هزم الناصر صلاح الدين الأيوبي جيوش الصليبيين بحروب استمرت ثمانية أعوام واجه خلالها ٢٢ ملكاً أوروبياً ومنهم: فريدريك الألماني، وريتشارد قلب الأسد الإنجليزي، خاض ضدهم ٧٤ معركة، وحرر أكثر من خمسين مدينة وقلعة مفتتحة، قبل أن يهاجمه الموت عن ٥٧ عاماً".

تعد قلعة عجلون التاريخية التي تعرف بقلعة الربض أو قلعة صلاح الدين، أحد المعالم الأثرية المهمة في الأردن، واشتقت القلعة الواقعة في مدينة عجلون (٧٥ كلم شمال العاصمة عمّان) اسم الربض من موقعها كونها "ربض" على ظهر تل شاهق الارتفاع عرف باسم جبل عوف نسبة إلى بني عوف الذين أقامت عشيرة منهم في الجبل أيام العبيدين، واستمدت القلعة اسمها الثاني قلعة (صلاح الدين) من القائد الإسلامي الرباني صلاح الدين الأيوبي، الذي اتخذها نقطة انطلاق لجيوشه المتوجهة صوب مدينة القدس، ووفق المصادر التاريخية المؤتقة شيد القلعة التي ترتفع ١٠٢٢ متراً عن سطح البحر، القائد الأيوبي عز الدين أسامة بن منقذ أحد القادة البارزين الذين خاضوا الحروب إلى جانب القائد صلاح الدين الأيوبي عام ١١٤٨م، الذي اتخذها قاعدة في حملته العسكرية لطرد الصليبيين في وجه قلعة بيلقوار التي شيدها الصليبيون قرب بحيرة طبريا في فلسطين؛ وذلك بسبب موقع قلعة الربض الإستراتيجي لسيطرتها على طرق المواصلات بين سورية وجنوب الأردن، وكان الهدف من إقامة قلعة صلاح الدين في هذه المنطقة الجبلية المطلة من جميع الجهات حماية المنطقة من الزحف الصليبي والحفاظ على خطوط المواصلات وطرق الحج بين الشام والحجاز؛ لأنها تشرف على وادي الأردن وسهول حوران في الشمال وتطلّ لموقعها المرتفع فقد استعملت عبر تاريخها مركزاً للحمام الزاجل ومنازة لنقل الأخبار والبريد من حدود الفرات إلى القاهرة.



حارسان للقلعة بلباس عسكري تاريخي يعود إلى العهد الأيوبي



قلعة عجلون (بالإنجليزية: Ajlun Castle) وتسمى قلعة الربيض، وتعرف كذلك بقلعة صلاح الدين. هي قلعة تقع في عجلون بالأردن



إحدى قاعات القلعة الداخلية

ضلت **قلعة عجلون** محط اهتمام السلاطين والأمراء والملوك في العصور الأيوبية والمملوكية وكذلك العثمانية، يتضح ذلك من النقوش والكتابات الأثرية التي تسجل على القلعة وتشير إلى هؤلاء الحكام.

ولقد لعبت القلعة في أوقات السلم دوراً هاماً في المنطقة، إذ أنها كانت مقراً للحكم والقضاء وكان يبعد فيها الشعراء والكتاب، فتشير المصادر العربية القديمة إن مسابقات كانت تجري بين الشعراء في داخل القلعة، ومن هؤلاء الشعراء محمود ابن طه العجلوني، ويحيى بن خضير السلمي البصري، ومحمد ابن سليمان، وظاهر المارداني، وسعد الدين بن المياز العجلوني، وعلاء الدين بن غانم.

كانت القلعة تستخدم كمحطة للحمام الزاجل وكان هذا الحمام يخرج من القاهرة إلى غزة إلى جنين ثم إلى قلعة الربيض ومنها إلى أريد ثم إلى دمشق. وكان هذا الخط البريدي على قدر كبير من الانتظام والسرعة في نقل الأخبار بين أجزاء المملكة الواسعة الأرجاء المترامية الأطراف.

وكانت القلعة بمن يقيم فيها من جنود مصدر خير للمنطقة، فكانت تقام بالقرب منها الأسواق وتنشط حولها مختلف المبادلات التجارية.

معركة الأرك ٩ شعبان ٥٩١ هـ - ١٨ يوليو ١١٩٤ م

تولى أبو يوسف **يعقوب بن يوسف** بن عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي **خلافة الموحدين** بعد استشهاد أبيه مجاهداً ضد النصارى في الأندلس، وذلك في جمادى الأولى سنة ٥٨٠ هـ. وانشغل بإخماد الثورات التي قامت ضده في إفريقية، حتى كتب ألفونسو السادس خطاباً يدعوه فيه إلى القتال سخرية واستهانة بالمسلمين، فلما قرأ أبو يوسف الخطاب كتب على ظهر رقعة منه: ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون﴾ الجواب ما ترى لا ما تسمع. واشتد حنق أبي يوسف، وأمر بالتأهب للحرب في الأندلس، وأن يذاع الخطاب في جنود الموحدين ليثير غيرتهم، فثار الناس للجهاد ودوت صيحة الجهاد في جميع أنحاء المغرب ضد النصارى، وسير قواته إلى الأندلس، وعبر إلى الجزيرة الخضراء في ٢٠/٧/٥٩١ هـ، ولم يسترح بها إلا قليلاً، ثم بادر بالسير إلى قشتالة، ولكنه لما علم أن ملك قشتالة قد حشد قواه شمال **قلعة رباح** على مقربة من قلعة الأرك - الأرك نقطة الحدود بين قشتالة والأندلس في حينه - اتجه بجيشه إلى ذلك المكان، ولما وصل إلى قيد مسيرة يومين من جيش النصارى ضرب معسكره وعقد مجلساً من القادة والأشياخ للبحث في خطط المعركة. مرت أيام عديدة لم يقع فيها اشتباك، وسأل أبو يوسف مجلسه الاستشاري عن الخطة المناسبة، وطلب رأي أبي عبد الله بن صناديد الذي كان من أعقل وأخبر زعماء الأندلس بمكائد الحروب، الذي كان من آرائه أن توضع خطة موحدة لتسيير دفعة الحرب، وأن يجب اختيار قائد عام للجيش كله فاختر أبو يوسف كبير وزرائه أبا يحيى بن أبي حفص الذي امتاز بالفطنة والشجاعة. وأن يتولى قيادة الأندلسيين زعماءؤهم حتى لا تضعف حماستهم حينما يتولى الأجانب قيادتهم، وأن يتولى الأندلسيون والموحدون لقاء العدو ومواجهة هجومه الأول، وأما بقية الجيش المكون من قبائل البربر غير النظاميين وجمهرة كبيرة من المجاهدين والمحاربين فإنهم يكونون قوة احتياطية تقوم بالعون والإمداد، وأما أبو يوسف المنصور فيستطيع بحرسه أن يرجح كفة الموقعة كلها، ويجب أن يربط بقواته وراء التلال على مسافة قريبة منا، ثم ينقض فجأة على العدو، كل هذه الآراء أبداه الزعيم الأندلسي ووافق عليها أبو يوسف المنصور وأمر بتنفيذها.

وحشد ألفونسو قوات هائلة من مملكته، وقدم إليه فرسان قلعة رباح، وفرسان الداوية، واستطاع أن يحشد مائة ألف مقاتل في رواية، وأكثر عدد ذكرته الروايات ثلاثمائة ألف مقاتل، ومع ذلك طلب مساعدة ملكي ليون ونافار النصرانيين اللذين جمعوا حشوداً ولكنهما تباطأ في المجيء للمساعدة.

وفي ٩ شعبان ٥٩١ هـ كانت موقعة الأرك الفاصلة، وأعد أبو يوسف المنصور جيشه الذي يساوي عدد الأغلب

عدد جيش النصارى ، فاحتل الموحدون القلب، واحتل الجناح الأيسر الجند العرب - أعقاب فاتحي المغرب المسلمين - ، ومعهم بعض القبائل الأمازيغية تحت ألويتهم الخاصة، واحتل الجناح الأيمن قوى الأندلس بقيادة عبد الله بن صناديد، وتولى **أبويوسف** قيادة القوة الاحتياطية مكونة من صفوة الجند ومن الحرس الملكي، ودفعت صفوف المتطوعين، ومعظمها مكون من الجنود الخفيفة إلى المقدمة لتفتتح القتال.

وقام خطيب وحرص المؤمنين على الجهاد وفضله ومكانته، وأخذت الناس مواقعهم، ونظم ملك قشتالة جنده، وكانت قلعة الأرك تحمي موقعه من جانب، وتحميه من الجانب الآخر بعض التلال، ولا يمكن الوصول إليه إلا بواسطة طرق ضيقة وعرة، وكان الجيش القشتالي يحتل موقعاً عالياً، وكانت هذه ميزة له في بدء القتال.

ولما تقدمت صفوف المسلمين المهاجمة إلى سفح التل الذي يحتله ملك قشتالة، واندفعت إليه تحاول اقتحامه، انقض زهاء سبعة آلاف أو ثمانية آلاف من الفرسان القشتاليين كالسيل المندفع من عال، فتحزح قوم من المطوعة، فصعد غبارها في الجو، فقال أبويوسف المنصور لخاصته: جددوا نياتكم وأحضروا قلوبكم، ثم تحرك وحده، وسار منفرداً، ومر على القبائل والصفوف، وحثهم على الثبات. لقد رد المسلمون هجمات القشتاليين مرتين، ولكن العرب والبربر استنفدوا جميع قواهم لرد هذا الهجوم العنيف، وعززت قوات القشتاليين بقوى جديدة وهجموا للمرة الثالثة، وضاعفوا جهودهم، واقتحموا صفوف المسلمين وفرقوها، وقتلوا قسماً منها، وأرغم الباقون على التراجع، واستشهد آلاف من المسلمين في تلك الصدمة، منهم القائد العام أبويحيى بن أبي حفص، الذي سقط وهو يقاتل بمنتهى البسالة.

واعتقد النصارى أن النصر قد لاح لهم بعد أن حطموا قلب جيش الموحيدين، ولكن الأندلسيين وبعض بطون زناته، وهم الذين يكونون الجناح الأيمن، هجموا عندئذ بقيادة أبي عبد الله بن صناديد على قلب الجيش القشتالي، وقد أضعفه تقدم الفرسان القشتاليين، وكان يتولى قيادته ملك قشتالة نفسه، يحيط به عشرة آلاف فارس فقط، منهم فرسان الداوية وفرسان قلعة رباح، فلقى ألفونسو المسلمين بقيادة ابن صناديد دون وجل، ونشبت بين الفريقين معركة حامية استمرت سويعات، واستبدل النقص في العدد بالإقدام والشجاعة، حتى إنه لما زحف زعيم الموحيدين في حرسه وقواته الاحتياطية، ورد تقدم الفرسان القشتاليين، واضطروهم إلى الفرار في غير انتظام، لم يغادر ألفونسو وفرسانه العشرة آلاف مكانهم في القلب، ذلك لأنهم أقسموا جميعاً بأن يموتوا ولا يتقهقروا، فاستمرت المعركة على اضطرامها المروع، والفريقان يقتتلان.



معركة الأرك: من المعارك الأندلسية الحاسمة التي وقعت بين **الموحدين** بقيادة يعقوب المنصور وبين **النصارى** بقيادة (ألفونسو الثامن) ملك قشتالة وذلك في شهر شعبان سنة ٥٩١ هـ، وقد تمكن الموحدون من إحراز نصر كبير على أعدائهم النصارى فقتلوا منهم ما يربو على ثلاثين ألفاً، كما أسروا وغنموا الكثير، وقد وقعت تلك المعركة قرب حصن الأرك غرب قلعة رباح فنسبت إليه.

مع بداية المعركة أيقن **الموحدون** بالنصر حينما انحصرت المقاومة في فلول من النصارى التفتت حول ملك قشتالة، وهجم أمير الموحدين في مقدمة جيشه لكي يجهز على هذه البقية، أو يلجئها إلى الفرار، فنفذ إلى قلب الفرسان النصارى.



ولم يشأ ألفونسو بالرغم من اشتداد ضغط المسلمين عليه من كل صوب، ومواجهته لخطر الهلاك، أن ينقذ نفسه بالفرار، وأن يتحمل عار الهزيمة، وتساقط معظم الفرسان النصارى حول ملكهم مخلصين لعهدهم، ولكن بقية قليلة منهم استطاعت أن تنجو وأن تقتاد الملك بعيداً عن الميدان، وأن تنقذ بذلك حياته.

وانتهى يوم الأرك بهزيمة النصارى على نحو مروع، وسقط منهم في القتال ثلاثون ألف قتيل، وأسرروا عشرين ألفاً، وغنم المسلمون معسكر الأسبان بجميع ما فيه من المتاع والمال، واقتحموا عقب المعركة حصن الأرك، وقلعة رباح المنيعتين.



ساحة معركة الأرك حيث كان يوم «الأرك» من الأيام العظيمة لدولة الإسلام بالأندلس. أعادت ذكرى الزلافة وانتصارات «الحاجب المنصور»، والجدير بالذكر أن «ألفونسو الثامن» من شدة غروره وثقته بالنصر، قد اصطحب معه في جيشه مجموعة من التجار اليهود بأموالهم لشراء أسرى المسلمين، فصاروا هم وأموالهم غنيمة للمسلمين.



« توري ديل أورو » باللغة الإسبانية "برج الذهب" وهو برج مراقبة عسكري في إشبيلية بني خلال سلالة الموحدين في الثلث الأول من القرن ١٣ م .

برج الذهب : من معالم إشبيلية الباقية. فقد بنى وشيّد سورہ الأماميّ الحاكم أبو العلا إدريس عام ١٢٢٣م، وحفرَ حوله خندقاً ومدّ منه سوراً قليل الارتفاع إلى نهر الوادي الكبير بيرج ضخّم كبير الأضلاع هو برج الذهب القائم حتى اليوم. وفي مقابل هذا البرج بيرج مماثل له على الشاطئ القريب من المدينة، تربط بينهما سلسلة حديدية ضخمة تمنع السفن من المرور ليلاً في نهر الوادي الكبير حماية للمدينة من التسلل إليه عبر النهر.





منارة المسجد الجامع بالقصبة ، الخيرا لدة ، الذي أسسه " أبو يعقوب يوسف " ، وعليه تقوم اليوم كاتدرائية إشبيلية . لما خلفه ابنه أبو يوسف يعقوب أمر والي إشبيلية بالإشراف على إتمام مشروع أبيه وإكمال بناء منارة تجاوز في ارتفاعها منارة قرطبة ، ولم تتم المنارة إلا بعد انتصار أبي يوسف يعقوب المنصور على جيوش قشتالة في موقعة الأرك في ١٠ يوليو عام ١١٩٥م / ٥٩١ هـ . وارتفعت المنارة في رشاقة مشرفة على سهل إشبيلية .

دولة بني مرين ٦١٤-٨٧٥هـ/١٢١٧-١٤٧٠م

المرينيون، أو بنو مرين سلالة أمازيغية حكمت بلاد المغرب الأقصى وأجزاء من المغرب الأوسط، وسيطرت على مقدراته **نحو قرنين ونيف** بعد أن قضت على سلطة الموحدين فيه.

ينحدر بنو مرين من بني واسين أحد بطون زناتة وجدهم الأعلى جرماط بن مرين؛ وإليه ينسبون. أما مؤسس دولتهم فهو أبو محمد عبد الحق ابن أبي خالد محيي (محيو) المريني الذي انتخب رئيساً لبني مرين بعد أبيه المتوفى سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م. كان المرينيون قد استوطنوا الأجزاء الشرقية من المغرب الحالي منذ منتصف القرن السادس للهجرة/الثاني عشر الميلادي.

بعد وفاة الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة ٦١٠هـ اختلت أمورهم، واغتتم المرينيون الوضع، فغادروا القفار، وتفرقوا في جهات المغرب الأقصى، فاكتسحوا بسائطه. وحاول الموحدون ردهم وإخضاعهم، فصمدوا لهم في بلاد الريف، وهزموهم هزيمة منكرة. غير أن بني عسكر انفضوا عن أبناء عموماتهم، وانضموا إلى الموحدين، وتحالفوا عليهم مع بني عبد الواد وأكثر قبائل زناتة والقبائل العربية في المنطقة^(١).

وقتل عبد الحق سنة ٦١٤هـ، **وتولى الزعامة ابنه عثمان** الذي نجح في بسط سيطرته على قسم كبير من المغرب، وتوحيد زناتة كلها تحت لوائه، وإخضاع القبائل العربية، ومات غيلة سنة ٦٢٧هـ، وقام بالأمر من بعده أخوه عبد الحق، فسار على نهجه، وتابع إخضاع المتمردين ومناهضة الموحدين يقطع من أملاكهم جزءاً بعد جزء. ولإضفاء الشرعية على سلطته أمر بالدعوة للحفصيين في تونس وممالأتهم نكاية بالموحدين من بني عبد المؤمن حكام المغرب. وفي عام ٦٤٢هـ دارت معركة حاسمة بين الموحدين بقيادة الخليفة السعيد علي بن المأمون وبين المرينيين كانت الدائرة فيها على بني مرين، فانقلبوا إلى الصحراء، وقتل عبد الحق وابنه محمد، وتولى زعامتهم أخوه أبو بكر بن عبد الحق المكنى بأبي يحيى الذي تمكن من الاستيلاء على مكناس سنة ٦٤٢هـ، ثم على فاس سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، واتخذها حاضرة له، كما استولى على سلا وسجلماسة سنة ٦٥٢هـ. وأصبح المغرب كله مقسماً بين المرينيين في المغرب الأقصى (فاس) وبني عبد الواد (الزيانيون) في المغرب الأوسط (تلمسان) والحفصيين في إفريقية (تونس).

توفي أبو يحيى سنة ٦٥٦هـ، وخلفه أخوه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق ابن محيو، وأطاعته بلاد المغرب كلها، وسار على نهج أخيه في إخضاع ما بقي من بلاد المغرب، وهاجمه بنو عبد الواد، فظفر بهم^(٢).



بعد أقول **دولة الموحدين** تعاقبت على بلاد المغرب الإسلامي ثلاث دول هي: دولة **بني حفص** شرقاً، ودولة **بني مرين** غرباً ودولة **بني زيان** بالأوسط، وتلاشى المذهب الشيعي الإسماعيلي من المنطقة الذي دعت إليه الدولة العبيدية، بينما هيم المذهب السني المالكي على الشمال الإفريقي وبلاد الأندلس وحافظ المذهب الإباضي على وجوده في تاهرت وسجلماسة وجربة وجبل نفوسة وغرداية أيام بني يزغن.

دولة الأشراف بني قتادة (خلال العصر العباسي) من سنة ٥٩٧ - ٦٥٦ هـ / ١٢٠٠ - ١٢٥٨ م

قال البلادي^(١): تقدم معنا انقراض دولة الهواشم سنة (٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م)، وذلك باستيلاء **قتادة ابن إدريس على مكة**، قيل بواسطة ابنه عزيز، وقيل بواسطة ابنه حنظلة، وقيل: بل هجم هو عليها فلم يشعروا إلا وهو معهم، و**قتادة بن إدريس** بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -، يُكنى أبا عزيز الينبعي المكي. ويقال له: نابغة بني حسن، **صاحب مكة وينبع**، وغير ذلك من بلاد الحجاز. وهو **جد الأشراف القتاديين** أو أشراف الحجاز (مجازاً) إذ إن معظم أشراف الحجاز اليوم من عقبه إلا بضع أسر، وظل بنوه يتوارثون أمر الحجاز إلى سنة (١٢٤٤ هـ)، أما **إخوانهم الحسينيون** فقد كانوا **يستقلون بالمدينة** مدداً محددة.

ولي قتادة مكة عشرين سنة أو نحوها، على الخلاف في مبدأ ولايته بمكة، وكان هو وأهله مستوطنين نهر العلقمية من وادي ينبع، وصارت له على قومه الرئاسة فجمعهم وأركبهم الخيل، وحارب الأشراف بني حراب، من ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، وبني علي، وبني أحمد، وبني إبراهيم، ثم إنه استألف بني أحمد، وبني إبراهيم، وذلك أيضاً بعد ملكه لوادي الصّفراء، وإخراجه لبني يحيى منه، وكان سبب طمعه في إمرة مكة، على ما بلغني، ما بلغه من انهماك أمرائها **الهواشم بني فليته** على اللهو، وتبسطهم في الظلم، وإعراضهم عن صونها ممن يريدونها بسوء، اغتراراً منهم بما هم فيه من العز والتعسف لمن عارضهم في مرادهم، وإن كان ظلاماً أو غيره، فتوحش عليهم لذلك خواطر جماعة من قوادهم، ولما عرف ذلك منهم قتادة، استمالهم إليه، وسألهم المساعدة على ما يروونه من الاستيلاء على مكة، وجرأه على المسير إليها مع ما في نفسه، وقيل: إن بعض الناس، فزع إليه مستغيثاً به في ظلامه ظلّمها بمكة، فوعده بالنصر، وتجهّز إلى مكة في جماعة من قومه، فما شعر به أهل مكة، إلا وهو بها معهم، **وولاتهم على ما هم فيه من الانهماك في اللهو**، فلم يكن لهم بمقاومته طاقة، فملكها دونهم، وقيل إنه لم يأت إليها بنفسه في ابتداء ملكه لها، وإنما أرسل إليها ابنه حنظلة فملكها، وخرج منها أكثر بن عيسى بن فليته إلى **نخلة**، ذكره ابن محفوظ، وذكر أن في سنة ستمائة، وصل محمد بن أكثر، وتقاتلوا عند المتكا، وتمّت البلاد لقتادة، وجاء إليها بنفسه بعد ولده حنظلة^(٢).

٢، ١ - عاتق بن غيث البلادي، الإشراف على تاريخ الأشراف، موقع أشراف الحجاز بالمملكة العربية السعودية.

الطبقة الرابعة: الأشراف القتاديون في الحجاز



الحملة الصليبية الرابعة

سنة ٥٩٩.٦٠٥ هـ - ١٢٠١.١٢٠٤ م

قادة الحملة: مجموعة من الإقطاعيين الفرنسيين بقيادة بلدوين تيبو الثالث وبونيفاس دي مونتينسرات

سبب الحملة ومسارها:

تعد هذه الحملة نتيجة مباشرة لوفاة **صلاح الدين** - رحمه الله - في شهر صفر سنة ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م. فمُنذ وفاته دعا البابا **أنوست الثالث** إلى حرب صليبية ضمن خطة وضعها للكنيسة على رأسها مشروع محو آثار حروب صلاح الدين في الشرق واغتصاب بيت المقدس من المسلمين. فدعا في منتصف سنة ١١٩٨ م - ٥٩٤ هـ إلى حملة صليبية رابعة، واستجاب له عدد من الأمراء وتولى قيادتها عدد من البارونات الفرنسيين والفلمنكيين وإن كانت الغلبة للعنصر الفرنسي. وبعد مداولات بين أمراء الحملة وقوادها رأوا أن يتجهوا بها إلى مهاجمة **مصر** أولاً ثم بيت المقدس بعد ذلك.

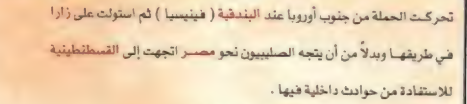
وبدأت الاستعدادات بالتعاون مع **فينيسيا (البندقية)** لتمدهم بالسفن، واحتشد **الصليبيون** في **البندقية** في صيف ١٢٠٢ م - ٥٩٩ هـ، غير أن البنادقة اشترطوا على الصليبيين ثمناً لهذا التعاون أن يهاجموا مدينة **(زارا)** ويستردوها من ملك هنغاريا (المجر)، واستجاب الصليبيون لذلك، على الرغم من غضب البابا وإصداره قرار الحرمان ضد الحملة كلها ثم قصره على البنادقة أخيراً.

وبينما الصليبيون يستعدون للاتجاه نحو مصر؛ إذا بثورة تشب في القسطنطينية تطيح بالإمبراطور إسحق الثاني، فيفر ابنه الكيسوس إلى الغرب طالباً المساعدة من البابا ومن الصليبيين عارضاً في مقابل ذلك إخضاع الكنيسة الشرقية للبابوية ومساعدة الصليبيين في حملتهم ضد **مصر الأيوبية**.

وصادف ذلك هوى في نفس البابا، ومصلحة لدى البنادقة، وتشفياً من الصليبيين في الدولة البيزنطية. فاتجهت جموع الصليبيين إلى **القسطنطينية** واستولت عليها ١٢٠٤ م، وقاموا بتخريبها والعدوان على أهلها، حتى تمنى بعض البيزنطيين أن لو كانت القسطنطينية قد وقعت في أيدي المسلمين، وقد أحرق الصليبيون بعض الكنائس **والجامع القديم الذي بني في عهد بني أمية** وقاموا بسلب المدينة. واستولت الكنيسة الكاثوليكية على الكنيسة الأرثوذكسية ورأسها أول كاثوليكي منذ إنشائها.

ولقد كان من نتائج هذه الحملة؛ أن فترت همة المحاربين في الحروب الصليبية التالية، لاستيقان الناس بأنها غارات بربرية وليست حروباً دينية، كما زعمت الكنيسة.

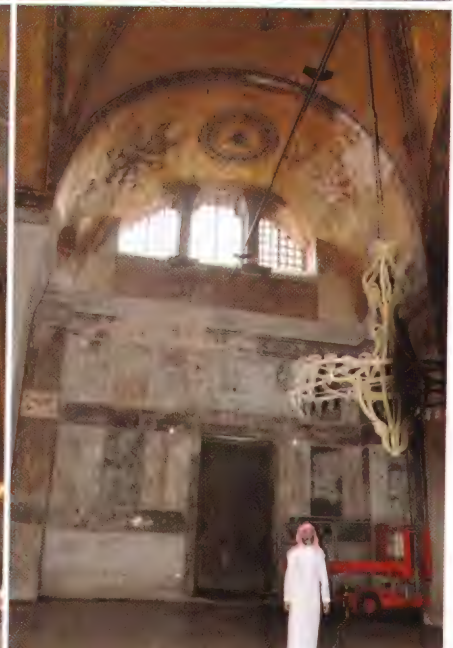
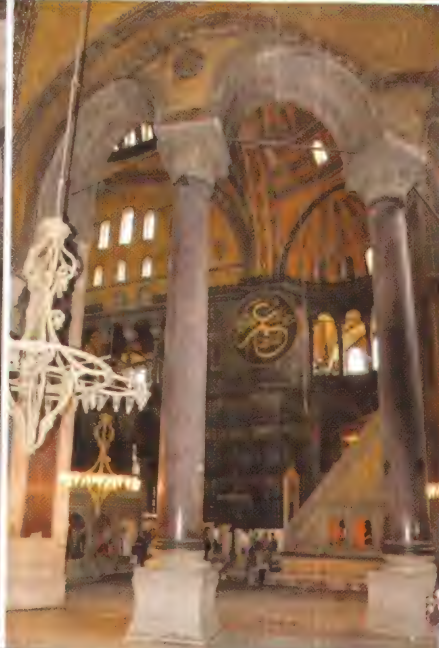
بيد أن هذه الحملة عمقت هوة الخلاف بين نصارى الشرق ونصارى الغرب، وجعلت الطريق البري إلى



كما أغرت هذه الحملة كثيرين من فرسان الصليبيين في الشام، إلى أن يتركوا الشام ومتاعبه، ويتجهوا إلى قبرص أو البلقان ليهنأوا بحياة مستقرة.

لذلك قرر أحد مؤرخي الحروب الصليبية: ((أن الحملة الصليبية الرابعة جاءت نذيراً بفشل الحركة الصليبية بأكملها)).





لقطة داخلية للقبة والأروقة ويظهر بها الزخارف الإسلامية التي صنعت في أثناء الوجود العثماني فيها، ويرى المؤلف في الصورة الأولى.

اضطراب الوضع بعد الحملة الصليبية الرابعة

الإسبـتارية

بدأ ظهور فرسان مالطة عام ١٠٧٠م، كهيئة داعمة، أسسها بعض الإيطاليين، لرعاية مرضى النصارى، في مستشفى (قديس القدس يوحنا) قرب كنيسة القيامة ببيت المقدس، وظل هؤلاء يمارسون عملهم في ظل سيطرة الدولة الإسلامية، وقد أطلق عليهم اسم **فرسان المستشفى أو الإسبـتارية** باللغة الإيطالية لتمييزاً لهم عن هيئات الفرسان التي كانت موجودة في القدس آنذاك مثل **فرسان المعبد (الداوية)** و"الفرسان التيوتون" وغيرهم، إلا أنهم ساعدوا الغزو الصليبي فيما بعد. وكان التزايد الكبير في أعداد الوافدين النصارى إلى مدينة القدس قد زاد في بداية القرن الحادي عشر لاتجاه بعض الإيطاليين للحصول على حق إدارة الكنيسة اللاتينية من حكام المدينة المسلمين، وكان يلحق بهذه الكنيسة مستشفى للمرضى والحجاج يسمى مستشفى "قديس القدس يوحنا" كذلك استطاع تجار مدينة "أمالفى" ١٠٧٠م تأسيس جمعية داعمة في بيمارستان قرب **كنيسة القيامة** في بيت المقدس للعناية بالأجانب، ومن اسم المستشفى أطلق عليهم اسم فرسان **الإسبـتارية** في اللغة العربية، ولم يلبث أولئك الإسبـتاريون أن دخلوا تحت لواء النظام الديري البندكتي المعروف في غربي أوروبا، وصاروا يتبعون بابا روما مباشرة بعد أن اعترف البابا باسكال الثاني بتنظيمهم رسمياً في ١٥ فبراير ١١١٣م، وهكذا أصبح نظامهم يلقي مساندة من جهتين: تجار أمالفى وحكام البروفانس في فرنسا. وعندما قامت الحروب الصليبية الأولى ١٠٩٧م تم الاستيلاء على القدس أنشأ رئيس المستشفى (جيرارد دي مارتيز) تنظيمًا منفصلاً

أسماء "رهبان مستشفى قديس القدس يوحنا" وهؤلاء بحكم درايتهم بأحوال البلاد قدموا مساعدات قيمة للصليبيين خاصة بعد أن تحولوا إلى نظام **فرسان عسكريين** بفضل ريموند دو بوي (خليفة مارتينز) الذي أعاد تشكيل التنظيم على أساس عسكري مسلح باركة البابا (أنوسنت الثاني) ١١٣٠، حتى قيل "إن الفضل في بقاء مدينة القدس في يد الصليبيين واستمرار الحيوية في الجيوش الصليبية يعود بالأساس إلى **فرسان الإسبـتارية** بجانب **فرسان المعبد**، وقد كان تشكيل تنظيم **الإسبـتاريين** ينقسم إلى ثلاث فئات: **فرسان العدل** الذين هم من أصل نبيل (نبلاء) وأصبحوا فرساناً. القساوسة الذين يقومون على تلبية الاحتياجات الروحية للتنظيم. إخوان الخدمة وهم الذين ينفذون الأوامر الصادرة إليهم.

لم تستقر الأمور بين المسلمين والصليبيين بعد فشل الحملة الصليبية الرابعة - على الرغم من الاتفاقات والمعاهدات - ذلك أن الصليبيين أسرع إلى نقض العهود والغدر والخيانة وتلك طبيعتهم .

فقد أراد **الإسبـتارية** في **حصن الأكراد** أن يستولوا على مدينة حمص سنة ٦٠٤ هـ ١٢٠٧ م ، فتكررت هجماتهم عليها حتى وصلوا إلى أسوارها فاستنجد صاحب حمص آنذاك أسد الدين شيركوه الثاني، بالملك الظاهر صاحب حلب، فسير له إليه عسكرياً منع عنه الصليبيين. وفي شتاء ١٢٠٧ م - ٦٠٤ هـ، استولى قراصنة صليبيون من **قبرص** على سفن مصرية وأسروا من فيها، فخرج إليهم السلطان العادل على رأس جيش قاصداً عكا وانتهى الأمر برد أسرى المسلمين.

ثم اتجه العادل إلى **حصن الأكراد** لإبعاد خطر **الإسبـتارية** عن حمص فعسكر عند بحيرة قدس قرب حمص ، وجمع هناك قوة من عدد من الأمراء ثم أعلن أنه يقصد طرابلس بينما قصد **حصن الأكراد** فهاجمه وأسـر خمسمائة رجل وغنم وإن كان لم يستطع الاستيلاء على الحصن لمناعته.

ثم زحف العادل إلى **طرابلس** واستولى في طريقه إليها على حصن القليعات ولكنه أطلق سراح حاكمه. وقد أدت حروب العادل هذه إلى أن يسرع بوهيمند الرابع صاحب طرابلس، إلى طلب الصلح فأجابه العادل إلى ذلك. كما أن الملك حنّا برين عقد معاهدة مع السلطان العادل مدتها ست سنوات من ١٢١١ - ١٢١٧ م ، ٦٠٨ - ٦١٤ هـ ، وإن كان حنّا هذا أخذ يدبر مع الصليبيين **حملة لغزو مصر** عقب انتهاء الهدنة مباشرة؛ فأخذ يرأسل روما ويطلب إعداد هذه الحملة، وما إن انتهت الهدنة حتى كانت دعوة حنّا برين قد أثمرت، وبدأت **الجموع الصليبية تشق طريقاً نحو الشرق لحملة صليبية خامسة.**

قلعة الحصن أو حصن الأكراد؛ هي قلعة تقع ضمن سلاسل جبال الساحل السوري غربي حمص بـ ٦٠ كم ، وفي ١١٤٤م ، قام ريموند الثاني أمير طرابلس بتسليمها إلى فرسان القديس يوحنا المعروفين بالإسبتارية أو فرسان المشفى ، ومنذ ذلك الحين بدأ المكان يعرف باسم حصن الفرسان ، وقد أعاد الإسبتارية بناء الدفاعات الجديدة للقلعة ، وقاموا بترميمها بعد الزلزال الذي أصابها عام ١١٥٧م وتعد من أجمل القلاع الصليبية في الشرق .



قاعة الفرسان (الإسبتارية)

قلعة الحصن؛ قلعة لعبت دوراً ريادياً في أحداث الحروب الصليبية وكانت واحدة من أكثر المواقع الصليبية صموداً.

أنشئت قلعة الحصن في العام ١٠٣١م ، على يد أمير حمص حيث وضع حامية كردية في الموقع ، وأسماه **حصن الأكراد** . سقط الموقع عام ١٠٩٩م ، بيد الأمير الصليبي **ريموند دي سنجيل** ، الذي شن الحملة الأولى على المسلمين قرب الموقع ، واحتله لفترة وجيزة في ١١٠٣م ، لكن أمير حمص استعاد الموقع من الصليبيين ١١١٠م ، بيد أن تانكريد أمير أنطاكية الصليبي احتل القلعة وألحقها بكونتية **طرابلس** ، ومنذ ذلك الحين باشر بينائها على الطراز القائم حالياً . تمتاز القلعة بلون حجارتها الكلسية التي كانت تجلب من مسافة ٤ كم / من بلدة مجاورة تدعى (عمار الحصن) وميزة الحجر الكلسي أنه طيع في أثناء النحت وخفيف الوزن.



لهذا الحصن ثلاثة أبواب مفتوحة على الخندق ويمتاز بأبراجه العالية . ويتألف من شاقين . الأرضي ويضم فسحة سماوية تحيط بها الأقبية والعنابر وقاعة الاجتماعات ، والكثيرة والمطعم والحجرات والمعاصر . والعلوي ويحتوي على أسطح مكشوفة ومهاجع وأبراج . ويرى في هذه الصورة مؤنث ومصمم الأطلس أمام برج القائد في الدور العلوي

دولة الممالك في الهند (٦٠٢هـ - ٦٨٩هـ)

يعد **الممالك في الهند** من موالى السلطان محمد الغوري، الذي برز من بينهم **قطب الدين أيبك** الذى نصب نفسه سلطاناً بعد وفاة السلطان محمد الغوري وبذلك بدأت الدولة المملوكية في الهند. اشتهر قطب الدين في حكمه بحسن معاملة الناس وإقامة علاقات طيبة مع زملائه من الأمراء والقواد الممالك، وعمل على إقرار الأمن في كل نواحي بلاده، وحرصه على قيام العدل بين الناس. وبنى قطب الدين أيبك بالهند مسجدين كبيرين أحدهما بدلهي، والآخر بأجمير. وفي (٦٠٧هـ) توفي قطب الدين أيبك فخلفه أحد قواده وهو شمس الدين التمش أو اللمش.

بنى قطب الدين أيبك في فترة حكمه بعض المساجد الشهيرة في الهند مثل المسجد الكبير الذي شيده في دلهي، واشتهرت منارته التي لا تزال معروفة للآن باسم "**قطب مینار**" أو منارة قطب، وفي ذكرى فتحه دلهي أسس قطب الدين مسجد (قوة الإسلام) وهو من أشهر المساجد في الهند، وبعد وفاة قطب الدين أيبك وتولية التمش الملك ثارت عليه بعض الفتن من الهنادكة والأمراء الذين لم يرضوا بحكمه، ولكنه تمكن من القضاء على جميع الفتن التي أثارها بعض الأمراء الهنادكة والخارجين على حكمه. وفي سنة (٦١٨هـ) تعرضت الهند لخطر داهم من قبل المغول يقودهم جنكيز خان، وفي (٦٢٦هـ) أعلن **الخلافة العباسي المستنصر بالله** تنصيبه للتمش على عرش الهند ولقبه بناصر أمير المؤمنين، وكان من أثر ذلك أن قوى مركز التمش بين مسلمي الهند قوة عظيمة.

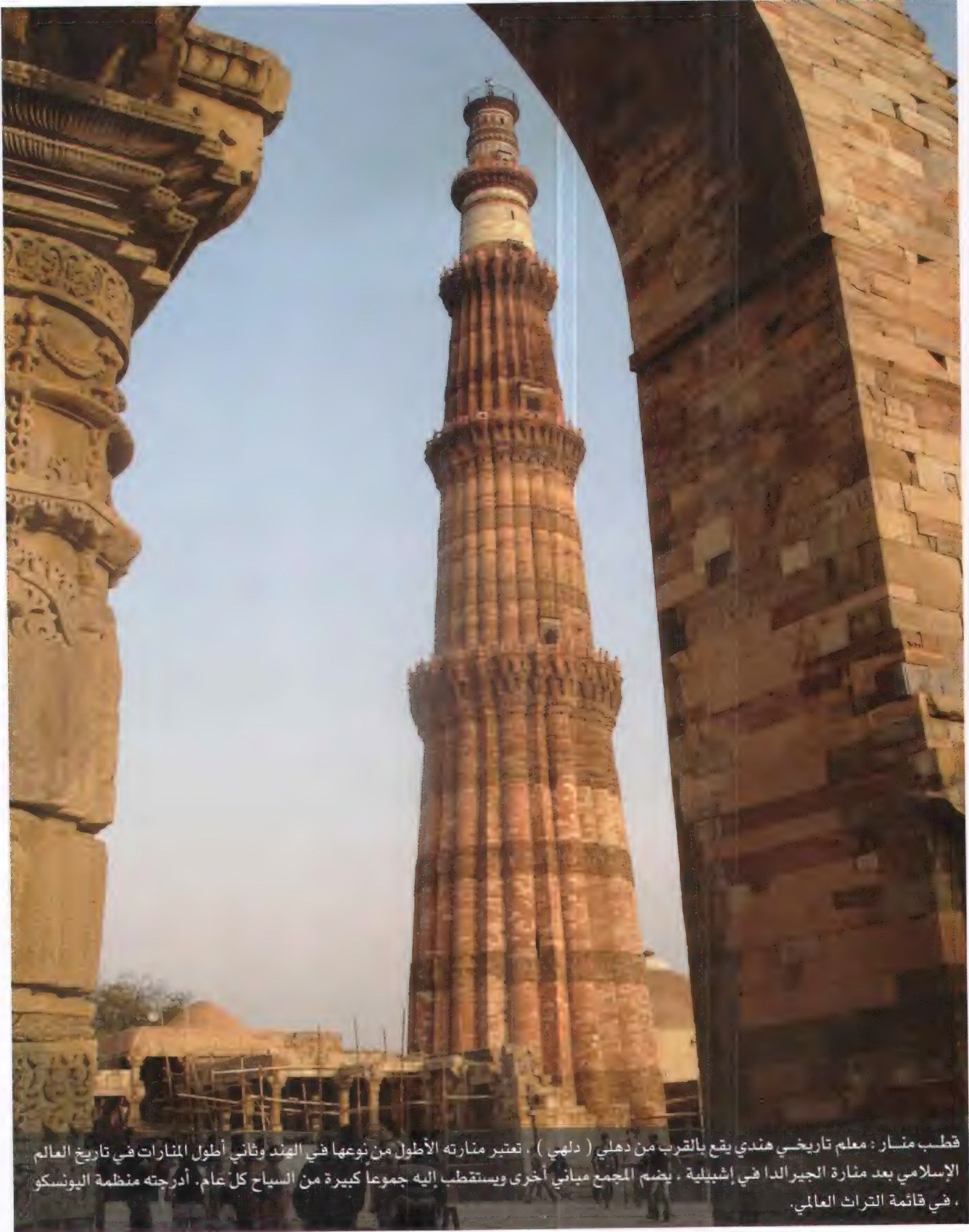
واشتهر عن التمش أنه كان محباً للعدل حتى إنه جعل للمظلومين جرساً في قصره يطرقه المظلوم ثم جعل اللون الأحمر هو اللون المميز للملابس المظلومين. وفي (٦٣٣هـ) توفي التمش وكان قد أوصى لابنته رضية دون أبنائه من الذكور الذين لم ير من بينهم من هو جدير بحكم الهند لكن رجال البلد عهدوا بالحكم لابنه فيروز شاه وكان لأمه شاه ترکان نفوذ كبير في الحكم، وكان حكمها استبدادياً أدى إلى غضب الأمراء الذين التفوا حول الأميرة رضية بنت التمش، فاستطاعت أن تجلس على عرش أبيها، وتمكنت من أن ترغم على طاعتها جميع الأمراء ببلادها، ولكن ثارت حولها شائعات فانقلب عليها الأمراء يحاربونها بزعمارة أخيها بهرم شاه الذي جلس على كرسي الحكم بعد مقتل أخته رضية.

وفي عام (٦٣٩هـ) أقبل المغول على البنجاب واستطاعوا أن يخربوا **لاهور** دون مقاومة تذكر، وتولى الحكم مسعود شاه حفيد التمش سنة (٦٤٣هـ)، وفي عهده دخل المغول الهند من جديد بقيادة مانكو وتوغلوا في السند حتى تصدى لهم (بلبن) قائد جيش المسلمين فأنزل بهم خسائر فادحة.



وفي عام (٦٦٤هـ) رقى الوزير والقائد بلبن - الذي تلقب بغيث الدين- إلى العرش وعمل على استعادة الهيبة والنفوذ لمنصب السلطان بعد ضعف السلاطين من أبناء التمش. وعمل بلبن على إقرار الأمن الداخلي وتأمين الطرق والمسالك من عبث اللصوص وقطاع الطرق وكانوا كثرة، كما عمل على تنظيم وتدعيم قواته لمواجهة الخطر المغولي. ويقول عنه ابن بطوطة "إنه بنى داراً سماها دار الأمن فمن دخلها من أهل الديون قضى دينه، ومن دخلها خائفاً أمن، ومن دخلها وقد قتل أحداً أرضى عنه أولياء المقتول، ومن دخلها من ذوي الجنايات أرضى من يطلبه"، وتوفي غياث الدين بلبن سنة (٦٦٤هـ) فتولى من بعده ابنه محمد الذي خرج لدفع خطر المغول عن لاهور فتالته رماحهم، وكان قد أوصى بالملك من بعده لحفيده كيخسرو، ولكن رجال البلاط نصبوا الأمير كيقباز مكانه، وكان كيقباز ضعيف الشخصية إلى جانب صغر سنه مما أدى إلى سيطرة أصحاب الأهواء على الحكم وحدوث الفتن والقلاقل داخل القصر.

وفي سنة (٦٨٩هـ) اجتاح الخلجيون "دلهي" وسيطروا عليها ثم قتلوا كيقباز، وبذلك انتهى سلطان الممالك في الهند وبدأ حكم سلاطين الخلجيين.



قطب منار : معلم تاريخي هندي يقع بالقرب من دهلي (دهلي) . تعتبر منارته الأطول من نوعها في الهند وثاني أطول المنارات في تاريخ العالم الإسلامي بعد منارة الجيرالدا في إشبيلية . يضم المجمع مباني أخرى ويستقطب إليه جموعا كبيرة من السياح كل عام . أدرجته منظمة اليونسكو في قائمة التراث العالمي .



أراد **قطب الدين أيبك**، أول حاكم من سلسلة من المماليك تركي الأصل، ممن ساهموا في نشر الإسلام في شمالي الهند، الذين أسسوا سلطنة دلهي، أن يخلد عهده، فقام ببدء أعمال بناء قطب منار عام ١١٩٣ م، لم تسعفه الظروف في إكمال العمل الذي انتهى عند المستوى الأول فقام خليفته (التمش) بإضافة ثلاثة مستويات أخرى، ثم قام فيروز شاه تغلق عام ١٣٦٨ م. بإضافة المستوى الخامس وهو آخرها.

معركة حصن العقاب (٦٠٩هـ / ١٢١٢م)

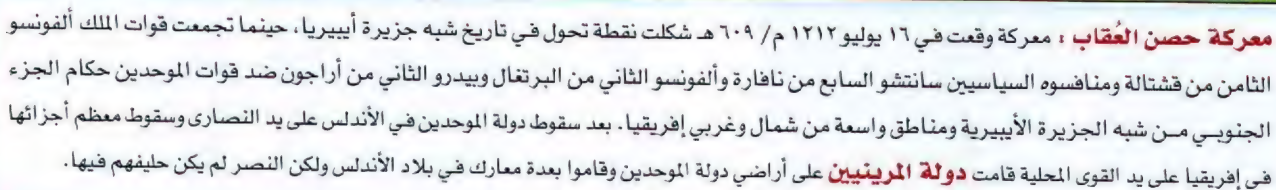
تُعد **معركة حصن العقاب** فاتحة الانهيار الشامل لقواعد الأندلس الكبرى. فبعد الانتصار الباهر الذي حققه الموحدون حكام الأندلس والمغرب على صليبي الأندلس في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ، ركن الصليبيون للمهادنة انتظاراً للفرصة السانحة للوثوب مرة أخرى، وكان ألفونسو الثامن منذ هزيمة الأرك الساحقة يتوق إلى الانتقام لهزيمته وغسل عارها الذي جُل سيرته خلال فترة حكمه، فلما اشتعلت ثورة «بني غانية» وهم من أولياء دولة المرابطين التي كانت تحكم الأندلس والمغرب قبل الموحدين، في شرقي الأندلس وشمال إفريقيا انشغل زعيم الموحدين «الناصر لدين الله» بقمع هذه الثورة، وذلك منذ سنة ٥٩٥هـ حتى سنة ٦٠٧هـ، وهي السنة التي قرر فيها ألفونسو الثامن الهجوم على الأندلس مرة أخرى.

بدأ ألفونسو الثامن حملته الصليبية على الأندلس بإزالة الخلافات العميقة بين ممالك إسبانيا النصرانية الثلاثة (قشتالة. ليون. أراجون) التي كانت سبباً مباشراً لهزيمة الصليبيين المدوية في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ، ثم قام ألفونسو الثامن بطلب المعونة والمباركة من بابا روما، وهو البابا «أنوسنت الثالث» وكان يضطرم بروح صليبية عميقة ويجيش بأحقاد عظيمة تجاه المسلمين **الذين أفضلوا الحملات الصليبية على الشام وحرروا بيت المقدس**، فوافق البابا على ذلك الطلب وأعلن شن حرب صليبية ضد مسلمي الأندلس، بعدها بدأت التحركات الإسبانية.

كان لاستئناف نصارى إسبانيا لغزواتهم المخربة في أراضي الأندلس أثر بالغ في الدولة الموحدية قرر معه الخليفة الموحي «الناصر لدين الله» العبور إلى بلاد الأندلس، فأرسل كتبه إلى سائر أنحاء المغرب وإفريقية وبلاد القبلية كلها بالنفير للجهاد ضد الصليبيين وإعداد العدة اللازمة لذلك، في شعبان سنة ٦٠٧هـ خرج الناصر بجحافل جرارة تقدر بمئات الآلاف وهذه الضخامة كانت في النهاية سبباً مباشراً للهزيمة.

وصلت الجيوش الموحدية **لإشبيلية** في آخر ذي الحجة سنة ٦٠٧هـ، وهناك انضم إليه أعداد كبيرة من جنود الأندلس وأصبحت الجيوش في حالة تعبئة كاملة، وحدد الناصر هدف الهجوم. وهو قلعة شلبطرة في جبال الشارات «سييرامورنيا الآن»، وكانت هذه القلعة بيد فرسان المعبد الصليبي، وكانت نقطة إغارة دائمة للصليبيين على المدن الإسلامية بالأندلس، فطوق الموحدون القلعة وضربوها بالمجانيق حتى فتحوها بعد ٥١ يوماً من الحصار^(١).

كان لفتح هذه القلعة أثر شديد في قلوب الصليبيين خصوصاً ألفونسو الثامن للأهمية الكبيرة لهذه القلعة، فقرر الهجوم على **قلعة رباح** وكانت نظيرة قلعة شلبطرة في الأهمية والمكانة عند المسلمين، وقد



انضم لألفونسو آلاف المتطوعين من فرنسا وألمانيا وهولندا وإنجلترا ومجموعة كبيرة من الأساقفة والرهبان، إضافة للفرسان **الإسبتارية والداوية** الذين انتقلوا من الشام إلى الأندلس لحرب المسلمين، وأمر البابا أنوسنت الثالث في روما بالصوم ثلاثة أيام التماساً لانتصار الجيوش الصليبية على مسلمي الأندلس، وأقيمت الصلوات العامة، وعمد الرهبان والراهبات إلى **ارتداء السواد** والسير حفاة في مواكب دينية بخضوع وتمهل ومن كنيسة إلى أخرى، وجاشت نفوس الأوروبيين كافة بروح صليبية عارمة. هجم الصليبيون بشدة على قلعة رباح وشددوا عليها الحصار حتى أجبروا حاميتها الصغيرة على الاستسلام نظير الأمان، وقد أدى هذا الأمان لغضب الصليبيين الفرنجة الذين جاءوا من أوروبا الذين أرادوا ذبح الحامية الإسلامية ورفض أي تسوية سلمية تحقق دم المسلمين، وتنامى هذا الغضب حتى انشق كثير منهم وتركوا ألفونسو الثامن وعادوا إلى بلادهم.

وقعت حادثة كان لها أسوأ الأثر على معنويات الجيوش الإسلامية، ذلك أن الناصر لدين الله قام بإعدام «ابن قادس» قائد حامية قلعة رباح ومن معه من الفرسان، لاعتقاده أنهم قد فرطوا في الدفاع عنها، فتأثر الكثيرون بهذا الأمر وأصابهم الغضب وأضر الأندلسيون الغدر عند اللقاء وبيتوا الفرار عند الحرب الذي أدى في النهاية لكارثة العقاب.

استعد الفريقان للصدام المرعب، وكان الناصر الموحيدي مزهواً بنفسه واثقاً من النصر لحد الغرور المهلك نظراً لضخامة الجيوش الموحدية «قراية النصف مليون»، وكانت ثنية العقاب عند سفح جبال الشارات بالقرب من «مدريد»، حالياً هي موضع القتال الذي اندلع في ١٥ صفر سنة ٦٠٩هـ، وهجم الموحدون بكل قوتهم على صفوف الصليبيين الذين صمدوا بروعة لهجوم الموحيدين، ثم أخذوا في التراجع والانهمام أمام الموحيدين، وبدأ النصر قريباً، ولكن كان الهجوم الخاطف الذي قاده ألفونسو الثامن بنفسه على ميمنة الموحيدين ثم تلاه هجوم مماثل على ميسرة الموحيدين قام به ملك أراجون، فاضطرب جناح الجيش الإسلامي واختلطت صفوفهم، وعندها قام الأندلسيون بتنفيذ خطتهم في الفرار من أرض المعركة، وحاول الناصر الموحيدي عبثاً تنظيم صفوف جيشه ولكنه فشل وكاد أن يقتل هو نفسه، وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة للموحيدين قتل فيها عشرات الآلاف، منهم معظم المتطوعين من المغاربة وقبائل العرب.

وكانت هذه الهزيمة الساحقة أول مسمار في عرش دولة الموحيدين الكبيرة وإيذاناً بانتهاء مملكتهم الواسعة وحول ميزان القوى بالأندلس لصالح الإسبان، وقد عم الابتهاج والفرح في أنحاء أوروبا، وأقيمت صلوات شكر في الكنائس تقدمها أنوسنت الثالث نفسه^(١).



قلعة رِيَّاح بالأندلس (سميت نسبة إلى رياح، الأمير الذي حكمها في القرن الثامن الميلادي)



مرتسم تخيلي لموقعة العقاب بين جيش الموحدين والقوى الصليبية على الأرض الأندلسية

أنطلق فريديناند الثالث من قشتالة باتجاه قرطبة واستولى عليها عام ١٢٣٦م وجيان عام ١٢٤٦م وإشبيلية عام ١٢٤٨م ثم سقطت كل من أركوس وقادس وصيدا الأندلسية، وكان فريديناند الثالث بعد هذه الانتصارات يطمح إلى عبور مضيق جبل طارق وضرب دولة الموحدين في عقر دارها، إذ كانت تعاني الانقسامات والثورات، ولا يزال أثر الهزيمة فيها. لم يمنع فريديناند من التقدم سوى موته في إشبيلية عام ١٢٥٢م.

الحملة الصليبية الخامسة

سنة ٦١٤-٦١٨ هـ - ١٢١٧-١٢٢١ م

قادة الحملة : ليبو دوق النمسا، وأندريه الثالث ملك هنغاريا، بهمايهو ملك قبرص

سبب الحملة ومسارها :

جدد البابا **هنريوس (أونوريوس) الثالث** دعوة البابا **أنوسنت الثالث** إلى حرب صليبية جديدة؛ بغرض استرجاع **بيت المقدس** من قبضة المسلمين الذين قاموا بتحريره، وتلبية لرغبة بعض الأمراء الصليبيين في بلاد الشام استجابت لندائه بعض الزعامات الأوروبية، حيث وصلت الحملة الصليبية إلى **قبرص** ثم إلى مملكة بيت المقدس (**عكا**) وانهزموا فيها، ثم جاءت إمدادات أوروبية فتغير مسارها إلى **مصر** وبالتحديد في **دمياط** بقيادة **بلاجيوس**، والملك **يوحنا دي برين** ملك ما تبقى من بيت المقدس.

البابا **أنوسنت الثالث** والملك الإنجليزي **يوحنا بلاارض**، على التوالي، الأول في ١٦ يوليو، والثاني في ١٦ أكتوبر من عام ١٢١٦ م. **فانتقلت البابوية** وقيادة تنظيم الحملة إلى البابا **أونوريوس الثالث**، الذي عين **القاصد الرسولي** في قوات الصليبيين **الكاردينال بيلاجيوس** من البانو. وكان الملك **المجري إندرياش الثاني** وأسياد التحقوا به (معظمهم من جنوبي ألمانيا) وصلوا ما بين يوليو وأغسطس من سنة ٦١٧ هـ إلى سبليت، ولكنهم اضطروا للانتظار بسبب عدم كفاية السفن لنقل الفيالق الصليبية إلى جبهة القتال.

الباباوات والكرادلة أن يدفعوا ضريبة مزدوجة، أما الخارجون عن الطاعة فكانت الكنيسة تتخذ عقوبات كنسية صارمة ضدهم، وتم تنظيم حملات الوعظ ووضع الكتب التعليمية لأجل تهذيب الحملات الصليبية، وبذلك نظمت الحملات الصليبية تنظيمًا مؤسسيًا. تحددت سنة ٦١٢ هـ موعداً لبداية **الحملة الخامسة**، وخطط لها أن تتطلق من ميناء **برنديسي** الإيطالي، وكان من الملوك الذين أخذوا النذر الصليبي **فريدريك الثاني الألماني**، و**اندراس (أندره) الثاني المجري**، و**يوحنا بلاارض الإنجليزي**، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، ومات

في سنة ٦١١ هـ، انعقد المجمع اللاتيني الرابع في **روما**، واتخذ سلسلة من القرارات المبدئية التي تتعلق بتنظيم الحملات الصليبية بشكل عام، وكان ذلك بداية تشكيل شكل من مؤسسة دائمة للحملات الصليبية، ووضع هذه المشاريع على أساس امتن، وأمر الأسياد والمدن، وفقاً لوضعهم الاقتصادي والمالي، بأن يقدموا للحملة مجموعة حربية ذلت عدداً معيناً من العناصر، ويؤمنوا لها الأموال لمدة ثلاث سنوات. وقرر المجمع اللاتيني ضريبة استثنائية إلزامية لتأمين حاجات الحملات وذلك على شكل جزء من عشرين من الدخل السنوي، وكان على



البابا أنوسنت الثالث الداعي الأول للحملتين الصليبيتين الرابعة والخامسة

في عهد البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨ - ١٢١٦م) استطاع أن يلعب دوره بمهارة في السياسة العالمية لغربي أوروبا، وأن يفرض كلمته على أعظم حكام الغرب، بل ونصارى الشرق أيضاً، ولعل ما أسهم به بشكل واضح في توجيه سياسة الإمبراطورية الرومانية المقدسة ما يدل على ذلك، فقد ناصر الإمبراطور أوتو الأول ضد هوهنشتايفين وكان سلاحاً له الآخر، وفي فرنسا أخذ يمد أنوسنت كذلك أنفه في شؤونها الداخلية في عهد ملكها فيليب أوغسطيني، حتى إذا ما أراد الملك أن يقف موقفاً حازماً من البابوية إذا بالبابا أنوسنت يوقع قراراً بحرمانه هو وبلاده وكان ذلك سنة ١٢٠٠م، مما أجبر الملك على الإذعان إلى البابا وإصلاح أموره معه حرصاً على مكانته في دولته، وفي إنجلترا لم تنجح هي الأخرى من سلطة البابا أنوسنت الثالث وعناده معها. وما كان من موقف الملك حثاً حول تعيين كانتربري سنة ١٢٠٧ وكيف أن البابا أصر على رفض مرشح الملك وأصدر ضده وضد بلاده قراراً بالحرمان سنة ١٢٠٨ - ١٢٠٩م، بل إن أنوسنت استحث فيليب أوغسطيني على غزو إنجلترا، ليقع بين الجارتين فرنسا وإنجلترا، مما دفع الملك حثاً إلى أن يذعن أخيراً سنة ١٢١٣ لرغبة البابا أنوسنت الثالث ويقبل شروطه وهو صاغر. د. يواقيم رزق مرقس، محاضرات في تاريخ الكنيسة الغربية.

الزحف الصليبي على دمياط (مصر)

دعا **البابا أنوسنت الثالث** لحملة صليبية جديدة سنة ٦٠٩ هـ، التي أكمل دعوتها بعد موته البابا **هنريوس (أنوريوس) الثالث**، حيث أعلن أن هذه الحملة يجب أن تتجه نحو الشام مباشرة. ووصلت الحملة الصليبية إلى الشام في سنة ٦١٥ هـ، تحت زعامة ليبود السادس (دوق النمسا) وأندريه الثاني (ملك هنغاريا) ثم لحق بهما، بهمايهو (ملك قبرص). واجتمعوا في **عكا**، وقرروا البدء بمهاجمة **القلعة الجديدة** التي شيدها **العادل** على جبل الطور للسيطرة على إقليم الجليل واتجه إليهم **الملك العادل**، ولكنه أثر الانسحاب من وجههم فاستولوا على بيسان، ثم عبروا الديار السورية وأوغلوا حتى وصلوا إلى نوى (وينسب إليها الإمام المحدث النووي، صاحب رياض الصالحين).

ووجه العادل اهتمامه إلى الدفاع عن **دمشق وبيت المقدس**، واتجه **الصليبيون** إلى قلعة الطور ولكنهم عجزوا عن الاستيلاء عليها ثم عاد ملك هنغاريا (المجر) إلى بلاده، حيث لم تحقق حملته مع ملك النمسا شيئاً سوى هدم حصن الطور الذي هدمه العادل بنفسه، لما رأى ما يجره عليه من عدااء الصليبيين.

أما دعوة **حنّا برين**، لمهاجمة **مصر لأنها عند الصليبيين هي مفتاح بيت المقدس**، لذلك تدفقت جموع الصليبيين إلى الشام استجابة لدعوة البابا أنوسنت الثالث، والملك **حنّا برين** وخرج **حنّا برين** لمهاجمة مصر ومعه تلك الجموع **والإسبتارية والدوية** والقبارصة قاصداً **دمياط** في ٦١٦ هـ ١٢١٨ م، وكان **حنّا** زعيم الحملة، ولم ينس **الصليبيون** أن يتصلوا بملك **الحبشة النصراني**، ليعاونهم في ضرب الإسلام والمسلمين **عن طريق غزو الحجاز وهدم الكعبة**. ووصلت سفنهم **دمياط**، وعلم الملك **الكامل** ابن الملك العادل بوصولهم، فأسرع بالتحرك نحو جنوبي دمياط.

بينما رسا الصليبيون على الضفة الغربية للنيل، وأخذ الصليبيون يهاجمون برج السلسلة ثلاثة أشهر ثم استولوا عليه في نهايتها، وقد حاول المسلمون إقامة العوائق في النيل حتى لا تدخله سفن الصليبيين ولكن الصليبيين أفسدوا هذه العوائق.

وانتظر **حنّا برين** في مواجهة الجيوش الإسلامية حتى جاءه مدد من أوروبا على رأسه الكاردينال (بلاجيوس) مندوب البابا والقائد الأعلى للصليبيين في حملتهم على مصر، وحاول **الملك المعظم** أن يشغل **الصليبيين** عن **مصر** فهاجم قيسارية واستولى عليها، لكنه لم يستطع المضي في الاستيلاء على ما يريد من القلاع والحصون، وتوفي الملك العادل في جمادى الثانية سنة ٦١٥ هـ - ١٢١٨ م، وخلفه **ابنه الكامل** في الحكم على مصر، وابنه الملك المعظم على دمشق. وفي شهر رجب من العام نفسه هاجم **الملك الكامل الصليبيين** في **دمياط** ولكن الصليبيين تغلبوا عليه، ولم يمض إلا قليل من الوقت حتى دبر الأكراد مؤامرة للإطاحة بالملك العادل ففر منهم، فلما رأى الجند فرار الملك تخاذلوا



وانصرفوا فعبر الصليبيون النيل إلى الضفة الشرقية وأصبح سقوط دمياط مسألة وقت، لكن وصول الملك المعظم لنجدة أخيه أخرت الأمر بعض الشيء.

وصادف ذلك جيوش جنكيز خان **للدولة الخوارزمية**، فاضطرب الكامل وأحس أن حماية الجبهة الإسلامية الشرقية من **المغول** عمل ضروري فعرض الصلح على الصليبيين، فرفض الصليبيون وبخاصة **بلاجيوس** مندوب البابا هذا الصلح، وإن قبله حنّاً برين. فهاجم الصليبيون معسكر الكامل، وفشلوا في ذلك ومنوا بهزيمة ولكنهم ظلوا محاصرين لدمياط، وجاءتهم نجدة من الإنجليز والفرنسيين في حين ساءت الأحوال في مصر وغلت الأسعار (وأصبحت قيمة البيضة بدينار من الذهب) **فسقطت دمياط في أيدي الصليبيين سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م**، وأعملوا القتل في أهلها والإفساد لكل ما فيها، ثم اتخذوا منها مركزاً وحصناً يهددون منه القاهرة ويتحكمون منه في شرقي البحر المتوسط. وفي ذلك الوقت كانت جيوش التتار قد وصلت إلى قرب بغداد، واستنجد **الخلافة العباسي** بالملك الأشرف أخو الملك الكامل، ولكن الأشرف اعتذر بأنه ذاهب لنجدة أخيه ضد الفرنج. وقد اغتر **الصليبيون** باستيلائهم على **دمياط** ورفضوا عروضاً من الملك الكامل كانت مغرية حقاً ليجلوا عن دمياط. فاتجهوا إلى مهاجمة **القاهرة** وتحركوا نحوها في أواخر يونيو ١٢٢١ م، ٦١٩ هـ.

موقعة حصار دمياط سنة ٦١٦ هـ - ١٢١٩ م

البحر الشامي (بحر الروم - البحر المتوسط)

الجيش الصليبي

بحيرة المنزلة

الجيش الإسلامي

مدينة دمياط

نهر النيل (فرع دمياط)

البر الشرقي

البر الغربي



١ ٢ ٣ كم



مرتسم تخيلي لهجوم الصليبيين على دمياط

مخطط معركة المنصورة في الحملة الصليبية الخامسة

في ٣٠ مايو ١٢١٨م، وصلت طلائع الحملة الصليبية الخامسة بقيادة حنّا دي برين أمام دمياط واستطاعت الحملة الاستيلاء عليها، ونجحوا لمدة ١٦ شهراً، وبعد أن تم الاستيلاء على دمياط وتحصينها تقدموا لمنازلة جيش الملك الكامل الذي تجمع أمام المنصورة وكان يفصل بين الجيشين فرع دمياط وبحر أشمون، وقطع الملك الكامل الطريق بين الفرنجة ودمياط. وشيد تحصينات قوية على النيل جنوب دمياط، وطلب الصليبيون الصلح على أن يخرجوا من دمياط وبالبلاد كلها.. ورحل الصليبيون إلى بلادهم ودخل الملك الكامل دمياط وأرسلت البشائر بتحرير دمياط إلى جميع الدول الإسلامية.



الجيش الصليبي

بحر أشمون

نهر النيل (في دمياط)

المنصورة

الفرسان

الجيش الإسلامي

المشاة

القوة الاحتياطية

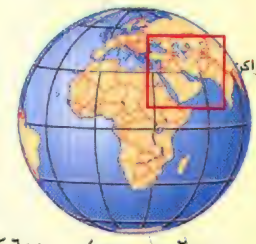
١٠ ٥ ٠ كم

كان الملك الكامل الأيوبي قد نقل معسكره إلى فارسكور حيث خيم بالمنزلة الجديدة التي شيدها على الشاطئ الشرقي للنيل (المنصورة) وجمع الملك الكامل وأخوؤه المعظم والأشرف كل قوة يمكنهم جمعها واستعدوا لمواجهة الصليبيين. وعرض الملك الكامل على الصليبيين عرضه من جديد، ولكنهم أبوا وشرعوا في التحرك نحو القاهرة وتقدموا وسط مثلث تحيط به المياه من ثلاث جهات: هي بحيرة المنزلة من الشرق، وفرع دمياط من الغرب، والبحر الصغير من الجنوب. ووقفت السفن الإسلامية في النيل لتسد الطريق عليهم وتمنعهم من الاتصال بمركزهم في دمياط، وكان وقت الفيضان للنيل، فقطع المسلمون السدود فغرقت أكثر الأرض المحيطة بالصليبيين ولم يبق لهم للعودة إلى دمياط سوى طريق ضيق ملاءه الملك الكامل بالقوات العسكرية التي أخذتهم وهم يحاولون العودة على دمياط.









وساء موقف الصليبيين وتجمعوا عند البرامون فلا يستطيعون المضي ولا العودة ولا يستطيعون القتال في الوحل؛ فطلبوا الصلح هذه المرة، خانعين طالبين النجاة بأنفسهم فقط؛ فأجابهم الملك الكامل إلى ذلك بشرط أن يرسلوا له برهائن من الملوك حتى يسلموا دمياط للمسلمين، وجلوا عن دمياط في رجب سنة ٦١٨ هـ - سبتمبر ١٢٢١ م، ودخلها الملك الكامل والمسلمون. وهكذا فشلت الحملة الصليبية الخامسة التي دعا إليها حنّا برين، وألبابا أنوسنت الثالث وعادت من غزو مصر بالخيزي والمذلة والانسحاب.



قال الأديسي في «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»: ... وأهل **خوارزم** مياسير، وأهل مروة ظاهرة، وهم أكثر الناس أسفاراً، وأوسعهم أموالاً، وترتفع منها ثياب القطن والصوف وسائر الأمتعة الكثيرة تحمل إلى سائر الجهات، ولسان أهل خوارزم لسان منفرد بذاته، وهم أهل غلظة ونجدة، والأغزاز يهابون سطواتهم، ويحذرون من مصادرتهم، وتقع إليهم من بلاد الغزوة والخزر المواشي والدواب والرقيق والأوبار مثل الفنك والسمور والثعالب والأرانب وغير ذلك من أصناف الوبر.



أقصى مدى للمملكة الخوارزمية التركية في القرن السادس الهجري

الدولة الفورية		المملكة الخوارزمية		الخلافة العباسية في بغداد
بقايا الاحتلال الصليبي		الإمبراطورية البيزنطية		
الإسماعيليون (الحشاشون) في ألمات		مملكة أرمينيا الصغرى والكبرى		تبعية الحجاز الاسمية للعباسيين في العصر العباسي الرابع
الأيوبيون		الأيوبيون ثم المماليك		

الاحتكاك بين الدولتين: تجاورت الدولتان القويتان، ولم يكن هناك مفر من الصدام بينهما، وكان كل منهما ينتظر الفرصة للانقضاض على الآخر، وحدث ما لم يكن منه بد، فالتقى السلطان محمد خوارزم وهو في طريقه إلى إحدى الغزوات بفرقة من الجيش المغولي كان يقودها "جوجي بن جنكيزخان"، وعلى الرغم من ضخامة جيش الخوارزميين، فإنه لم يفلح في تحقيق نصر حاسم على تلك الفرقة لمهارتها في القتال وأساليبها المبتكرة في الحرب التي اندهش لها الجيش الخورازمي. وكان لهذا اللقاء أثر في نفس السلطان الخوارزمي، فاستشعر الخوف من هؤلاء الجيران الجدد، ولم يأمن غدرهم، فبدأ يتابع أخبارهم، ولما وصلت إليه أنباء استيلاء جنكيزخان على بكين لم يصدق هذه الأخبار، وأرسل وفداً إلى بكين للوقوف على جلية الأمر، ومقابلة جنكيزخان، فلما وصل إلى هناك استقبلهم وأحسن وفادتهم وبعث معهم برسالة ودية إلى السلطان الخوارزمي. وبدلاً من أن ينصرف السلطان إلى تقوية دولته والقضاء على المغول الذين يهددون دولته أو مسألتهم، **انصرف إلى النزاع مع الخليفة العباسي الناصر لدين الله**، وطمع في أن يكون له الهيمنة على بغداد والخلافة العباسية كما كانت لسلطين السلاجقة، فحرك جيوشه الجرامة تجاه بغداد، لكن الأمطار الغزيرة والعواصف الشديدة تكفلت بالأمر وتصدت له، فمات عدد كبير من جند الخوارزميين وهلكت خيولهم، واضطر السلطان إلى العودة إلى بلاده سنة (٦١٤هـ = ١٢١٧م)، يجر أذيال الخيبة والفشل وكانت هذه أول صدمة قاتلة قابلته منذ أن ولي الحكم في سنة (٥٩٦هـ = ١١٩٩م).

حادثة قتل التجار: رجع السلطان بعد فشل أمله في السيطرة على بغداد إلى بلاد ما وراء النهر، واستقبل هناك وفداً من تجار المغول المسلمين يحملون رسالة من جنكيزخان إلى السلطان يعرض عليه إبرام معاهدة تجارية بين البلدين فوافق السلطان على مضض، بعد أن شعر أن الرسالة تحمل في طياتها التهديد والوعيد، وكان في السلطان أنفة وكبرياء، فأسرها في نفسه وإن لم يبدها في الحال. ثم حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد قدم جماعة من التجار من رعايا جنكيزخان إلى مدينة "أترار" التابعة للدولة الخوارزمية، فارتاب فيهم "ينال خان" حاكم المدينة دون تثبت، وبعث إلى السلطان الخوارزمي يخبره بالأمر، وبشكوكه فيهم، فبعث إليه يأمره بالقبض عليهم وقتلهم باعتبارهم جواسيس من قبل جنكيزخان. وكان من الطبيعي أن تسوء العلاقة بين الدولتين بعد الحادث الطائش الذي أقدم عليه السلطان، دون أن يدري أن كل قطرة من دماء هؤلاء التجار كلفت المسلمين سيلاً من الدماء لم ينقطع لفترة طويلة، وأرسل جنكيزخان إلى السلطان يطلب منه تسليم حاكم "أترار" ليحاكمه ما دام قد تصرف من تلقاء نفسه دون أن يرجع إليه، لكن السلطان رفض احتجاج جنكيزخان، ولم يلجأ إلى اللين والتلطف، وتملكته العزة بالإثم فأقدم على قتل الوفد الذي يحمل الرسالة دون بصر بعواقب الأمور، قاطعاً كل خيط لإحلال السلام محل الحرب.

الاستعداد للحرب: كان قتل الرسل يعني إعلان الحرب بين الدولتين وقطع كل أمل لحسن الجوار وحدوث السلام، فأخذ كل فريق يستعد للآخر، وشرع السلطان الخوارزمي يستطلع أخبار المغول، ويجهز الجيوش، ويبني الأسوار حول المدن، ويفكر في رسم الخطط الحربية، حتى صار لا يتكلم إلا في موضوع الحرب الذي شغل قلبه، وفي الوقت نفسه كان **جنكيز خان** يستعد للصدام المرتقب بينهما، فجهز جيوشه، وأعد أسلحته، وحشد كل ما يمكن حشده. وبعد أن أكمل جنكيز خان استعداداته انطلق بجيشه نحو بلاد ما وراء النهر في خريف سنة (٦١٦ = ١٢١٩) وهو يعتقد أنه سيقابل خصماً قوياً، يحسب له ألف حساب، وبدلاً من أن يخرج الجيش الخوارزمي لملاقاة المغول استقر رأي قادته على ترك المغول يعبرون نهر سيحون، واصطيادهم بعد ذلك في بلاد ما وراء النهر التي لا يعرفون مسالكها، بحيث تنقطع الإمدادات عنهم.

الإعصار المغولي: بلغ جنكيز خان وجيشه نهر سيحون على مقربة من مدينة أترار في رجب (٦١٦ = ١٢١٩) ولم يشأ أن يهاجم الخوارزميين من جهة واحدة، بل من جهات متعددة تترك استعداداتهم، وتشتت وحدتهم، فقسم جيشه الذي يبلغ ما بين مائة وخمسين ألفاً إلى مائتي ألف جندي إلى أربعة جيوش: **الأول** بقيادة ابنه جغتاي وأوكتاي ومهمته فتح مدينة أترار. **والثاني** بقيادة ابنه جوجي وهو الابن الأكبر لجنكيز خان، ووجهته البلاد الواقعة على ساحل نهر جيحون. أما **الثالث** فمهمته الاستيلاء على مدينتي بنكات وخورقند على نهر سيحون. والجيش **الرابع** كان تحت قيادة جنكيز خان، ويتألف من معظم الجيش المغولي ويضم القوى الضاربة، وكانت وجهته مدينة بخارى الواقعة في قلب إقليم ما وراء النهر، وكانت مهمة هذا الجيش هي التصدي لقوات الخوارزميين، والحيلولة دون وصولهم إلى المدن المحاصرة على نهر سيحون من ناحية الشرق. وقد نجحت الجيوش الثلاثة فيما وكل إليها من مهام، فسقطت مدينة أترار، بعد أن صمدت للحصار شهراً كاملاً، وأبلى حاكمها بلاءً حسناً في الدفاع حتى فقد معظم رجاله، ونفذت المؤن والأقوات، ولم تكن المدن الأخرى بأسعد حالاً من أترار فسقطت هي الأخرى أمام الجيشين الثاني والثالث.

سقوط بخارى وسمرقند: أما الجيش الرابع الذي ضم معظم قوات المغول، فقد تحرك إلى بخارى تلك الحاضرة العظيمة، وهاجم المدينة بضراوة شديدة، ودارت معارك عنيفة بين الجيش الموكل بالدفاع عن المدينة وقوات المغول لمدة ثلاثة أيام، انهارت بعدها قوى الخوارزميين ولم يكونوا قليلي العدد، بل كانوا عشرين ألف مقاتل، وشعروا باليأس، فقرروا الانسحاب ليلاً، وتمكنوا من اختراق الجيش المغولي الذي يحاصر المدينة، وأجبروه على الارتداد، ولو أنهم صبروا وتابعوا عدوهم المتقهقر لكان خيراً لهم، ولكنهم آثروا السلامة تاركين المدينة المنكوبة لقدرها المحتوم أمام هجمة المغول المتوحشة، فاجتاحت المدينة الآمنة كالجراد المنتشر في (ذي الحجة ٦١٦ هـ فبراير ١٢١٩م)، وقتلوا من اعتصم بقلعتها، وطرّدوا أهلها بعد

أن سلبوا ما في المدينة من أموال، ثم أعملوا السيف فيمن بقي بداخل المدينة، وأنهبوا عملهم الوحشي بإحراق المدينة فأصبحت قاعاً صفصفاً بعد أن كانت درة متألئة بين حواضر العالم الإسلامي. وبعد أن أجهز جنكيز خان على بخارى اتجه إلى سمرقند حاضرة إقليم ما وراء النهر، وضرب حولها حصاراً شديداً، ودار قتال عنيف هلك فيه أكثر الجند الخوارزمي ما أضعف مقاومة أهل سمرقند فطلبوا الأمان نظير تسليم المدينة، فأجابهم المغول، وما إن دخلوا المدينة المنكوبة حتى أعملوا فيها السيف بعد أن جردوهم من أسلحتهم، وأحرقوا المدينة ومسجدها على من فيه من الناس.

نهاية السلطان محمد خوارزم شاه: كانت الهزائم التي لقيها السلطان الخوارزمي قاسية، ولم تكن من قلة في العدد والعتاد، ولكن كانت من سوء قيادة، وفرقة في الصف، وحب للدنيا، وتقاعس عن الجهاد، وخور في العزيمة، ووهن في النفس، فانهيار البناء الضخم، وسقطت الدولة المترامية في سنوات قليلة، ولم يعد أمام السلطان سوى التوجه إلى مكان آمن يعيد فيه تنظيم جيشه ويعاود الجهاد حتى يسترد ما فقده، لكنها كانت أحلام بدها إصرار جنكيز خان على تتبع السلطان الفار من بلد إلى آخر، وجند المغول تطارده، حتى انتهى به المطاف إلى **همدان** في نحو عشرين ألفاً من جنوده. وفي هذه الأثناء تمكن المغول من السيطرة على إقليم خوارزم، أهم ولايات الدولة، وأسروا ترکان خان والدة السلطان ومن معها من أبنائه وبناته، فلما قدّموا إلى جنكيز خان أمر بقتل أبناء السلطان محمد بن خوارزم وكانوا صغار السن، وزوّج أبناءه وبعض رجاله من بنات السلطان. حمادة شرقاوي، الدولة الخوارزمية، موقع الخط العربي.



موقع منغوليا في قارة آسيا

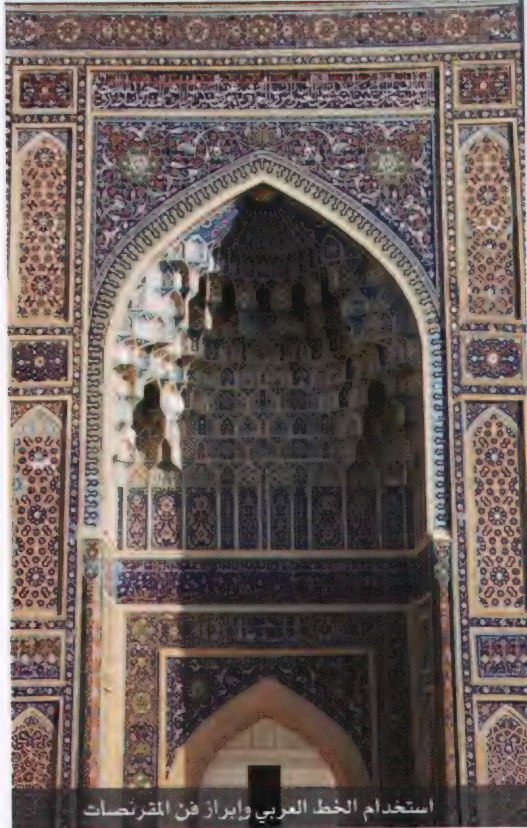


سقوط المملكة الخوارزمية على أيدي القوات المغولية سنة ٦١٦ هـ

الدولة الغورية		المملكة الخوارزمية		الخلافة العباسية في بغداد
بقايا الاحتلال الصليبي		الإمبراطورية البيزنطية		تبعية الحجاز الاسمية للعباسيين في العصر العباسي الرابع
الإسماعيليون (الحشاشون) في ألمات		مملكة أرمينيا الصغرى والكبرى		
الأيوبيون		الأيوبيون ثم المماليك		
العيونيون				



ميدان ريخستان من معالم سمرقند



استخدام الخط العربي وإبراز فن المقرنصات

في سنة (٨٧ هـ - ٧٠٥ م) تم الفتح الإسلامي لمدينة "سمرقند" على يد القائد المسلم "قتيبة بن مسلم الباهلي" ثم أعاد فتحها مرة أخرى سنة (٩٢ هـ - ٧١٠ م)... وبعد الفتح الإسلامي قام المسلمون بتحويل عدد من المعابد إلى مساجد لتأدية الصلاة، وتعليم الدين الإسلامي لأهل البلاد.. وفي بداية الغزو المغولي للمدينة؛ قام "المغول" بتدمير معظم العماثر الإسلامية، وبعد ذلك اتجه "المغول" أنفسهم بعد اعتناق الإسلام إلى تشييد العديد من العماثر الإسلامية، خاصة في العهد التيموري، وذلك على مدى (١٥٠) عاماً هي فترة حكمهم لبلاد ما وراء النهر من (٦١٧ هـ - ١٢٢٠ م) إلى عام (٧٧٢ هـ - ١٣٧٠ م).. وقد اتخذ "تيمورلنك" **"سمرقند"** عاصمة لملكه، ونقل إليها الصُّناع وأرباب الحرف لينهضوا بها فنياً وعمرانياً، فكان عصر "تيمورلنك" بحق عصر التشييد والعمران.





فتحت مدينة "بخارى" سنة (٨٩٩هـ) عندما تولى القائد المسلم "قتيبة بن مسلم الباهلي" ولاية "خراسان"، حيث توجه إلى "بخارى"، وغزاها ودخل المدينة، واستقر المسلمون بها، وتصلح "قتيبة" مع أهل "بخارى" على أن يعطوا للمسلمين جزءاً من بيوتهم. وفي سنة (٩٤٤هـ) بنى "قتيبة بن مسلم" أول مسجد جامع في "بخارى" وظل هذا المسجد رمزاً للمدينة عبر العصور. وفي سنة (١٧٧٨هـ) قام بتوسيع هذا المسجد "الفضل بن يحيى اليرموكي" في زمن الخليفة العباسي "هارون الرشيد". وقد تعرضت مدينة "بخارى" لمحن عديدة، وكانت أشد هذه المحن محنة "المغول" الذين نزلوا بظاهر المدينة عام (٦١٧هـ)، وتمكنوا من اقتحامها ودخل "جنكيز خان" المسجد الجامع بفريسه، وأذن لجنوده، فقاموا بأعمال النهب والسلب والتخريب في المدينة. وظل الحال هكذا حتى ظهر نفر من جند السلطان "محمد خوارزم شاه" كانوا مختبئين في المدينة، وكانوا يقومون بغارات ليلية على "المغول"، فنفضب "جنكيز خان" وأمر بإشعال النار في المدينة. وظل "المغول" يحكمون المدينة فترات طويلة من تاريخها.

الحملة الصليبية السادسة

سنة ٦٢٥ - ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ م

قادة الحملة: فريدريك الثاني

سبب الحملة ومسارها:

الكامل والتفريط في بيت المقدس

أرسل السلطان الكامل مبعوثه الأمير "فخر الدين يوسف" بهذا العرض إلى الإمبراطور فريدريك الثاني، فأحســن فريدريك استقباله في **صقلية**. ورد على السلطان بسفارة مماثلة، وقد دعم هذا العرض السخي ما كان يعتمل في نفس الإمبراطور من القيام بحملة صليبية إلى الشام، وقطع ترده في النهوض بهذه المهمة التي كان يستحثه البابا جريجوري التاسع على النهوض بها: فغادر **صقلية** في (رجب ٦٢٥هـ = حزيران ١٢٢٨م) قاصداً بلاد الشام، ممنياً نفسه بيت المقدس، وبمجد يحققه يظل التاريخ الأوروبي يلهج بذكره.

وكانت تلك الحملة التي عرفت في تاريخ الحروب الصليبية **بالحملة الصليبية السادسة** من أعجب الحملات: فلم يتجاوز أفرادها ستمائة فارس فقط، وأسطول هزيل، وكان الإمبراطور فريدريك جاء إلى الشام ليفاوض لا ليحارب، أو أتى إلى الشرق في نزهة جميلة، وتحققت أمنيته.

بعد فشل الحملة الصليبية الخامسة؛ تدهورت أحوال الصليبيين في المشرق فأخذ **البابا** يلح على الإمبراطور **فريدريك الثاني** لإعداد حملة صليبية جديدة تستعيد هبة الصليبيين والكنيسة الغربية فتقاعس الإمبراطور لذلك مما أدى إلى إصدار قرار كنسي بحرمان الإمبراطور من رحمة الكنيسة، فخشي الإمبراطور من غضب البابا فخرج ملبياً طلبه مستغلاً الانشقاق داخل البيت الأيوبي والفرصة الذهبية التي أتته من **العادل**؛

لقد كان لتضامن أبناء السلطان الأيوبي (العادل) الثلاثة: الكامل محمد، والمعظم عيسى، والأشرف موسى؛ أثره الواضح في تحقيق النصر في دمياط، وإفشال الحملة الصليبية الخامسة بقيادة "حنّادي برين"، وكان المأمول أن يظل هذا التحالف قوياً، لكن ذلك لم يحدث، فانفرط العقد، وانكفأ كل واحد منهم حول ذاته، يعظم من شأن مصالحه ومكاسبه دون النظر إلى مصلحة أمته؛ فشبّ صراع بين الكامل وأخيه السلطان المعظم عيسى صاحب دمشق.

واستعان كل واحد منهما بقوة خارجية لمؤازرته في مواجهة الآخر، فاستجد الملك المعظم؛ بالسلطان جلال الدين بن خوارزم شاه سلطان الدولة الخوارزمية، في حين استعان السلطان الكامل بالإمبراطور **فريدريك الثاني** صاحب **صقلية** وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة في غربي أوروبا. وكان الثمن الذي أعلنه السلطان الكامل للإمبراطور فريدريك هو تسليمه بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل



الذي أعلنه السلطان الكامل للإمبراطور فريديريك هو تسليمه بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل الشامي، وذلك مقابل مساعدته في حربه ضد أخيه المعظم، ويا له من ثمن غالٍ في مقابل هدف غير نبيل.

وإذا كان السلطان الكامل قد عرض تسليم القدس للصليبيين مقابل الجلاء عن دمياط، فإنه قد يلتمس له البعض العذر فيما أقدم عليه؛ فإن هول المصيبة قد أطاش بلبه، وأعجزه عن التفكير السليم، ولكن ليس له عذر في عرضه الثاني، فضلاً عن كونه لا يملك الحق في هذا التنازل أصلاً، وهذا من أعجب ما يقابله الإنسان في تصفحه للتاريخ الإسلامي: تفريط دون حاجة، وتنازل مقابل أهداف غير نبيلة. وعندما وصل إلى "عكا" وجد الأمور على غير ما يتمنى، فالسبب الذي من أجله استدعاه السلطان الكامل قد زال وانتهى، فالملك المعظم عيسى الذي كان يعمل على التوسع على حساب إخوته وأهل بيته قد توفي، فلم تعد هنالك حاجة تدعو السلطان الكامل إلى الوفاء بوعده للإمبراطور فريديريك، بعد أن اقتسم الأخوان الكامل محمد والأشراف موسى ممتلكات أخيهما المعظم عيسى مثير القلاقل، وعادت الأمور في البيت الأيوبي إلى الهدوء والاستقرار إلى حد ما^(١).

سلاح المفاوضات الاستعطافي وتسليم بيت المقدس

اتفاقية يافا المخزية

١ - الصلح بين الطرفين لمدة عشر سنوات، على أن يأخذ الصليبيون بيت المقدس وبيت لحم والناصرة وصيدا، وقسم من دائرة صيدا وطورون (تبنين حالياً).

٢ - أن تبقى مدينة القدس على ما هي عليه، فلا يُجَدَّد سورها، وأن يظل السور بما يضمه من المسجد الأقصى وقبة الصخرة بأيدي المسلمين، وتُقام فيه الشعائر، ولا يدخله الصليبيون إلا للزيارة فقط.



مستند اتفاقية يافا بين الملك الكامل وفريدريك الثاني

أطلس الدولة العباسية في عصور الإسلام في العصور الوسطى

سواء موقف الإمبراطور فريدريك الثاني من تغير الأوضاع، ولم يبق له سوى سلاح المفاوضات والاستعطاف، لتحقيق الهدف الغالي والأمل المنشود؛ فأرسل سفارة إلى السلطان الكامل تحمل له هدايا نفيسة، وتطلب منه الوفاء بما تعهد به للإمبراطور، وتسليم بيت المقدس له، وكان طبعياً أن يرفض السلطان الكامل هذا الطلب بعدما تبدلت الأحوال التي ألجأته إلى القيام بهذا العرض، غير أن رفض



الإمبراطور فريدريك الثاني

السلطان زاد من إصرار الإمبراطور على تكرار الطلب، والمبالغة في استمالة السلطان واستعطافه إلى حد التذلل والبكاء، وبلغ به الأمر إلى أنه كتب للسلطان الكامل في أثناء المفاوضات: **"أنا مملوكك وعتيقك وليس لي عما تأمره خروج، وأنت تعلم أنني أكبر ملوك البحر، وقد علم البابا والملوك باهتمامي وطلوعي، فإن رجعت خائباً انكسرت حرمتي بينهم!... فإن رأى السلطان أن ينعم عليّ بقبضة البلد والزيارة، فيكون صدقة منه، ويرتفع رأسي بين ملوك البحر"**.

أفلحت هذه السياسة وأثمرت استعطافات فريدريك في استمالة قلب السلطان الكامل، وكان رجلاً متسامحاً، ففرط فيما لا يملكه، وتسامح فيما لا يجوز التسامح فيه، ووافق على تسليم بيت المقدس دون أن يبذل الإمبراطور في الاستيلاء عليه قطرة دم، أو ضربة سيف، أو طعنة رمح، وإنما فاز ببيت المقدس بدمعة عين، وخداع نفس، وحقق ما عجز عن تحقيقه ريتشارد قلب الأسد بجيوشه الضخمة وإمكاناته الكبيرة.

موقف المسلمين من اتفاقية يافا

استنكر المسلمون المعاهدة الكاملية - الفرديكية (اتفاقية يافا) التي قضت بتسليم **القدس الشريف** إلى الصليبيين، ومن مظاهر ذلك الاستنكار ما حدث بدمشق، فقد بكى الناس فيها على ما جرى في بيت المقدس وزاد سخطهم على الملك؛ بسبب تحريض ابن أخيه الملك الناصر صاحبها، وبسبب دروس الحافظ **شمس الدين سبط ابن الجوزي** مؤلف كتاب (مرآة الزمان عن فضائل بيت المقدس) فاجتمع في الجامع الأموي بدمشق عدد من الناس وعلت أصواتهم. واشتد بكاءؤهم وأنشد الحافظ شمس الدين قصيدة بلغت أبياتها ثلاثمائة بيت منها :

على قبة المعراج والصخرة التي تفاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مفقر العرصات
 هكذا استقبل المسلمون نبأ تسليم المدينة المقدسة بالأسى والحزن، وعم السخط أرجاء العالم الإسلامي، ويصور المقرئ ما حل بالمسلمين من ألم بقوله: "فاشتد البكاء وعظم الصراخ والعيول، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل، وأذنوا على بابه في غير وقت الأذان.. واشتد الإنكار على **الملك الكامل**، وكثرت الشفاعات عليه في سائر الأقطار".

ولما أحس السلطان الكامل أنه تورط مع الإمبراطور الصليبي؛ أخذ يهون من أمر تسليم بيت المقدس، ويعلن أنه لم يعط الصليبيين إلا الكنائس والبيوت الخربة، على حين بقي المسجد الأقصى على حاله.. غير أن هذه المبررات لم تنطل على أحد من الناس. وظل بيت المقدس أسيراً في أيدي الصليبيين يشكو إلى الله ظلم الحكام وسوء تصرفهم، حتى نجح **الخوارزميون** في تحريره في (٣ من صفر ٦٤٢ هـ = ١١ من يوليو ١٢٤٤ م).

في ١٨ مارس ١٢٢٨ م، توج فريديريك الثاني نفسه بنفسه في كنيسة القيامة، فقد رفض رجال الدين تتويج الإمبراطور المحروم من الكنيسة، وفرضت البابوية منعاً لممارسة الطقوس الدينية في القدس، ودفع البابا مواليه إلى ممتلكات فريديريك في إيطاليا، فأسرع فريديريك إلى المغادرة ونشب صراع مسلح ضد الحبر الأعظم، وألحق الهزيمة بالبابا؛ وفي سنة ١٢٣٠ م، ألغى البابا الحظر عن فريديريك وصادق في السنة التالية على معاهداته مع المسلمين.

لقد تمكن الصليبيون من اغتصاب المدينة المقدسة نحو تسع وتسعين سنة، منذ اغتصابهم الأول لها حتى استردادها منهم من قبل الخوارزمية، وذلك في فترات متقطعة على النحو التالي:
 ... - من عام ١٠٩٩ - عام ١١٨٧ أي ٨٨ سنة وهي الفترة التي قامت فيها المملكة اللاتينية التي انتهت بتحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي .
 ... - من عام ١٢٢٩ - عام ١٢٣٩ أي ١٠ سنوات وهي مدة المعاهدة الفرديكية الكاملية (اتفاقية يافا).

الدولة الرسولية في اليمن: ٦٢٦-٨٥٨ هـ / ١٢٢٩-١٤٥٤ م

استقلال الرسوليين

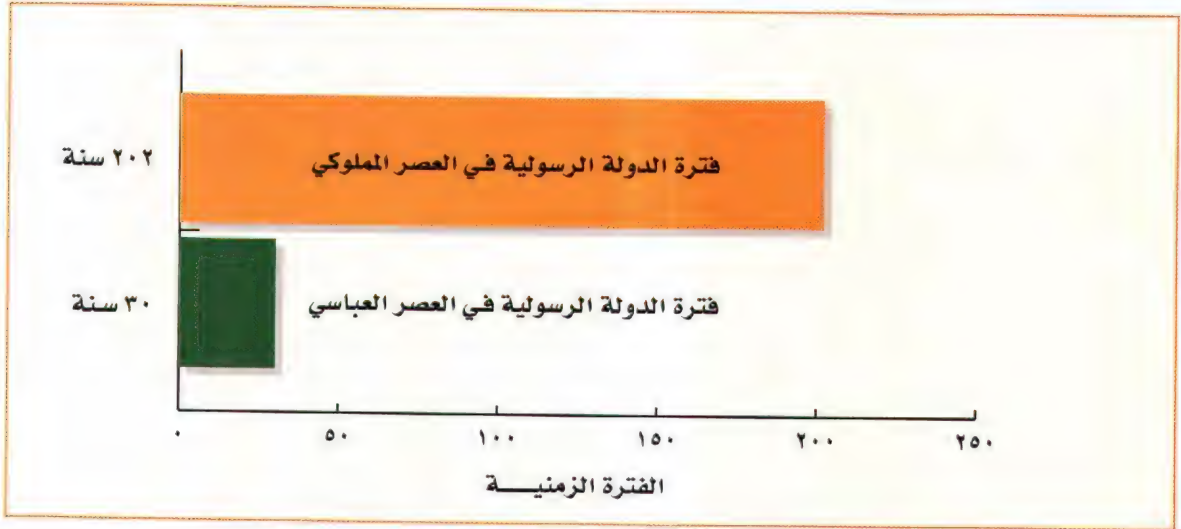
أعلن الرسوليون استقلالهم عن الدولة الأيوبية في مصر في العام ٦٣٠ هـ / ١٢٢٢ م وخطبوا للخليفة العباسي المعاصر لهم بعد أن طلبوا منه أمر نيابة مباشر عنهم في اليمن دون وساطة الأيوبيين، وكانت **الخلافة العباسية** في نزاعها الأخير ولا تملك إلا الموافقة على طلبات من لا يزال يرى في غطائها الروحي أهمية لتوطيد ملكه، وهو بالضبط ما احتاج إليه الرسوليون الذين ظلوا على ولاء للخلافة العباسية ويخطبون في مساجدهم لآخر خلفائها المستعصم دهرًا طويلاً بعد وفاة دولتهم في بغداد عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م على يد المغول، إذ يذكر الخزرجي مؤرخ بني رسول المعاصر والمتوفى عام ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م أن المستعصم: "هو الذي يدعى له على سائر المنابر إلى وقتنا هذا من سنة ثمان وتسعين وسبعمئة" أي بعد مائة وستة وخمسين عاماً من انتهاء الخلافة العباسية، وربما استمر بعد ذلك وإلى بدايات تصدع الدولة.

تنسب هذه الدولة إلى **محمد بن هارون** صاحب المنزلة المميزة في **البلاط العباسي** إبان سيطرة القائد **يوسف صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله -** على مصر وبلاد الشام.

كان الخليفة العباسي **المستضيء بالله** قد أرسله من بغداد إلى مصر عدة مرات بمهام خاصة، فعرف بلقب الرسول، ثم عمل وزيراً للأيوبيين بمصر، وكان أبنائه وأحفاده محل ثقة الأيوبيين. وعلى إثر مغادرة الملك المسعود الأيوبي بلاد اليمن عائداً إلى القاهرة أوكل إلى نور الدين بن عمر مهمة الإشراف على إدارتها، فأعلن هذا استقلاله بها، واتخذ من **مدينة تعز** عاصمة له مستمداً شرعيته من الخليفة الظاهر بن الناصر العباسي.

وبعد وفاة نور الدين قام بالأمر من بعده ولده يوسف الذي مد نفوذه إلى مكة، وجرت بينه وبين أئمة الزيدية حروب طال أمدها، استمر عليها أبنائه وأحفاده من بعده. وإلى بني رسول ينسب كثير من بناء المدارس والمساجد في كل من تعز وزبيد، وشهدت البلاد في عهدهم حركة علمية نشطة، ومن أبرز الأسماء التي لمعت في عهدهم علي بن الحسن الخزرجي صاحب المؤلفات التاريخية النفيسة ومجد الدين الفيروزآبادي صاحب قاموس «تاج العروس». بلغ عدد ملوك هذه الأسرة اثني عشر سلطاناً، آخرهم المسعود أبو القاسم بن الأشرف الذي تمرد عليه بعض أبناء عمه، فاضطربت أحوال اليمن، فانقض ولاتهم من بني طاهر، وأقاموا دولتهم على أنقاض الدولة الرسولية عند منتصف القرن التاسع

يرفع **التسابون** نسب الرسوليين إلى جيلة بن الأيهم الفساني. والفساستة فرع من قبيلة الأزد اليمنية التي نزحت إلى شمالي الجزيرة بعد تهمد السد وسادوا في بلاد الشام. وفي أزمنة لاحقة سكن أحفاد ابن الأيهم بلاد التركمان وتكلموا لغتهم ومن هنا جاء الوهم عند بعض النسابة فجعلوهم تركماناً. أما الجد القريب للرسوليين فهو محمد بن هارون الذي استوطن العراق ودخل في خدمة أحد **خلفاء بني العباس** الذي وثق بحكمته وفصاحته فجعله رسوله إلى الشام ومصر حتى غلب عليه لقب رسول فصار علماً عليه وعلى أسرته من بعده.



سيرد تفصيل هذه الدولة - إن شاء الله تعالى - في أطلس تاريخ العصر المملوكي



من آثار الدولة الرسولية بمدينة نجر البهنية م - ص (منتديات الأعوس الثقافية)

الدولة الحفصية ٦٢٦-٩٨١ هـ / ١٢٢٨-١٥٧٤ م

ينتمي **الحفصيون** إلى قبيلة مصمودة البربرية، ومساكنها في جبال الأطلس. استمدت التسمية من أبي حفص عمر (١١٧٤-١١٩٥ م) أحد أجداد الأسرة ومن رجالات ابن تومرت الأوفياء. أصبح ابنه من بعده من عمال الموحدين على تونس. قام ابنه من بعده الأمير أبو زكريا الحفصي (١٢٢٨-١٢٤٩ م) بالاستيلاء على السلطة وأعلن استقلاله واستطاع أن يؤسس دولة خلفت الدولة الموحدية في المنطقة. قضى ابنه المستنصر (١٢٤٩-١٢٧٧ م) على الحملة الصليبية الثامنة (سنة ١٢٧٠)، - انظر الحملة الصليبية الثامنة من هذا الأطلس - ثم اتخذ لقب أمير المؤمنين. بعد وفاته تنازع أولاده الحكم. وجرت حروب طاحنة بينهم.

حقق قيام دولة الحفصيين لإفريقية سنوات من الازدهار والاستقرار وأصبحت مدينة **تونس** عاصمة للدولة ومركزاً ثقافياً وسياسياً، وأشاد أبو زكريا والمستنصر الكثير من القصور والمساجد والزوايا والقناطر والمكتبات، واجتذبا إلى البلاد الشعراء والعلماء من بقاع العالم الإسلامي. وكان للمهاجرين المسلمين من الأندلس في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، مشاركة قيمة في النهوض بدراسات الأدب وفقه المالكية، منهم قاضي القضاة ابن الغماز وابن الأبار وقد وفدا من بلنسية الأندلسية، وبنو عصفور من إشبيلية، وبنو خلدون أجداد ابن خلدون المؤرخ المشهور الذي ولد ونشأ في تونس .

ب وفاة المستنصر تبدأ مرحلة من الاضطرابات والحركات الانفصالية استمرت من سنة ٦٧٥ إلى ٧١٨ هـ / ١٢٧٧ - ١٣١٨ م، حين تولى السلطة أبو يحيى أبو بكر فأعاد للدولة الحفصية وحدتها. وسيرد تفصيل هذه الدولة أن شاء الله تعالى في كتابنا القادم (أطلس تاريخ العصر المملوكي).



دينار حفصي ضرب بين عامي ٦٢٥ هـ و ٦٤٧ هـ / ١٢٢٨ و ١٢٤٩ م في عهد السلطان الحفصي أبي زكريا يحيى بن حفص

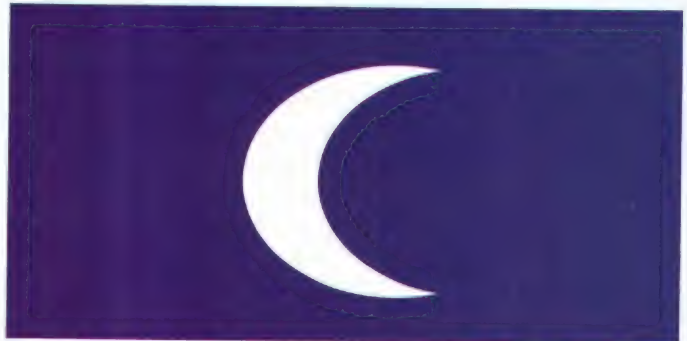
الدولة الزيانية (٦٣٧-٩٦٢هـ / ١٢٣٩-١٥٥٤م)

ينتمي **الزيانيون** بنو زيان أو زِيَّان (ويعرفون كذلك ببني عبد الواد) وهي أسرة أمازيغية من نسل طاع الله بن علي من بني عبد الواد، أحد أحياء زناتة، حكمت المغرب الأوسط (الجزائر اليوم) من القرن السابع إلى القرن العاشر للهجرة متخذة من مدينة تلمسان حاضرة لها. مؤسس الأسرة يغمراسن بن زيان بن ثابت، تولى رئاسة مشيخة بني عبد الواد بعد وفاة أخيه زكراز بن زيان (ت ٦٣٣هـ) الذي كان والياً على تلمسان للموحدين من بني عبد المؤمن. وقد تمكن يغمراسن بحنكته وقوة عزيمته وحسن سيرته في الرعية من إخضاع أكثر أحياء زناتة وحلفائها من بني هلال وقبائل العرب التي تقطن المغرب الأوسط، وأقام المسالحي واستكثر من العسكر من الروم والغز، ففقت شوكته واستقل بالأمر في **تلمسان**، واتخذ الوزراء والكتاب، ولبس شارة الملك وتسلطن، مكثفياً بالدعاء على المنابر لخليفة الموحدين في مراكش.

اضطر يغمراسن بسبب سياسته هذه وطول مدة حكمه إلى مواجهة خصوم أشداء من بعض أحياء زناتة المزاحمين له، خاصة بنو عبد المؤمن وبنو مرين في المغرب الأقصى وبنو حفص في إفريقيا (تونس)، وبنو توجين ومغراوة في المغرب الأوسط وغيرهم، وكانت له معهم أيام ووقائع كثيرة؛ إلا أنه تمكن من التغلب على جل خصومه، وفل جموعهم، وتوطيد أركان ملكه حتى وفاته على فراشه في إحدى غزواته على مغراوة سنة ٦٨١هـ. وتوالى على الحكم من بعده أربعة ملوك أقوياء من نسله، ابتداء من ابنه أبي سعيد عثمان بن يغمراسن (٦٨١-٧٠٣هـ)، وخلفه على العرش حفيده أبو زيان محمد بن عثمان (٧٠٣-٧٠٧هـ)، ثم موسى ابن عثمان (٧٠٧-٧١٨هـ)، ومن بعده أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان (٧١٨-٧٣٧هـ) الذي قتل دفاعاً عن حاضرتة تلمسان حين غزاها بنو مرين بقيادة السلطان «أبو الحسن» سلطان مراكش، واستولوا عليها بعد قتال ضار، وكان سقوط المدينة إيذاناً بانتهاء الحقبة الأولى من حكم بني زيان أو بني عبد الواد. وسيرد تفصيل هذه الدولة إن شاء الله في كتابنا القادم (أطلس تاريخ العصر المملوكي).

انظر خارطة الدولة ص ٣٧٣ من هذا الأطلس

علم دولة الزيانيين في المغرب الأوسط (الجزائر)



دولة بني الأحمر ٦٣٠ - ٨٩٧ هـ، ١٢٣٣ - ١٤٩٢ م

بنو الأحمر، دولة (٦٣٠ - ٨٩٧ هـ، ١٢٣٣ - ١٤٩٢ م). دولة بني الأحمر آخر دول ملوك الطوائف الإسلامية الحاكمة في الأندلس. وتسمى أيضاً: مملكة غرناطة. كان سقوط الدولة الأموية بالأندلس عام ٤٢٢ هـ، ١٠٣١ م بداية دخول الأندلس في عصر الطوائف، الذي امتد إلى عام ٤٨٤ هـ، ١٠٩١ م، وتجاوز عدد ملوكه العشرين ملكاً أو أميراً. استقل كل أمير مقاطعة بما تحت يده وكان من أشهرهم: بنو عباد بإشبيلية، وبنو حمود الأدارسة بمالقا والجزيرة، وبنو زيري بغرناطة، وبنو هود بسرقسطة، وأقواهم بنو ذو النون بطليلة ومرسية وألمرية.

قضى المرابطون على ملوك الطوائف بنهاية عام ٤٨٣ هـ، ١٠٩٠ م. ولم تأت سنة ٤٩٥ هـ، ١١٠٢ م حتى كانت الأندلس تابعة لدولة المرابطين بإفريقيا. انظر ص « من هذا الأطلس. وما لبثت دولة المرابطين الأندلسية أن سقطت، فعادت الأندلس إلى أسوأ من حالتها أيام ملوك الطوائف. فقد صار الملوك في الأندلس بعدد ما فيها من مدن، ثم اختفوا جميعاً بدخول الموحدين الأندلس وانتصارهم في موقعة الأرك سنة ٥٩١ هـ، ١١٩٥ م.

لم يمكث الموحدون طويلاً في الأندلس فقد أخرجوا منها عام ٦٣٣ هـ، ١٢٣٥ م، إثر موقعة العقاب. وأعلن ابن هود نفسه حاكماً لأكثر بلاد الجنوب. وعندما مات انتقل حكم الأندلس إلى بني نصر (بني الأحمر)، أمراء غرناطة، سنة ٦٣٦ هـ، ١٢٣٨ م. « انظر الخارطة ص ٣٧٣ من هذا الأطلس »

وفي الفترة ما بين عام ٦٣٦ و٦٦٨ هـ، ١٢٣٨ و١٢٦٠ م استولى فرديناند الثالث، ملك قشتالة، وجايم الأول ملك أراغون على مدن بلنسية وقرطبة ومرسية وأشبيلية، وحاصروا ملك المسلمين في غرناطة. وصمدت **دولة غرناطة (بني الأحمر)** أمام الأسبان قرنين ونصف القرن. ويرجع ذلك لعدة أسباب من أهمها: ١- انحاز إليها معظم الجنود المسلمين الأشداء الذين فروا من المدن الأندلسية التي سقطت في أيدي النصارى، وهبوا للدفاع عنها. ٢- كان منشأ دولة بني الأحمر عربياً **من بني نصر يدعى محمد بن يوسف بن نصر**، ولقب بابن الأحمر لشجرة فيه، وكان حازماً مقتدراً عادلاً سخياً وذو خلق كريم، وهي صفات حبيته إلى الناس، وجعلتهم يلتفون حوله. ٣- موقع غرناطة الحصين بين جبال سيرايايفادا وساحل البحر من ألمرية إلى جبل طارق. ٤- استطاع ابن الأحمر، بمعاونة العلماء الذين وفدوا إليه من شتى المدن الإسلامية التي سقطت في أيدي النصارى، أن يستخرج المعادن لزيادة موارد الدولة المالية. الزراعة والتجارية. وتنفيذ مشروعات حضارية طموحة مثل تشييد المدارس وبناء قصر الحمراء الذي جاء آية في الجمال والإبداع. ٥- المساعدات العسكرية التي كانت تتلقاها غرناطة من أصدقائها أمراء بني مرين بالمغرب. وسيرد تفصيل هذه الدولة إن شاء الله في كتابنا القادم (أطلس تاريخ العصر المملوكي).



الاتجاه الفكري للدول الإسلامية التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي - الشمال الإفريقي - منذ القرن الثاني الهجري وحتى القرن السادس الهجري.

الاتجاه الاعتزالي

تمثله دولة الأدارسة في المغرب.

الاتجاه السني

تمثله دولتا الأغلبية والمرابطين، والدولة الزييرية الصنهاجية في آخر عمرها.

الاتجاه الشيعي

تمثله الدولة العبيدية، التي لم تجد لها قبول في المغرب، بسبب ثيلهم من الصعابة.

الاتجاه الإباضي

تمثله دولتا الرستميين والمدرايين، وبعض التجمعات.

اتجاه دولة الموحدين : وكان يجمع بين هذه الاتجاهات وغيرها من الاتجاهات الفكرية الأخرى.

إذ إن محمد بن تومرت مؤسس هذه الدولة استقى من جميع هذه المشارب بل زاد عليها ما يرى أنه يخدم ميوله وأهدافه، ولهذا جاءت الأسس الفكرية لهذه الدولة خليطاً مضطرباً.

استرداد بيت المقدس على يد الملك الصالح أيوب

بعد وفاة السلطان الكامل محمد سنة (٦٣٥هـ = ١٢٣٨م) تعرضت الدولة الأيوبية في مصر والشام لخطر الانقسام والفوضى، فاستولى الصالح نجم الدين أيوب على دمشق سنة (٦٣٦هـ = ١٢٣٩م)، وكان هذا إيذاناً بدخوله في صراع مع أخيه السلطان العادل الصغير بن الكامل؛ الذي خلف أباه على حكم مصر والشام، واستعان كل منهما بأنصار من البيت الأيوبي للوقوف في وجه الآخر، وفي غمرة الصراع قفز عمهما الصالح إسماعيل على "دمشق" واستولى عليها، وطرد الصالح أيوب منها، الذي شاء له القدر أن يقع في قبضة الناصر داود صاحب الأردن والكرك، ثم لم يلبث أن أفرج عنه، واتفقاً معاً على القيام بحملة عسكرية على مصر والاستيلاء عليها من قبضة العادل الصغير.

ولاية الصالح أيوب:

كانت الظروف مهيأة تماماً لنجاح حملة الصالح أيوب؛ فكبار أمراء العادل الصغير مستاءون منه لاحتجابه عنهم، وانشغاله باللهو واللعب عن تدبير شؤون الدولة؛ فقبضوا على سلطانهم اللاهي، واستدعوا أخاه الصالح أيوب لتولي مقاليد البلاد الذي دخل القاهرة في (٢٥ ذي الحجة ٦٣٧هـ = ١٧ يوليو ١٢٣٨م) وجلس على عرشها، واستأثر بها دون الناصر داود.

ولم يرض هذا الموقف الصالح إسماعيل صاحب دمشق، واستشعر الخطر بعد أن نمى إليه أن الصالح أيوب أراد أن يرضي حليفه الناصر داود صاحب الكرك، فاتفق معه على أن يساعده في الحصول على دمشق من الصالح إسماعيل الذي لم يجد قوة تقف إلى جانبه، فسارع إلى التحالف مع الصليبيين ضد الصالح أيوب في مصر والناصر داود في الأردن، وكان ثمن هذا التحالف غالياً، تعهد فيه بأن يعيد بيت المقدس إلى الصليبيين، ورجوع مملكة بيت المقدس إلى ما كانت عليه قديماً قبل صلاح الدين.

ولم يضع الصالح إسماعيل وقتاً وقرن عرض الخيانة بالعمل، فبادر إلى تسليم بيت المقدس إلى الصليبيين ومعها طبرية وعسقلان وعدد من قلاع الشام التي كانت بأيدي المسلمين، وأثار هذا التصرف الأحقق غضب المسلمين ونقمتهم في مصر والشام وسائر أنحاء العالم الإسلامي ورفضت حاميات بعض القلاع تسليم الحصون والقلاع، وهو ما دفع الصالح إسماعيل إلى القيام بحملات لتأديب تلك الحاميات لرفضها تنفيذ أوامره، وكانت فرحة الصليبيين طاغية من هذا العمل الذي جاءهم دون أن يضربوا فيه سيفاً أو يخسروا نفساً، وحصنوا قلعتي طبرية وعسقلان، ورابطوا ما بين يافا وعسقلان.

ضرب تحالف الخيانة:

ولكي يغري الصالح إسماعيل جموع الصليبيين على الاستمرار في التحالف وعدهم أن يعطيهم جزءاً من مصر إن ملكها؛ فانطلقوا إلى غزة عازمين غزو مصر، وحضر لمعاونتهم في غزو مصر جيش الصالح

إسماعيل، جيش الملك المنصور إبراهيم الأيوبي صاحب حمص، غير أن القوات الإسلامية كان لها رأي آخر غير رأي قادتها السفهاء، فانضمت إلى الجيش المصري وأبت أن تقاتل إخوانها المسلمين، وكان لهذه الخطوة أثرها؛ **فحلت الهزيمة بالصلبيين** حين تقابل الفريقان، وقتل منهم أعداد كبيرة وسبق الأسرى إلى **القاهرة**. واضطر الصليبيون إلى عقد الصلح مع سلطان مصر، وإن ظل بأيديهم بيت المقدس وبعض القلاع التي تنازل عنها الصالح إسماعيل.

استرداد بيت المقدس:

ثم لم يلبث أن نشب النزاع مرة أخرى بين الصالحين إسماعيل ونجم الدين أيوب، ووقف الناصر داود هذه المرة مع الصالح إسماعيل، **واتفقا على الاستعانة بالصلبيين ضد إخوانهم المسلمين**، ولم يجد الصالح أيوب قوة تقف إلى جواره غير **"الخوارزمية"** الذين تفرقت بهم السبل بعد انهيار دولتهم ومقتل سلطانهم جلال الدين خوارزم شاه، فاستجابوا لدعوته، وقدموا بأعداد كبيرة إلى الشام، واتجهوا إلى دمشق فوجدوها قوية التحصين فتركوها، واستولوا على **طبرية ونابلس**، وواصلوا سيرهم حتى دخلوا مدينة **بيت المقدس** في (٣ صفر ٦٤٢هـ = ١١ يوليو ١٢٤٤م) واستولوا عليها دون مقاومة، **وكانت هذه آخر مرة يسترد فيها المسلمون بيت المقدس في عصر الحروب الصليبية**، وظلت بأيدي المسلمين حتى سقطت في **قبضة اليهود في عصرنا الحديث**، وهي تنتظر الآن من يفك أسرها ويعيدها إلى حظيرة المسلمين، وندعو الله ألا يطول الانتظار ويعين من يعمل على عودتها.

حطّين الثانية:

وبعد أن استرد **الخوارزميون** بيت المقدس واصلوا سيرهم إلى "غزة" واجتمعوا مع الجيش المصري الذي أرسله الصالح أيوب لمحاربة قوات الشام ومن ناصرها من القوات الصليبية، وتقابل الفريقان في **معركة غزة** في (جمادى الأولى ٦٤٢هـ = أكتوبر ١٢٤٤م)، وكان اللقاء رهيباً، **حلت الهزيمة بالصلبيين**، وقدرت خسائرهم بثلاثين ألف قتيل وثمانمائة أسير، **وكانت هذه الهزيمة أضخم كارثة حلت بالصلبيين بعد معركة حطّين سنة ٥٨٣هـ = ١١٨٧م)**، وبلغ من أثرها أن أطلق عليها **"حطّين الثانية"**.

ولم يلبث أن انفصل الجيش المصري عن الخوارزميين الذين سمح لهم **"الصالح أيوب"** بالاستقرار في الشام على حساب الصليبيين، وواصل سيره، فأخذ **القدس والخليل ودمشق** وغيرها، ثم نازل الصليبيين، ونجح في استرداد قلعة طبرية (٦٤٥هـ = ١٢٤٧م)، ثم استولى على عسقلان في العام نفسه، **وبذلك نجح الصالح أيوب في توحيد مصر والشام تحت سلطانه** بعد أن أصبحت القاهرة ودمشق وبيت المقدس في قبضة يده، ووفد عليه في دمشق ملوك البيت الأيوبي بالشام لتقديم فروض الولاء والطاعة^(١).

الحملة الصليبية السابعة

سنة ٦٤٦ - ٦٤٨ هـ - ١٢٤٨ م - ١٢٥٠ م

قادة الحملة: لويس التاسع (ملك فرنسا)

سبب الحملة ومسارها:

كان لاسترجاع بيت المقدس من أيدي **الصليبيين** رد فعل في أوروبا النصرانية تجلّى في الحملة الصليبية التي قام بها ملك فرنسا (لويس التاسع) فقد تجهز لحرب صليبية تجهيزاً عظيماً، واصطحب معه الكثير من الأمراء والأشراف بفرنسا. وكان معه إخوته الثلاثة:

١ - روبرت دارتوا ٢ - ألفونس دو بواتييه ٣ - شارل دانجو. كما كان معه المؤرخ الفرنسي لهذه الحملة (جوفرا دو سرجين) وزوجته.

وكانت الفكرة السائدة في أوروبا منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي؛ أن **مصر** ما دامت على قوتها وبأسها فلا سبيل إلى نجاح الحملات الصليبية واسترداد بيت المقدس من المسلمين؛ الذين نجحوا في استعادته من الصليبيين مرة ثانية سنة (٦٤٢ هـ = ١٢٤٤ م) على يد الملك الصالح أيوب. إلا بشن حملة عليها، وتم التنسيق لذلك مع البابا **أنوسنت الرابع** والملك الفرنسي **لويس التاسع**، وشهد **مجمع ليون الديني** الدعوة لها سنة (٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م).

أبحر لويس من **مارسيليا** قاصداً الشرق ومعه زوجته وإخوته الثلاثة، واتجهت الحملة إلى مصر مروراً بقبرص بجيش قوامه ٥٠ ألف مقاتل، ومنها تأخذ مسارها نحو بيت المقدس لاستردادها وهي هدف الحملة. ولم يكن هدف تلك الحملة إعادة الاستيلاء على بيت المقدس، أو ضرب مصر باعتبارها قاعدة حربية مهمة فحسب، وإنما استهدفت أيضاً هدفاً بعيد المنال، يتمثل في تكوين **حلف نصراني وثني** بين الصليبيين والمغول، يهدم الدولة الأيوبية في مصر والشام من ناحية، ويطوق العالم الإسلامي ويحيط به من الشرق والغرب من ناحية أخرى، أرسل البابا أنوسنت الرابع سفارتين إلى المغول لتحقيق هذا الغرض، غير أنهما لم يكللا بالنجاح.



ملك فرنسا (لويس التاسع)

قام لويس التاسع بقيادة الحملة الصليبية السابعة عام ١٢٤٩ م، حتى يحرر بيت المقدس من أيدي سلاطين مصر، فكانت وجهته الأولى دمياط في مصر، إلا أنه هزم ثم أسرف في أولى مواجهاته في المنصورة عام ١٢٥٠ م. بعد أن افتدى نفسه من الأسر، استقر في الشام لمدة أربع سنوات ١٢٥٠-١٢٥٤ م، ليعود بعدها إلى فرنسا حيث قام بإعادة تنظيم أجهزة الدولة ووطد دعائم السلطة الملكية، كما أرسى قواعد أولى المؤسسات البرلمانية.

كانت له العديد من الأعمال الأخرى: تشييد الكنيسة المحقة بقصره في باريس الكنيسة المقدسة، التي تعد من الشواهد البارزة على فن العمارة القوطي وتشتهر بزجاجياتها المتنوعة، وجامعة السوربون والتي خصصت لأبناء العائلات الفقيرة ممن يريدون دراسة علم اللاهوت.

وقام عام ١٢٧٠ م وبالرغم من نصيحة أتباعه بقيادة الحملة الصليبية الثامنة وأبحر نحو تونس آملاً في حمل سلطانها (الحفصي) على اعتناق النصرانية، ومن ثمة الانطلاق نحو مصر التي كانت مفتاحة في استرجاع بيت المقدس، توفي الملك بمجرد أن وطئت قدماه البلاد. عام ١٢٩٧ م فقامت الكنيسة بتطويبه (إدراجه في قائمة القديسين).



استدراك مسبق

الحملة الصليبية الثامنة:

بعد الضربات الموجعة التي وجهها القائد المملوكي الظاهر بيبرس وجيشه المسلم ضد الغزاة الصليبيين في الشام، نكث **لويس التاسع** بعهده فجهز حملة صليبية أخرى لقتال المسلمين إلا أنه لم يستطع أن يتصدى للمماليك في بلاد الشام، فما كان منه إلا أن وجه قواته نحو تونس. وتم خروجه من فرنسا يوم ١٥ مارس ١٢٧٠م.

فضى المستنصر الحفصي على الحملة الصليبية الثامنة (سنة ١٢٧٠).

وصلت الحملة الصليبية السابعة إلى جزيرة قبرص ثم قامت بوقفة تعبوية فيها؛ لتجميع كل السفن والمقاتلين قبل التوجه إلى الديار المصرية بناء على نصيحة مستشاري لويس التاسع، حيث انضم إليه عدد كبير من بارونات سوريا وقوات من فرسان المعبد (الداوية) والإسبتارية التي قدمت من عكا. وفي قبرص استقبل لويس التاسع وفداً من المغول يحمل رسالة ودية من خائنهم يعرض فيها مساعدته على لويس.

ونظراً لتوقف الحملة الصليبية في قبرص أدى إلى تسرب أنبائها إلى مصر قبل وصول سفنها إلى المياه المصرية كما تذكر ذلك المصادر الأوروبية.



مسار الحملة الصليبية الثامنة

سيرد التفصيل الكامل لهذه الحملة في أطلس تاريخ العصر المملوكي إن شاء الله تعالى



١ عَلم الصالح أيوب بأنباء الحملة الصليبية السابعة وهو في بلاد الشام، وترامى إليه تجمع الحشود الصليبية في قبرص، واستعداده لغزو مصر والاستيلاء عليها؛ فرجع إلى مصر على الرغم من مرضه، وبدأ في ترتيب أوضاعه العسكرية.

٢ وصول الأسطول الصليبي إلى المياه المصرية أمام دمياط (٢٠ من صفر ٦٤٧هـ = من يونيو ١٢٤٩م) وفي اليوم التالي؛ نزل الصليبيون إلى البر الغربي للنيل، ووقعت بينهم وبين المسلمين مناوشات انسحب بعدها الأمير فخر الدين وقواته المكلفة بحماية المدينة إلى المعسكر السلطاني.



سفینتان حدیثان تمخران نهر النيل (فرع دمياط)



في الوقت الذي زحفت فيه الحملة الصليبية نحو القاهرة؛ توفي الملك الصالح أيوب في ليلة (النصف من شعبان سنة ٦٤٧هـ = ٢٢ من نوفمبر ١٢٤٩م) فقامت زوجته **شجرة الدر** بتدبير شؤون الدولة بعد أن أخفت خبر موته؛ خوفاً من حدوث فتنة بين صفوف المسلمين. وفي الوقت نفسه أرسلت إلى توران شاه ابن زوجها وولي عهده تحته على مغادرة حصن كيفا، بالقرب من حدود العراق، وعلى سرعة القدوم إلى مصر ليعتلي عرش البلاد خلفاً لأبيه.

تسربت أنباء وفاة الملك الصالح أيوب إلى الصليبيين فبدءوا في التحرك، وتركوا دمياط، وزحفوا جنوباً على شاطئ النيل الشرقي لفرع دمياط، وسقنهم تسير حذاءهم في النيل، حتى وصلوا إلى بحر أوقناة أشمو المعروف اليوم باسم "البحر الصغير"، فصار على يمينهم فرع النيل، وأمامهم قناة أشمو التي تفصلهم عن معسكرات المسلمين القائمة عند مدينة المنصورة. وتعين على الصليبيين لمواصلة الزحف أن يعبروا فرع دمياط أوقناة أشمو فاختر **لويس التاسع القناة، فعبها بمساعدة بعض الخونة**، ولم يشعر المسلمون إلا والصليبيون يقتحمون معسكرهم، فانتشر الذعر بين الجند المصريين، واقتحم الصليبيون بقيادة "روبرت أرتوا" أحد أبواب المنصورة، ونجحوا في دخول المدينة وأخذوا يقتلون المصريين بكل قسوة، حتى وصلت طلائعهم إلى أبواب قصر السلطان نفسه، وانتشروا في أزقة المدينة، حيث أخذ الناس يرمونهم بالحجارة والطوب والسهام. وبينما هم على هذا الحال ظانين أن النصر صار بين أيديهم حقيقة لا خيالاً وأطمأنت نفوسهم إلى هذا النجاح والظفر، انقض المماليك البحرية بقيادة "بيبرس البندقداري" على الصليبيين وهم في نشوتهم وغرورهم وذلك في (٤ من ذي القعدة ٦٤٧هـ = ٨ من فبراير ١٢٥٠م)، فانقلب نصرهم إلى هزيمة، وأوسعهم **المماليك** قتلاً حتى أهلكوهم عن آخرهم تقريباً بما في ذلك الكونت أرتوا نفسه.

مخطط معركة المنصورة في الحملة الصليبية السابعة

في اليوم التالي **لمعركة المنصورة**، عقد الأمير فارس الدين أقطاي القائد العام للجيش الإسلامي مجلس الحرب، عرض فيه على ضباطه معطف الكونت أرتوا ظناً منه أنها سترة الملك، وأعلن أن مقتل الملك يتطلب مهاجمة الصليبيين على الفور، مبرراً ذلك بقوله: "إن شعباً بدون ملك جسم بلا رأس، لا يخشى منه خطر، وعلى ذلك أعلن أنه سيهاجم الجيش الصليبي بلا تردد". وفي فجر يوم الجمعة (٨ من ذي القعدة ٦٤٧هـ = ١١ من فبراير ١٢٥٠م) بدأ الجيش المصري هجومه على معسكر الصليبيين، لكن الملك لويس، تمكن من الثبات بعد أن تكبد خسائر فادحة، وبذلك انتهت **معركة المنصورة الثانية**، وهي المعركة التي أيقن الصليبيون بعدها أنهم لن يستطيعوا البقاء في مراكزهم، وأن عليهم الانسحاب إلى دمياط قبل فوات الأوان.



المشهد الثالث والأخير

الجيش الصليبي

الجيش الإسلامي

موقع مدينة المنصورة من الفضاء الخارجي



موقف الصليبيين بعد معركة المنصورة الثانية

المماليك

ينقسم المماليك إلى قسمين:

١- **المماليك البحرية** وهم الذين أسكنهم الملك الصالح الأيوبي قلعة في جزيرة الروضة، ونسبوا إلى بحر النيل، أو سمّوا بذلك لأنهم قدموا من وراء البحار، وهؤلاء حكموا مصر من سنة (٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م) وتداول عرش مصر في عهدهم أربعة وعشرون سلطاناً.

٢- **المماليك البرجية** أو الجراكسة، وسمّوا بذلك لأن السلطان قلاوون أسكنهم أبراج قلعة الجبل، ولأن الجراكسة كانوا أكثر عدداً وهؤلاء حكموا مصر من سنة (٧٨٤-٩٢٣هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م) وهم ثلاثة وعشرون سلطاناً.

ويبدأ تاريخ المماليك، مع انتصار المماليك البحرية الذين أبلوا بلاء حسناً في مقاومة الحملة الصليبية السابعة وأن يقيموا دولتهم **على أنقاض دولة الأيوبيين في مصر**؛ فلم يكد يمضي شهر من تحقيق هذا النصر حتى تخلص المماليك من توران شاه، وأقاموا **شجرة الدر** سلطانة على مصر، وكان ذلك إيذاناً بيزوغ عصر دولة سلاطين المماليك في مصر والشام. ولم يأخذ المماليك بمبدأ وراثة العرش، وإنما كان الطريق مفتوحاً أمام من أبدى شجاعة وإقداماً ومقدرة. هذه هي المؤهلات في دولة المماليك التي قامت على أنقاض دولة الأيوبيين، وبعد مقتل توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين بمصر.

استطاع المسلمون بقيادة الملك طوران (توران شاه) آخر ملوك الأيوبيين حصر الصليبيين الغزاة في مدينة **المنصورة**، فلقى كثير من الفرسان الصليبيين ممن لم يتسن لهم اللجوء إلى القلعة حتفهم، وبعد فترة اغرق المسلمون الأسطول الصليبي الراسي قرب المنصورة، وقطعوا اتصال الفرسان مع **دمياط** التي كانت قاعدة تموينهم، وتحت طائلة الموت جوعاً فر الصليبيون من **المنصورة** وفكت بهم قوات المسلمين فزال جيشهم من الوجود كقوة مقاتلة، ووقع منهم الآلاف في الأسر، وكان ملك فرنسا (**لويس التاسع**) بين الأسرى، حيث **أسر** في قرية منية أبي عبد الله (حالياً ميت الخولي عبد الله) بمحافظة دمياط وسرعان ما انتشرت الأمراض بين الأسرى كالمالاريا والذرنطاريا والإسقربوط، حتى إن الملك أخذت أسنانه تسقط وتعين حمله لقضاء حاجته، وفي مايو ١٢٥٠م، أخلي سبيل لويس مقابل فدية ضخمة ٨٠٠ ألف بيزنطي أو ٢٠٠ ألف ليرة شريطة أن يغادر الصليبيون دمياط، فوصلت بقاياهم إلى عكا كيفما اتفق.

نهاية الدولة الأيوبية : لقد كان توران شاه شخصية عابثة... فلقد اتصف هذا السلطان الشاب بسوء الخلق، والجهل بشئون السياسة والحكم، وأعماه الغرور الذي ركبه بعد النصر على لويس التاسع ملك فرنسا عن رؤية أفضل ومزايا من حوله، فقد بدأ من ناحية يتنكر لزوجة أبيه شجر الدر، واتهمها بإخفاء أموال أبيه، وطلبها بهذا المال، بل وهددها بشدة حتى دخلها منه خوف شديد، ولم يحفظ لها جميل حفظ الملك له بعد موت أبيه، وحفاظها على سير الأمور لحين قدومه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه بدأ يتنكر لكبار أمراء المماليك، وعلى رأسهم فارس الدين أقطاي وركن الدين بيبرس، ولم يحفظ للمماليك جميل الانتصار الرائع الذي حققوه في معركة المنصورة، فبدأ يقلل من شأنهم، ويقلص من مسؤولياتهم، وبدأ على الجانب الآخر يعظم من شأن الرجال الذين جاءوا معه من حصن كيفا، وبدأ واضعاً للجميع أنه سيقوم بعمليات تغيير واسعة النطاق في السلطة في مصر. فاتفقت شجرة الدر مع فارس الدين أقطاي وركن الدين بيبرس وغيرهما من المماليك الصالحية البحرية على قتل "توران شاه"، وبالفعل تمت الجريمة في يوم ٢٧ محرم سنة ٦٤٨هـ، أي بعد سبعين يوماً فقط من قدومه من حصن كيفا واعتلائه عرش مصر... وكأنه لم يقطع كل هذه المسافات لكي يحكم بل لكي يُدفن!! وهكذا بمقتل "توران شاه" انتهى حكم الأيوبيين تماماً في مصر... وبذلك أغلقت صفحة مهمة من صفحات التاريخ الإسلامي فيها.

خروج لويس من مصر إلى عكا بعد إطلاق سراحه بقدية

البحر الشامي (بحر الروم - البحر الأبيض المتوسط)

الإسكندرية

دمياط

المنصورة

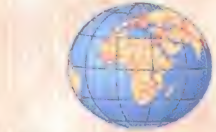
القاهرة

القليزم

سيناء

الصعيد

نهر النيل



دار ابن ثقمان الذي سجن فيه لويس التاسع



الشويك (مونتريال)

الكرك

فلسطين

القدس

عسقلان

يافا

حيفا

صور

صيدا

بيروت

طرابلس

دمشق

بلاد الشام

الأردن

المماليك

الشويك (مونتريال)



عملة لويس التاسع - متحف اللوفر (فرنسا)

١ بعد انتصار الجيش الإسلامي المصري، على جيش الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع، أسر لويس واقتيد إلى شجرة الدر، فأمرت بسجنه في سجن المنصورة، فجعل لويس يفاوض على إطلاق سراحه، ويعرض لقاء ذلك مبالغ خيالية **تقدر بالملايين**، فوافقت أخيراً شجرة الدر بشرط أن يتم تسليم نصف المبلغ قبل إطلاق سراحه فأطلقته، وأقسم لشجرة الدر بعدم العودة إلى مصر مرة أخرى، ولكنه ما إن وصل عكا، حتى نكث عهده وقسمه، وبدأ يجهز جيشاً صليبياً لاستعادة بيت المقدس.

٢ بقي لويس في عكا أربع سنوات، دعا فيها البارونات إلى حملة صليبية، ولكن الدوقات والكونتات والبارونات والفرسان تجاهلوا هذه الدعوة، فغادر لويس التاسع عكا في إبريل ١٢٥٤م إلى فرنسا.

فرسان المعبد (الداوية)

هي هيئة عسكرية دينية تابعة لفرسان المسيح الفقراء، الذين كانوا يعرفون في العصور الوسطى أيضاً بفرسان هيكل سليمان، نسبة إلى مقرهم ببيت المقدس. وقد عرفوا في الكتب الدينية التي ترجع لعصر الحروب الصليبية باسم الداوية، وهي كالهياآت العسكرية الأخرى، مثل فرسان القديس يوحنا (الإسبتارية) والتوتون. تألفت خلال الحروب الصليبية، وكانت النواة الأولى للهيئة فرقة تألفت من تسعة فرسان اجتمعوا برئاسة هيو دي باين، لحماية الحجاج إلى الأماكن المقدسة المسيحية. وازداد عددهم تدريجياً، واتخذوا لأنفسهم قانون طائفة الرهبان البندكيين، ومنحوا مقرأً في بيت المقدس يجاور البناء الذي كان يدعى هيكل سليمان. وانضم كثير من النبلاء الشبان إلى هذه الهيئة التي بدأت فقيرة جداً، ثم سرعان ما أخذت تتلقى منحاً من إقطاعات ومال من جميع أنحاء أوروبا. فأصبحت في مدة قصيرة من أقوى المنظمات العسكرية الأوروبية. واكتسب الداوية شهرة عظيمة بفضل إعلانهم أن هدفهم الأمل هو حماية المسيحية، وبفضل انتصاراتهم العسكرية، إذ أثبتوا شجاعتهم في جميع الحروب التي قامت بها المملكة اللاتينية، ولعبوا دوراً مهماً في الصراع بين الصليبيين والمسلمين. وقد قامت منذ وقت مبكر منافسة مستعرة بينهم وبين الإسبتارية. وكان فرسان الداوية مسؤولين عن قلعة غزة التي سقطت في يد نور الدين زنكي، ثم استعادوها منه. غير أن فتوح صلاح الدين الأيوبي أكرهت الداوية، كما أكرهت الإسبتارية، على الجلاء عن بيت المقدس. وبعد غزو عكا، استقر الفرسان فيها، ولعبوا دوراً مهماً في الحرب الصليبية الثالثة. وأخذ نصيب فرسان الداوية والإسبتارية والتوتون من محاربة العرب يطرد ازدياداً، حتى كادوا ينفردون به دون الصليبيين المتأخرين. لكن هذه الهيئات وقعت فريسة التنافس المدمر فيما بينها، كما أدى صراعها الداخلي المميت هذا إلى إضعاف قضية المسيحية في الشرق الأدنى. وأخذ المسلمون يستعيدون جميع الأراضي المقدسة، وفتحت عكا ١٢٩١م، وانسحب الإسبتاريون والداوية إلى جزيرة قبرص، ثم تخلت هيئة الداوية عن صفتها الحربية الرئيسية، وكان أفرادها قد أصبحوا حتى في القرن ١٢م صيارفة أوروبا بفضل الأموال الطائلة التي أغدقت عليهم. وكانت مؤسساتهم في إنجلترا وفرنسا بوجه خاص عديدة ومزدهرة، وأصبحت مقارهم بيوتات العالم المالية، وقد زادت هذه السيطرة المالية من قوتهم، وأثارت عليهم غضب الأمراء والملوك. ومما زاد الطين بلة، ابتعاد الداوية عن المبادئ القويمة، فساقوا أنفسهم إلى التهلكة. وحقد عليهم فيليب الرابع ملك فرنسا لسيطرتهم المالية، وارتكابهم لجرائم عديدة، فاضطهدهم (١٣٠٨م)، وبإعدام الرئيس الأعلى لفرسان الهيكل، جاك دي مولاي ١٣١٤م، انصرفت حياة هذه الطائفة^(١).



مقاتل من فرسان المعبد (الداوية)



جاك دي مولاي آخر زعماء فرسان المعبد أعدمه فيليب الرابع سنة ١٣١٢ م



عملية إرهابية من ضمن الأعمال التي يقوم بها فرسان المعبد وهو إضرام النار في مخالفيهم

الزحف المغولي نحو الخلافة العباسية

استأنف المغول زحفهم باتجاه مناطق غربي آسيا، بعد وفاة جنكيزخان في عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، ضمن سياسة توسعية. فقد عهد **منكوخان**، الذي تسلم الزعامة في عام ٦٤٦هـ/١٢٢٨م إلى أخيه **هولاكو** بقيادة حملة على فارس وأوصاه بأن ييسط السيطرة المغولية على البلاد الممتدة من العراق حتى أقاصي مصر. وحدد له إطار العلاقة مع الخليفة العباسي، بحيث إذا قدم فروض الولاء والطاعة فلا يتعرض له. أما إذا عصى، فعليه أن يتخلص منه حتى لا يشكل عقبة في طريق الزحف المغولي^(١).

ومن جهته، وضع هولاكو خطة عسكرية تقضي أولاً بالقضاء على الإسماعيلية، ثم غزو المناطق الغربية وصولاً إلى **مصر** في مرحلة ثانية. وبعد أن حقق هدفه الأول انطلق لتحقيق هدفه الثاني.

ووفقاً للخطة التي وضعها منكو، كان على هولاكو أن يهاجم الحشيشية (الإسماعيلية النزارية) في معاقلهم البالغة نحو **خمسين قلعة** منتشرة في قومس وقهستان، أشهرها كردكوه وميمون دز وألموت التي اتخذوها عاصمة لهم وقاعدة للمكهم بفعل مناعتها، وكان القائد المغولي كتبغا قد استولى على بعضها، وعندما تقدمت القوات المغولية نحو القلاع انتاب **ركن الدين خور شاه زعيم الحشاشين** الفرع، وأبدى استعداداً للخضوع للمغول، وطلب منه هولاكو أن يدمر قلاعه كافة، فرفض ذلك، عندئذ قرر هذا الأخير مهاجمته، وعندما استولى المغول على معظم القلاع ولم يتبق إلا ميمون دز وألموت وكردكوه؛ عندها استجاب ركن الدين خور شاه لمطالب المغول وسلم قلعة ميمون بنفسه لهولاكو^(٢).

توجه هولاكو بعد ذلك إلى قلعة ألموت وحاصرها، وطلب من ركن الدين خور شاه إقناع المحاصرين بالاستسلام، لكن قائدها رفض ذلك ثم استسلم بعد ثلاثة أيام من حصارها. ودخل المغول إلى القلعة، وحطموا ما فيها من الأسلحة والعتاد واستولوا على الكنوز والأموال، **وكان لاندحار الحشاشين صدى إيجابى في العالم الإسلامي** على الرغم مما كان يعانيه المسلمون على أيدي المغول، وما يتوقعونه منهم في المستقبل. ولعل مرد ذلك يعود إلى أن هذه الطائفة:

- قاومت في القرن السادس الهجري جهود السلاجقة في القضاء عليها^(٣).

- أرهبت الخلافة العباسية وأفزعت رجالها.

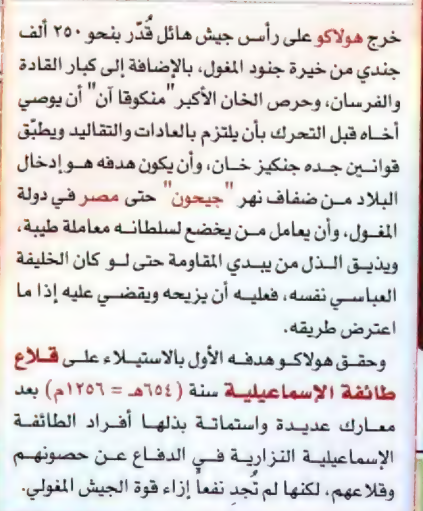
- كانت سبباً من أسباب الفساد المعنوي والتفرق في العالم الإسلامي.

فإذا كان هولاكو قد قضى على وجودها في خراسان وإيران، فإنه يكون بذلك قد أدى خدمة كبيرة لقضية النظام والحضارة وصفه المؤرخ الجويني بأن هذا العمل مرهماً لجراح المسلمين وتداركاً للدين من الخلل.









١- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٥١.

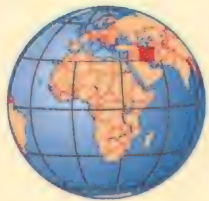
٢- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، ص ١٣٧.

٣- د. محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، ص ١٣٨ - ١٣٩.



الزحف المغولي نحو القلاع الإسماعيلية في إيران سنة ٦٥٠ - ٦٥٤ هـ

الدولة الغورية		السيطرة المغولية على الدولة الخوارزمية		الخلافة العباسية في بغداد
بقايا الاحتلال الصليبي		الإمبراطورية البيزنطية		
الإسماعيليون (الحشاشون) في إيران		مملكة أرمينيا الصغرى والكبرى		دولة الأشراف (الحسنيون) في مكة المكرمة
الأيوبيون		سلطنة المماليك		



تألفت **الدولة الإسماعيلية الباطنية** منذ عام ٤٨٢ هـ حتى انهيارها الأخير في ٦٧٠ هـ في سورية (٦٥٥ هـ في إيران) ، من **أربع مناطق** رئيسة شبه مستقلة إضافة إلى بعض القلاع المتناثرة في أصفهان و الأحواز.

المنطقة الأولى: هي رودبار، الموطن الأساسي للمجتمع الإسماعيلي في إيران منذ عام ٤٨٢ هـ عندما تسلم حسن الصباح زمام الأمور في قلعة الموت (آلوت). وكانت أهم القلاع في تلك المنطقة هي آلوت ،لاماسار، وسامران « دز شميران ».

المنطقة الثانية: هي قومس، وهي المنطقة حول دامغان وسمنان كما تضم أيضاً الحصن حول سورو.

المنطقة الثالثة: هي قوهستان جنوبي خراسان حيث وجد عدد كبير من المكتشفات الحديثة. كما توجد أيضاً مواقع إضافية في الأهواز «خوزستان» ، وبشكل خاص أرجان، حيث حكم الإسماعيليون بضع سنين أثار غزوهم المشهدين، متطلعين إلى أصفهان،عاصمة السلاجقة، وإلى الحصن المجاور في خان لانجان .

وأما المنطقة الرابعة: فتقع في سورية، حيث بقي الإسماعيليون مستقلين حتى عام ٦٥٦ هـ عندما استسلمت آخر قلعة لببيرس. ومع أن قلعة الكهف كانت مكان الإقامة الرئيس للقائد الإسماعيلي سنان راشد الدين، إلا أن «مصيفاف» كانت أهم حصن في سورية، وبقيت هذه القلعة مركزاً حروبياً حتى العهد العثماني، وقد دمرت حديثاً" مع بداية القرن التاسع عشر. وكانت مجموعة القلاع حول القدموس متضمنة الخوابي، الرصافة، القلعة، المينة، والعليقة مركزاً إسماعيلياً آخر في سورية.

حصار المغول لقلع الإسماعيلية في إيران وإسقاطها



بحر الخزر (قزوين)

رحمان باد

إقليم الديلم

بلام
دارود

يما

كيشان

كاركارود

ياسار

جيري

لاماسار

كلامين

دز شميران

ميمون ديز

ألموت

إقليم قزوين الإيـراني

تشاراك

شبركوه

غره دار

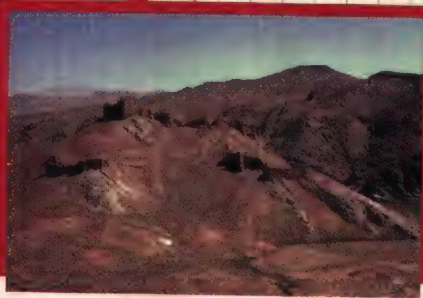
نفيزر شاه

جيرمرود



١٥ ١٠ ٥ ٠ كم

عندما استولى المغول على قلعة ألموت (آلموت) قام بتدمير موقعها العسكري، ويصف المؤرخ الفارسي الجويني بمهارة غرف التخزين الضخمة الموجودة في باطن الأرض التي بناها الإسماعيليون، كما يصف الصعوبات التي واجهها المغوليون في تدمير تحصينات القلعة. وكما بنيت بعض القلاع الإسماعيلية مثل ألموت في مواقع كانت مدعمة سابقاً فإن بعضها الآخر مثل غردكوز كانت أبنية جديدة كلياً.



بنيت القلاع والحصون الإسماعيلية في المناطق الجبلية التي يصعب الوصول إليها في إيران وسورية لتكون ملجأ للطائفة الذين كانوا يغزون الدول السنية وغيرهم خلال العصر العباسي. وصمدت هذه القلاع بفضل بنائها القوي المضاهي للبناء الصليبي أمام اعتداءات عديدة لأكثر من قرنين حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي عندما حاصرها المغول وهدموا ما استعصى عليهم.

سقوط بغداد ونهاية الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م

كانت الأوضاع في العراق سيئة جداً. كما تعددت مراكز القوى آنذاك واختلفت فيما بينها بفعل عوامل سياسية ومذهبية. واشتدت الخلافات بين مجاهد الدين أيبك الدواتدار الصغير، وكان سني المذهب، وبين مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد بن العلقمي، وزير المستعصم، وكان شيعياً. مما كان لها أثرها السيئ في اضطراب الأمور وتقويض سلطة الخلافة^(١).

وتعددت خلافات أهل الحكم لتنتقل إلى العامة من سكان بغداد الذين انقسموا على أنفسهم في تناحر مذهبي، مما دفع الوزير ابن العلقمي إلى مراسلة المغول وأطمعهم في ملك بغداد.

في هذه الظروف الحرجة، طلب هولاكو من الخليفة أن يمدّه بجيش ليعاونه في القضاء على الطائفة الإسماعيلية. شاور المستعصم معاونيه، فنصحوه بعدم الإقدام على هذا العمل، لأن هولاكو يريد بهذه الوسيلة إفراغ بغداد من المدافعين عنها حتى يسهل عليه الاستيلاء عليها عندما يهاجمها. فوافقهم على رأيهم، وامتنع عن إرسال المدد إلى هولاكو.

لما فرغ الزعيم المغولي من القضاء على الإسماعيلية، أرسل إلى الخليفة رسالة عتاب تتضمن تهديداً ووَعِيداً لا متناعه عن تنفيذ مطالبه، وطلب منه أن يهدم الحصون، ويردم الخنادق ويسلم البلاد لابنه، وأن يحضر لمقابلته أو يرسل الوزير سليمان شاه الدواتدار. والواقع أن هذا الاحتجاج لم يكن إلا ذريعة للمطالبة بالسلطة الزمنية التي سبق أن منحت في بغداد للأمراء البويهيين ثم للسلطين السلاجقة، وطلب منه^(٢):

- أن يهدم الحصون، ويردم الخنادق، ويسلم البلاد لابنه.

- أن يحضر لمقابلته أو يرسل الوزير سليمان شاه والدواتدار.

ردّ الخليفة بالرفض الذي اتسم بالتهديد والوعيد، ظناً منه، أن ذلك سوف يثني هولاكو عن عزّمه، ويجعله يفكر ملياً قبل أن يقدم على خطوته. ويبدو أن الخليفة العباسي أمل في تلقي المساعدة من الأمراء المسلمين إلا أنه أخطأ في تقديره. إذ أن الأيوبيين في بلاد الشام والمماليك في مصر، الذين عقد آماله عليهم، توافر عندهم من المشاكل ما منعهم من النهوض لمساعدته. ولم يتحرك الأتابكة والترك والفرس لمساندته بفعل ما استبد بهم من الخوف من المغول. أمّا سلاجقة الروم فقد خضعوا لحكم هؤلاء.

وهكذا بدا العالم الإسلامي مُفككاً، فلا يعقل أن يهب أمراًؤه لنجدة الخليفة الذي لم يكن له سند حقيقي حتى يستطيع أن يقف هذا الموقف المتشدد. فكان لهذا الموقف العباسي الرافض أسوأ الأثر في نفس هولاكو مما دفعه إلى الزحف باتجاه بغداد. لما اشتدّ حصار المغول على العراق، انقسم الرأي بين المداينة



مضى هولاكو في تحقيق هدفه الرئيس بالاستيلاء على بغداد عاصمة الخلافة العباسية والقضاء عليها؛ فأرسل إلى الخليفة المستعصم بالله يتهدهد ويتوعده، ويطلب منه الدخول في طاعته وتسليم العاصمة، ونصحه بأن يسرع في الاستجابة لمطالبه؛ حتى يحفظ لنفسه كرامتها ولدولته أمنها واستقرارها، لكن الخليفة باستشارة الخاصين رفض هذا الوعيد بشدة وقرر أن يقاوم، على الرغم من ضعف قواته وما كان عليه قادته من خلاف وعداء، فحضر هولاكو حصاره على المدينة المنكوبة التي لم تكن تملك شيئاً يدفع عنها قذرها المحتوم، فدخل المغول بغداد سنة (٦٥٦هـ = ١٢٥٨م).

الزحف المغولي نحو بغداد وإسقاط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م

الدولة الفورية

بقايا الاحتلال الصليبي

سقوط بغداد

السيطرة المغولية على الدولة الخوارزمية

الإمبراطورية البيزنطية

مملكة أرمينيا الصغرى والكبرى

سلطنة المماليك

الخلافة العباسية في بغداد

دولة الأشراف (الحسينيون) في

مكة المكرمة

الرسوليون

والتصدي للعدوان . فقد نصح **وزير الخليفة ابن العلقمي** أن يبذل الأموال والتحف والهدايا، ويرسلها إلى هولاكو مع الاعتذار إليه وأن يجعل الخطبة والسكة باسمه، على النحو الذي كان مُتَّبَعاً أيام البويهيين والسلاجقة. أمّا مجاهد الدين أيّيك الدواتدار الصغير الذي كان يستند على قوة الجيش، ومساندة العناصر السُّنِّيَّة في بغداد، رفض رأي الوزير، وأَصَرَ على المقاومة. فعُدل الخليفة عند ذلك عن رأي الوزير وتبنى خيار المقاومة ^(١).

ولما أيقن **هولاكو** (**انظر الصفحة المقابلة**) أن في استطاعته السير إلى **العراق** دون أن يتعرض للمصاعب، وأن في مقدور قواته الاستيلاء على بغداد، أخذ في تنفيذ خططه الحربية التي وضعها في أثناء إقامته في **همدان**، وأصدر أوامره بأن تتحرك الجيوش المغولية باتجاه عاصمة الخلافة. ولما وصلت إليها في الثالث عشر من شهر محرم عام ٦٥٦هـ / شهر كانون الثاني عام ١٢٥٨م، ضربت حصاراً مُرَكَّزاً عليها، وأقام هولاكو معسكره في ظاهر المدينة من ناحية الشرق.

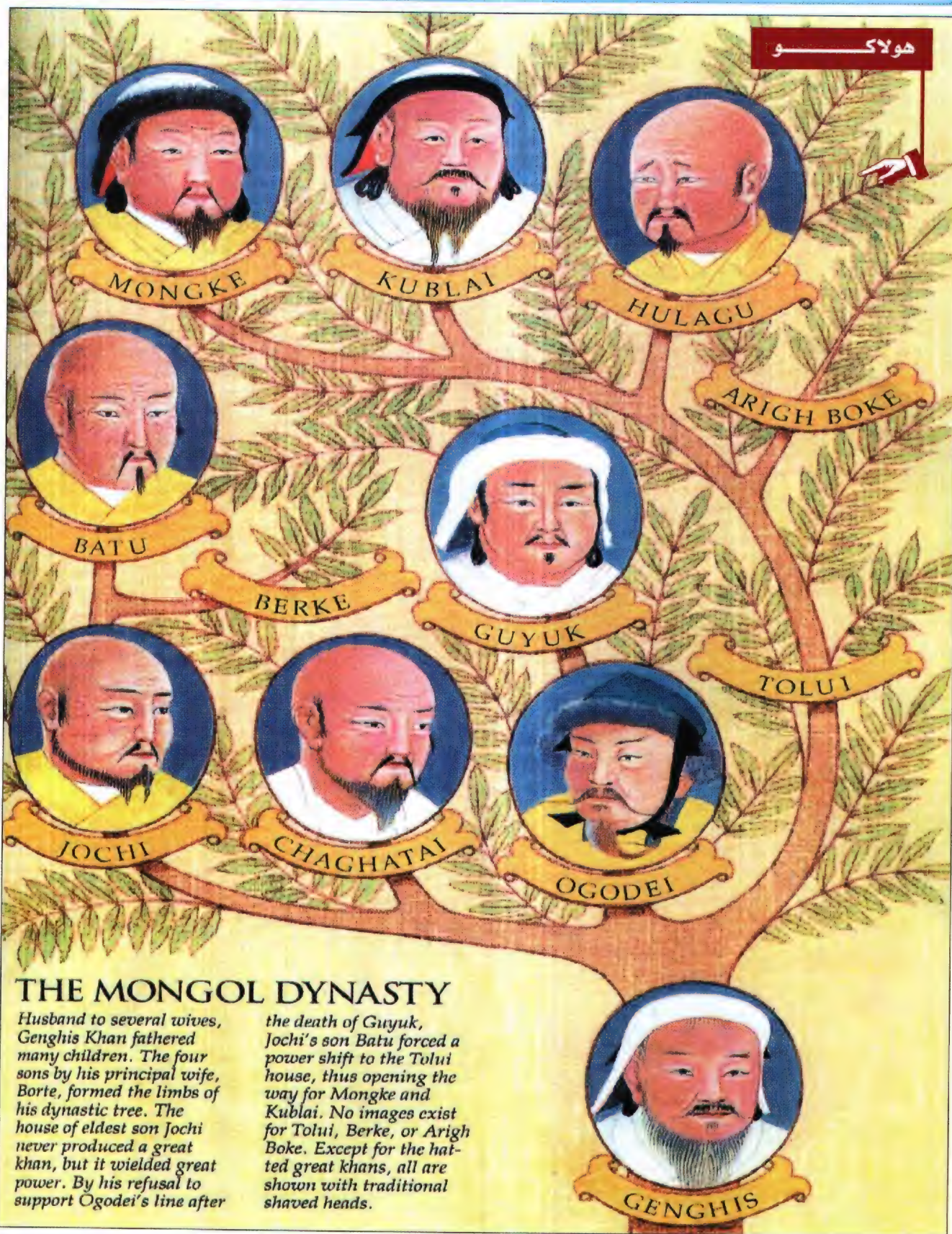
ولما رأى **الخليفة** حرج موقفه أراد أن يُهْدِي المغول ويتنيهم عن عزمهم على متابعة الهجوم، فَأَرْسَلَ إلى هولاكو الرسل والهدايا، لكن هولاكو رفض الاستجابة لهذا النداء. ونفذ خطة عسكرية، تقضي بإفراغ بغداد من مدافعيها قبل أن يقتحمها جنوده. فَأَرْسَلَ **نصير الدين الطوسي** إلى الخليفة يَأْمُرُهُ بِإِرْسَال سليمان شاه والدواتدار. فَأَضْطَرَّ الخليفة إلى الاستجابة. ولما وصلا إليه، أعادهما إلى بغداد لاصطحاب أتباعهما وأصحابهما بحجة أنهم سينفون إلى الشام ومصر. فخرج معهما جند بغداد وكثير من السكان. فلما خرج هذا الجمع، أمر هولاكو بقتلهم جَمِيعاً فانكشف عندئذ موقف الخليفة. ولما رأى ألا مفر من دخول المغول بغداد مال إلى التسليم.

ولم يمض على ذلك يومان حتى خدعه المغول بالوعود الكاذبة. وقد اشترك **ابن العلقمي**، في هذه المؤامرة حين أقتع الخليفة بوجوب الاستسلام، لأنه مهد طريق الصلح، وسوف يأتيه هولاكو والمغول طائعين ^(٢).

وقد ذكر المؤرخ ابن كثير: أن الوزير ابن العلقمي كان قد اجتمع بهولاكو مع أهله وأصحابه وحشمه، ثم أشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف الخراج لهولاكو والنصف الآخر للخليفة.

وفي يوم الأحد (**الرابع من شهر صفر عام ٦٥٦ هـ / شهر شباط عام ١٢٥٨م**) خرج الخليفة من بغداد وسلم نفسه وعاصمته للمغول دون قيد أو شرط، بعد أن وعده هولاكو الأمن والأمان.

هولاكو

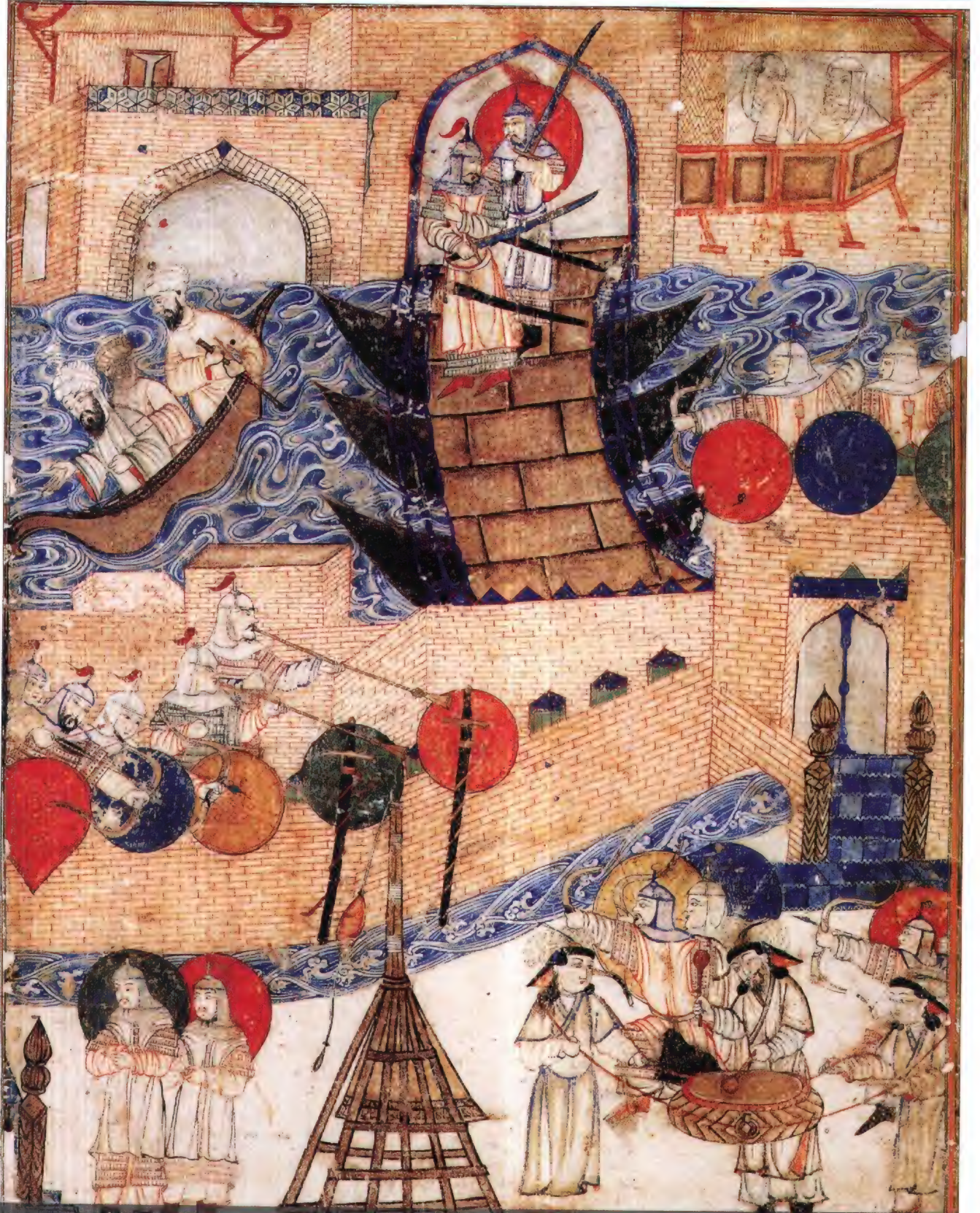




منمنمة تبين كيفية القتل والتنكيل بالمسلمين من قبل الجيش المغولي الذي استباح بغداد عاصمة الخلافة

دخل **الجنود المغول** بكل وحشية وقسوة إلى عاصمة الخلافة العباسية «**بغداد**» وعاثوا فيها فساداً مدة أربعين يوماً، هدموا المساجد التي يرفع فيها ذكر الله تعالى، وجردوا القصور الجميلة مما فيها من التحف النادرة، وأتلفوا عدداً كثيراً من الكتب القيمة في مكتباتها التي أفرزتها العقول المفكرة، حتى إنهم ملأوا نهر دجلة بالكتب وجعلوها جسوراً لخيولهم فتحولت مياه النهر الأزرق الصافي إلى اللون الأسود من اختلاطها بالمداد، وأهلكوا كثيراً من رجال العلم فيها، وقتلوا أئمة المساجد وحملة القرآن وطلبة العلم. وتعطلت المدارس ومناحي الحياة. وأضحت المدينة خاوية على عروشها. فتكدست الجثث في الطرقات والأزقة. ثم انتشر الوباء فحصد كثيراً ممن كتبت لهم النجاة من هذا البطش الهمجي.

وقد انتهت هذه الأحداث المؤسفة بفاجعة مؤلة وحادثة أليمة وهي **قتل الخليفة المستعصم وابنيه** أبي العباس أحمد وأبي الفضائل عبد الرحمن، وأسر ابنه الأصغر مبارك وأخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم. وبسقوط بغداد ومقتل الخليفة العباسي المستعصم **انتهت دولة الخلافة العباسية** التي عمرت أكثر من خمسة قرون.



منمنمة تصور القوات المغولية بقيادة هولاكو وهي تهاجم عاصمة الخلافة العباسية (بغداد سنة ٦٥٦ هـ)

تدمير مكتبة بغداد على أيدي المغول

ذكر د. راغب السرجاني^(١): أن مكتبة بغداد في العصر العباسي من أعظم دور العلم في الأرض قرابة خمسة قرون متتالية - بلا أدنى مبالغة -؛ أسسها الخليفة العباسي **هارون الرشيد** - رحمه الله - الذي حكم الدولة الإسلامية من سنة ١٧٠هـ إلى سنة ١٩٣هـ، ثم ازدهرت المكتبة كثيراً في عهد **المأمون** خليفة المسلمين من سنة ١٩٨ - ٢١٨هـ، وما زال الخلفاء العباسيون بعدهم يضيفون إلى المكتبة الكتب والنفائس حتى صارت داراً للعلم لا يُتخيل كمّ تركز من العلوم داخلها!! فهي دار للعلم حوت ملايين المجلدات في هذا الزمن السحيق!!... ملايين من الكتب في مكتبة واحدة في زمان ليس فيه طباعة!! وكان هذا هو الأمر المتكرر والطبيعي في معظم حواضر الإسلام، ولا ندري بالتحديد كم عدد الكتب في هذه المكتبة الهائلة، وإن كانت تقدر حقاً بالملايين، ويكفي أن مكتبة طرابلس بلبنان - التي لم تكن تقارن أبداً بمكتبة بغداد - قد أحرق الصليبيون الأوروبيون فيها "ثلاثة ملايين" مجلد عندما وقعت في أيديهم!! فتخيل كم كان عدد المجلدات في مكتبة بغداد!! كانت مكتبة بغداد تشتمل على عدد ضخم من الحجرات، وقد خصصت كل مجموعة من الحجرات لكل مادة من مواد العلم، فهناك حجرات معينة لكتب الفقه، وحجرات أخرى لكتب الطب، وهناك حجرات ثالثة لكتب الكيمياء ورابعة للبحوث السياسية وهكذا.

وكان في المكتبة المئات من الموظفين الذين يقومون على رعايتها، ويوظفون على استمرار تجديدها، وكان هناك "النساخون" الذين ينسخون من كل كتاب أكثر من نسخة، وكان هناك "المناولون" الذين يناولون الناس الكتب من أماكنها المرتفعة، وكان هناك "المترجمون" الذين يترجمون الكتب الأجنبية، وكان هناك "الباحثون" الذين يبحثون لك عن نقطة معينة من نقاط العلم في هذه المكتبة الهائلة!

وكانت هناك غرف خاصة للمطالعة، وغرف خاصة للمداولة وحلقات النقاش والندوات العلمية، وغرف خاصة للترفيه والأكل والشرب، بل كانت هناك غرف للإقامة لطلاب العلم الذين جاءوا من مسافات بعيدة!

نحن إذن نتحدث عن جامعة هائلة، وليست مجرد مكتبة من المكتبات، لقد حوت هذه المكتبة عصارة الفكر الإنساني في الدنيا بأسرها، لقد كان المأمون يشترط على ملك الروم في معاهداته معه بعد انتصارات المأمون المشهورة عليه أن يسمح للمترجمين المسلمين بترجمة الكتب التي في مكتبة القسطنطينية، وكان لخلفاء بني العباس موظفون يجوبون الأرض بحثاً عن الكتب العلمية بأي لغة لتترجم وتوضع في مكتبة بغداد بعد أن يتولاها علماء المسلمين المتخصصون بالنقد والتحليل.

لقد ترجمت في مكتبة بغداد الكتب المكتوبة باللغات اليونانية والسريانية والهندية والسنسكريتية والفارسية واللاتينية وغيرها.. هذه هي مكتبة بغداد!! المكتبة التي جمعت كل علوم الأرض في زمانها.
إحراق مكتبة بغداد^(١)

ماذا فعل التتار مع مكتبة بغداد الهائلة؟

لقد حمل المغول الكتب الثمينة.. ملايين الكتب الثمينة... وفي بساطة شديدة - لا تخلو من حماقة وغباء - ألقوا بها جميعاً في نهر دجلة!!...!!

لقد كان الظن أن يحمل المغول هذه الكتب القيمة إلى "قراقورم" عاصمة المغول ليستفيدوا - وهم لا يزالون في مرحلة الطفولة الحضارية - من هذا العلم النفيس.. لكن المغول آنذاك كانوا أمة همجية.. لا تقرأ ولا تريد أن تتعلم.. يعيشون للشهوات والملذات فقط.. لقد كان هدفهم في الدنيا هو تخریب الدنيا!!.. ألقى المغول بمجهود القرون الماضية في نهر دجلة.. حتى تحول لون مياه نهر دجلة إلى اللون الأسود من أثر مداد الكتب.. حتى قيل إن الفارس المغولي كان يعبر فوق المجلدات الضخمة من ضفة إلى ضفة أخرى!!.. هذه جريمة ليست في حق المسلمين فقط.. بل في حق الإنسانية كلها!!.. وهي جريمة متكررة في التاريخ.

لقد فعل مثل هذا العمل المشين الصليبيون النصارى في الأندلس في مكتبة قرطبة الهائلة.. وفعلها الصليبيون النصارى في الأندلس مرة أخرى في مكتبة غرناطة عند سقوطها، فأحرقوا مليون كتاب في أحد الميادين العامة!!.. وفعلها الصليبيون النصارى في الأندلس مرة ثالثة ورابعة وخامسة وعاشرة في مكتبات طليطلة وإشبيلية وبلنسية وسرقسطة وغيرها.. وفعلها الصليبيون النصارى في الشام في مكتبة طرابلس اللبنانية فأحرقوا ثلاثة ملايين كتاب.. وفعلها الصليبيون النصارى في فلسطين في مكتبات غزة والقدس وعسقلان.

ومع مطلع العصر الحديث فعلها المستعمرون الأوروبيون الجدد الذين نزلوا إلى بلاد العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، ولكن هؤلاء كانوا أكثر ذكاءً؛ فإنهم سرقوا الكتب ولم يحرقوها، ولكن أخذوها إلى أوروبا ليستفيدوا منها، وما زالت المكتبات الكبرى في أوروبا تحوي مجموعة من أعظم كتب العلم في الأرض.. ألّفها المسلمون على مدار عدة قرون متتالية.. ولا يشك أحد في أن أعداد الكتب الأصلية الإسلامية في مكتبات أوروبا تفوق كثيراً أعداد هذه المراجع المهمة في بلاد المسلمين أنفسهم!!..

تدمير حضارة بغداد

ذكر د. راغب السرجاني^(١): أنه بعد أن فرغ المغول من تدمير وإحراق مكتبة بغداد (ذات الكنوز المعرفية العظيمة) انتقلوا إلى الديار الجميلة، وإلى المباني الأنيقة فتناولوا جلها بالتدمير والحرق.. وسرقوا المحتويات الثمينة فيها، أما ما عجزوا عن حمله من المسروقات فقد أحرقوه!! وظلوا كذلك حتى تحولت معظم ديار المدينة إلى ركام، وإلى خراب تتصاعد منه ألسنة النار والدخان..

واستمر هذا الوضع الأليم أربعين يوماً كاملة.. وامتلاّت شوارع بغداد بتلال الجثث المتعفنة، واكتست الشوارع باللون الأحمر، وعم السكون البلدة، فلا يسمع أحد إلا أصوات ضحكات المغول الماجنة.. أو أصوات بكاء النساء والأطفال بعد أن فقدوا كل شيء.. وهنا -وبعد الأربعين يوماً- خاف هولاءكو على جيشه من انتشار الأوبئة نتيجة الجثث المتعفنة (مليون جثة لم تدفن بعد)، فأصدر هولاءكو بعض الأوامر الجديدة:

١- **يخرج الجيش المغولي بكامله من بغداد**، وينتقل إلى بلد آخر في شمالي العراق، لكي لا يصاب الجيش بالأمراض والأوبئة، وتترك حامية تترية صغيرة حول بغداد، فلم يعد هناك ما يخشى منه في هذه المنطقة.

٢- **يعلن في بغداد أمان حقيقي**، فلا يقتل مسلم بصورة عشوائية بعد هذه الأربعين يوماً.. وقد سمح المغول بهذا الأمان حتى يخرج المسلمون من مخابئهم ليقوموا بدفن موتاهم.. وهذا عمل شاق جداً يحتاج إلى فترات طويلة (مليون قتيل)، وإذا لم يتم هذا العمل فقد يتغير الجو- ليس في بغداد فقط - ولكن في كل بلاد العراق والشام، وستنتشر الأمراض القاتلة في كل مكان، ولن تفرق بين مسلم ومغولي، ولذلك أراد هولاءكو أن يتخلص من هذه الجثث بواسطة المسلمين.

وفعلًا خرج المسلمون الذين كانوا يختفون في الخنادق أو في المقابر أو في الآبار المهجورة.. خرجوا وقد تغيرت هيئتهم، ونحلت أجسادهم، وتبدلت ألوانهم، حتى أنكر بعضهم بعضاً!!.. لقد خرج كل واحد منهم ليفتش في الجثث، وليستخرج من بين التلال المتعفنة ابناً له أو أخاً أو أباً أو أما!!.. مصيبة كبيرة فعلاً..

بدأ المسلمون في دفن موتاهم.. ولكن كما توقع هولاءكو انتشرت الأوبئة في بغداد بشكل مريع، حتى مات من المسلمين عدد هائل من الأمراض القاتلة!!.. وكما يقول ابن كثير رحمه الله: "ومن نجا من الطعن، لم ينج من الطاعون!!" ..

فكانت كارثة جديدة في بغداد.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

٣- **كما أصدر هولاءكو قراراً بأن يعين مؤيد الدين العلقمي الشيعي** رئيساً على مجلس الحكم المعين من قبل المغول على بغداد مكافأة له على الدور المخبراتي الذي لعبه. أ. ه.

من قصيدة الشاعر المصري الكبير الأستاذ / علي بن صالح الجارم ١٢٩٩ - ١٣٦٨ هـ / ١٨٨١ - ١٩٤٩ م



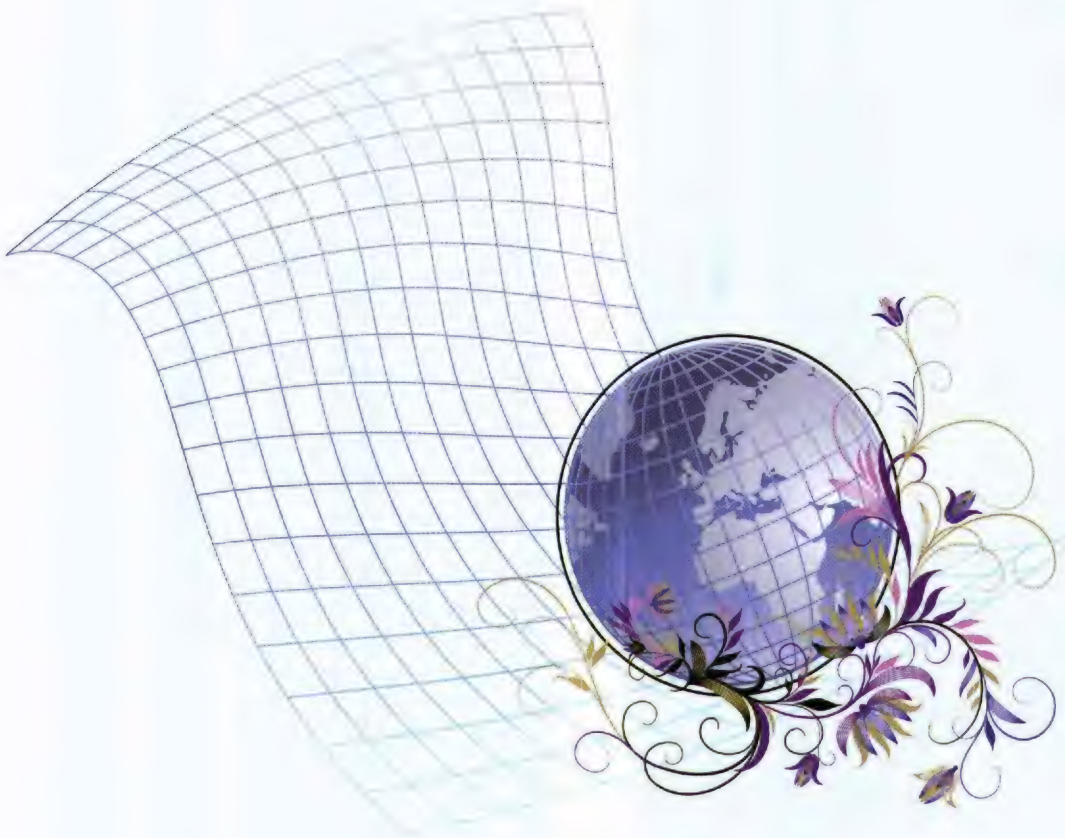
هو أديب مصري، من رجال التعليم له شعر ونظم كثير، ولد في رشيد، وتعلم في القاهرة وإنجلترا، واختير ليكون كبير مفتشي اللغة العربية بمصر. ثم وكيلًا لدار العلوم حتى عام (١٩٤٢ م)، مثل مصر في بعض المؤتمرات العلمية والثقافية، وكان من أعضاء المجمع اللغوي. وتوفي بالقاهرة ١٣٦٨ هـ. له (ديوان الجارم-ط) أربعة أجزاء، (قصة العرب في إسبانيا - ط) ترجمة عن الإنكليزية. و(فارس بن حمدان-ط)، (شاعر ملك-ط)، وقد شارك في تأليف كتب أدبية منها: (المجل-ط)، و(المفصل-ط) وكتب مدرسية في النحو والتربية.

طَفَّ بِبَغْدَادٍ وَسَلَّ آثَارَهَا
كُلُّ رَسْمٍ قَدْ وَعَى نَادِرَةً
مَشَتْ الدُّنْيَا إِلَيْهَا تَتَّقِي
وَأَبُو الْمَأْمُونِ فِي مَمْلَكَةٍ
بَلَغَتْ بِنْتُ قُرَيْشٍ ذُرَّةً
بَيْنَ شَعْرٍ كَأَزَاهِيرِ الرَّبَا
هُوَ دَلٌّ رَدَّدَتْهُ قَيْنَةٌ
وَعُلُومُ تُرْجِمَتْ وَاسْتَنْبَطَتْ
آبِدَاتُ الْقَوْلِ وَلَّتْ بَعْدَهُم
يَا بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَضْرَعِكُمْ
أُظْفَى النُّورُ وَدَالَتْ دَوْلَةٌ
شَدَّ هَوْلًا كَوْعَلَى أَرْبَاضِهَا
وَجَرَى مِنْ حَوْلِهِ عَقْبَانُهُ
لَهْفَ نَفْسِي بِنْتُ عَدْنَانَ هَوَتْ
سَائِلُودَجَلَّةً عَمَّا رَاعَهَا
قَذَفَ الْكُتُبَ بِهَا طَاغِيَةً
فَتَأَمَّلْ إِذْ جَرَى أَذْيُهَا
ذَهَبَ الْعَسْفُ بِآثَارِ النَّهْيِ
طَارَتْ الْفُضْحَى لِمَضْرُئِ تَبْتَغِي

أَيُّ سِرِّ كَتَمَتْهُ شَفَتَاهَا
لَوْ جَرَى النُّطْقُ عَلَيْهِ لِحَاكَاهَا
سُخْطَ بَغْدَادٍ وَتَسْتَجِدِّي رِضَاهَا
يَتَحَدَّى الْمُزْنَ أَنْ تَعْدُو قِرَاهَا
بَبْنِي الْعَبَّاسِ صَغْبًا مُرْتَقَاهَا
عَكَفَ الْغَيْثُ عَلَيْهَا فَسَقَاهَا
وَهُوَ وَجَدُ فَاضٍ مِنْ نَفْسِ فَتَاهَا
وَفُصُولُ بَهْرِ الدُّنْيَا حِجَاهَا
طَيَّبَ اللَّهُ ثَرَاهُمْ وَثَرَاهَا
عِظَةُ الْكَوْنِ وَعَاها مِنْ وَعَاها
وَطَوَى الدَّهْرُ الْمُنَى حِينَ طَوَاهَا
شِدَّةَ الذُّؤْبَانِ أَبْصَرْنَ شِيَاهَا
كُلَّمَا أَطْعَمَهَا هَاجَ ضَرَاهَا
وَأَسْوَدُ الْغِيلِ قَدْ دِيسَ شَرَاهَا
أَوْ دَعُوها فَكَفَاهَا مَا دَهَاها
هَلْ دَرَى مَا كَنَزَتْهُ دَفَّتَاهَا
أَتَرَى فِيهِ عُقُولًا أَمْ مِيَاهَا
كَيْفَ تَحْيَا أُمَّةٌ ضَاعَتْ نَهَاها
نَاعِمَ الْعَيْشِ خَصِيْبًا فِي ذَرَاهَا



الباب السادس



أبرز الملامح الحضارية في العصر العباسي

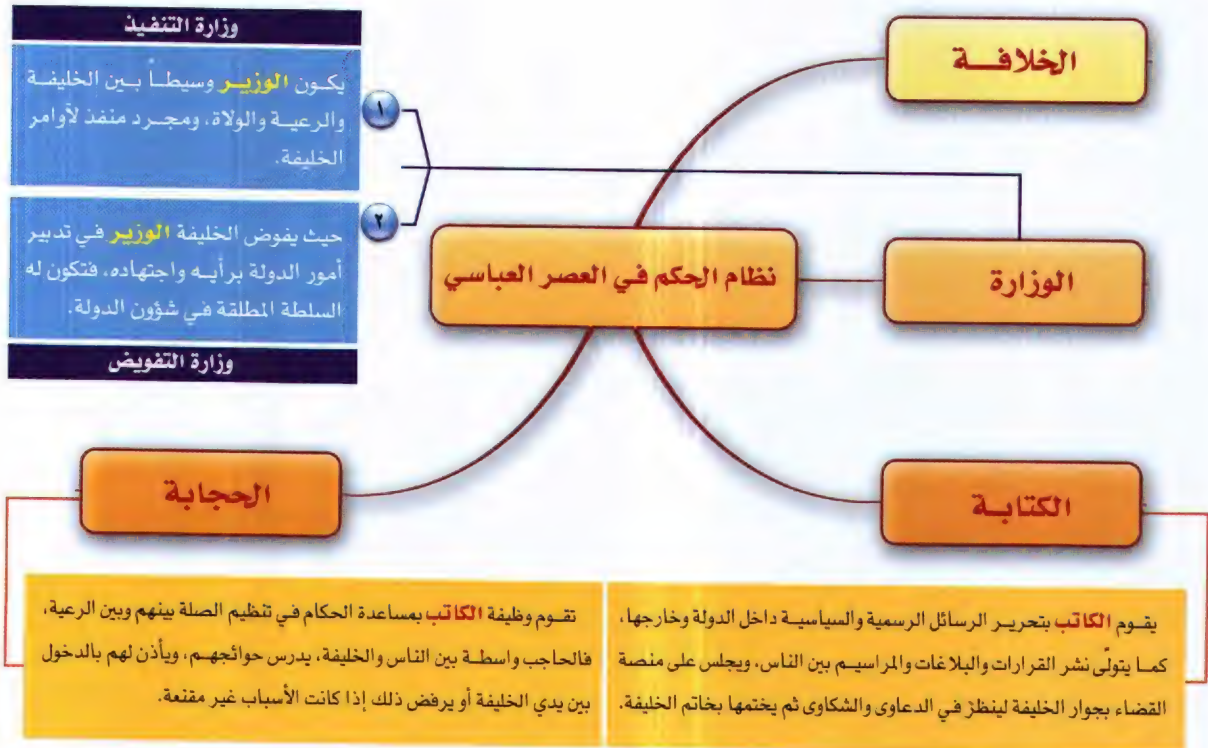
١٣٢ - ٦٥٦ هـ / ٧٥٠ - ١٢٥٨ م



أولاً: نظام الحكم في العصر العباسي

يُعد نظام الحكم في الدولة العباسية امتداداً لما كان عليه الوضع السياسي في الدولة الأموية، إذ لم يكن قيام الدولة العباسية سوى تغيّر ظاهر شمل رجال الحكم والإدارة في جانب، ومقر الدولة وعاصمتها في الجانب الثاني، إلا أن الكثير من أساليب الحكم والإدارة بدأت تتضح معالمها، وتستقر قواعدها في العصر العباسي، كما ظهرت المؤلفات والكتب التي تناولت (نظم الدولة الإسلامية) - آنذاك - بالشرح والبيان، ونذكر ما كتبه كل من: (أبو الحسن الماوردي ت ٤٥٠ هـ) و (أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء ت ٤٥٨ هـ). وما كتبه الماوردي في كتابه (قوانين الوزارة وأدب الوزير).

وهذا دليل على ما كان للمسلمين من قصب السبق في ميدان استنباط نظم الحكم والإدارة في ضوء الكتاب والسنة، كما يدلنا على التقدم الإداري الذي حققته الدولة العباسية في هذا المستوى الرفيع في نظم الدولة وإدارة شؤونها^(١).



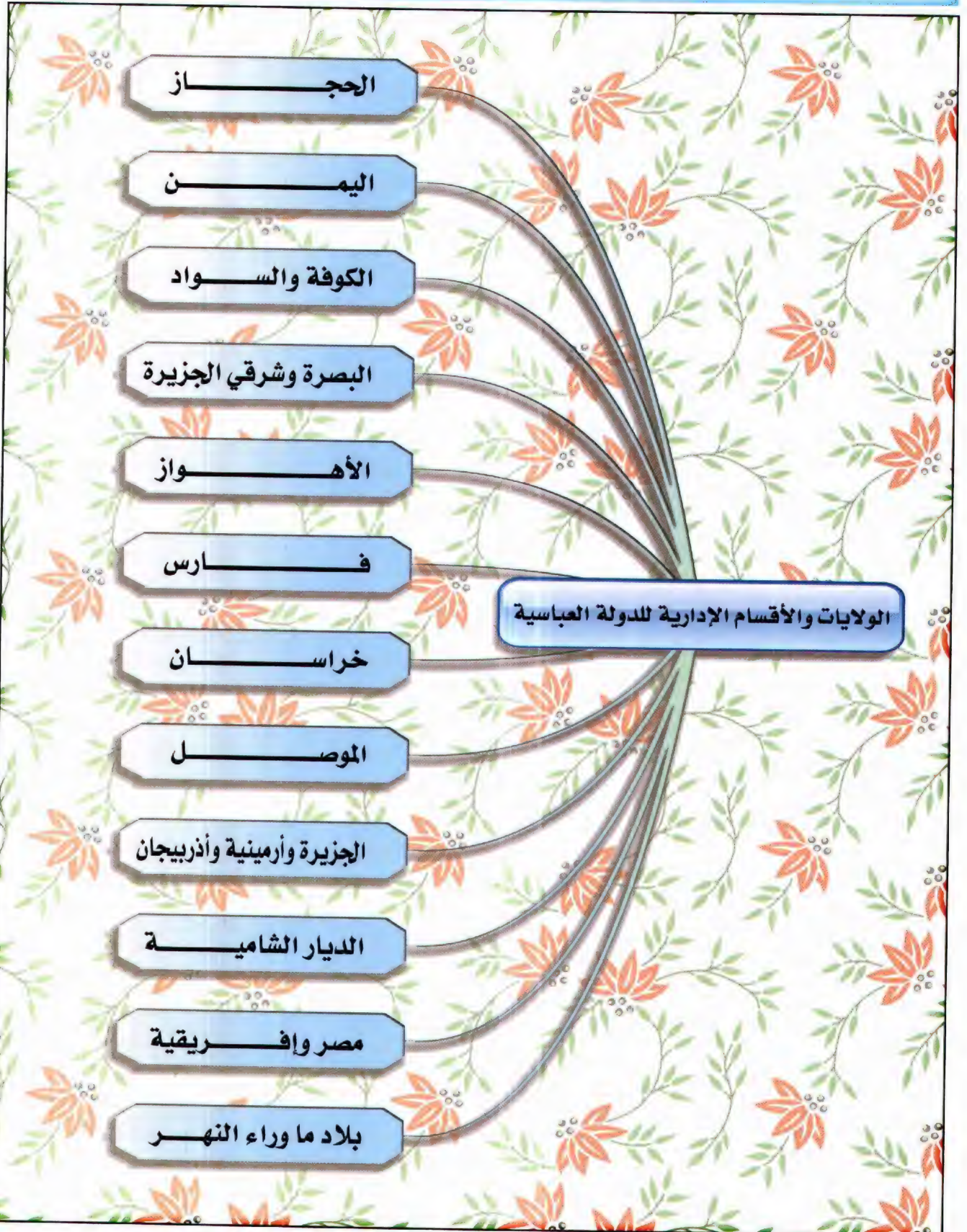
١ - الجوانب الحضارية للدولة العباسية، تاريخ الدولة العباسية وحضارتها، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود، ص ١١٣.

ثانياً: النظام الإداري

نتيجة لاتساع الدولة الإسلامية تم تقسيمها إدارياً إلى عدة ولايات لتسهيل إدارتها، وكان الخليفة يولي على كل ولاية عاملاً يقوم مقامه في إدارتها، وقد يُعرف بالوالي أو الأمير، وقد ظهر هذا التقسيم منذ عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وسارت عليه الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين وبنو أمية وبنو العباس، وقد كان عدد الولايات يزيد أو ينقص نتيجة للفتح أو نشر الإسلام أو بسبب قيام بعض الخلفاء بتعديل بعض ولايات الدولة والبلدان التابعة لها، أو بسبب استقلال بعض الأقاليم عن الدولة^(١).



١ - الجوانب الحضارية للدولة العباسية، تاريخ الدولة العباسية وحضارتها، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود، ص ١٢٣.



القضاء: من الوظائف المهمة في الدولة الإسلامية، ويقوم على المحافظة على حقوق الرعية وإقرار العدل والإنصاف بين جميع الطبقات، وحماية الأخلاق العامة، مستمداً أحكامه من الكتاب والسنة، ونظراً لأهمية هذا المنصب فقد وضع العلماء المواصفات التي يجب توافرها في القاضي، ومنها: أن يكون رجلاً قوياً عاقلاً حراً مسلماً عادلاً، ويتمتع بالسلامة في السمع والبصر، وأن يكون عالماً بأحكام الشريعة.

وقد حظي **القضاة في العصر العباسي الأول بالتبجيل والاحترام**، وكان تعيينهم وعزلهم يتم بأمر الخليفة، وأول من فعل ذلك الخليفة المنصور، فقد عين قضاة البلاد بأمره سنة ١٢٦ هـ / ٧٥٣ م، وقد استقرت المذاهب الفقهية في عهد الدولة العباسية، حيث كانت المذاهب الأربعة عند أهل السنة والجماعة قد ظهرت وهي مذاهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل كما دونت هذه المذاهب فتأثر القضاء بذلك الوضع، وأصبح كل فقيه وقاض يتبع مذهباً من هذه المذاهب، وأصبح القضاء تابعاً للمذاهب، وتحدد مهام القضاء وكيفية الإجراء القضائي، وتوحد القانون وأصبحت جلسات القاضي علنية في المسجد وخصوصاً في عهد المأمون، كما اهتم الخلفاء العباسيون بالتثبيت من الأحكام، فعيّنوا جماعة من المُرَكِّين، وظيفتهم تتبع أحوال الشهود، فإذا طعن الخصم في شهادة أحد الشهود سئل عنه المُرَكِّي، كما اهتموا بأحوال القضاة المادية حتى يعيشوا في يسر ورخاء.

إذن مع مطلع العصر العباسي اتضحت معالم هذا النظام القضائي، وعلى الرغم من أن عبيد الله ابن محمد ابن صفوان الجمحي قد جمع بين القضاء وولاية المدينة النبوية في خلافة المهدي فقد نظم هارون الرشيد القضاء، واستمرت محاولة الفصل بين السلطتين القضائية والتنفيذية، وذلك بإبتكار منصب قاضي القضاة لأول مرة في الإسلام وتقليده لأبي يوسف يعقوب بن حبيب الأنصاري الذي استقل في أمور القضاء والقضاة في الدولة، وأخذ يعيّن القضاة ويراقب أعمالهم ويعزلهم عند الاقتضاء كما ميزهم عن غيرهم من طبقات المجتمع بلباس خاص بهم وأصبح القاضي يلبس السواد ويضع القلنسوة والطيلسان، وتطور هذا الزي حتى أصبح زياً للقضاة في عصرنا الحاضر.

وكانت وظيفة القاضي تتسع وتكتمش من وقت لآخر حسب قوة شخصية هذا القاضي فامتد نفوذ بعض القضاة أحياناً إلى المظالم والشرطة والحسبة وغيرها .. ومع ذلك فإن سلطة القاضي لم تشمل السلطة التنفيذية، مما يؤكد محاولة فصل القضاء والحفاظ على استقلاله قدر الإمكان في أجهزة الدولة.

النظام القضائي والحسبة

الحسبة

ولاية دينية يقوم ولي الأمر - الحاكم - بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقاً لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقاً لشرع الله تعالى.

وكان نظام الحسبة قد تبلور بشكل واضح منذ خلافة **المهدي العباسي**، حيث انتظمت الأسواق وتوسعت وتخصص بعضها، وازدهرت التجارة، وظهرت النقود الزائفة، وعندئذ برز صاحب السوق وصار يتقاضى راتباً معيناً من المال، وصرنا نعثر على نصوص فيما بعد تبين مقدار عناية المحتسب بمراقبة أهل السوق مراقبة دقيقة، ومد يد العون لكل من يطلبها من عامة الناس.

النظر في المظالم

وصف ابن خلدون النظر في المظالم بأنها: «وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء، وتحتاج إلى علو يد، وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين، وتزجر المتعدي، وكأنه يمضي ما عجز القضاة أو غيرهم عن إمضائه، ويكون نظره في البيئات والتقرير، واعتماد الأمارات والقرائن، وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق، وحمل الخصمين على الصلح، واستحلاف الشهود، وذلك أوسع من نظر القاضي».

وكان اختصاص مَنْ ينظر في المظالم واسعاً؛ يشمل: النظر في تعدي الولاة على الرعية وأخذهم بالعسف في السيرة، وجور العمال فيما يجبونه من الأموال. وكتاب الدواوين؛ فيتصفح أحوال ما وكل إليهم....

القضاء

عرّف ابن خلدون القضاء تعريفاً دقيقاً بأنه: (منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للنزاع وقطعاً للتداعي بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة، وهو من الوظائف التابعة للخلافة ..).

هذا ويعد **العصر العباسي** عصر الازدهار والرقى للقضاء والتشريع الإسلامي، وذلك لأسباب متعددة من أبرزها: استحداث منصب قاضي القضاة، ثم تعدد المذاهب الفقهية والاختلاف في الفروع العامة من الشريعة الإسلامية، فضلاً عن تشجيع الخلفاء للفقهاء والمذاهب الفقهية، وكذلك لتعدد القضايا التي تناولت حياة الناس بعد ازدياد حركة الفتوحات الإسلامية.

ثالثاً: الحياة العلمية :



علوم القرآن: مركب من كلمتين تركيباً إضافياً، والمراد بعلوم القرآن: العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن. وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير، لأنه يتناول المباحث التي لا بد للمفسر من معرفتها للاستناد إليها في تفسير القرآن.

وبدأت الدراسات القرآنية بالظهور في منتصف القرن الثاني الهجري الذي نشطت فيه الحركة العلمية بين المسلمين تأليفاً وتدويناً، واتسع مجالها حتى شملت كل أنواع المعارف والعلوم، فكان أقدم ما وصل إلينا مستقلاً من تفسير القرآن كاملاً هو تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٠هـ)، وأما في موضوعات علوم القرآن فألف أبو عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩هـ) في مجاز القرآن، وأبو عبيد القاسم ابن سلام (٢٢٤هـ) في الناسخ والمنسوخ وفي القراءات^(١).

١- عبد الرحمن حلي، دراسات قرآنية في نشأة علوم القرآن وتطورها، موقع الملتقى الفكري للإبداع.

وعلي بن المديني (٢٣٤هـ) في أسباب النزول، وينسب صاحب الفهرست إلى محمد بن خلف بن المزربان (٣٠٩هـ) كتاب "الحاوي في علوم القرآن"، ولعله أقدم استعمال لتعبير علوم القرآن، وجرى بعد ذلك استعمال التعبير المركب "علوم القرآن" في القرن الرابع دون أن يحمل دلالة اصطلاحية، وجاء علي ابن إبراهيم بن سعيد الحوفي (ت: ٤٣٠هـ) ليؤلف كتابه "البرهان في علوم القرآن"، وهو تفسير يقع في ثلاثين مجلداً يوجد ما يقرب من نصفه مخطوطاً في مصر وغيرها، وقد ضمنه علوم القرآن في تفسير كل سورة، ويرجع الشيخ عبد العظيم الزرقاني إليه بداية إطلاق علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي الشامل لها، لكنه تناولها تطبيقاً في التفسير لا تنظيراً، "فأتى على علوم القرآن ولكن لا على طريقة ضم النظائر والأشباه بعضها إلى بعض تحت عنوان واحد لنوع واحد؛ بل على طريقة النشر والتوزيع تبعاً لانتشار الألفاظ المتشاكلة في القرآن وتوزعها حتى كأن هذا التأليف تفسير من التفاسير عرض فيه صاحبه لأنواع من علوم القرآن عند المناسبات"، وقد ذكر مصطفى عبد القادر عطا في مقدمة تحقيقه للبرهان للزركشي، أن الزركشي نقل في كتابه البرهان ما قاله الحوفي في كتابه مختصراً إضافة إلى غيره، لكنه لم يذكر مستنده في ذلك، وأستبعد أن يكون قد عقد مقارنة بين الكتابين لأن كتاب الحوفي مخطوط وناقص وهو كتاب في التفسير، ولم يذكر الزركشي الحوفي في كتابه غير مرتين، إحداهما في سياق تأليفه في إعراب القرآن، والثانية ينقل عنه رأياً من تفسيره حول آية القصاص وفصاحة القرآن، ولم أعثر له على ذكر في غير هذين الموضعين، مع ملاحظة اهتمام الزركشي بنسبة الأقوال إلى أصحابها، وكذلك تأريخه لما كتب في علوم القرآن، فيستبعد أن يكون الزركشي لخص كتاب الحوفي ضمن البرهان دون أن يشير إلى ذلك^(١).

وفي القرنين السادس والسابع نجد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) وله: "فتون الأفتان في عجائب علوم القرآن" و"المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن"، كما صنف علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) "جمال القراء وكمال الإقراء"، و ألف أبو شامة (ت ٦٦٥هـ) "المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز"، وهي كتب في جوانب متخصصة من علوم القرآن^(٢).

وهكذا تتابعت المؤلفات والمصنفات في هذا العلم الشريف بعد العصر العباسي، ففي القرن الثامن الهجري نجد بدر الدين الزركشي، (ت ٧٩٤هـ)، وكتابه "البرهان في علوم القرآن"، وقد كان الزركشي من علماء الأصول والفقه الشافعي، وصنف في عدة علوم كالفقه والأصول والتفسير وغيرها، وأما كتابه البرهان فهو عرض شامل وموسوعي لعلوم القرآن، حيث اختصر ما ضمنه فيه من معلومات من كتب التفسير واللغة والفقه وغيرها، فجمع آراء العلماء وأضاف إليها، واستمر هذا الانتاج في تواصل مطرد بعد أن كانت قد تأسست مدرسته في العصر العباسي حتى عصرنا الحاضر.

علوم القرآن

علم القراءات

علم التفسير

علم القراءات: والقراءات لغة: جمع قراءة، أي من مصدر قرأ. وفي الاصطلاح قال ابن الجزري: علمٌ يعرف به كيفية أداء كلمات القرآن واختلافها مع عزو كل وجه لناقله. وقيل في تعريفه: مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به كل إمام من الأئمة القراء مذهباً يخالف غيره.

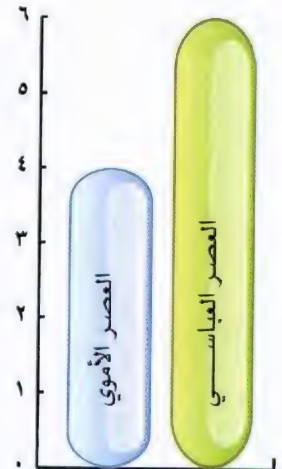
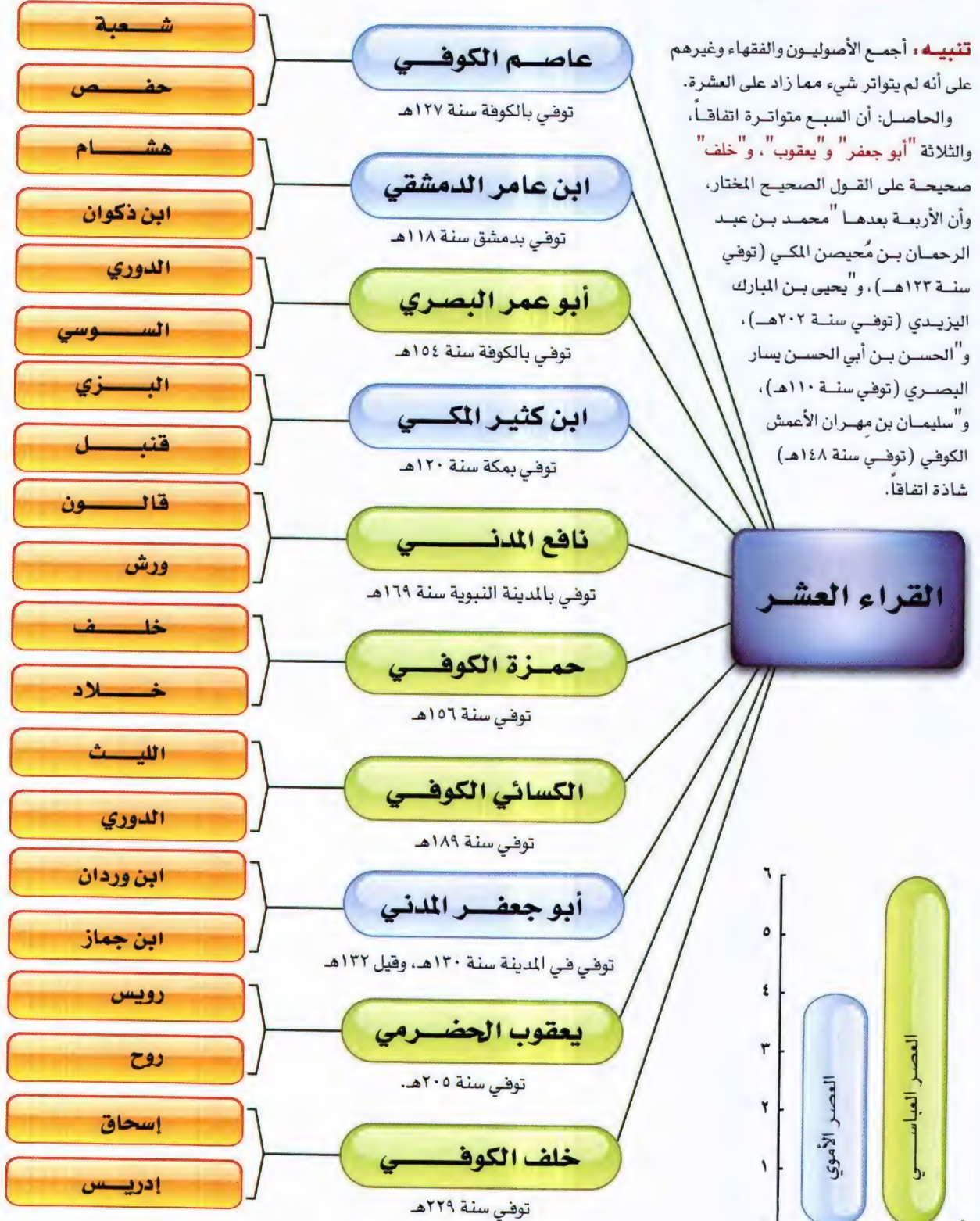
وقد احتفى المسلمون بقراءة القرآن وضبطه في كل العصور، واشتهر في كل زمن من الأزمنة وجيل من الناس وبلد من البلدان أناس عرفوا باسم القُرَّاء.

كان أشهرهم في عهد الصحابة: الخلفاء الأربعة - رضي الله عنهم -، الذي كان لسيدنا أبي بكر - رضي الله عنه - منهم شرف جمع القرآن في مصحف واحد لأول مرة، بعد أن كان متفرقاً في العظام والألواح والرقاع، كما كان لسيدنا عثمان - رضي الله عنه - شرف الجمع الثاني الذي أخرج فيه من القرآن كل ما ليس منه من شرح أو منسوخ أو تعليق، وضبط القراءة على لغة قریش، وعمم مصحفه على سائر الأمصار.

وإضافة إلى الخلفاء الأربعة فقد اشتهر من الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - أجمعين بالقراءة أبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبو موسى الأشعري وغيرهم. وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى سبق هؤلاء غيرهم في القراءة بمثل قوله "أقرؤكم أبي" (رواه الترمذي والدارقطني) وقوله لأبي موسى بعد أن استمع إليه "لقد أوتيت زمزماً من مزامير آل داود". وقوله لابن مسعود: "اقرأ علي القرآن". (رواه البخاري وغيره).

وفي عهد التابعين: اشتهر كثير من الفضلاء ووجوه المسلمين بالقراءة، وكانوا منتشرين في المدن والأصوار.

ثم شهد عصر ما بعد التابعين توسعاً في كل العلوم الإسلامية إلى الحد الذي دعا إلى تخصص كل عالم بعلم أو عدد محصور من العلوم ليجمع شتاته ويضع له قواعده ويتحمل أمانته. وهذا ما كان بخصوص علم القراءة، فقد ظهر في ذلك الجيل الأئمة القراء الذين تنسب إليهم القراءات السبع الشهيرة المتواترة، التي أجمعت الأمة على صحة قراءة القرآن الكريم بأي منها شريطة التلقي والإتقان.



القراء العشر في العصرين الأموي والعباسي

علوم القرآن

علم القراءات

علم التفسير

علم التفسير: لغة: هو الإظهار والبيان والكشف.

واصطلاحاً: هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه.

نشأته: هو أول علوم القرآن نشأة، إذ ظهر منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ففهم صحابه القرآن الكريم بسليقتهم العربية الأصيلة إلا ما أشكل عليهم أحياناً فيسألون عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجيبهم عن استفسارهم. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون). شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال ﷺ: (إنه ليس الذي يعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم). رواه البخاري ومسلم.

ففي عصر الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة دخل جمع غفير من العجم في الإسلام مما دعت الحاجة إلى فهم كتاب الله الحكيم، فنهض كبار الصحابة من الخلفاء الراشدين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك وآخرون، وصاروا يفسرون كتاب الله بناء على ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيد أن بداية التدوين انطلقت في العصر العباسي من خلال أبرز علماء التفسير الذين صنفوا مصنفاتهم.

مراحل التفسير ومناهجه: يمكن القول بأن علم التفسير مر بعدة مراحل كان لكل مرحلة منهجها العلمي الموافق لأحوال الزمان والمكان للإنسان وعلى مبلغ تفتح القلوب واستنارة للعقول التي استجابت لدولة العلم في تطورها واتساع آفاقها وازدهار ثمارها، وهذه المراحل هي:

- أولاً: مرحلة التفسير المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم.
- ثانياً: مرحلة التفسير المأثور عن أقوال الصحابة وتلاميذهم من التابعين.
- ثالثاً: مرحلة التفسير المعتمد على اللغة لأنها أداة التعبير.
- رابعاً: مرحلة التفسير المعتمد على رأي التابعين وتأويلاتهم واجتهاداتهم.

تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) أنموذجاً

وهو أجل التفاسير وأشهرها ، ويُعدُّ الطبري أبا المفسرين كما يُعدُّ أبا للتاريخ الإسلامي، وتفسيره من أقوم التفاسير وأعظمها، وهو المرجع الأول عند المفسرين. وللمؤلف منهج خاص بذكر الآية، أو الآيات من القرآن الكريم، ثم يبين تأويلها ومعناها، ويذكر أشهر الأقوال فيها، ويستشهد على القول بما يؤثر عن الصحابة والتابعين، ثم يتعرض لترجيح الأقوال، واختيار الأولى بالتقدمة، ويتعرض لناحية الإعراب، واستنباط الأحكام التي تؤخذ من الآية، وترجيح ما يراه.

وهذا الكتاب هو أوثق وأقدم ما دون في **التفسير بالمأثور**، أي بما ثبت بالنقل من بيان القرآن بالقرآن، وبما ورد فيه من الرسول صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين، كما أنه أهم مصادر التفسير بالرأي والمعقول، أي بالاجتهاد والاستنباط وإعمال اللغة والعقل، قال النووي: " أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري ". وقال عنه الإمام السيوطي: " وكتابه أجل التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين "، وقال الإمام النووي: " أجمعت الأمة على أنه لم يُصنَّف مثل تفسير الطبري ".

وقد حوى ابن جرير جميع تراث التفسير الذي تفرق قبله في كتب صغيرة منذ عصر عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - إلى النصف الأول من القرن الثالث الهجري .

للإمام الكبير والمحدث الفقيه أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ.

علوم السُّنة

علوم الحديث

مصطلح الحديث

علم الرجال

علم الجرح والتعديل

السُّنة في اللغة: هي السيرة المتبعة، والطريقة المسلوكة، والمثال الذي يقتدى. وتطلق هذه الكلمة أيضاً بمعنى البيان، حيث يقال سن الأمر أي بينه، و أيضاً بمعنى ابتداء الأمر.

السُّنة في الاصطلاح: هي كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو سيرة أو صفة خلقية أو خلقية سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

استعمل النبي - صلى الله عليه وسلم - الكتابة في تدوين ما ينزل من القرآن، واتخذ لذلك كتاباً من الصحابة، فكان القرآن يكتب كله بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الرِّقاع والأضلاع والحجارة والسعف (أغصان النخيل)، وكانت الآية من القرآن تنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيأمر كاتب الوحي بكتابتها في موضع كذا من سورة كذا، واستمر الأمر على هذه الحال حتى وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يقبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا والقرآن محفوظ مكتوب لا ينقصه إلا الجمع في مصحف واحد.

أما السُّنة فلم يكن شأنها كذلك حيث إنها لم تدون جميعها تدويناً رسمياً في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - كما دُون القرآن، ولم يأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بذلك. وقد ذكر العلماء أسباباً عديدة لعدم تدوين السنة في العهد النبوي: منها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عاش بين أصحابه بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة، فكان تدوين كل كلماته وأقواله وأفعاله وكتابتها فيه من العسر والمشقة الشيء الكثير، لما يحتاجه ذلك من تفرغ كثير من الصحابة لهذا العمل الجليل، ولاسيما أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا جميعاً يحسنون الكتابة بل كان الكاتبون منهم أفراداً قلائل، وكان تركيز هؤلاء الكتبة من الصحابة على كتابة القرآن دون غيره من السنة حتى يؤدوه لمن بعدهم تامةً مضبوطاً لا يُنقص منه حرف.

ومن الأسباب أيضاً الخوف من حدوث اللبس عند عامة المسلمين فيختلط القرآن بغيره من الحديث، وخصوصاً في تلك الفترة المبكرة التي لم يكتمل فيها نزول الوحي، وكان القرآن ينزل فيها مفرقاً حسب الوقائع والأحداث. إسلام ويب

ثم جاء عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - ، فلم يدونوا الحديث في الصحف كراهة أن يتخذها الناس مصاحف يضاهون بها صحف القرآن ، وأحجموا عن كتابة السنة وتدوينها مدة خلافتهم ... وهكذا انقضى عصر الصحابة ولم يُدَوَّن من السنة إلا القليل ، حتى جاء الخليفة الراشد **عمر بن عبد العزيز** فأمر بجمع الحديث لدواعٍ اقتضت ذلك ، بعد حفظ الأمة لكتاب ربها ، وأمنها عليه أن يشتبه بغيره من السنن.

وحينما كاد القرن الأول الهجري أن ينتهي ، ولم يصدر أحد من الخلفاء أمره بجمع الحديث وتدوينه ، بل تركوه موكولاً إلى حفظ العلماء والرواة وضبطهم ، وبعض الكتابات الفردية ، وكان مرور مثل هذا الزمن الطويل كفيلاً بتركيز القرآن وتثبيتته في نفوس الناس ، فقد أصبح يتلوه القاضي والداني ، ويعرفه الخاص والعام ، ولا يختلف فيه أحد أو يشك في شيء من آياته ، كما كان مرور هذا الزمن الطويل أيضاً كفيلاً بأن يذهب بكثير من حملة الحديث من الصحابة والتابعين في الحروب والفتوحات ، وأن يتفرقوا في الأمصار ، مما هب لأهل الأهواء والبدع - الذين ظهروا في هذه الفترة - أن يزيّدوا في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن يُدْخِلوا فيه ما ليس منه مما يؤيد بدعتهم ويلبي انحرافهم ، كما أن انتشار الإسلام وتوسع الدولة الإسلامية جعل العرب يختلطون بغيرهم من الأعاجم في البلدان المختلفة مما نتج عنه قلة الضبط في نقل حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبب ضعف ملكة الحفظ عند الناس.

وفي العام التاسع والتسعين للهجرة تولى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه خلافة المسلمين ، فنظر إلى الأحوال والظروف التي تمر بها الأمة ، فرأى أن عليه البدء بكتابة الحديث وتدوينه حفظاً له من الضياع والتحريف ، حيث إن المانع الذي كان يمنع تدوين الحديث قد زال ، ومصلحة المسلمين باتت تستدعي جمع الحديث وتدوينه.

فكتب إلى عمّاله وولاته يأمرهم بذلك ، حيث أرسل إلى أبي بكر ابن حزم - عامله وقاضيه على المدينة - قائلاً له : " انظر ما كان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاكتبه ، فإنني خفت دروس العلم وذهاب العلماء " ، وطلب منه أن يكتب ما عند عمّرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وكتب إلى علماء المسلمين في الأمصار المختلفة " انظروا إلى حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاجمعوه " ، وكان ممن كتب إليهم الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أحد الأئمة الأعلام ، وعالم أهل الحجاز والشام المتوفى سنة ١٢٤ هـ ، حيث استجاب لطلب عمر بن عبد العزيز فجمع حديث أهل المدينة وقدمه له ، فبعث عمر إلى كل أرض دفترًا من دفاتره ، وكانت هذه هي المحاولة الأولى لجمع الحديث وتدوينه بشمول واستقصاء .

وكان تدوين الإمام الزهري للسنة عبارة عن جمع ما سمعه من أحاديث الصحابة من غير تبويب على أبواب العلم ، وربما كان مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وهذا ما تقتضيه طبيعة البداءة في كل أمر جديد ، وبذلك مهد الإمام الزهري الطريق لمن أعقبه من العلماء والمصنفين ، ووضع حجر الأساس في تدوين السنة في كتب خاصة.

ثم نشطت حركة التدوين بعد ذلك ، وأخذت في التطور والازدهار ، وتعاون الأئمة والعلماء في مختلف الأمصار ، فكتب ابن جريج بمكة ، وكتب مالك وابن اسحاق بالمدينة ، وكتب سعيد بن أبي عروبة والريبع بن صبيح وحماد بن سلمة بالبصرة ، وكتب سفيان الثوري بالكوفة ، وكتب أبو عمرو الأوزاعي بالشام ، وكتب عبد الله بن المبارك بخراسان ، وكتب معمر باليمن ، وغيرهم من الأئمة ، وكانت طريقتهم في التدوين هي جمع أحاديث كل باب من أبواب العلم على حدة ، ثم ضم هذه الأبواب بعضها إلى بعض في مصنف واحد ، مع ذكر أقوال الصحابة والتابعين ، ولذلك حملت المصنفات الأولى في هذا الزمن عناوين مثل **"مصنف"** و **"موطأ"** و **"جامع"**.

ثم جاء القرن الثالث الهجري فحدث طور آخر من أطوار تدوين السنة تجلّى في إفراد حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالتصنيف دون غيره من أقوال الصحابة والتابعين ، فألفت المسانيد التي جمعت أحاديث كل صحابي على حدة ، من غير مراعاة لوحدة الموضوع ، كمسند الإمام أحمد ، ومسند إسحاق بن راهوويه ، ومسند عثمان بن أبي شيبة وغيرها من المسانيد ، ولم تقتصر هذه المسانيد على جمع الحديث الصحيح بل احتوت على الصحيح وغيره ، مما جعل الإفادة منها والوقوف على أحاديث مسألة معينة من الصعوبة بمكان إلا على أئمة هذا الشأن ، خصوصاً لأنها لم ترتب على أبواب الفقه ، مما حدا بإمام المحدثين في عصره محمد بن إسماعيل البخاري أن ينحو بالتأليف منحىً جديداً اقتصر فيه على الحديث الصحيح فحسب دون ما عداه ، فألف كتابه الجامع الصحيح المشهور **"بصحيح البخاري"** ، وجرى على منواله معاصره وتلميذه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري فألف صحيحه المشهور **"بصحيح مسلم"** ، وقد رتبا صحيحيهما على أبواب الفقه تسهيلاً على العلماء والفقهاء عند الرجوع إليهما لمعرفة حكم معين ، فكان لهما الإمامين الفضل بعد الله عز وجل في تمهيد الطريق أمام طالب الحديث ليصل إلى الحديث الصحيح بأيسر الطرق.

وقد تابعهما في التأليف على أبواب الفقه أئمة كثيرون سواء ممن عاصرهم أو ممن تأخر عنهم ، فألفت بعدهما السنن الأربعة المشهورة وهي سنن أبي داود ، والنسائي ، والترمذي ، وابن ماجه ، إلا أن هؤلاء الأئمة لم يلتزموا الصحة كما التزمها الإمامان البخاري ومسلم ، فوجد في هذه المؤلفات الصحيح وغيره ، وإن كان الصحيح هو الغالب.

وقد اعتبر العلماء **القرن الثالث الهجري** أزهى عصور السُّنة وأسعدها بالجمع والتدوين، ففيه دونت الكتب الستة التي اعتمدتها الأمة فيما بعد، وفيه ظهر أئمة الحديث وجهابذته، وفيه نشطت رحلة العلماء في طلب الحديث، ولذلك جعل كثير من أهل العلم هذا القرن الحدّ الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من نقاد الحديث.

وبانتهاء هذا القرن كاد أن ينتهي عصر الجمع والابتكار في التأليف، فقد اقتصر دور العلماء في القرون التالية على الاختصار والتهديب والترتيب، والاستدراك والتعقيب، وانصب اهتمامهم على الكتب المدونة، وقلّت بينهم الرواية الشفهية.

ومن خلال ما سبق يتبين: أن تدوين الحديث النبوي قد مر بمراحل منتظمة، وأطوار متلاحقة، حققت حفظه، وصانته من العبث والضياع، وكان لجمع الحديث وتدوينه أعظم الأثر في تسهيل الطريق للاجتهاد والاستنباط، وبهذا نعلم مقدار الجهد العظيم الذي بذله الأئمة في جمع السنة وتبويبها، حيث تركوا لنا تراثاً عظيماً في عشرات المصنفات والدواوين، حتى أصبحت هذه الأمة تمتلك أغنى تراث عرفته البشرية، فجزى الله أئمة الإسلام عنا خير الجزاء. موقع إسلام ويب للمقالات.

مصطلح الحديث النبوي

حديث متواتر	متفق عليه	مشهور	عزيز	غريب	حديث حسن
حديث متصل			حديث صحيح		حديث منكر
حديث مسند	من حيث السند		علم الحديث	من حيث المتن	حديث متروك
خبر آحاد			حديث ضعيف		حديث مدرج
حديث منقطع	حديث مضطرب	حديث مدلس	حديث موقوف	حديث منقطع	حديث موضوع

٣	الراوي	مكان وتاريخ الولادة	مكان وتاريخ الوفاة	رحلاته العلمية
١	البخاري، هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي - مولاهم - الفارسي الأصل.	بخارى في شوال سنة ١٩٤ هـ .	توفي رحمه الله في خَرَنْدَك بلدة على فرسخين من سمرقند، ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ .	بدأ بالرحلة في طلب الحديث سنة عشر ومائتين، ونقل في البلاد لطلب الحديث، وأقام في الحجاز ست سنين، ودخل الشام ومصر والجزيرة والبصرة والكوفة وبغداد، وكان رحمه الله غاية في الحفظ .
٢	مسلم، هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري التيسابوري.	تيسابور سنة ٢٠٤ هـ أربع ومائتين.	توفي في تيسابور سنة ٢٦١ هـ إحدى وستين ومائتين، عن سبع وخمسين سنة.	تنقل في الأمصار لطلب الحديث؛ فرحل إلى الحجاز والشام والعراق ومصر، وما قدم البخاري نيسابور لازمه ونظر في علمه، وحذا حذوه. أشق عليه كثير من العلماء من أهل الحديث وغيرهم.
٣	أبو داود، هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني .	سجستان سنة ٢٠٢ هـ .	توفي في البصرة سنة ٢٧٥ هـ عن ثلاث وسبعين سنة .	رحل في طلب الحديث وكتب عن أهل العراق والشام ومصر وخراسان، وأخذ عن أحمد بن حنبل، وغيره من شيوخ البخاري ومسلم. أشق عليه العلماء ووضفوه بالحفظ التام والفهم الثاقب والورع. وقد خلف علماً كثيراً في مؤلفاته.
٤	الترمذي، هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي .	ولد في ترمذ مدينة بطرف جيحون، سنة ٢٠٩ هـ .	توفي في ترمذ سنة ٢٧٩ هـ عن سبعين عاماً .	طاف بالبلاد، وسمع من أهل الحجاز والعراق وخراسان، انفقوا على إمامته وجلالته حتى كان البخاري يعتمد عليه ويأخذ عنه مع أنه - أي البخاري - من شيوخه. وقد صنف تصانيف نافعة في العلم وغيرها.
٥	النسائي، هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ابن علي النسائي، ويقال: النسوي؛ نسبة إلى نسا بلدة مشهورة بخراسان.	نسا في سنة ٢١٥ هـ .	توفي سنة ٣٠٣ هـ، في الرملة في فلسطين عن ثمان وثمانين سنة.	ارتحل في طلب الحديث، وسمع من أهل الحجاز وخراسان والشام والجزيرة وغيرها. وأقام بمصر طويلاً، وانتشرت مصنفاته فيها، ثم ارتحل إلى دمشق، فحصلت له فيها محنة، وقد خلف مصنفات كثيرة في الحديث والعلم .
٦	ابن ماجه، هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه (بالهاء الساكنة ويقال بالتاء) الربيعي مولاهم القزويني.	ولد في قزوين (من عراق العجم) سنة ٢٠٩ هـ .	توفي في قزوين سنة ٢٧٣ هـ، عن أربع وستين سنة .	ارتحل في طلب الحديث إلى الري والبصرة والكوفة وبغداد والشام ومصر والحجاز، وأخذ عن كثير من أهلها. له عدد من التصانيف النافعة .
٧	أحمد بن حنبل، هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ثم البغدادي.	ولد سنة ١٦٤ هـ في مرو ثم حمل إلى بغداد وهو رضيع، وقيل: ولد في بغداد .	توفي في بغداد سنة ٢٤١ هـ عن سبعة وسبعين عاماً .	طاف بالبلاد والأفاق؛ لطلب الحديث فسمع من مشايخ العصر في الحجاز والعراق والشام واليمن، وعني غاية عظيمة بالمسنة والفقه حتى عد أهل الحديث إمامهم وقتيهم. وقد أشق عليه العلماء في عصره وبعده، فقال الشافعي: خرجت من العراق، فما رأيت رجلاً أهضل، ولا أعلم، ولا أروع، ولا أنقى من أحمد بن حنبل .
٨	مالك بن أنس، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن حارث، ينتهي نسبه إلى عمرو بن الحارث ذي أصبع الحميري من ملوك اليمن .	ولد في المدينة النبوية في ربيع الأول سنة ٩٣ هـ، ولا تربطه بالصحابي أنس بن مالك الخزرجي سوى صلة الإسلام .	توفي في المدينة النبوية سنة ١٧٩ هـ .	أخذ عن نافع ولازمه، وعن سعيد المقبري، والزهري، وابن المنكدر، وحي بن سعيد القطان، وأيوب السخيتاني، وأبي الزناد، وربيعة، وخلق. وروى عنه من شيوخه: الزهري، وربيع، وحبش ابن سعيد، وغيرهم. ومن أقرانه: الأوزاعي، والثوري، والليث، وخلق كثير. وروى عنه أيضاً: ابن المبارك، ومحمد بن الحسن، والشافعي، وعبد الرحمن بن مهدي، والقفني، وخلّلق.
٩	الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي .	ولد سنة ١٨١ هـ في سمرقند .	توفي في سمرقند سنة ٢٥٥ هـ .	ارتحل في طلب الحديث إلى الحجاز وبلاد الشام ومصر والعراق وخراسان، جمع بحثه بين علمي التفسير والفقه، صنف المسند في الحديث والجامع الصحيح المعروف بسنن الدارمي.



- صحيح البخاري وقد جمعه الإمام البخاري ، المتوفى سنة ٢٥٦هـ.
- صحيح مسلم وقد جمعه الإمام مسلم ، المتوفى سنة ٢٦١هـ.
- سنن أبي داود وقد جمعها الإمام أبو داود ، المتوفى سنة ٢٧٥هـ.
- سنن الترمذي ، وقد جمعها الإمام الترمذي ، المتوفى سنة ٢٧٩هـ.
- سنن النسائي ، وقد جمعها الإمام النسائي ، المتوفى سنة ٣٠٣هـ.
- سنن ابن ماجه ، وقد جمعها الإمام ابن ماجه ، المتوفى سنة ٢٧٣هـ.
- مسند أحمد ، وقد جمعه الإمام أحمد ، المتوفى سنة ٢٤١هـ.
- موطأ مالك ، وقد جمعه الإمام مالك ، المتوفى سنة ١٧٩هـ.
- سنن الدارمي ، وقد جمعها الإمام الدارمي ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ.



العلوم الفقهية

علوم أصول الفقه

علم الفقه

الفقه لغة: الفهم. **وفي الاصطلاح:** معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية كالكتاب والسنة والإجماع، فكل من عرف أكثر الأحكام الشرعية فهو فقيه، وأما من لم يعرف إلا أحكاماً يسيرة فليس بفقيه، والواجب عليه حينها سؤال العلماء لمعرفة الحكم الشرعي.

مفهوم الفقه الإسلامي: وبناءً على ذلك فمفهوم الفقه الإسلامي يتسع ليكون نظام حياة للأمة الإسلامية في سائر شؤونها الحياتية في الاقتصاد والأحوال الشخصية والسياسة وسائر معاملاتها اليومية، على مستوى الدولة أو الأفراد.

نشأة علم الفقه:

كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية اتساعاً عظيماً وسريعاً، وامتزاج الحضارات العريضة التي كانت سائدة في بلاد العراق والشام ومصر وفارس بحضارة الإسلام الطالعة أن عرضت للناس وقائع جديدة تستدعي وضع بعض التشريعات في المعاملات والحلال والحرام. فعلى سبيل المثال: نظام الإرواء، أو الرّي (بكسر الراء) في العراق والشام يخالف ري مصر، وهذه كلها تخالف ري الجزيرة. وأحوال الزواج والمعاملات والجنايات في البلدان المفتوحة غيرها في مهد الإسلام (جزيرة العرب). ففي كل هذه الأمور وفي كثير غيرها؛ كان لابد للفقهاء من الاجتهاد. واستتبع ذلك ظهور مدارس ومذاهب فقهية كبيرة.

ومن العوامل التي ساعدت على تكوين هذه المذاهب الفقهية؛ جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ونسخه وتوزيعه على الأمصار الإسلامية الرئيسة آنذاك في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بعد أن ظهر اللحن في بعض البلاد المفتوحة. ثم تدوين السُّنة النبوية في عهد عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وبعد ذلك اهتم المسلمون بجمع فقه الصحابة وفتاوى التابعين، وتصنيف طائفة غير قليلة من العلوم تقوي ملكة الاجتهاد والقياس والاستنباط، كعلوم اللغة العربية وتفسير القرآن وأدب المناظرة والكلام. أضف إلى ذلك جميعه تشجيع الخلفاء للحركة الفقهية، ومؤازرتهم للعلماء، وعنايتهم بمجالس البحث والنظر، ورغبة الكثيرين منهم في النقاش العلمي الهادف.

المذاهب الفقهية الأولى: عرف في القرن الأول مذهب ابن مسعود، ومذهب ابن عمر، ومذهب عائشة، وهي عبارة عن فتاواهم فيما جد من حوادث. وقد أضاف فقهاء التابعين من بعد الصحابة اجتهاداتهم الخاصة أيضاً، وظهر فيهم فقهاء أعلام من منتصف القرن الأول إلى مطلع القرن الثاني للهجرة، لعل أشهرهم **فقهاء المدينة السبعة** وهم: ١- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود. ٢- عروة بن الزبير بن العوام. ٣- قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. ٤- سعيد بن المسيب بن حزن. ٥- أبو بكر بن عبد الرحمن. ٦- سليمان بن يسار. ٧- خارجة بن زيد بن ثابت.

تتلخص أسباب جمود الفقه الإسلامي في هذه الفترة فيما يلي:

١- انصراف الفقهاء إلى الانتصار لمذاهبهم، والتعصب لأنتمتهم، والدعاية لنشر مذهبهم. ٢- ازدهار الفقه والعناية به، وكثرة التدوين والتصنيف في العصور السابقة لهذا العصر. ٣- انحلال الدولة الإسلامية، وإصابتها بالضعف المتوالي مما أفقدها الشخصية القوية، التي يكون لها من النظم ما تضع فيه حداً للفتوى والإفتاء، فتصدى للإفتاء من هو من أهله ومن هو من غير أهله.

وهو يبدأ من سقوط **الخلافة العباسية** (بغداد) سنة ٦٥٦ هـ على يد هولاكو إلى بداية القرن الهجري الماضي. ورغم ذلك تخلله دور للتجديد من بداية القرن السابع على يد شيخ الإسلام ابن تيمية.

إن التوسع الجغرافي للإسلام وتنوع البيئات التي انتشر بها، وأيضاً قابلية الكثير من النصوص الشرعية الإسلامية للاجتهاد فيها حسب الظروف والحالات أدباً إلى نشوء مدارس فقهية منتشرة في الأمصار الإسلامية، وأصبح لكل عالم فقيه أتباع يعملون على نشر فتاواه وحتى العمل ضمن القواعد التي يضعها لإصدار فتاوى جديدة، انظر جدول المذاهب الأربعة

عرف في القرن الأول مذهب ابن مسعود، ومذهب ابن عمر، ومذهب عائشة، وهي عبارة عن فتاواهم فيما جد من حوادث. وقد أضاف فقهاء التابعين من بعد الصحابة اجتهاداتهم الخاصة أيضاً، وظهر فيهم فقهاء أعلام من منتصف القرن الأول إلى مطلع القرن الثاني للهجرة، لعل أشهرهم فقهاء المدينة السبعة.

كان **الصحابة** يلجؤون إلى أهل الفتيا منهم، الذين يسمون القراء، فكان القراء يرجعون إلى كتاب الله، فإن وجدوا فيه الحكم أخذوا به ووقفوا عنده، وإلا لجأوا إلى السنة النبوية ليلتمزوا بها إن عثروا على مبتغاهم. فإن كانت الواقعة والمسألة جديدة ولم يجدوا لها حكماً لا في الكتاب ولا في السنة لجأوا إلى الاجتهاد، وأول ما ينظرون إلى ما يشابه هذه المسألة أو يماثلها، فيقيسونها عليها في الحكم، أو يستنبطون لها حكماً حسبما تقتضيه القواعد العامة للشريعة، فإن اتفقت كلمتهم في النتيجة كان ذلك إجماعاً، وإلا كان قولاً للصحابي ومذهباً له.

نشأ الفقه الإسلامي في عهد النبي ﷺ حينما كان يتلقى الآيات عن ربه سبحانه بما فيها من أوامر له وللمسلمين تتعلق بعباداتهم ومعاملاتهم وسائر شؤون حياتهم وما يحتاجون إليه من أحكام شرعية عملية واعتقادية. وكان رسول الله ﷺ يبين هذه الأحكام للناس، ويشرح تفاصيلها، ويطبقها أمام الناس. كما كان يتابع فعل الصحابة لها. وكان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إليه للتعلم والاستفتاء، وفصل المنازعات والقضاء، حتى أدى الرسالة وبلغ

من ٦٥٦ هـ
حتى عصرنا
الحاضر

عصر الركود
الفقهي

٣٠٦ سنوات

٣٥٠ - ٦٥٦ هـ

عصر التقليد

٢٥٠ سنة

١٠١ - ٣٥٠ هـ

عصر التدوين

٦٠ سنة

٤١ - ١٠٠ هـ

عصر بقية
الصحابة وكبار
التابعين

٣٠ سنة

١١ - ٤٠ هـ

عصر الخلفاء
الراشدين

٢٣ سنة

من السنة الأولى للبعثة
حتى وفاة الرسول
صلى الله عليه وسلم
سنة ١١ هـ.

عصر التشريع

المرحلة

التاريخ

المدة

أبرز خصائص المرحلة

مراحل تاريخ التشريع والفقه الإسلامي

وجه المقارنة	المذهب الحنفي	المذهب المالكي	المذهب الشافعي	المذهب الحنبلي
المؤسس	هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وهو فارسي الأصل ويسمى بالإمام الأعظم.	هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر ابن عمرو بن حارث، ينتهي نسبه إلى عمرو بن الحارث ذي أصبع الحميري من ملوك اليمن، ليست بينه وبين الصحابي الجليل أنس بن مالك قرابة.	هو أبو عبد الله محمد بن إدريس ابن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلب الشافعي الحجازي المكي يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف.	هو أحمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي. سكن أهله خراسان.
مولده	ولد في الكوفة سنة ٨٠ هـ.	ولد في ربيع الأول بالمدينة النبوية سنة ٩٣ من الهجرة.	ولد في سنة مائة وخمسين، وهي السنة التي توفي فيها أبو حنيفة. ولد بغزة، وقيل: بعسقلان، ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين.	ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ.
نشأته	العراق	المدينة النبوية	الحجاز	بغداد

وجه المقارنة	المذهب الحنفي	المذهب المالكي	المذهب الشافعي	المذهب الحنبلي
ركائز المذهب	نشأ مذهب أبي حنيفة في الكوفة مهد مدرسة الرأي، وتكونت أصول المذهب على يديه، وأجملها هو في قوله: "إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا لم أجد فيها أخذت بقول أصحابه من شئت، وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم، والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد ابن المسيب فلي أن أجتهد كما اجتهدوا".	كان الإمام مالك يعتمد على الحديث النبوي كثيراً نظراً لبيئته الحجازية التي كانت تزخر بالعلماء والمحدثين الذين تلقوا الحديث النبوي عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وورثوا من السنة ما لم يتح لغيرهم من أهل الأمصار. قال الإمام الشافعي: ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك، وفي رواية أكثر صواباً وفي رواية أنفع؛ وهذا القول قبل ظهور صحيح البخاري.	حاول أقصى جهده أن يمزج بين مدرستي الحجاز والعراق، كما حاول أن يمزج بين مدرسة الرأي ومدرسة الأثر. جاء في مناقب الإمام الشافعي للبيهقي: قيل لأحمد بن حنبل: فما ترى في كتب الشافعي، التي عند العراقيين أحب إليك أم التي عند المصريين؟ قال: «عليك بالكتب التي وضعها بمصر. فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها، ثم رجع إلى مصر فأحكم ذلك».	كان الإمام أحمد عليماً بالأحاديث الأمر الذي وفر له ثروة هائلة في العلم مكنته من الاستنباط. وقد وسع باب القياس مما جعل الأحكام أقرب إلى مرامي الشارع ومقاصده المستوحاة من أعمال الرسول وأقواله. وكانت هناك حاجة ماسة إلى أحكامه، لأن العرب تفرقوا بين الأمصار التي فتحوها وفيها أمم وشعوب مختلفة. وقد قدم الإمام أحمد الحديث على الرأي والقياس ولو كان ضعيفاً. كما أنه أكمل مشوار الشافعي من ناحية تعظيم دور السنة في البناء الفقهي. وكانت شخصية الإمام أحمد رمزاً للصمود والثبات على الإيمان الراسخ ورفض الأفكار الدخيلة على الإسلام والعقيدة الإسلامية.

وجه المقارنة	المذهب الحنفي	المذهب المالكي	المذهب الشافعي	المذهب الحنبلي
السمات	وطد طريقة الاستحسان، وكان رحمه الله واسع الاجتهاد. فقد خرج على الناس بمذهب جديد فيه حرية للعقل بكثرة استعمال الرأي والقياس، وبما استتبع ذلك من كثرة الفروع ورجوعها إلى أصول، وبمقدرة على الاستنباط وبتقريب الفقه إلى الأذهان.	مذهبه وسط معتدل بين أهل الرأي والحديث، لكثرة استناده إلى الحديث إذ كانت روايته قد انتشرت ولا سيما المدينة على أن مالكاً يعد إلى جانب ذلك من أهل الرأي نسباً.	امتاز الإمام الشافعي عن باقي الأئمة، بتدوينه كتب المذهب بنفسه. كما أنه يُعدُّ عند جمهور المحققين، أول من كتب في أصول الفقه وشرحها. واعتنى بالقواعد الكلية أكثر من الفروع الفقهية.	أكثر المذاهب السنية محافظة على النصوص وابتعاداً عن الرأي. لذا تمسك بالنص القرآني ثم بالبينة ثم بإجماع الصحابة، ولم يقبل بالقياس إلا في حالات نادرة.
أشهر مصنفات المذهب	الكافي «وقد جمع كتب ظاهر الرواية وهي: السير الكبير والسير الصغير الجامع الكبير والجامع الصغير الزيادات، المبسوط (شرح الكافي في ٣٠ مجلداً) حاشية ابن عابدين».	الموطأ، المدونة (وهي المعتمدة الواضحة)، العتبية الموازية، الكافي، مختصر خليل.	الأم، الرسالة، المجموع شرح المذهب، مغني المحتاج، روضة الطالبين.	المغني، الإقناع، الـمـروص المقنع، الفروع، دليل الطالب، مختصر الخرقى.

وجه المقارنة	المذهب الحنفي	المذهب المالكي	المذهب الشافعي	المذهب الحنبلي
الانتشار	انتشر مذهب أبي حنيفة في البلاد منذ أن مكن له أبو يوسف بعد توليه منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية ، وكان المذهب الرسمي لها، كما كان مذهب السلاجقة والدولة الغزنوية ثم الدولة العثمانية، وهو الآن شائع في أكثر البقاع الإسلامية، ويتركز وجوده في مصر والشام والعراق وباكستان والهند والصين.	انتشر مذهب الإمام مالك في شمالي إفريقيا وبلاد الأندلس، والحجاز والخليج العربي والسودان أما الذين أعانوا على نشر مذهبه في هذه البلاد فهم عبد الله بن وهب ومصريون آخرون وأسد بن الفرات القائد والقاضي في الدولة الأغلبية والتي كانت تابعة للدولة العباسية.	يتركز الفقه الشافعي -اليوم- في مصر، وجنوبي الشام، واليمن وعدن، والحجاز وشرقي إفريقيا، وكردستان، وفي جنوب شرقي آسيا (إندونيسيا وماليزيا).	بقي المذهب مقصوراً على أحياء في بغداد وعلى بعض مناطق بلاد الشام. ثم وصل قضاة حنابلة إلى مصر. لكنه لم يتعد هذه البلاد الثلاثة إلى العصر الحديث، وبقي الحنابلة قلة مقارنة بالمذاهب الإسلامية الأخرى، إلى أن تبنته حكومة المملكة العربية السعودية سلمها الله في عهدها الثلاثة وانتشر في جميع ربوعها العامرة.
وفاته	توفي أبو حنيفة في بغداد في ١١ من جمادى الأولى سنة ١٥٠ هـ.	توفي مالك في شهر ربيع الأول سنة ١٧٩ هـ في المدينة النبوية.	توفي الشافعي في الفسطاط المصرية سنة ٢٠٤ هـ.	توفي ابن حنبل في بغداد سنة ٢٤١ هـ.

العقيدة

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم رفعت الفتن رأسها شيئاً فشيئاً لتتال من أصول الدين قبل فروعها، ومن عقائده قبل شرائعه، إمضاءً لسنته - سبحانه وتعالى - في الابتلاء والامتحان فظهرت بدعتا **الخوارج فالرفض** بعد نهاية الخلافة الراشدة، ثم **الإرجاء والقدر** في الخلافة الأموية، ثم ظهرت بدع **الجهمية المعطلة** في أوائل المائة الثانية، وما تشعب منها بعد ذلك من فرق وطوائف، لتتحقق آية من آيات النبي ﷺ في افتراق أمتة كالأمم قبلها.

ثم إنه تنوعت بدع التعطيل في التجهم، ثم ورثه **الاعتزال** وكان منه على الدين وأهله من المصائب والويلات ما لا يخفى، ضلالاً وابتداعاً وافتراقاً، غصّ بها تاريخ المسلمين، وحرقت به وحدتهم واجتماعهم، ولم تزل تعاني آثار ذلك أشد العناء.

وفي المائة الثالثة فالرابعة تولد عن بدعتي التجهم والاعتزال بدعة أخرى، تمثلت في بدعة **الكلابية**، ومتولي كبرها أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، ومن تلقف بدعته من بعده، وهما الطائفتان الكبيرتان: الأشاعرة والماتريدية.

والسنة الحقة في ذلك ماضية وثابتة، في خضم هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن والبدع من لدن الصحابة رضي الله عنهم، وبعدهم كبار التابعين، فالتابعون فتابعوهم بإحسان إلى أن يشاء الله. على جادة واحدة، وطريقة واضحة، متمثلة فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

وبين يدي ذلك تتأكد أهمية العناية بالعقيدة الإسلامية، وتصفيتها مما يشوبها من عواري البدع، وذلك بتحري منهج السلف الصالح في تقرير العقيدة والدفاع عنها والرد على مخالفها، ومن خلال الآثار السلفية المروية عنهم قولاً وفعلًا وحالاً... والبحث عنها، وجمعها، ودراسة طرق روايتها، والتأمل فيها، والتفهم لها وإنزالها المكان اللائق بها على بصرة وهدى... ولذلك ولغيره اعتنى أئمة الإسلام جيلاً بعد جيل، بنقل آثار الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم ورحمهم بالأسانيد عنهم، وتناقلوها واحتفوا بها وزبروها في قلوبهم، وزينوا بها تصانيفهم^(١).

تعريف العقيدة: العقيدة في اللغة: من العَقْد: وهو الرَبْطُ، والإِبْرَامُ، والإِحْكَامُ، والتَّوَقُّقُ، والشَّدُّ بِقُوَّةٍ، والتَّمَسُّكُ، والرُّصَّةُ، والإِثْبَاتُ؛ ومنه اليقين والجزم. والعقد نقضُ الحل، ويقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقدة اليمين والنكاح، قال الله تبارك وتعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُتُورِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ). (المائدة/ ٨٩) **والعقيدة:** الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. **والعقيدة في الدين:** ما يُقَصَّدُ به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل، والجمع: عقائد. **وخلاصته:** ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به؛ فهو عقيدة، سواء: كان حقاً، أو باطلاً. **والعقيدة الإسلامية:** هي الإيمان الجازم بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم.

التأليف لبيان عقيدة بعض الأئمة حتى لا ينسب إليهم شيء لم يقولوا به، خاصة وأن من عادة أهل البدع والأهواء الكذب على أئمة أهل السنة والجماعة وعلمائهم.

انتشار مذهب أهل البدع وانتشار مقولاتهم بين عامة الناس فلا يسع العلماء من أهل السنة السكوت بل لابد لهم من البيان والصدع بالحق حتى لا يغتر العامة والذهماء بمثل هذه الشبهات.

دور الحكام والأمراء في توجيه العلماء لتدوين العلم أو التأليف عموماً.

خشية ضياع العلم بسبب موت العلماء من الصحابة ومن بعدهم .

أهم بواعث تدوين علم العقيدة

الافتراق في الأمة الإسلامية والاختلاف الذي وقع بينها بسبب أصحاب البدع.

أهمية علم العقيدة في معرفة توحيد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

تصنيف أهل البدع في باطلهم المصنفات لتقرير مذهبهم الباطل؛ فكان لزاماً على أهل الحق أن يطوروا وسائلهم تمثيلاً مع المرحلة التي هم فيها لأن العدو قد استخدم سلاحاً إعلامياً جديداً في نشر باطلهم، فكان من فقه السلف أن نوعوا في التأليف فأفردوا لمسائل الاعتقاد مصنفات مستقلة حتى يقابلوا الوسيلة الإعلامية الجديدة بوسيلة مثلها بل أحسن منها كما هو الحال في مصنفات أهل السنة.

تعرض المؤلف من أهل السنة لبعض الفتن والأحداث التي تحتم عليه بيان موقفه الصحيح من بعض القضايا العقيدية التي سببها تعرض لمثل هذا الأذى، ولعل المثل الذي يستحضر دائماً فتنة اللفظ التي أودى بسببها الإمام البخاري ومن أجلها ألف كتابه العظيم «خلق أفعال العباد» حتى يبين الحق في المسألة ويرد التهمة عن نفسه أداءً منه للأمانة وإبراءً للذمة.

ثانياً: العلوم اللغوية

جمع الأدب والتأليف فيه

علم البلاغة

علم النحو

جمع اللغة وتأليف المعاجم

الشعر

النثر

انظر الصفحات القادمة

أول من صنف في هذا الفن أبو عبيدة بن المثنى في كتابه (مجاز القرآن) ثم تتابع التأليف مثل: ابن المعتز في البديع ، والجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، ونشأت دراسات نقدية مثل: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، وبرز الدينوري في كتابه (الشعر والشعراء).

عند انتشار الإسلام واتساع رقعته كثر الاختلاط بين العرب وغيرهم من الأعاجم، فخشى العلماء من أن تضعف العربية في وسط الاندماج فشرعوا في المحافظة على لغتهم فدونوا الأحاديث والخطب والأشعار وحاولوا استقراءها واستنباط القواعد من تراكيبها لضبط الألسنة على النطق الصحيح وكان العلماء حريصين على تدوين ما يصلون إليه من قواعد نحوية وشواهد عربية وقد ألفوا كتباً كثيرة حوت دقائق علم النحو.

المرحلة الأولى

جمع الكلمات حيثما اتفق، فكان العالم يرحل إلى البادية فيسمع كلمة في اسم من الأسماء، فيدون ذلك كله كما سمع، من غير ترتيب إلا ترتيب السماع.

المرحلة الثانية

جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد مثل: كتاب المطر أو اللين لأبي زيد الأنصاري ت ٢١٥ هـ والأصمعي ت ٢١٢ هـ في النخل أو الشاء أو الإبل.

المرحلة الثالثة

وضع المعاجم الشاملة التي تشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص يسهل إليه لمن أراد البحث عن معنى كلمة. مثل كتاب العين للفراهيدي ت ١٧٥ هـ وفي القرن الرابع هـ الجوهري ت ٣٩٢ هـ في كتابه الصحاح، وقد سار على أثره ابن منظور في لسان العرب، والفيروز آبادي في القاموس المحيط.

مرعمر - رضي الله عنه - و أرضاء على قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا، إنا قوم متعلمون والصواب متعلمون فغضب الفاروق، فقال، خطبكم في لسانكم أشد من خطوكم في رميكم، ثم قال رضي الله عنه، (رحم الله امرؤاً أصلح لسانه).

الخليل بن أحمد الفراهيدي؛ هو أول من فكر في أن يجمع كل ما عرف من ألفاظ الغرب في كتاب مرتب، فهو المؤسس الحقيقي لشرح النحو العربي.

سيبويه؛ خلف الخليل بن أحمد على تراثه النحوي وقد أودع هذا التراث مصنفه المسمى (الكتاب). الذي يعد من روائع العقل العربي، ويدل دلالة واضحة على فطنة مؤلفه، ونفاذ بصيرته، حتى إن بعض العلماء سمى مؤلفه هذا (قرآن النحو).

١- عُُنيت مدرسة البصرة بالنحو علي يد **الخليل بن أحمد** وتلميذه **سيبويه** وغيرهم.

٢- عُُنيت مدرسة الكوفة بالنحو وقد تمسك أصحابها بكل ما جاء به العرب من قواعد حتى لو كان شاذاً.

٣- ظل الصراع قائماً بين مدرستي البصرة والكوفة في النحو، حتى تأسست مدينة بغداد عام ١٤٥ هـ وهدت الأحوال السياسية واستتب الأمن في الدولة العباسية وأخذ الخلفاء يرغبون العلماء ويشجعونهم على سكُنَى بغداد ويدعونهم لتربية أولادهم فسارعوا بالذهاب إلى العاصمة الجديدة (بغداد) جرياً وراء الشهرة وإحراز المكانة والثروة.

النثر

ازدادت الثروة النثرية في العصر العباسي بكثير من الكتب التي ألقت فيه، وقد اشتهر عدد من الأدباء في ميدان النثر ومنهم:

١ - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة **الدينوري** (٢١٣-٢٧٦ هـ) نحوي لغوي، ولد ببغداد وقيل بالكوفة وأقام بالدينور مدة فنسب إليها. صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب، ولتعدد اهتمامات ابن قتيبة وتنوع موضوعات كتبه، يُعدُّ عالماً موسوعياً، فهو العالم اللغوي الناقد المتكلم الفقيه النحوي. وتعود شهرته في التاريخ والأدب إلى كتابه «الشعر والشعراء»، ويوجه خاص إلى مقدمة هذا الكتاب، وما أثار فيها من قضايا نقدية. ومن مؤلفاته:

١ - غريب القرآن الكريم

٢ - غريب الحديث

٣ - عيون الأخبار

٤ - مشكل القرآن

٥ - مشكل الحديث

٦ - طبقات الشعراء

٧ - الأشربة

٨ - إصلاح الغلط

٩ - كتاب التقفية

١٠ - كتاب الخيل

١١ - كتاب إعراب القراءات

١٢ - كتاب الأنواء

١٣ - كتاب المسائل والجوابات

١٤ - كتاب الميسر والقдах وغير ذلك.

٢ - عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء ت ٢٥٥ هـ. **الجاحظ** : أبو عثمان، كبير أئمة الأدب، مولده ووفاته بالبصرة، وأخذ العلم عن أشهر شيوخها في الأدب والنحو واللغة، ومنهم أبو عبيد معمر بن المنثى، والأصمعي، وأبو زيد الأنصاري والأخفش، وأخذ علم الكلام عن أبي إسحاق إبراهيم النظام أحد شيوخ المعتزلة، فتأثر به وبمقالاته ونصر الاعتزال بكتابته، وأصبح رئيس فرقة في الاعتزال تعرف باسم (الجاحظية).

الشعر

اتسمت المدن في العصر العباسي بفيض من الشعراء ذوي السليقة العربية الأصيلة، وقد تحول بعض هؤلاء إلى معلمين يربون الناشئة على العربية الفصحى وآداب الشعر القديم، في الوقت الذي كان يقابلهم في المدن شعراء لم ينشأوا في البادية لكنهم استوعبوا ملكة اللغة العربية التي تمثلت في دخالهم فيما بعد حتى أصبحوا لا يقلون عن شعراء البادية نصاعة وبياناً.

لقد حافظ معظم الخلفاء العباسيين على لغة القرآن وحثوا أهل العلم على دراستها والتعمق في معانيها ومعرفه مكنوناتها، فكانوا لا يستوزرون إلا من حذق في اللغة العربية وبرع في أدائها وآدابها، وكانت مجالس الخلفاء عموماً تكتظ باللغويين وعلماء الكلام من أمثال الكسائي والأصمعي. وكان الشعراء يعرضون قصائدهم على الخليفة، فإن استحسناها مضوا ينشدونها، وإن لم يستحسنها ذهبوا يصنعون غيرها.

وعلى هذا النحو سيطر اللغويون على سوق الأدب العباسي ومضوا متمسكين بقواعد الشعر القديم تمسكاً شديداً، وكان اعتقادهم أنه لا يجوز تقضيل شعر عصر على غيره من عصر آخر، إنما كان المراد هو جودة الشعر نفسه بصرف النظر عن عصره، فالجودة الفنية لا تقاس بالقدم والحدثة، وعلى هذا النحو دفع التحضر بشعراء العصر إلى استحداث أسلوب جديد يعتمد على الألفاظ الواسطة بين لغة البدو الزاخرة بالكلمات الجزلة، ولغة الحضر المليئة بالكلمات الأقل قوة منها وجعلوا منه أسلوباً جديداً أشبه بعنقود من الجواهر، إذ تحول الشعراء إلى ما يشبه الصاغة، كل يحاول أن يثبت مهارته في صياغة وسبك الشعر من الكلمات التي يكون وقعها في السمع حسناً وتأثيرها في القلب كأثر المطر في التربة الكريمة. لكن في المجلد برزت بعض الملامح لهذا العصر بفترات من الترف والبدخ والتأنق، فقد رقت فيه طباع الشعراء وارتقت أذواقهم بالمخالطة، فظهر ذلك في أشعارهم،

من أشهر مؤلفاته في الأدب كتاب البيان والتبيين فهو من أهم كتب الجاحظ قال فيه ابن خلدون: "... وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها"، وقد جمع الجاحظ في هذا الكتاب كعاداته البلاغة والأدب والفقه والتاريخ والمنطق، وكانت الغاية من وضعه الرد على الشعوبية بتبيان تفوق العرب في البلاغة والبيان. وأما كتاب البخلاء فهو دراسة أدبية فكهة، جمع فيها الجاحظ أخبار البخلاء والمبخلين في عصره من أهل البصرة وخراسان بنوع خاص، وصور لنا نماذج حية ناطقة من أولئك الذين استهواهم الدرهم، فصاروا أضحكة الناس ومدار تدرهم. ومن خلال صور البخلاء والأشياء يلقي الجاحظ في هذا الكتاب، أكثر منه في أي كتاب آخر،

٣ - أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد المعروف ببديع الزمان **الهمداني**، (٣٥٨ هـ/٩٦٩ م - ٣٩٥ هـ/١٠٠٧ م)، كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة استوطنت همدان وبها ولد بديع الزمان فنسب إليها، وقد كان يفتخر بأصله العربي إذ كتب في أحد رسائله إلى أبي الفضل الإسفرائيني: «إني عبد الشيخ، واسمي أحمد، وهمدان المولد وتقلب المورد، ومضرب المحتد». وقد تمكن بديع الزمان بفضل أصله العربي وموطنه الفارسي من امتلاك الثقافتين العربية والفارسية وتضلعه في آدابهما فكان لغوياً وأديباً وشاعراً وتوفي عام ٣٨٠ هـ، انتقل بديع الزمان إلى أصفهان فانضم إلى حلبة شعراء الصاحب بن عباد، ثم يمّم وجهه شطر جرجان فأقام في كنف أبي سعيد محمد بن منصور وخالط أسرة من أعيان جرجان (تعرف بالإسماعيلية) فأخذ من علمها الشيء الكثير، ثم ما فتئ أن نشب خلاف بينه وبين أبي سعيد الإسماعيلي فغادر جرجان إلى نيسابور، وكان ذلك سنة (٣٨٢ هـ/٩٩٢ ميلادية)، واشتدت رغبته في الاتصال باللغوي الكبير والأديب الذائع الصيت أبي بكر الخوارزمي.

وذّرّس علماء المسلمين الشعر، فحَصَرَ الخليل بن أحمد أوزان الشعر في ١٥ بحراً، ثم زاد عليها الأخفش بحراً واحداً وسَمَّاه الخَبَب، فأصبحت ١٦ وهو ما عُرف بعلم العروض.

وظهرت الصالونات الأدبية، وكانت المساجلات الشعرية، والمناظرات الدينية، والمناقشات الأدبية تجري في معظم الأحيان في حضرة الخلفاء العباسيين الذين كان بعضهم شعراء، وأغدقوا الأموال على الشعراء، فتزاحموا على أبوابهم.

لقد نبغ عدد كبير من الشعراء في العصر العباسي، من أشهرهم "أبونواس"، وهو ممن أذاع القول في الخمر المحرمة والغزل والصيد، و"أبو العتاهية" الذي برع في فنون الشعر واشتهر بالغزل الرقيق والحكمة والموعظة. والطائيان "أبو تمام"، الذي اشتهر بنزعه العقلية والفلسفية في الشعر وتلميذه "البحري"، الذي ضرب به المثل، ويُقال إن كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة، ويُقال أيضاً إن شعره كتابة معقودة بالقوافي. وكذلك "ابن الرومي" الذي يقول عنه ابن خلكان، إنه يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها، ويبرزها في أحسن صورة.

ولما تسلم زمام الأمر العنصر العجمي في الدولة العباسية، ضعف أمر الشعر، حتى إذا قامت دولة بني حمدان وهم عرب، عاد الشعر إلى مكانته ورونقه، ورعاه سيف الدولة الحمداني، وقد كان شاعراً وأديباً، وكان يرى أن إعطاء الشعراء من فروع الأمراء.

واشتهر في عصره عدد كبير من الشعراء كأبي فراس الحمداني، وأبي الطيب المتنبي الذي كان نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر، ثم هو شاعر سيف الدولة الذي رفع من قدره، وألقى عليه شعاع سعادته حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر، وسافر كلامه في البدو والحضر، فهو الذي قال:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

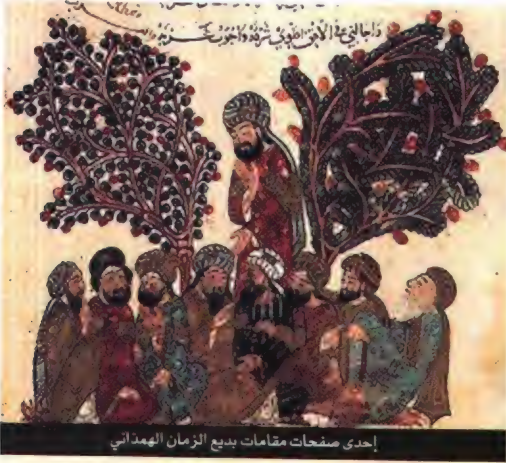
إذا قلت شعراً أصبح الدهر مُنشدًا

فسار به من لا يسير مُشمرًا

وغنى به من لا يغني مُفردًا

من مآثره النثرية:

مقامات (وهي أبرز ما خلفه بديع الزمان) طبقت شهرتها الأفاق، وقد كانت وما زالت منارة يهتدي بها من يريد التأليف في هذا الفن، فيمتع الناس بالقصص الطريفة والفكاهة البارعة، ويزود طلاب العلم بما يلزمهم من الدرر الثمينة في ميدان سحر الأسلوب، وغرابة اللفظ وسمو المعنى.



إحدى صفحات مقامات بديع الزمان الهمداني

٤ - محمد بن صفى الدين الملقب بعماد الدين الأصفهاني (٥١٩ هـ - ١٣ رمضان ٥٩٧ هـ) مؤرخ وأديب وشاعر عاصر الدولة النورية والأيوبيه ودون أحداثهما توفي في دمشق ٥٩٧ هـ. مؤلفاته:

- ١ - البرق الشامي
- ٢ - خريدة القصر وجريدة اهل العصر
- ٣ - خطفة البارق وعطفة الشارق
- ٤ - ديوان الرسائل
- ٥ - ديوان شعر
- ٦ - الفتح القسي في الفتح القدسي (كتاب تاريخي)
- ٧ - نحلة الرحلة
- ٨ - العتبى والعقبى

وترتب على تطور الشعر في تلك الحقبة نشأة صراع حاد بين أولئك المحدثين، ومن تصدّى لهم من المحافظين فيما يسمى اصطلاحاً قضية عمود الشعر. أي: (الأصول التقليدية المرعية للقصيد العربية). وكان للغويين خاصة دور كبير في تمثيل تيار المحافظين، وبخاصة في جانبي اللغة والصورة الفنية للقصيد العربية. وقد تبذرت مظاهر التطور الشعري في الأغراض والمعاني، والوزن، والقافية، وبناء القصيدة، واللغة.

ومن أغراض الشعر في العصر العباسي حينما قام الشعر بدور فاعل في الدعوة إلى الجهاد، وتحميس الجيوش، ورفع الروح المعنوية للمقاتلين. ولعل الدعوة إلى الجهاد هي لب الشعر في هذه الفترة، والمنطلق الذي اتخذته الشعراء باباً لكل المعاني والأفكار التي عالجوها في شعرهم. وتتمثل الدعوة إلى الجهاد في مظاهر مختلفة، منها التذكير بحروب المسلمين السالفة وما أبلاه المجاهدون فيها من بلاء حسن، وكذلك في مدح القادة العظام الذين خاضوا المعارك ضد أعداء المسلمين آنذاك، وفي تثبيت المجاهدين ودعوتهم إلى الاستبسال في القتال، وفي حث الذين لم يشاركوا على المشاركة واغتنام الفرصة وكسب الأجر العظيم في الجهاد. ومن أغراض الشعر خلال هذه المرحلة وصف المعارك الحربية، وهذا الغرض أيضاً مما أبدع فيه شعراء ذلك العصر؛ فقد رسموا صوراً شعرية نابضة بالحركة والحياة للمعارك الفاصلة التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين المعتدين. ونجد ذلك واضحاً في وصف المعارك الكبيرة كمعركة حطين ومعركة فتح بيت المقدس، وحصار عكا وأسر لويس التاسع في دمياط. وقد تبع وصف المعارك وصف أدوات القتال؛ فكانت القصائد التي تصف الخيل وأدوات الحصار والمعارك البحرية وغيرها، وكذلك وصف المعارك الفاصلة وتطاحن الجيوش ومنظر الأسرى ووصف الخطط الحربية ووسائل الدفاع والهجوم. لقد أدى هذا الشعر أدواراً عظيمة في هذا الشأن، مما سهل على الدارسين تصور طبيعة تلك المرحلة، بل ومعايشتها خطوة خطوة.

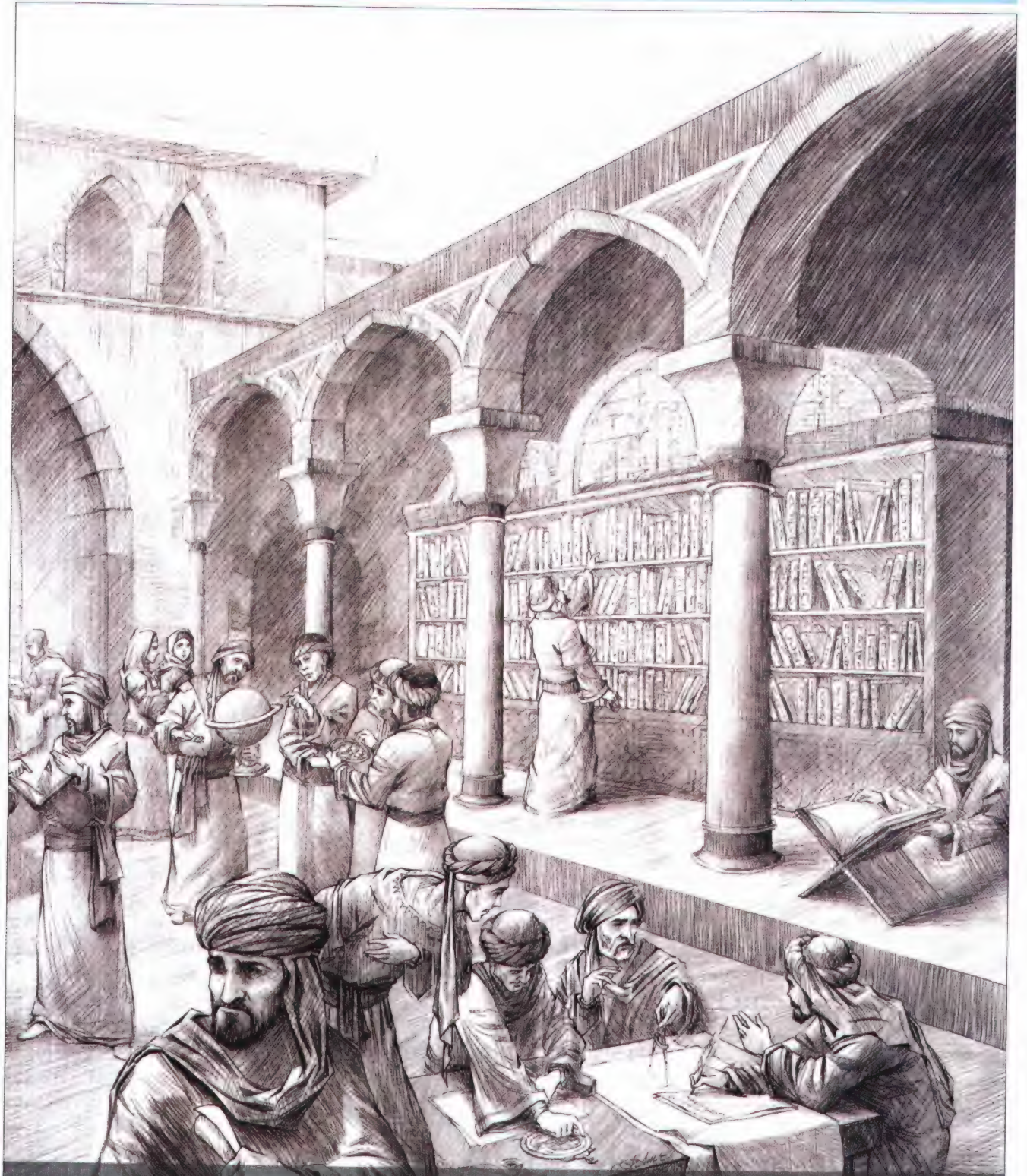
حركة الترجمة في عهد الخليفة المأمون

يعد **أبو جعفر المنصور** أول خليفة عباسي يقوم على رعاية حركة الترجمة - وهي التي بدأ أمرها كما رأينا في العصر الأموي «انظر كتابنا الموسوم أطلس تاريخ الدولة الأموية» - ويعمل على تشجيعها وتنشيطها بمختلف الوسائل والسبل، فترجمت في عهده المؤلفات المختلفة من مصادر عدة: يونانية وفارسية وهندية، وذلك لما عرف عنه من محبته للعلم وتقريبه للعلماء، وقد ترجم في زمن المنصور بعض كتب الفلك، ومن بين هذه الكتب: الكتاب الهندي في النجوم المعروف باسم "السند هند"، كما أنه أول خليفة ترجمت له كتب أرسطو طاليس في الفلسفة والمنطق، ومن المؤلفات التي ترجمت في عهده أيضاً كتاب "المجسطي" في الفلك لبطليموس وكتاب "أصول الهندسة" لأقليدس، وتزايد الوضع في عهد هارون الرشيد.

بيد أن حركة الترجمة في عهد **المأمون** قد بلغت ذروتها من حيث النشاط والدقة، وهذه المرحلة شهدت إقامة بيت الحكمة، وترجم خلالها عدد كبير من كتب أبقراط وجالينوس وأرسطو وبعض كتب أفلاطون، الأمر الذي يمكن معه أن يطلق على هذا القرن اسم (قرن الترجمة)، وذلك بسبب التحولات الجذرية التي شهدتها، ولعل أهم ما يميز تلك المرحلة من تاريخ الترجمة أن الحصول على كتب الأوائل بأنواعها أصبح مطلباً ثقافياً عاماً، وأن البحث عنها في بلاد الروم واستدعاء المترجمين لها، وإجزال العطاء لهم، كان ضرورياً، وفي هذا الدور تقاطر إلى **بغداد** المترجمون من أنحاء العراق والشام وفارس، وكثرت في بغداد الوراقون وباعة الكتب، وتعددت مجالس العلم والمناظرة، وأصبح همُّ الناس البحث والدرس، وظلت تلك النهضة بعد المأمون حتى نقلت أهم كتب القدماء إلى اللغة العربية^(١).

ومن أبرز علماء بغداد في تلك الفترة ثابت بن قرة الذي كانت له شهرة في علوم متعددة كالفلك والطب والرياضيات والفلسفة، وترجم كتباً عديدة في كل هذه العلوم لمقدرته على إجادة اللغات الثلاثة: اليونانية والسريانية والعربية، وألف في العربية مائة وخمسين كتاباً في المنطق والرياضيات والفلك والطب، وخير شاهد على هذا العصر هو "بيت الحكمة" إحدى حلقات الاتصال بين العرب والسريان، ويرى بعض الناس الذي أنشأه هو الخليفة هارون الرشيد، بينما يرى بعضهم الآخر أن الخليفة المأمون هو الذي أمر بإنشائه، فعلى سبيل المثال: يذكر د. جورج قنواني: أن المأمون أنشأ دار الحكمة أو بيت الحكمة في بغداد، وكان في ذلك مقلداً لأكاديمية جنديسابور القديمة وكانت دار الحكمة تضم شراحاً ونقلت أي مترجمين يجيدون اللغات اليونانية والسريانية والفارسية فضلاً عن العربية، وكان المأمون يرسل وفوداً من علماء حاشيته إلى القسطنطينية للحصول على مخطوطات من هناك، كما أنه كان يوجد قسم للتجليد ثم توزع الكتب حسب لغتها وعلمها، وكان كل قسم تحت رئاسة مسئول^(٢).

١ - ٢، د. أحمد محمد علي الجمل، أثر جهود السريان في الحضارة العربية الإسلامية: كلية اللغات والترجمة. جامعة الأزهر،



بيت الحكمة في بغداد هي أول جامعة في التاريخ أنشئت في عصر الخليفة العباسي هارون الرشيد وابنه عبد الله المأمون، وأحدثت نقلة نوعية في الترجمة تمهيدا للعصر الذهبي الإسلامي في العصور العباسية، لذلك يعد فخرا للحضارة الإسلامية التي أنشأت أول جامعة وكانت تضم مساكن للطلاب والمعلمين وساحة جامعية بالإضافة إلى مطعم لتزويد رواد الجامعة بالغذاء.

ثالثاً: العلوم الاجتماعية

تقويم البلدان (الجغرافيا والرحلات)

علم التاريخ

طبقات الإخباريين

دفع اهتمام المسلمين بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله - للاهتمام بها، والاعتماد عليها في التشريع الإسلامي والنظم الإدارية - مما أدى إلى بروز عدد من أشهر الإخباريين:

الطبقة الأولى: عروة بن الزبير و أبان بن عثمان بن عفان.

الطبقة الثانية: محمد بن شهاب الزهري.

الطبقة الثالثة: محمد بن إسحاق، وعوانة بن الحكم الكلبي، وسيف بن عمر التميمي الكوفي، والمدائني الذي يُعدُّ من أهم الإخباريين؛ وذلك لاعتماده على الإسناد أكثر من غيره، وتبَّاعه أسلوب المُحدِّثين في نقد الروايات وتمحيصها وتنظيمها.

التاريخ والتوريق لغة: الوقت. تقول: أرخ الكتاب بيوم كذا، و"ورخه" بمعنى واحد) فالتاريخ يعني (الوقت)، يقول خليفة بن خياط: "وبالتاريخ عرف الناس أمر جهم وصومهم وانقضاء عدد نساءهم ومحل ديونهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ (البقرة: ١٨٩). ومع بداية القرن الثاني الهجري اهتم بعض علماء المسلمين بكتابة التاريخ الإسلامي معتمدين على أهم مصادره، وهي القرآن الكريم والأحاديث النبوية وما يروى من الشعر الذي سجل بعض الأحداث المهمة، وقد نتجت عن ذلك كتب في السيرة والمغازي لمحمد بن إسحاق ت ١٥١ هـ، وقد ألفه من مجموع الأحاديث والأخبار التي سمعها في المدينة وفي مصر.

ويستطيع المتتبع لنشأة التدوين التاريخي عند العرب المسلمين منذ منتصف القرن الثاني الهجري، بداية شيوع كلمة (التاريخ) كعناوين لمصنفات كتبها إخباريون أو مؤرخون فيما بعد، فلعوانة بن الحكم (ت: ١٤٧ هـ) كتاب اسمه: (كتابة التاريخ) .. و(التاريخ على السنين)، كان عنواناً لكتاب ألفه الهيثم ابن عدي (ت: ٢٠٧ هـ) .. وكتاب (التاريخ الكبير) للواقدي (ت: ٢٠٧) .. وكتاب (التاريخ) لخليفة بن خياط (ت: ٢٤٠ هـ) .. إلخ. والهيثم بن عدي (ت: ٢٠٧ هـ) الذي ألف كتاباً (في التاريخ على السنين) ولم يصلنا، ألف إلى جانبه كتابين هما: (أخبار الحسن ووفاته)، وكتاب (أخبار الفرس).

كما كتب المدائني (ت: ٢٢٥) (كتاب أخبار أبي طالب)، و(كتاب خبر الحكم بن أبي العاص)، وكتاب (أخبار الشعراء)، و(خبر الجسر)، و(خبر القادسية)، إلى جانب (كتاب تاريخ أعمار الخلفاء)، و(كتاب تاريخ الخلفاء). فلعوانة بن الحكم (ت: ١٤٧ هـ) (كتاب سيرة معاوية وبني أمية) ولهشام بن الكلبي (ت: ٢٠٦ هـ) كتب هي: "كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة، كتاب حلف الفضول، كتاب ملوك اليمن من التبابعة، (كتاب اليمن). وللواقدي (ت: ٢٠٧ هـ) كتاب أخبار مكة، كتاب فتوح الشام، كتاب فتوح العراق" إلخ.

كتب السيرة النبوية ومغازي الرسول ﷺ

كتب التراجم

كتب الطبقات

مناهج الكتابة التاريخية
عند المسلمين

كتب الأنساب

كتب الفتوح

تاريخ البلدان

كتب الخطط

كتب التواريخ العامة

شهد التدوين التاريخي في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية نقلة نوعية، ويعود ذلك إلى سعة المفهوم التاريخي عند العلماء المسلمين. — أن السيرة النبوية قد لقيت عناية فائقة في التدوين والتأليف وفي النقد والتحقيق على يد علماء الحديث النبوي زيادة على اهتمام المؤرخين بها بشكل مستقل أو ضمن مؤلفاتهم في التاريخ العام، وأنها قد وصلتنا ولله الحمد، من طرق مأمونة ولم يتقرد الإخباريون والمتكلم في عد التهم بنقلها.

— عرض مناهج مجموعة من المؤرخين المسلمين، وقد اتضح أن مناهجهم في التأليف متعددة الصور، فيها سلبيات وإيجابيات وهم ليسوا سواء في التدقيق والثقة وإيضاح المصادر، فإن منهم من التزم بالإسناد بصفة عامة مثل: خليفة بن خياط وأبي عبيد وابن شعبة والبلاذري وأبي زرعة وابن عبد الحكم والطبري. ومنهم من ذكر الأسانيد لكنه يجمعها مرة ويفردها مرة مثل: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، ومنهم من ترك الأسانيد بالكلية واكتفى بإيضاح بعض المصادر؛ إما في المقدمة أو في أثناء الكتاب، مثل: الدينوري واليعقوبي.

— ولقد شارك في تدوين أخبار التاريخ الإسلامي وروايتها مجموعة من الرواة والإخباريين والمؤرخين، الضعفاء أو المتهمين والمطعون في عدالتهم من أتباع الفرق الضالة كالشيعة والخوارج والشعبية والزنادقة، لذا فإنه لا بد من معرفة عقائد الرواة وأقوال علماء الجرح والتعديل فيهم مع التدقيق في الكتب والمرويات التي تأتي عن طريقهم. موقع الدرر السنية، إشراف علوي بن عبد القادر السقاف.

أبرز المؤرخين في العصر العباسي

اسم المؤرخ	الولادة والوفاة	من أناره العلمية
ابن خياط: هو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري الأخباري. يلقب بـ "شباب" والعصفري نسبة إلى العصفري حيث كان يتاجر به، وهو أحد شيوخ الإمام البخاري.	توفي ابن خياط على الأرجح عام ٢٤٠ هـ.	يعد كتابه التاريخ (تاريخ خليفة بن خياط) الموجود الآن برواية بقي بن مخلد واحداً من أهم كتب التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية والفتوح على الرغم من صغر حجمه، وقد قام بتحقيقه المؤرخ العراقي د. أكرم ضياء العمري.
البلاذري: هو أبو الحسن، وقيل أبو بكر، أحمد ابن يحيى بن جابر البلاذري مؤرخ ورواية نسابة وشاعر، انتقل بين سوريا والعراق. وعمل في بلاط الخلفاء العباسيين.	توفي البلاذري عام ٢٧٩ هـ.	١. كتاب فتوح البلدان، وهو من أميز الكتب التي تناولت الفتوحات. ٢. كتاب أنساب الأشراف. ٣. كتاب البلدان الصغير. ٤. كتاب البلدان الكبير.
الدينوري: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.	ولد الدينوري ٢١٣ هـ وتوفي في رجب ٢٧٦ هـ.	كتاب المعارف وعيون الأخبار؛ قال عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان: «كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وأبي إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه وأبي حاتم السجستاني ... وتصانيفه كلها مفيدة».
الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير ابن غالب الشهير بالإمام الطبري، شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين.	ولد في أمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ وتوفي سنة ٣١٠ هـ.	تفسير الطبري. المسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن. تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك). كتاب آداب النفس الجيدة والأخلاق النقيصة. اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام. صريح السنة (يوضح فيه مذهبه وعقيدته). الفصل بين القراءات، آداب القضاة، آداب النفوس، آداب المناسك. تهذيب الآثار، فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.
الجهشياري: هو أبو عبد الله، محمد بن عبدوس بن عبد الله الكوفي الجهشياري، مؤرخ، من الكتاب المترسلين، من أهل الكوفة. نشأ مع أبيه في بغداد. وكان أبوه حاجباً للوزير علي بن عيسى.	توفي الجهشياري عام ٢٣١ هـ.	له كتاب (الوزراء والكتاب) وهو أول كتاب ألف في هذا الفن.
ابن مسكويه: هو أحمد بن يعقوب، أبو علي الملقب بمسكويه ويطلق عليه اسم أبي علي الخازن، أو صاحب تجارب الأمم.	توفي ابن مسكويه عام ٤٢١ هـ.	صاحب كتاب (تجارب الأمم) وهو لا يكتفي فيه بذكر الحوادث بل يهتم بالشؤون الاجتماعية والأحوال الاقتصادية، وبذلك نقل الدراسة التاريخية من سرد الحوادث فقط إلى معالجة الشؤون الاجتماعية والاقتصادية.
البغدادي، العلامة المفتي، الحافظ الناقد، محدث الوقت أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ.	ولد سنة ٣٩٢ هـ وتوفي البغدادي عام ٤٦٣ هـ.	يعد كتابه تاريخ بغداد الذي جمع فيه ترجمة العلماء الذين عاشوا فيها حتى أواسط القرن الخامس الهجري من أميز مؤلفاته. قام العديد من الكتاب بعده باقتفاء أثره وتأليف كتب مشابهة لهذا الكتاب، ككتاب تاريخ دمشق لابن عساكر وبيغة الطلب في تاريخ حلب لابن العديم.
ابن الجوزي: هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري. فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم.	ولد سنة ٥١٠ هـ وتوفي ابن الجوزي عام ٥٩٢ هـ.	تميز ابن الجوزي بقزارة إنتاجه وكثرة مصنطاته التي بلغت نحو ثلاثمائة مصنف شملت الكثير من العلوم والفنون، فهو أحد العلماء المكثرين في التصنيف في التفسير والحديث والتاريخ واللغة والطب والفقه والمواظف وغيرها من العلوم.
ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بـ ابن الأثير الجزري، مؤرخ إسلامي كبير، عاصر الدولة الأيوبية، ورصد أحداثها.	ولد سنة ٥٥٥ هـ وتوفي ابن الأثير عام ٦٣٠ هـ.	الكامل في التاريخ، وهو في التاريخ العام. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، وهو في تاريخ الدول، ويقصد بالدولة الأتابكية، أسد الغابة في معرفة الصحابة، وهو في تراجم الصحابة، اللباب في تهذيب الأنساب. وبذلك يكون ابن الأثير قد كتب في أربعة أنواع من الكتابة التاريخية.

اقتباس من مقدمة كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة الدينوري
ت ٢٧٦ هـ

"وسينتهي بك كتابنا هذا إلى باب المزاح والفكاهة وما روي عن الأشراف والأئمة فيهما، فإذا مَرَّ بك أيها المتزمت حديث تستخفه أو تستحسنه أو تعجب منه أو تضحك له فاعرف المذهب فيه وما أردنا به. واعلم أنك إن كنت مستغنياً عنه بتنسك فإن غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج إليه، وإن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيهِياً على ظاهر محبتك، ولو وقع فيه توقي المتزمتين لذهب شطر بهائه وشطر مائه ولأعرض عنه من أحببنا أن يقبل إليه معك. وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم لاختلاف شهوات الأكلين.

"وإذا مَرَّ بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن تصعر خدك وتعرض بوجهك، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المآثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب... فتفهم الأمرين وافرق بين الجنسين.

"ولم أترخص لك في إرسال اللسان بالرفث على أن تجعله هجيراً على كل حال وديدتك في كل مقال، بل الترخص مني فيه عند حكاية تحكيها أو رواية ترويها تنقصها الكناية ويذهب بحلاوتها التعريض، وأحببت أن تجري في القليل من هذا على عادة السلف الصالح في إرسال النفس على السجية والرغبة بها عن لبسة الرياء والتصنع. ولا تشعر أن القوم قارفوا وتنزهت وثلّموا أديانهم وتورعت.

"وكذلك اللحن إن مَرَّ بك في حديث من النوادر فلا يذهبن عليك أنا تعمدهن وأردنا منك أن تتعمده، لأن الإعراب ربما سلب بعض الحديث حسنه وشاطر النادرة حلاوتها... ألا ترى أن هذه الألفاظ لو وفيت بالإعراب والهمز حقوقها لذهبت طلاوتها ولاستبشعها سامعها وكان أحسن أحوالها أن يكافئ لطف معناها ثقل ألفاظها".



أبو محمد الحسن الهمداني عالم اليمن

هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود بن سليمان الأرحبي البكيلي الهمداني، ويستدل من مواليد صنعاء يوم الأربعاء ١٩ صفر سنة ٢٨٠هـ الموافق ١٠ مايو ٨٩٣م.

اشتهر الهمداني (عالم اليمن) بالعديد من المؤلفات التي ما زال الكثير منها مجهولاً نذكر منها:

١ - كتاب "الجوهرتين العتيقتين" في الكيمياء، حيث لم يهتم الهمداني بتحويل النحاس إلى ذهب، كما كان شائعاً في عصره، بل درس المعادن المعروفة في عصره وخواصها وطرق تنقيتها واستعمالاتها الصناعية والطبية. وأهم ما يميز الهمداني في هذا الكتاب اعتماده على المنهج التجريبي.

٢ - كتاب صفة جزيرة العرب، حيث قدم أدلة على كروية الأرض.

٣ - كتاب الإكليل للهمداني، يروي فيه أخبار العرب والأمم السابقة.

٤ - كتاب سرائر الحكمة.

٥ - كتاب الإبل، عن الحيوان.

٦ - كتاب أخبار الأوفياء.

٧ - كتاب أسماء الشهور والأيام.

٨ - كتاب الأيام.

٩ - الأنساب (يعتقد بأنه أحد أجزاء الإكليل).

١٠ - كتاب الحرث والحيلة، ذكره في مقدمة الجوهرتين.

١١ - زيج الهمداني (جداول جغرافية)، في مكتبة الأمبروزيانا في إيطاليا.

١٢ - المطالع والمطارح، في علوم النحو.

١٣ - عجائب اليمن (جزء في الصفة).

١٤ - القوى في الطب.

١٥ - المسالك والممالك.

١٦ - اليعسوب (في فقه الصيد).

١٧ - الدامغة وشرح الدامغة، قصيدة في الانتصار للقحطانية، أثارت

اهتماماً بالغاً بين الطوائف الدينية وعجلت من سجنه عشرة أيام،

اقتباس من مقدمة كتاب « تاريخ الطبري » لابن جرير الطبري
ت . ٣١٠ هـ

" الحمد لله الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر والدائم بلا زوال
والقائم على كل شيء بغير انتقال والخالق خلقه من غير أصل ولا مثال
فهو الفرد الواحد من غير عدد وهو الباقي بعد كل أحد إلى غير نهاية
ولا أمد. له الكبرياء والعظمة والبهاء والعزة والسلطان والقدرة تعالى
عن أن يكون له شريك في سلطانه أو في وحدانيته تديد أو في تدبيره
معين أو ظهير أو أن يكون له ولد أو صاحبة أو كفاء أحد لا تحيط به
الأوهام ولا تحويه الأقطار ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو
اللطيف الخبير... "

قال أبو جعفر: وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من لدن
ابتدأ ربنا جل جلاله خلق خلقه إلى حال فنأثم من انتهى إلينا خبره
ممن ابتدأه الله تعالى بالأنثى ونعمه فشكر نعمه من رسول له مرسل أو
ملك مسلط أو خليفة مستخلف فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في
العاجل نعماً وإلى ما تفضل به عليه فضلاً ومن آخر ذلك له منهم وجعله
له عنده ذخراً... "

وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره
فيه مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا
ذاكرها فيه والآثار التي أنا مستند بها إلى روايتها فيه دون ما أدرك بحجج
العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه إذ كان العلم بما
كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أبناء الحداثين غير واصل إلى من
لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون
الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس.

فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره
قارئه أو يستشعنه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا
معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل
بعض ناقله إلينا وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا...



تقويم البلدان (الجغرافيا و الرحلات)

أول خارطة حائطية

تحدث الرحالة العرب عن خريطة المأمون، أو رسم الأرض، ورغم أنهم حفظوا لنا مجموعة من الحقائق عنها، فلا يزال هناك غموض كثير يكتنف طبيعة الأسس التي رسمت عليها، ومنهم السعدي الذي رآها، حيث يقول: ورأيت هذه الأقاليم مصورة في غير كتاب بأنواع الأصباغ، وأحسن ما رأيت من ذلك في كتاب جغرافيا لماريتوس، وتفسير جغرافيا قطع الأرض، وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون، واجتمع على صنعها عدة من حكماء أهل عصره، صور فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومسكن الأمم والمدن وغير ذلك، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافية بطليموس وجغرافيا ماريتوس وغيرهما.

وحظي علم الخرائط عند المسلمين بأهمية بالغة، فرسموا الخرائط البحرية، التي استخدمها البحارة الأوروبيون على نطاق واسع لتحديد موقعهم بالنسبة للموانئ والجزر البحرية، وحساب المسافات التي تقصّلهم عنها، وكان رائد هذا الفن، أبو عبد الله محمد بن محمد الإدريسي، الذي وضع بعد رحلة طويلة طاف خلالها الأندلس، وآسيا الصغرى، والقسطنطينية، ومصر، وشمال إفريقية، وسواحل فرنسا، وإنجلترا، للملك النورماني (روجر الثاني) بجزيرة صقلية، أقدم خارطة حائطية للعالم المعمر آنذاك، حدّد فيها التضاريس الجغرافية، ومواقع المدن، والبحار والأنهار، وكان من إعجاب الملك بها أنه أمر بحفر هذه الخريطة على لوح من الفضة، تحت إشراف الإدريسي، فجاءت في غاية الدقة والإتقان.

تتكوّن كلمة **(جغرافيا)** وهي يونانية الأصل من مقطعين هما: جيو (Geo) بمعنى: "أرض" .. و: غرافيا (Grophia) التي تعني: "وصف" .. ومن ثم جاء التعريف الاصطلاحي لعلم الجغرافيا معبراً عن مقتضيات "وصف الأرض": فهو: "علم يتعرّف منه أحوال الأقاليم (القارات) السبع الواقعة في الربع المسكون من كرة الأرض، و**عروض البلدان** الواقعة فيها، وأطوالها وعدد مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وأنهارها... إلى غير ذلك من أحوال الربع المعمور".

وتعدّ كلمة الجغرافيا حديثة بعض الشيء في الاستخدام العربي؛ حيث كان العرب والمسلمون يستعملون بدلاً منها مصطلحات مثل: صورة الأرض، أو قطع الأرض، أو خريطة العالم والأقاليم، أو علم المسالك والممالك، أو علم تقويم البلدان أو علم الطرق.

وفي العصر العباسي زاد اهتمام المسلمين بعلم الجغرافيا نظراً لمتطلبات الكثير من الأمور الشرعية لها ولحجهم للرحلات، وعشق الأسفار، فجابوا الآفاق وطلبوا العلم على العلماء في البلاد البعيدة، وشدّوا الرحال إلى بيت المقدس والبيت الحرام، وتفوّقوا في الوصف، وقوّة الملاحظة، وبلغوا ما لم يبلغ غيرهم من الرحّالين، كما تحدّثوا عن الجغرافيا البشريّة، وما تتضمنه من أحوال السكان، والمدن والملوك والحكّام، والمشاهير، وتعدّ الجغرافيا الوصفية والبشرية والفلكية من أهم المنجزات التي قدّمتها العقلية العربية إلى الحضارة الإنسانية خلال هذه الفترة.

أول معجم جغرافي باللغة العربية: يُعد أبو عبيد عبد الله البكري، أكبر جغرافي أنجبته الأندلس، فقد ألف في علم الجغرافية كتاب (معجم ما استعجم) الذي يعدّ أول معجم جغرافي عربي وصل إلينا أورد فيه جملة مما ورد في الحديث والأخبار، والتواريخ والأشعار، من المنازل والديار، والقرى والأمصار، والجبال والآثار، والمياه والآبار، والدارات والحرار، منسوبة محدودة، ومبوبة على حروف المعجم مقيدة: أما كتابه الثاني فهو (المسالك والممالك)، وكتابه الثالث (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب).

يُعد كتاب (صور الأقاليم) للجغرافي **البلخي أول أطلس جغرافي** في هذا الفن، وصنف أبو القاسم بن **خرذاذبة** أول دليل سفر، عندما وصف في كتابه (المسالك والممالك) الطريق البحري من مصب دجلة في الخليج العربي حتى موانئ الصين. محمد علي شاهين، علم الجغرافية والاكتشافات المبكرة عند المسلمين، موقع حضارة الإسلام

من مشاهير الجغرافيين والرحالة المسلمين في العصر العباسي

- ١ - أبو القاسم عبد الله بن **خرداذبه** الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري: وهو صاحب كتاب (المسالك والممالك) ، وفيه معلومات مهمة عن نظم الحكم والنظم المالية، ويعد دليلاً مهماً للطريق البحري الذي يبدأ من مصب نهر دجلة إلى الهند والصين عن طريق الخليج العربي.
- ٢ - أبو العباس أحمد **اليعقوبي** ت ٢٨٢هـ: صاحب كتاب (البلدان) ، وقد دون فيه نتائج رحلاته الطويلة في أرمينيا وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب.
- ٣ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد **الإصطخري**: عاش في القرن الرابع الهجري صاحب كتاب (الأقاليم) الذي وضعه بالخرائط، وكتاب (المسالك والممالك) ويحتوي على وصف دقيق لكل جزء من أجزاء العالم الإسلامي، وأشهر مدنه وأقاليمه.
- ٤ - أبو محمد الحسن بن أحمد **الهمداني** ت ٣٣٤هـ: وقد ألف كتابه: (صفة جزيرة العرب) ، وكتاب "الإكليل".
- ٥ - محمد أبو القاسم بن حوقل (ولد في نصيبين) كاتب وجغرافي ومؤرخ مسلم ت ٣٦٧هـ. ذرع دار الإسلام من الهند إلى الأندلس ودخل بلاد البلغار، واستخلص منه مشاهداته عبر مجموعة من الخرائط وضعها في كتابه (صورة الأرض).
- ٦ - أبو عبد الله محمد بن أحمد **المقدسي** ت ٣٨٧هـ، يعد من أهم الجغرافيين والرحالة في القرن الرابع الهجري، وكتابه: (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) له قيمة كبيرة من الناحيتين الجغرافية والتاريخية.
- ٧ - أبو الحسن **المسعودي**: صاحب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) الذي وصل برحلته إلى الصين، وإلى سواحل إفريقيا الشرقية، وتقصى فيها مصادر الاطلاع بالوصف والتعليل.
- ٨ - أبو الريحان **البيروني** صاحب (الآثار الباقية من القرون الخالية) الذي وصف الهند وصفاً دقيقاً.
- ٩ - أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز **البكري الأندلسي** ت ٤٨٧هـ: صاحب كتاب: (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب).
- ١٠ - الرحالة المراكشي الحسن بن محمد **الوزاني** الشهير بجان ليون الإفريقي، الذي وصف إفريقيا وصفاً دقيقاً في كتابه (وصف إفريقيا).
- ١١ - الرحالة **أبو دلف الخزرجي**: الذي وصف بلاد تركستان والصين والتبت والهند وسجستان.
- ١٢ - الرحالة **ابن جبیر الأندلسي**: الذي رحل إلى المشرق ثلاث رحلات، استغرقت إحداها ثلاث سنوات.

العالم الخرائطي الشريف الإدريسي ت ٥٥٩ هـ

هو محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي، ولد في مدينة (سبته) بالمغرب سنة ٤٩٣ هـ، ونشأ محباً للعلم، اتصل الإدريسي بالملك (روجر الثاني) ملك صقلية، وكانت صقلية لا تزال تزدهر فيها الثقافة الإسلامية على الرغم من استيلاء النورماندين عليها من المسلمين؛ فطلب من الإدريسي أن يرسم له **خريطة للعالم**، فاختار الرجال، ودربهم على دقة المشاهدة ليصوروا ما يشاهدونه برسومهم ويزودوه بمعلومات جغرافية عن البلاد التي سينزلون بها، وحين اطمأن إلى قدرتهم على إنجاز مهمته أرسلهم إلى بلاد كثيرة، وكان الإدريسي يدون المعلومات التي تصل إليه منهم، ويعيد صياغتها. ثم جمع الإدريسي كل ما وصل إليه في كتاب سماه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، وقد احتوى الكتاب على كثير من المعلومات الخاصة بغرب أوروبا، وقد اشتهر هذا الكتاب بين علماء الشرق والغرب خاصة المشتغلين بالجغرافيا، واستغرق إخراج هذا الكتاب خمسة عشر عاماً.

وبعد الانتهاء من تأليفه، أهداه إلى صديقه الملك روجر سنة ١١٥٤ م الذي أعجب به، وكافأه عليه، ثم قام برسم خريطة للعالم حسب طلب الملك (روجر) على **لوح مستطيل من الفضة**؛ حيث اشتملت على عدد كبير من الأسماء، ثم طلب منه أن يصنع له **كرة توضح شكل الكرة الأرضية**، فأمر الإدريسي أن تفرغ له من الفضة الخالصة دائرة مفصلة عظيمة الحجم في وزن ٤٠٠ رطل، فلما كملت أمر العمال أن ينقشوا عليها صور الأقاليم ببلادها، وأقطارها وريفها وخلجانها وبحارها ومواقع أنهارها وعامرها والطرق والمسافات بين البلاد والمراسي، لا يتركون شيئاً، ويأتون به على هيئته وشكله، فصنع بذلك **أول مجسم لكرة أرضية** دقيقة عُرِفَت في التاريخ على هذا الشكل، ولكن مع الأسف تعرضت للضياع. وقد اهتمت الدول المختلفة بنقل المعلومات التي كتبها الإدريسي عنها ودرسوها، فكان الإدريسي بذلك أعظم جغرافي آنذاك، وحصل على تلك المكانة بفضل ملكاته الممتازة في رسم الخرائط، ويُعدُّ أطلسه أهم أثر للخرائط التي رُسِمَتْ في العصور الوسطى، وقد استطاع (كونراد ميللر) أن يستخرج من أطلس خرائط الإدريسي خريطة جامعة للعالم، وطُبِعَت سنة ١٩٣٨ م ملونة، وفي ١٩٥١ م طُبِعَت باللغة العربية، وظل الاعتماد على خرائطه في أوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادي.

ولم يكن الإدريسي بارعاً في الجغرافيا وحدها بل برع أيضاً في النبات وبخاصة الأعشاب الطبية، وألف فيه كتابه (الجامع لصفات أشات النبات) ولم يَبْقَ من آثار الإدريسي **إلا كتابه وأطلس خرائطه**، ويعتد الإدريسي أول جغرافي متخصص في هذا العلم، فقد فاق (بطليموس) العالم اليوناني القديم الذي كان يدرس الرياضيات والفلك، فكان اهتمامه بالجغرافيا لهذا السبب، أما الإدريسي فلم يهتم إلا بالجغرافيا



خارطة العالم الشريفة للإدريس بن عبد الله ت ٥٥٩ هـ

فقط، فجعلها علماً مثل باقي العلوم، ومن إسهاماته في هذا المجال أنه أكد خطوط الطول والعرض لتحديد المكان والمسافة، وقال بكونية الأرض، وترك عدداً من الخرائط لمنابع نهر النيل والبحار وأقاليم العالم القديم.

العالم الموسوعي ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ

هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله **الحموي** ^(١) (٥٧٤ - ٦٢٦ هـ) أديب ومؤلف موسوعات وخطاط من أصل رومي اشتغل بالعلم وأكثر من دراسة الأدب، وقد سمي نفسه (عبد الرحمن). وأهم مؤلفات ياقوت الحموي كتابه المعروف (**معجم البلدان**) الذي ترجم وطبع عدة مرات.

والحموي رحالة جغرافي، وأديب وشاعر، وخطاط ولغوي، ولد في مدينة حماة عام ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م، ويلقب بالحموي نسبة لمدينته حماة، وقد أسر الروم والدّه في غارة لهم على مدينة حماة، ولم يستطع الحمدانيون فداءه مثل غيره من العرب فبقي أسيراً بها وتزوج من فتاة رومية فقيرة أنجبت "ياقوتاً" ولهذا لقب بالرومي. انتقل ياقوت كثيراً بين البلدان في صغره، وكان واليه التاجر عسكر بن أبي نصر البغدادي، وعامله عسكر معاملة الابن، وقد حفظ القرآن الكريم في مسجد متواضع هو المسجد الزيدي بدرب دينار الصغير على يد مقرئ جيد، وتعلم القراءة والكتابة والحساب، وحين أتقن ياقوت القراءة والكتابة راح يتردد على مكتبة مسجد الزيدي يقرأ بها الكتب، وكان إمام الجامع يشجعه ويعيره الكتب ليقرأها.

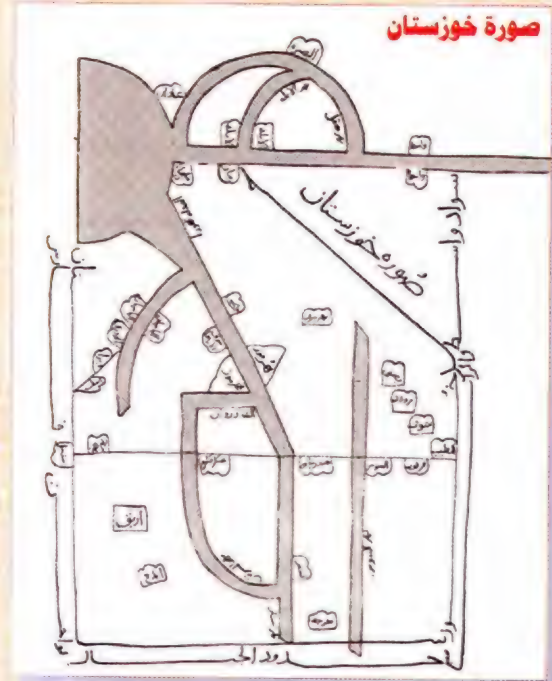
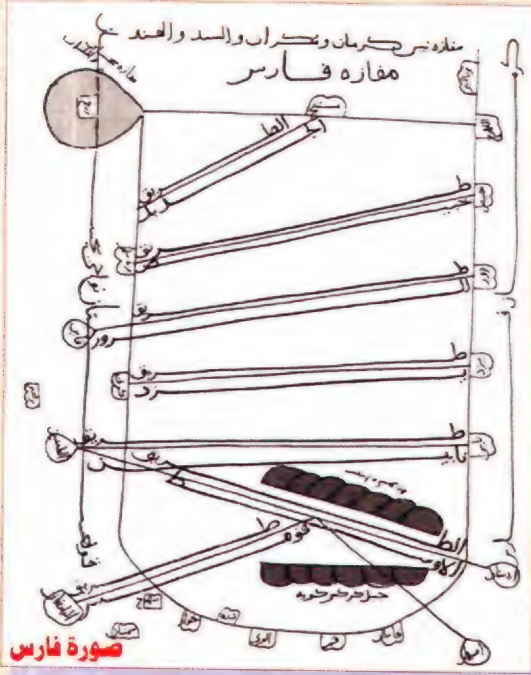
سافر معه إلى عدة بلاد، وكانت أولى أسفاره إلى جزيرة قيس في جنوبي الخليج العربي، وكانت جزيرة شهيرة في وقتها بالتجارة. وتوالت أسفار ياقوت إلى بلاد فارس وجميع أرجاء الشام والجزيرة العربية ومصر، وحين اطمأن عسكر لخبرته بالتجارة، وكان ياقوت يسافر بمفرده، وكان في أثناء رحلاته يدون ملاحظاته الخاصة عن الأماكن والبلدان والمساجد والقصور والآثار القديمة والحديثة والحكايات والأساطير والفرائب والطرائف.

في عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ترك ياقوت الحموي تجارة عسكر وفتح دكاناً متواضعاً بحي الكرخ في بغداد ينسخ فيه الكتب لمن يقصده من طلاب العلم، وجعل جدران الدكان رفوفاً يضع بها ما لديه من الكتب. وكان في الليل يفرغ للقراءة، وأدرك ياقوت أهمية التمكن من اللغة والأدب والتاريخ والشعر فتظلم لنفسه أوقاتاً لدراسة اللغة على يد ابن يعيش النحوي، والأدب على يد الأديب اللغوي العُكْبَرِي.

واستفاد ياقوت في حلب من الاهتمام والترحيب في رعاية واليها الوزير والعالم المؤرخ الطبيب جمال الدين القفطي الذي رحب به في مدينة حلب، وجعل له راتباً من بيت المال، وقد كان ياقوت معجباً بالوالي لعلمه وقد شجعه وأكرمه، وقضى ياقوت في حلب خمس سنوات أنهى فيها الكتابة الأولى لمعجم البلدان، وكان قد بلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً. ويروى أن سبب تأليف ياقوت لهذا المعجم أن سائلاً قد سأله عن موضع سوق حباشة (بالضم)، ولكنه نطقها بالفتح وأصر على صحة نطقه، وتحقق ياقوت من صحة نطق الاسم فتأكد من صواب نطقه هو للاسم فقرر أن يضع معجماً للبلدان.

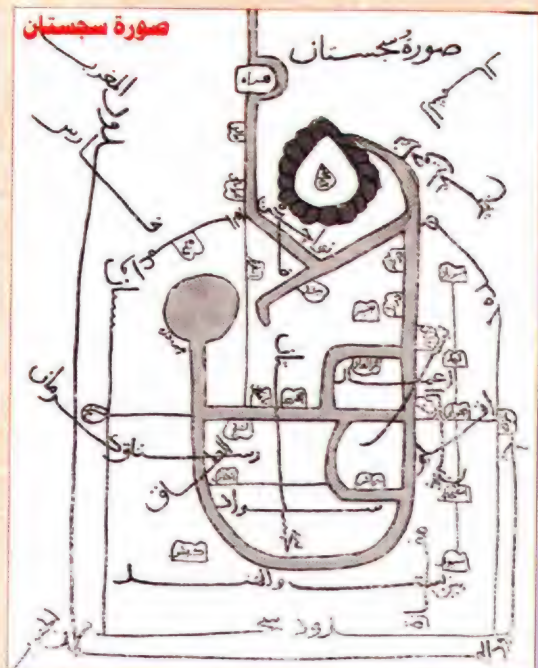
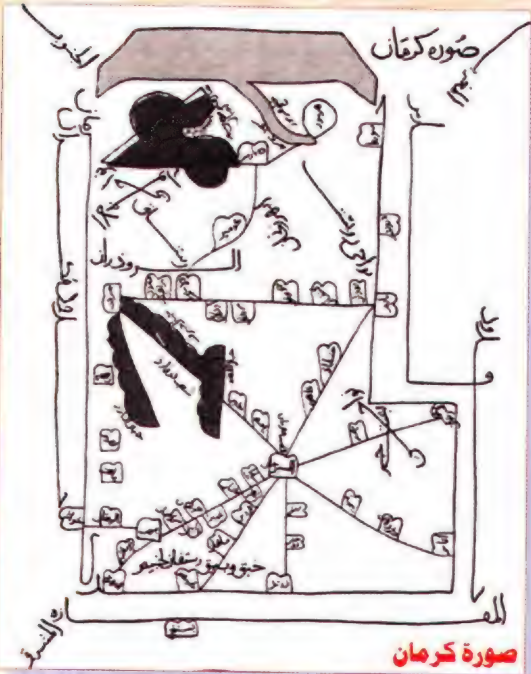
عاود ياقوت السفر مرة أخرى إلى أنحاء سورية والبلدان المجاورة، وكان يودع دائماً المعلومات الجديدة التي يجمعها في معجمه فظل يصحح فيه ويضبطه إلى أن حان أجله عام ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م، وقد طلب من صديقه المؤرخ ابن الأثير أن يضع نسخة من كتابه في الجامع الذي شهد أولى مراحل التعليم. وفي حلب طلب القفطي منه أن يختصر المعجم لكنه كان له رأي آخر لاعتقاده أن الاختصار يشوه الكتب ويفقدها الكثير من قيمتها العلمية.

مصورات إيران في التراث الجغرافي الإسلامي
لابن حوقل النصيبي المتوفى سنة ٣٦٧ هـ .



«... ولأن الغرض في كتابي هذا تصوير هذه الأقاليم التي لم يذكرها أحد علمته ممن شاهدها ، فأما ذكر مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات فيها ، وبعض ما أنا ذاكره فقد يوجد في الأخبار متفرقاً ، ولا يتعذر على من أراد تقصي شيء من ذلك من سافرة أهل كل بلد ، وإن كانت المتعصبة للبلدان والقبائل جارية على خلاف ما توحيته ، وشرعت فيه ورسمته من قصدها لحقائقها ، وإيرادها على ما هي عليه من طرائقها ».

مقدمة كتاب ابن حوقل ، ص ١١ .



رابعاً: العلوم التطبيقية

علم الفلك

علوم الرياضيات

علم الكيمياء

علم الطب والصيدلة

من بين المجالات العلمية التي بزغت إبان العصر العباسي علما الطب والصيدلة، ويرجع ذلك إلى الترجمة التي بلغت في العصر العباسي شأناً عظيماً منذ خلافة أبي جعفر المنصور الذي كلف "جورجيس ابن بختيشوع النسطوري" بتعريب كتب كثيرة في الطب عن اللغات القديمة، وتوارثت أسرته بعد ذلك الترجمة والتأليف والتدريس. ويعد عهد الخليفة المأمون العصر الذهبي لازدهار حركة الترجمة والإنفاق عليها بسخاء، (انظر خلافة المأمون في هذا الأطلس) حيث برز في مجالي الترجمة والتأليف "أبو يعقوب يوحنا ابن ماسويه" الطبيب المسيحي الدمشقي، الذي عهد إليه الرشيد بترجمة الكثير من كتب الأطباء والحكماء مثل: "أبقراط"، و"جالينوس"، وغيرهما وخلف "يوحنا" تلميذه حنين بن إسحاق العبادي الملقب بشيخ ترجمة العصر العباسي. ولم يقتصر تأثير حركة الترجمة العلمية على إثراء المكتبات والمدارس بجل تراث القدماء، ولكن التأثير ظهر في صورة أهم من ذلك، وهي استيعاب القديم، والانطلاق بخطى سريعة إلى عهد جديد في التأليف الطبي. وبلغ التأليف بعد ذلك قمته كما وكيفاً بفضل عدد كبير من المبرزين في علوم الطب تميزوا بغزارة إنتاجهم، وعظمة ابتكاراتهم، وسلامة منهجهم وتفكيرهم.

وسنكتفى بضرب المثل من بين أعمال أشهر أربعة من الأطباء المسلمين هم: جالينوس العرب أبو بكر الرازي، وعميد الجراحة العربية أبو القاسم الزهراوي، وابن سينا، ونابغة عصره في الطب ابن النفيس وابن الجزار القيرواني. لقد قدم هؤلاء الرواد



مع غيرهم خدمات جليلة للحضارة الإنسانية تتمثل في مؤلفاتهم القيمة التي نهلت منها أوروبا في القرون الوسطى، وظل معظمها يدرس في الجامعات الأوروبية حتى عهد قريب.

يسهل البلغم ويحلل النخ ويفتح سدد الكبد والحبال والكلبي ويدبر البول ويجفف ويجلبس البطن ويزيد في آباءه	ينفع من الحيات البلغم الناثية من الحيات الرزف وينفع ضد السموم والهلوى ويدبر العرق وبخاره ينفع من الورم الحادث في الاطراف والتهيج	يسكن الاوجاع الباطنة وتقوى المعدة ويدبر البول والجفاف ويفتت الحصاة وتقوى الكبد وينفع سدها وينفع من خوصصة المعدة والورم الصلب فيها ويشهي الطعام وينفع آباءه	يسهل الصفرا وينفع المعدة الباردة ويقويها وينفع البرقان وينفع سدد الكبد وينفع من الاوجاع الباطنة ويدبر البول ويجلبس ويقلل الديدان وينفع من البواسير	يسهل الخلط السوداوي وينفع السدد ويخرج الديدان والحيات ويقوى الاعضاء الباطنة	يسهل الخلط السوداوي ويخرج الدود والحيات وجبة القرع ويجلي النخ وينفع آباءه
منفعته في جميع البدن	ينفع من الحيات البلغم الناثية من الحيات الرزف وينفع ضد السموم والهلوى ويدبر العرق وبخاره ينفع من الورم الحادث في الاطراف والتهيج	ينفع من الاورام الباطنة وتقوى المعدة ويدبر البول والجفاف ويفتت الحصاة وتقوى الكبد وينفع سدها وينفع من خوصصة المعدة والورم الصلب فيها ويشهي الطعام وينفع آباءه	ينفع من الحيات المزمدة ويجلبس اللون ويحلل الصلاب ضاد او يزيل الاثار النفسية وينفع من السموم ولدغ العقارب ويطرد الهوام بخور	ينفع من وجع المفاصل ومن جميع السموم والدروع	ينفع من الحيات البرق والجرب السوداوي والتهنق الاسود والنيرص سدا
كيفية مضرة اصلاحه بدله عذر الادوية	نصف درهم بالسكاينة رب السوس بذر الرازيانج	نصف درهم بثقل الراس شم الآس وزنه سنبل وكما وزنه زعفران	مقال بجودع النبهوفر شبهج وجوده شبهج	دوهين بالسفل المقل نصف وزنه اقنونيون ونصف وزنه رازيانج	الطبخ خمسة درهم بكر هذه الورد نصف وزنه غار بيوت وزنه حاشا بيوت
و	و	و	و	و	و

علم الكيمياء

يُعدّ علم **الكيمياء** علماً إسلامياً اسماً وفعلاً؛ فلم تُعرّف كلمة الكيمياء أو يرد ذكرها في أي لغة أو حضارة قبل الحضارة الإسلامية، سواء عند قدماء المصريين أو الإغريق، والكيمياء في اللغات الأوربية يكتبونها AlChemie، ومعروف أن كل كلمة لاتينية تبدأ بالألف واللام للتعريف أصلها عربي، ومن ذلك: AlCohol - Algibra.

و"الكيمياء" اسم مشتق من الكم أو الكمية؛ وذلك لأن علماء المسلمين الذين أسسوا هذا العلم كانوا يقولون: إذا أضفنا كمية من هذه المادة إلى كميتين أو ثلاثة من المادة الثانية نتج كذا، وهذا الاسم في ذاته يدلنا على حقيقة مهمة، وهي أن علماء المسلمين أول من اكتشفوا نظرية النسبة في اتحاد المواد، وذلك قبل الكيميائي (بروست) بخمسة قرون، وتقول هذه النظرية: إن المواد لا تتفاعل إلا بأوزان ثابتة، وهو قانون النسب الثابتة في الاتحاد الكيميائي.

وقد جاء في (لسان العرب) لابن منظور أن الكيمياء كلمة عربية مشتقة من كَمَى الشيء وتكَمَاه: أي ستره، وكَمَى الشهادة يكميها كميّاً وأكماها: أي كتمها وقمعها. وقد فسرهما أبو عبد الله محمد الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ) في كتابه (مفاتيح العلوم) بقوله: "إن اسم هذه الصنعة كيمياء، وهو عربي، واشتقاقه من كَمَى ويكمي: أي ستر وأخفى"، وهذا يتفق مع ما ذهب إليه الرازي حين سَمَّى كتابيه في الكيمياء "الأسرار" و"سر الأسرار".

وفي التعريف الاصطلاحي فإنّ علم الكيمياء هو: العلم الذي يُعنى بطبيعة المادة وتركيبها وما يتناولها من تغيرات، أو هو: الدراسة العلمية لخصائص المادة وتركيبها وبنيتها، والتغيرات التي تحدث في بنية المادة وتكوينها، والتغيرات المصاحبة في الطاقة.

لذا تعد الكيمياء من العلوم التي أولاها المسلمون عناية فائقة، فقد بحثوا في تركيب كثير من الأحماض، واخترعوا طرقاً للتبخير والتصعيد والإذابة، وتركيب المواد وتحليلها. فلما اكتشفوا المركبات المهمة مثل الحامض الكبريتي وماء الفضة (حامض النيتريك) واكتشفوا أهم أسس الكيمياء كالتقطير، بل إن المسلمين هم أول من أسس علم الكيمياء على الأساليب العلمية الحديثة، كما قاموا بتطبيق هذا العلم في ميدان الطب، حيث كانت جميع الأدوية المعروفة قبلهم من الأعشاب الطبية؛ فأدخل الرازي لأول مرة استعمال أملاح المعادن كالزئبق والمغنيسيوم والحديد والزنك في الدواء والعلاج وصنع منها المراهم والسفوف والبرشام والمروخ، وكان الرازي يجرب هذه الأدوية على الحيوانات خاصة القروذ القرية.



اخترع المسلمون عدداً كبيراً من المواد الكيميائية التي ما زالت تحمل الاسم العربي، وما زالت دعامة علم الكيمياء، فاخترعوا (الكحول) من التخمير، واستخرجوا الزيوت الطيارة بالتقطير، واكتشفوا الصودا، واستخرجوا السكر من عصير الفاكهة بواسطة عقدها على النار، ولا يزال اسمه Succar، واستخرجوا الفلزات من المركبات الكيميائية، وصنعوا السبائك من معادن مختلفة....



علوم الرياضيات

عُني المسلمون في العصر العباسي عناية كبيرة بعلوم الرياضيات، وصار تعلمها أمراً ملجأً لارتباطها بالأمور الشرعية والحياتية، وفي خلافة أبي جعفر المنصور ترجمت بعض أعمال العالم السكندري القديم بطليموس القلوذي CLAUDIUS PTOLOMY (ت. ١٧ م)، ومن أهمها كتابه المعروف، باسم "المجسطي". واسم هذا الكتاب في اليونانية "EMEGAL MATHEMATIKE"، أي الكتاب الأعظم في **علم الحساب**. والكتاب دائرة معارف في علم الفلك والرياضيات. وقد أفاد منه علماء المسلمين وصححو بعض معلوماته وأضافوا إليه.

وعن الهندية، ترجمت أعمال كثيرة مثل الكتاب الهندي المشهور في علم الفلك والرياضيات، سد هانتا Siddhanta أي "المعرفة والعلم والمذهب". وقد ظهرت الترجمة العربية في عهد **أبي جعفر المنصور** بعنوان "السند هند". ومع كتاب "السند هند" دخل علم الحساب الهندي بأرقامه المعروفة في العربية بالأرقام الهندية فقد تطور على أثرها علم العدد عند العرب، وأضاف المسلمون نظام الصفر مما جعل الرياضيين العرب يحلون الكثير من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات، فقد سهل استعماله لجميع أعمال الحساب، وخلص نظام الترقيم من التعقيد، ولقد أدى استعمال الصفر في العمليات الحسابية إلى اكتشاف الكسر العشري.

ويُعد محمد الخوارزمي من علماء بيت الحكمة ببغداد (ت ٣٨٧ هـ) هو الذي عهد إليه المأمون بوضع كتاب في **علم الجبر**، فوضع كتابه "المختصر في حساب الجبر والمقابلة"، وهذا الكتاب أدى إلى وضع لفظ الجبر وإعطائه مدلوله الحالي. فالجبر علم عربي سماه العرب بلفظ من لغتهم، و الخوارزمي هو الذي خلع عليه هذا الاسم الذي انتقل إلى اللغات الأوروبية بلفظه العربي ALGEBRA.

وترجم هذا الكتاب لللاتينية في سنة ١١٢٥ م. وظل يدرس في جامعات أوروبا حتى القرن ١٦ م. كما انتقلت الأرقام العربية إلى أوروبا عن طريق ترجمات كتب الخوارزمي الذي أطلق عليه في اللاتينية "الجور تمي" ALGORISMO ثم عدل للجورزمو ALGORISMO للدلالة على نظام الأعداد وعلم الحساب والجبر وطريقة حل المسائل الحسابية، وظهرت عبقرية "الخوارزمي" في "الزيج" أو الجدول الفلكي الذي صنعه وأطلق عليه اسم "السند هند الصغير"، وقد جامع فيه بين مذهب الهند، ومذهب الفرس، ومذهب بطليموس (مصر)، فاستحسنه أهل زمانه وانتفعوا به مدة طويلة فذاعت شهرته وصار لهذا الزيج أثر كبير في الشرق والغرب.



مرتسم تخيلي لمجموعة من العلماء والتلاميذ داخل معمل هندسي من العصر العباسي

علم الهيئة (الفلك)

أرجوزة في علم الفلك

لمحمد بن إبراهيم الفزاري
أرجوزة مزدوجة في علم
الفلك، يقول عنها "ياقوت
الحموي" إنها تقوم مقام
زيجات المنجمين، وهي طويلة
يدخل في تفسيرها - هي
وشروحها - عشرة أجلاد،
أولها:

الحمد لله العلي الأعظم
ذي الفضل والمجد الكريم
الأكرم
الواحد الفرد الجواد المنعم
الخالق السبع العلى طباقا
والشمس يجلو نورها
الأغساقا
والبدر يملأ نوره الآفاقا
الفلك الدائر في المسير
لأعظم الخطب من الأمور
يسير في بحر من البحور
فيه النجوم كلها عوامل
منها مقيم دهره وزايل
فطالع منها ومنها نازل
وهي هكذا ثلاثة أقفال ثلاثة
أقفال ...

بدأ العرب يلتفتون دراسةً وإسهاماً إلى علم الفلك في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حيث ترجم إبراهيم الفزاري كتاب (السند هند) في عهده، واتخذ العلماء مثلاً يحتذى، حيث قدم عالم هندي سنة ١٥٦ هـ على الخليفة أبي جعفر المنصور، وكان يحمل كتاباً يحتوي على ذلك العلم، فطلب الخليفة ترجمته إلى العربية، وأن يؤلف منه منهجاً ليكون مرجعاً للعرب في حركات الكواكب، فتولى ذلك محمد بن إبراهيم الفزاري، ووضع منه كتاب "السند هند الكبير"، وبقي يعمل به إلى أيام المأمون، ثم ترجمت **التقاويم** البهلوية التي وضعت في عهد الدولة الساسانية الفارسية، وأضيفت إلى العلوم الرياضية وعرفت في العربية باسم (الزيج).

وقد قام علماء الفلك في عهد المنصور بقياس الدرجة الأرضية، وكان غرضهم من ذلك تحديد حجم الأرض ومحيطها على أساس أن الأرض مدورة، وحدثت تجربة ثانية بعد ذلك في عهد المأمون، فقد أمر بقياس دائرة نصف النهار ووكّل هذا العمل إلى فريقين: فريق عمل بصحراء سنجار شمالي الفرات، والآخر بصحراء تدمر، وقد وصل كلا الفريقين إلى نتيجة جعلت درجة الطول ٥٦ ميلاً غربياً وثلاثي الميل، وهي نتيجة تقرب إلى حد كبير من القياس الصحيح.

ومن أوائل العرب المسلمين الذين برعوا في علم الفلك في عصر مبكر، الإمام الفرغاني، الذي عاش في عصر المأمون، ومن أهم أعماله: أنه حدد قطر الأرض، وأقطار بعض الكواكب، وتحديده لحجومها فكانت مقبولة بغير تعديل تقريباً حتى زمن كوبرنيك، ولقد أثر مؤلفه في الفلك الغربي تأثيراً كبيراً حتى زمن ريجيومونتانوس (توفي ١٤٧٦م).

ومنذ ذلك الحين تزايد اهتمام المسلمين بإنشاء المراصد والإسطرلابات، وعنوا برصد سير الكوكب والنجوم، وحاولوا معرفة التقنيات الجوية وسير الرياح وهيئة الفلك، كما عملوا الأزياج التي يحسب بها سير الكواكب وعن طريقها يستخرج التقويم - كما أسلفنا - . كما برهنوا على كروية الأرض، ولاحظوا أن ما يعلم من الظواهر الفلكية قد يمكن تعليله بافتراض نظرية أن الأرض تدور حول محورها مرة كل يوم وتدور حول الشمس مرة كل سنة.



الإسطرلاب: آلة رصد قديمة لتعيين ارتفاعات الأجرام السماوية ومعرفة الوقت والجهات الأصلية. اهتم علماء الفلك المسلمين بصناعة الإسطرلاب الذي ورثوه من الحضارة اليونانية وطوروه وألّفوا فيه مؤلفات عظيمة؛ فكان العالم محمد بن إبراهيم الفزارى ت ١٨٠ هـ أول من صنع وألّف كتاباً في وصف وصناعة واستعمال الإسطرلاب، والإسطرلاب الذي صُنِعَ عبارة عن آلة فلكية رسم عليها قبة السماء، وقُسِّمَ عليها النجوم إلى مجموعات، ووضح عليها حركات النجوم والكواكب. وقد اهتم العلماء المسلمون بالإسطرلاب اهتماماً كبيراً لدوره الكبير في تحديد أوقات العبادة، واتجاه القبلة والكسوف والخسوف، وكذلك دوره المهم في علم الفلك وصناعة الأزياج الفلكية وتحديد المسافات والقياسات العلمية .. إلخ.

خامساً : العمارة والفنون

تأثر فن العمارة في العصر العباسي بالفن الفارسي. فقد كانت بعض عمائر بغداد مؤلفة من عدة طبقات يظهر في زخرفها الذوق الفارسي.

وفي العصر العباسي الأول تقدم فن الزخرفة تقدماً عظيماً، إذ أصبحت القصور محلاة بالرسوم والزخارف من الداخل والخارج، وعليها صور من الجص المجسم. ومن مميزات فن الزخرفة في العصر العباسي تلك الزخارف الجصية التي كانت تغطي الأجزاء السفلية من الجدران، والصور الحائطية التي تمثل وقائع حرب ومشاهدة صيد أو رسوم حيوانات وطيور.

• ولقد أمر **الخليفة المهدي** ببناء أماكن للاستراحة في طريق من بغداد إلى مكة، وحفر الآبار إلى جوارها، كما أمر بتجديد الأميال. ثم قام **بتوسعة المسجد الحرام**.

• **كان للخلفاء العباسيين ولع شديد ببناء القصور الفخمة، ومنها في بغداد:**

١. قصر الذهب: بناه الخليفة أبو جعفر المنصور.

٢. قصر الخلد: بناه الخليفة المنصور وتأنق في بنائه وتجميله.

٣. قصر الوضاح: بناه الخليفة المهدي.

• **ومن البلدان التي شيدها المسلمون في العصر العباسي:**

١. بغداد: (تقدم ذكر بنائها في خلافة أبي جعفر المنصور من هذا الأطلس).

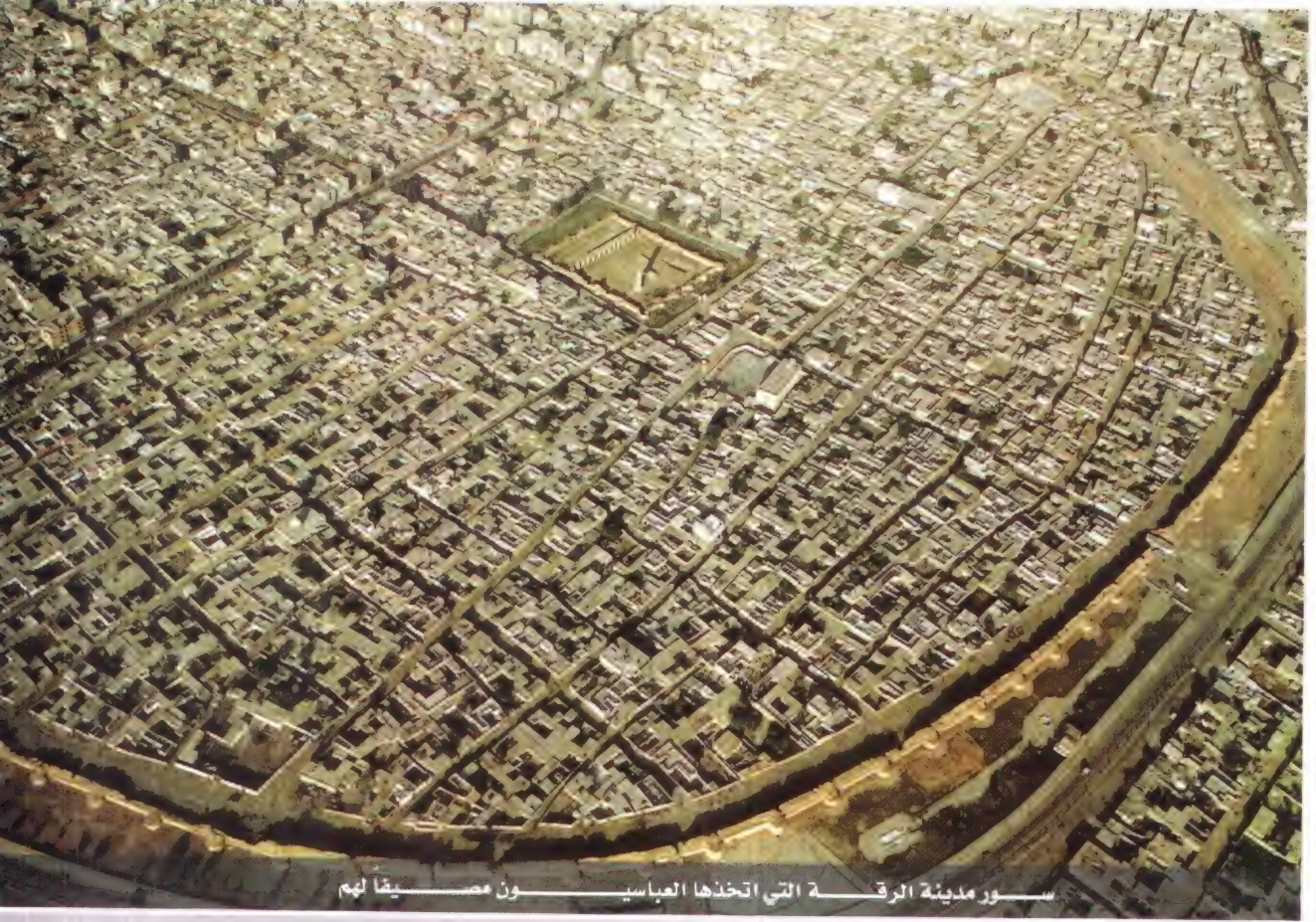
٢. الرصافة: حين فرغ المنصور من بناء مدينته الجديدة (بغداد): بنى في الجهة الشرقية لدجلة المقابلة لبغداد ضاحية (الرصافة) واتخذها في البداية معسكراً للجيش، لكنها عمرت بعد ذلك وظهرت فيها الحدائق والمتنزهات والميادين الواسعة والمباني الفخمة حتى قاربت بغداد في الاتساع.

٣. بدأ الخليفة العباسي المنصور ببناء عاصمة صيفية للدولة العباسية بالقرب من الرقة، سميت الرافقة. بنيت المدينة الجديدة بشكل حدوة فرس على الطراز المعماري لبغداد، وسرعان ما اندمجت مع الرقة. واستعمل الخليفة العباسي هارون الرشيد الرقة عاصمة له أيضاً، وأصبحت المدينة مركزاً علمياً وثقافياً مهماً (انظر الصفحة المقابلة).

٤. سامراء: لما جاء عصر الخليفة المعتصم فقدت بغداد مركزها كعاصمة للعباسيين، إذ بنى المعتصم مدينة جديدة واتخذها مركزاً له، وهي مدينة (سامراء) وذلك في سنة (٢٢١هـ).

٥. الجعفرية: اتخذ الخليفة المتوكل إلى الشمال من سامراء مدينة جديدة أسماها (الجعفرية)، وبنى فيها قصر الجعفري.

٦. القطائع: بناها في مصر أحمد بن طولون واتخذها مقراً لدولته.



٧. القاهرة: وضع أساسها جوهر الصقلي قائد العبيديين سنة (٢٥٨هـ) وتقع إلى شمال الفسطاط.
٨. فاس: تأسست مدينة فاس سنة ١٨٢هـ، على يد إدريس الثاني الذي جعلها عاصمة الدولة الإدريسية بالمغرب.
٩. مراكش: جنوب وسط المغرب، بناها السلطان المرابطي يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٤ هـ.
١٠. المهديّة: بناها عبيد الله المهدي جنوب شرقي القيروان، واتخذها عاصمة للعبيديين في تونس سنة (٣٠٥هـ).
١١. الزهراء: من المدن التي بناها المسلمون في الأندلس، وتقع شمال غربي قرطبة وعلى بعد ثلاثة أميال منها، وقد بناها الخليفة عبدالرحمن (الناصر) سنة (٣٢٥هـ).
١٢. الزاهرة: بناها المنصور بن أبي عامر سنة (٣٦٨هـ) إلى الجنوب الشرقي من قرطبة.

• أهم المدارس التي شيدت في بغداد في العصر العباسي:

١. **المدرسة المستنصرية:** تقع في الجانب الشرقي من بغداد على رأس جسر الشهداء وتمتد جبهتها على ضفة دجلة، (انظر الصفحة المقابلة) شيدها المستنصر بالله الخليفة العباسي السابع والثلاثون (٦٢٣هـ-٦٤٠هـ) - (١٢٢٦م-١٢٤٢م).
٢. **المدرسة النظامية:** وهي أول مدرسة بنيت سنة ٤٥٩ هـ بناها الوزير السلجوقي نظام الملك، وهو وزير محب للعلم، نسبت إلى اسمه فسميت بالنظامية، وهي من المدارس الحسنة البناء المتعددة المرافق ولم تخل أي مدينة من هذه المدرسة، أهمها تلك في بغداد التي فتحت أبوابها للدارسين بعد عامين من بداية إنشائها، وكان يدرس فيها الفقه والعلوم الإسلامية. ومن أهم مدرسيها الإمام الغزالي، كما زارها الرحالة ابن جبیر وقال عنها: إنها أعظم مدارس بغداد، وظل بناؤها قائماً حتى القرن الخامس الهجري.
٣. **المدرسة الشرايية (القصر العباسي):** يعد من أبرز المعالم العباسية الشاخصة اليوم في بغداد وهو بناء فخم فريد في هندسته وتخطيط عمارته، يعود تاريخ تشييده إلى القرن السابع الهجري، ويذهب بعض الباحثين إلى أنه دار الامسنة التي تنسب للخليفة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ ملادية-٦٢٢ هجرية)، بينما يذكر لفيف آخر منهم أن المدرسة الشرايية التي شيدها شرف الدين إقبال الشرايي مقدم الجيوش في زمن الخليفة المستنصر بالله والمعتصم بالله العباسيين. وتذكر المصادر التاريخية أن بناء المدرسة الشرايية قد أكمل في سنة ٦٢٨ هجرية. ويتألف هذا البناء العباسي من طابقين يحيطان بصحن واسع مستطيل الشكل مساحته ٤٣٠ متراً مربعاً، ويتوسط الضلع الشرقي إيوان كبير ارتفاعه نحو ٩ أمتار، وتوجد مجموعة من الحجر والقاعات في كل طابق. وأن جميع واجهات البناية مزدانة بزخارف آجرية جميلة التكوين تتألف من عناصر هندسية ونباتية، وأبرز الحليات المعمارية تشاهد في الرواق الجنوبي.

الجنوبي. بتصريف عن كتاب بغداد للدكتور عيسى سلمان.



المدرسة المستنصرية: مدرسة عريقة أنشئت في بغداد بعد المدرسة النظامية بنحو نصف قرن. وقد أسسها الحاكم المستنصر بالله بعد سنتين من توليه الخلافة سنة ٦٢٥ هـ. وكانت مركزاً علمياً وثقافياً مهماً. تقع في جهة الرصافة من بغداد. شيدت "المستنصرية" على مساحة ٤٨٢٦ متراً مربعاً، تطل على شاطئ نهر دجلة بجانب "قصر الخلافة" بالقرب من المدرسة النظامية، وكانت تتوسط المدرسة نافورة كبيرة فيها ساعة المدرسة المستنصرية العجيبة، وهي ساعة عجيبة غريبة تعد شاهداً على تقدم العلم عند العرب في تلك الحقبة من الزمن تعلن أوقات الصلاة على مدار اليوم. وتتألف المدرسة من طابقين شيدت فيهما مائة غرفة بين كبيرة وصغيرة إضافة إلى الأواوين والقاعات.

فن العمارة عند الموحدين

ما زالت آثار الموحدين في بلاد الأندلس والمغرب شاهدة على اهتمامهم بالعمارة، كمنارة «الخيرالدة» بمدينة **إشبيلية** التي تسحر العين المجردة التي تنظر إليه، التي تُعدُّ من أعاجيب الدنيا حسب تعبير بعض المصادر التاريخية التي مازالت إشبيلية تفاخر بها إلى يومنا هذا، ولقد استعمل الموحدون الآجر والحجر الصالح المميز في بناء هذه المنارة الخلابة التي أشرف على بنائها مهندسون أفذاذ ما زال التاريخ يذكرهم ويذكر إبداعاتهم ولمساتهم الرائعة، كالمهندس الشهير أحمد بن باسة الإشبيلي، والمهندس المغربي علي الغماري، والمهندس العريف محمد بن المعلم، والمهندس ابن جبير إلى غيرهم من المهندسين الأكفاء الذين زخر بهم **العصر الموحدي**، مما يدل على ازدهار علم الهندسة لديهم، ويمكن ملاحظة أثر المهندسين الأندلسيين وبصماتهم في عمائر بلاد المغرب في هذا العصر وما بعده بوضوح ظاهر للعيان، إذ كان لانتصار يعقوب المنصور الموحدي في الأندلس وقهره للصليبيين أكبر أثر في الفن المعماري حيث أضفى عليه طابعاً خاصاً، وحقق بتناسق مع مدرسة القيروان التجانس الفني بين الشرق والغرب، وتجلّى ذلك في روائعه الفنية وبدائعه المتميزة التي تنطق نطقاً بكونه أعظم وأروع بناء شهده العصر الموحدي الزاهر، حيث تظهر الهندسة المعمارية الموحدية في أبهى وأجل معالمها في مساجد مراكش والرباط و«الخالدة» وباقي المنشآت الأخرى^(١).

كما اهتم الموحدون ببناء الأسوار حول المدن ذات الطابع الإسلامي الخالص، وقد تبقت أجزاء كثيرة منها بمدن الأندلس الرطيب كتلك التي مازالت قائمة في مدينة «الميرية» من سور خَيْرَانَ العَامِرِي، وفي «قَاصْرِيَش» هناك أجزاء من سورها الموحدي، وفي «بَطْلْيُوس» بعض الأجزاء من السور الموحدي.

ومن أروع ما خلده التاريخ للخليفة المنصور الموحدي **مسجد «الكتبية»** بمراكش الذي بناه على غرار مسجد «الخيرالدة» بإشبيلية، وحرص أن يكون في أبهى صورة وأروعها فجمع فيه الطراز الأندلسي المغربي حتى وصفه أحد المستشرقين بكونه يعادل في بنائه روائع الجامع الكبير بقرطبة، كما أن عدداً من رؤوس الأساطين في الكتبية هي من أصل أندلسي، فالأعمدة الأربعة التي تساند قوس المحراب من مخلفات الفن الأموي.. فجامع الكتبية يشكل متحفاً حقيقياً للأعمدة الموحدية التي ينيف عددها على الأربعمائة والتي ما زالت تحتفظ بأصالتها المتجلية في عبقرية الفنان الأندلسي الموحدي ومهارة يد الصانع المغربي^(٢). والملاحظ أن المنارات في العهد الموحدي قد تختلف في حجمها لكنها متشابهة في هيكلها، حيث يصعد إليها بواسطة طريق مائل تدور حول قاعات مغطاة بالقبب، وتعتمد الزخرفة على الكتابة الكوفية والأشكال الهندسية كالأقواس أو الرسوم التي تحاكي الزهور والنخيل والصدف.



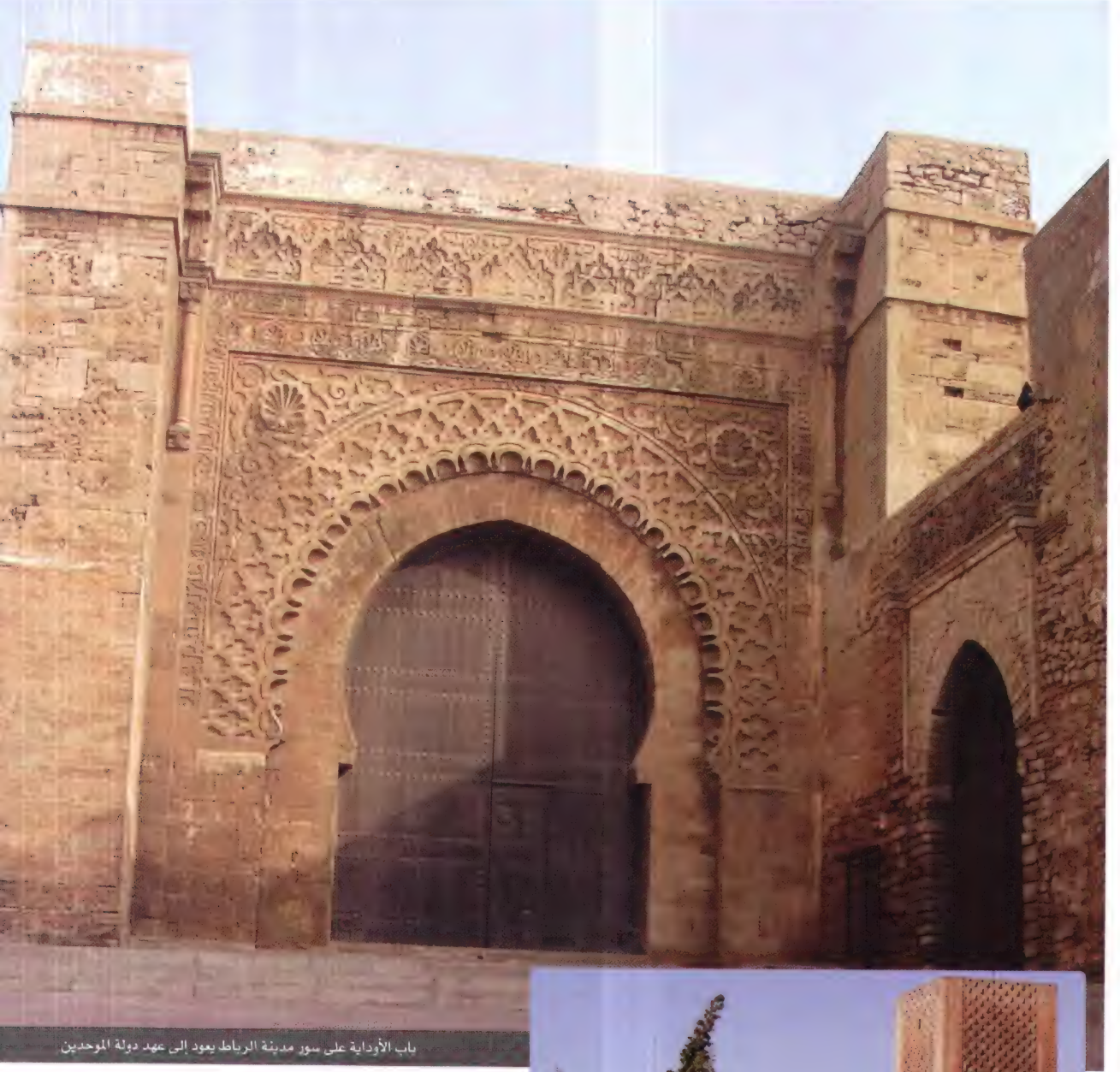
يتوسط جامع الكتبية مدينة مراكش بالقرب من ساحة جامع الفنا. وتسمية المسجد مشتقة من "الكتبيين"، وهو اسم سوق لبيع الكتب يعتقد أنه كان على مقربة من المساجد. لبني جامع الكتبية الأول من طرف الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي سنة ١١٤٧م على أنقاض قصر الحجر المرابطي الذي كشفت التنقيبات الأثرية عن بنياته ومكوناته المعمارية.

وإذا كان الموحدون في بنائهم لمنازة إشبيلية و«حسان» قد حصلوا على الحجر الصالح المتين، فقد بنوا منارة «الكتيبة» من الآجر إذ إن حجر "جليز" لم يكن فيما يبدو ملائماً لبناء هذه المنارة الخلافة التي مازالت شامخة شموخ الجبال تشهد على مهارة الصانع المغربي الأندلسي.

كما يتجلى تقدم وتطور فن العمارة والهندسة في عهد الخليفة المنصور أيضاً في كونه أنشأ في جامعهمراكش المقصورة والمنبر .. (الأوتوماتيكين) وكانا موضوعين على حركات هندسية بحيث يبرزان لدخوله دفعة واحدة ويغيبان لخروجه كذلك..والذي صنعهما هو الحاج بعيش المهندس الذي بنى جبل الفتح لعبد المؤمن^(١).

أما بالنسبة للمدين فمدينة «الرباط» أو «رباط الفتح» التي أسسها يعقوب المنصور وأكمل بناءها بعد أن كانت بلاطاً ورباطاً للجند وضع لبنته الأولى كل من عبد المؤمن وابنه يوسف تعد من المعالم الخالدة التي تركها الموحدون شاهدة على العصر، وفي ذلك يذكر عبد الواحد المراكشي مؤرخ العصر أنه: " .. شرع في بنيان المدينة العظمى التي هي على ساحل البحر والنهر من العدو التي تلي مراكش، وكان أبو يعقوب هو الذي اختطها ورسم حدودها وابتدأ في بنيانها فعاقه الموت المحتوم عن إتمامها، فشرع أبو يوسف في بنيانها إلى أن تم سورها، وبنى فيها مسجداً عظيماً كبير المساحة واسع الفناء.. ولم يتم هذا المسجد إلى اليوم، لأن العمل ارتفع عنه بموت أبي يوسف، وأما المدينة فتمت في حياة أبي يوسف وكملت أسوارها وأبوابها وعمّر كثير منها. وزينها الأمراء بالقصور والمنتزهات، وكان يعقوب المنصور ينوي إتخاذها عاصمة ملكه".

ومن الآثار الرائعة المتبقية بها من عهد الموحدين **السور الجميل المحيط بها، وباب الأوداية الخلافة**، وباب الرواح، وجامع حسان الشامخ الذي يوصف بأنه أعظم مسجد بالغرب الإسلامي، إلا أن بناءه لم يتم مع كامل الأسف، وتذكر المصادر المختلفة أن الموحدين كانوا يستعملون في بناياتهم مواد مختلفة كالحجر المنحوت في «صومعة حسان»، والآجر في «الخالدة أو الخيرالدة»، والطوباء في «سور الرباط»، كما أشار أحد الباحثين المعاصرين في الحضارة المغربية أن مدينة الرباط قد شيدت بحجارة المعابد الرومانية القديمة، وأنها في بنائها كانت تحمل مسحة التجديد، إذ بنيت على هيئة مدينة الإسكندرية المصرية في الاتساع، وبمناسبة تخليد انتصارات المنصور العسكرية في الأندلس، فالمنصور - رحمه الله - كان يراعي في منشآته المعمارية تخليد ذكريات غزوات الإسلام العظيمة كما فعل بعد انتصاره في موقعة «الأرك» الشهيرة، حيث بنى منارة إشبيلية الخالدة^(٢).



باب الأوداية على سور مدينة الرباط يعود إلى عهد دولة الموحدين

صومعة حسان: من المباني التاريخية المتميزة بالعاصمة المغربية الرباط، التي شيدت في عصر دولة الموحدين، حيث تم تأسيس "جامع حسان" بناءً على أمر يعقوب المنصور سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٧-١١٩٨ م)، فهو يعد من أكبر المساجد في عهده، لكن هذا المشروع الطموح توقف بعد وفاته سنة ١١٩٩ م، كما تعرض للاندثار بسبب الزلزال الذي ضرب الرباط سنة ١٧٥٥ م. وتشهد آثاره على مدنى ضخامة البناية الأصلية للمسجد، حيث يصل طوله إلى ١٨٠ متراً وعرضه ٤٠ متراً، كما تشهد الصومعة التي تعد إحدى الشقيقات الثلاث لصومعة الكتبية بمراكش، والخير الدا بإشبيلية على اهتمام الموحدين بالبناء المعماري.



بقايا السور المحيط بصومعة حسان، ويظهر أفراد من الحرس الملكي المغربي على البوابة



الحضارة الإسلامية

نشأت الحضارة الإسلامية في بيئة عذراء، ومن قبائل هي أقرب للفطرة من الشعوب المجاورة لها، ثم صاغها الوحي فخرجت زرعاً «يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» الفتح ٢٩، هذه النبتة الأصيلة زاد عطاؤها ونما خيرها حينما وجدت الأبناء الأوفياء الذين رعوها حق رعايتها، حتى تفيأ العالم بأسره ظلها الوارف وخيرها المتدفق. فقد كانت العصور الوسطى عصور جهل وظلام، باستثناء البلاد الإسلامية التي نعمت بهذه الحضارة الزاهية؛ حيث استطاع العباسيون أن يوجدوا المناخ الملائم والبيئة الطيبة لإبراز هذه الحضارة العظيمة، فالحضارة الإسلامية؛ حضارة قامت على التوحيد والإيمان بالله وكتبه واليوم الآخر، وتتمثل الأخلاق وتنتهج الوضوح والصدق وهي أمور انسلخت منها الحضارات الأخرى فتعرت من الفضائل التي لا تقوم بغير هاتيك المقومات وغدت منها مفلسة. لذلك رأت أوروبا في عصورها المظلمة الخروج من هذا الظلام الدامس بالتعرف على هذه الحضارة الزاهية والنهل منها، فأصبحت بغداد ودمشق وبيت المقدس والقيروان وفاس وقرطبة وصقلية؛ قبلة طلاب العلم ورواد المعرفة من كل أرجاء الدنيا.





المصادر



المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. كتب السنة النبوية.
٣. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)، "الأخبار الطوال"، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٩٦٠م.
٥. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، ت ٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط. الرابعة ١٤٠٦ هـ.، وكتاب العبر في خبر من غير.
٦. خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)، "تاريخ خليفة"، تحقيق د. أكرم العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧م.
٧. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر.
٨. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٣٠٦م)، "المقدمة"، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
٩. أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مكتبة مشكاة الإسلام.
١٠. محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - مطابع دار السراج، ط. ٢ - ١٩٨٠م.
١١. البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن حابر (ت ٢٧٩هـ)، "فتوح البلدان"، تحقيق د عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت، ١٤٠٧ هـ.
١٢. شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، ط ٢، ١٩٠٩.
١٣. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
١٤. أبو عبيد عبد الله البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
١٥. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت - ٣١٠هـ)، تاريخ الرسل (الأمم) والملوك، طبعة بيت الأفكار الدولية، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، ونسخة ثانية لتاريخ الأمم والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة (١٩٩٦م).
١٦. النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، النسخة الرقمية، المرجع الأكبر، مكتبة العريس، بيروت - لبنان.
١٧. الماوردي، علي بن حبيب (ت ٥٤٠/ ١٠٥٨م)، "الأحكام السلطانية"، الطبعة الثالثة، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٣م.
١٨. زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.
١٩. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)، "تاريخ اليعقوبي"، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
٢٠. الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ت - ٧٧٤هـ، البداية والنهاية، مكتبة الرياض الحديثة.
٢١. شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، ت - ٧٢٨هـ، منهاج السنة النبوية.
٢٢. قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، ط. ١٩٨١م، بغداد، العراق.
٢٣. محمد بن مكرم بن منظور، ت ٧١١هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
٢٤. عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ت ٦٣٠هـ. الكامل في التاريخ، - دار صادر - بيروت - ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
٢٥. القاضي أبو بكر بن العربي تحقيق محب الدين الخطيب، العواصم من القواصم، إعداد محمد سعيد مبيض، دار الثقافة قطر الدوحة الطبعة الثانية ١٩٨٩م.
٢٦. أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١هـ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان.
٢٧. ابن بطوطة: شمس الدين أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي ت ٧٧٩هـ، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار).
٢٨. أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي ت ١٠٨٨م، سفر نامه (رحلة ناصر خسرو).
٢٩. عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسبوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ، تاريخ الخلفاء،
٣٠. أحمد بن علي المقرئ المعروف بتقي الدين المقرئ ت ٨٤٥هـ، السلوك لمعرفة دول الملوك.
٣١. شهاب الدين أبو القاسم، المقدسي المعروف بأبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية.
٣٢. أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إدريس الشريفي أو الشريف الإدريسي ت ٥٥٩هـ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.
٣٣. محمد أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت ٣٦٧هـ، صورة الأرض، دار صادر.
٣٤. أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ط. المثنى، بغداد.
٣٥. محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية، دار صادر.
٣٦. الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، منشورات دار اليمامة، ١٣٩٤ هـ.

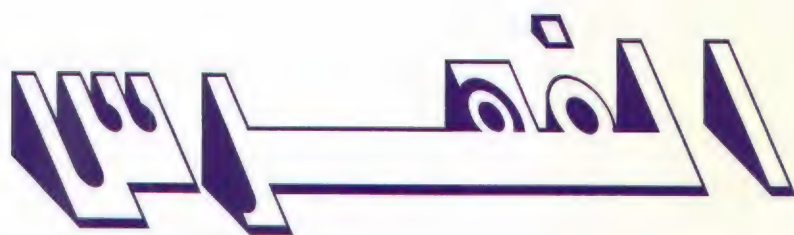
المصادر والمراجع .. ثانياً، المراجع

١. د. علي بن محمد الصلابي، الدعوة العباسية ودورها في نهاية الدولة الأموية، النسخة الرقمية.
٢. د. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة العباسية، دار التفائس للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
٣. د. محمد العبد، مجلة البيان، عدد ١١، ص ٧٣.
٤. الشيخ محمود شاکر، سلسلة التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة ١٤١١ هـ، بيروت - لبنان.
٥. أحمد أمين، ضحى الإسلام.
٦. د. راغب السرجاني (موقع قصة الإسلام).
٧. الشريف أبو عبد المحسن حاتم بن أحمد العباسي، موقع (الأشراف العباسيون حول العالم)، وموقع أسرة آل باوزير العباسية الهاشمية.
٨. الشيخ محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسلامية « الدولة العباسية »، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، ط ١٤٣٦ هـ.
٩. سامي بن عبد الله المغلوث، أطلس الحج والعمرة، تأريخاً وفقهاً، مكتبة العبيكان، الرياض.
١٠. د. محمد بن ناصر المحم، العلاقات بين البيزنطيين والمسلمين، نسخة رقمية.
١١. د. أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، د. ت. الطباعة.
١٢. د. عمرو خليفة النامي، مقدمة تحقيقه لكتاب أجوبة ابن خلفون.
١٣. د. طارق السويدان، الأندلس « التاريخ المصور »، ط ١، ١٤٢٦ هـ، مؤسسة الإبداع الفكري - الكويت.
١٤. د. فتحية النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط ٣، جدة - المملكة العربية السعودية.
١٥. أ. د. سعد بن عبد العزيز الراشد، طرق الحج الرئيسية، النسخة الرقمية.
١٦. د. حسين محمد سليمان، رجال الإدارة في الدولة الإسلامية العربية، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية.
١٧. الموسوعة العربية، دار الفكر، دمشق.
١٨. د. عبد الله الطرازي، انتشار الإسلام في العالم، مكتبة الشقري، الرياض.
١٩. أ. ناصر بن محمد الأحمد، فتح صقلية.
٢٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
٢١. أحمد تمام، مجموعة من المقالات الإسلامية التاريخية، موقع إسلام أون لاين.
٢٢. د. أحمد الصاوي، جريدة الاتحاد الإماراتية، الأرياء ١٠ أكتوبر سنة ٢٠٠٧ م.
٢٣. أ. عبد المجيد بن محمد الخريجي و د. نايف بن عبد الله الشرعان، الدينامية عبر العصور الإسلامية.
٢٤. د. محمود و د. الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط ١٩٩٥ م.
٢٥. د. ارشيد يوسف ارشيد، الحضارة الإسلامية نظم علوم فنون، العبيكان، ط ٢٠٠٥.
٢٦. د. إسماعيل راجي الفاروقي، د. لويس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، العبيكان، ط ١، ١٩٩٨.
٢٧. د. إسحاق رباح، د. سليمان أبو سويلم. الحضارة العربية الإسلامية في النظم والعلوم والفنون.
٢٨. عيسى الحسن، الدولة العباسية تكامل البناء الحضاري، الأهلية، ط ١، ٢٠٠٩.
٢٩. د. محمد محمود محمددين، التراث الجغرافي الإسلامي، دار العلوم، ط ٣، ١٩٩٩.
٣٠. د. محمد أحمد عبد المولى، القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيدية، ط ١ الجزء الأول ١٩٨٥، دار المعرفة الجامعية.
٣١. د. محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي.
٣٢. سامي عبد الله أحمد المغلوث، أطلس الأديان، العبيكان، ط ٣، ٢٠١١.
٣٣. د. رفيق حميد طه السمرائي، نظام الفلسفة الأخلاقية، ط ١ (٢٠١١).
٣٤. يوسف عطا الطريفي، العصر العباسي، الأهلية للنشر والتوزيع، ط ٢ (٢٠٠٩).
٣٥. د. حسن أحمد محمود، تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، ط ١ (١٩٩٩).
٣٦. د. عبد الباري درة، ماجد عرسان الكيلاني. عيسى أبو شيخة، سليمان نجم، الدراسات الاجتماعية، سلطنة عمان وزارة التربية والتعليم والشباب، ط ٦ (١٩٩١ - ١٩٩٠).
٣٧. الدولة العباسية وحضارتها، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، الرياض، مطابع الجامعة.

أطلس تاريخ الدولة العباسية

المصادر والمراجع .. ثانياً، المراجع

- ٢٨ . د. ياسر عبد الجواد المشداني، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا، دار الفكر، ط١ (٢٠١٠).
- ٢٩ . د. لبيب بيبضون، أنساب العترة الطاهرة، مؤسسة الاعلمي، ط١ (٢٠٠٤).
- ٣٠ . د. خالد كبير علّال، المرويات التاريخية عند المسلمين أساليب النقد وظاهرية الوضع فيها، مبرة الآل والأصحاب، ط١ (٢٠١٠).
- ٣١ . د. علي محمد الصلابي، الصراع بين أهل السنة والرافضة نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية وفق الله صلاح الدين ففضى عليها، المكتبة العصرية، ط١ (٢٠٠٨).
- ٣٢ . د. سليم أبو طالب سليم، أثر المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الإسلامي في الدولة العباسية، مكتبة الإشعاع، (١٩٩٩).
- ٣٣ . د. عبد الله كامل موسى عبده، العباسيون وأثرهم المعمارية في العراق ومصر وإفريقيا، دار الافاق العربية، (٢٠٠٢).
- ٣٤ . د. أحمد السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف بمصر، ط١ (١٨٣٩).
- ٣٥ . حسن حسيني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الجنوب للنشر، (٢٠٠١).
- ٣٦ . سامي عبد الله احمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، العبيكان، (٢٠٠٩).
- ٣٧ . د. واجدة مجيد عبد الله الأطرقجي، المرأة في أدب عصر العباسي، مركز زايد للتراث والتاريخ، (٢٠٠٢).
- ٣٨ . د. محمد سهيل طقوش، تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، دار التفائس، ٢٠٠٧.
- ٣٩ . د. محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، الطبعة الثانية، الجامعة الإسكندرية، (١٩٩٧).
- ٤٠ . د. حسين محمد سليمان، المدخل إلى دراسة علم التاريخ، دار الاصلاح، (١٤٠٦).
- ٤١ . درويش الجويدي، ديوان أبي العتاهية، المكتبة العصرية، ط١ (٢٠٠٨).
- ٤٢ . د. محمد مكية، بغداد، ط١ (٢٠٠٩).
- ٤٣ . أشرف السيد الشربيني، مصر في عهد الدولة الفاطمية.
- ٤٤ . صالح بن سقيه التميمي، الدولة الإخضرية قيامها وأسباب تسميتها وحدودها .
- ٤٥ . عبد الله الراشد، الاستيطان في وادي حنيفة من القرن ١ حتى منتصف القرن التاسع الهجري.
- ٤٦ . المواقع الإسلامية الإلكترونية (موقع الألوكة، موقع التاريخ الإسلامي، موقع الأسرة، موقع موسوعة المعرفة).
- ٤٧ . الشيخ صبيح الصالح، النظم الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت ط١ (١٩٦٥ م).
- ٤٨ . محمد عبد الحي شعبان، الثورة العباسية، ترجمة عبد المجيد القيسي، دار الدراسات الخليجية .
- ٤٩ . محمد بن مسفر الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية (العهدان البويهي والسلجوقي) مؤسسة الر سالة، بيروت ط ٣، ١٩٨٦ م .
- ٥٠ . د. حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، بيروت، ١٩٩٢ م .
- ٥١ . عبد الله الأمين، دراسات في الفرق القديمة المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، ط١، ١٩٨٦ م .
- ٥٢ . هارون الرشيد والعصر الذهبي للدولة العباسية، موقع أسرة آل باوزير، ٢٤ شباط ٢٠١١.
- ٥٣ . د. عبد السلام الترماني، أحداث التاريخ الاسلامي بترتيب السنين .
- ٥٤ . السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١ م .
- ٥٥ . د. عبد الحليم عويس، دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية دار الصحوة، دار الوفاء الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
- ٥٦ . محمد توفيق خفاجي، أثر الأثر الك السياسي والاجتماعي في العراق في القرنين الثالث والرابع الهجري (رسالة ماجستير) .
- ٥٧ . د. سلامة بن محمد الهرقي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (دراسة سياسية وحضارية)، منشورات المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٤ هـ .
- ٥٨ . د. عبد العزيز بن محمد الليليم، العلاقات بين العلويين والعباسيين من سنة ٩٨ إلى سنة ٣٣٢ هـ، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٠٩ هـ .
- ٥٩ . د. جمال الشيال، تاريخ الدولة العباسية، ١٩٦٧ م .
- ٦٠ . د. فاروق عمر، بحوث في التاريخ العباسي، ط ١، دار القلم للطباعة، بيروت، مكتبة النهضة. بغداد ١٩٧٧ م .
- ٦١ . د. عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين (التاريخ السياسي) ط ٢ مكتبة الأنجلو المصرية .
- ٦٢ . د. ياسر عبد الجواد المشداني، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا، دار الفكر - عمان الأردن .
- ٦٣ . زيفريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الجبل، ودار الآفاق الجديدة، بيروت ط ٨، ١٩٩٣ م .
- ٦٤ . د. محمد بن أحمد الخطيب، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، مكتبة الأقبسى، عمان - الأردن، ط ٢، ١٤٠٦ هـ .
- ٦٥ . د. سهيل زكار، أخبار القرامطة في الأحساء - الشام - العراق - اليمن -، جمع وتحقيق: نشر عبد الهادي صرصوني - دمشق .



٥

مقدمة الأطلس

٩

قيام الدولة العباسية

الباب الأول

٣١

العصر العباسي الأول (عصر القوة والتوسع والازدهار)

الباب الثاني

١٤٥

العصر العباسي الثاني (أولاً : عصر النفوذ العسكري التركي)

الباب الثالث

١٩٩

العصر العباسي الثاني (ثانياً : عصر النفوذ البويهى الفارسي)

الباب الرابع

٢٥٥

العصر العباسي الثاني (ثالثاً : عصر النفوذ السلجوقي التركي)

الباب الخامس

٤٤١

أبرز الملامح الحضارية في العصر العباسي

الباب السادس

٥٠٥

المصادر والمراجع

٥٠٩

الفهرس

تم بحمد الله ونتمنى

سيرة ذاتية

من مواليد مدينة المبرز بمحافظة الأحساء سنة ١٣٨٢ هـ.

بكالوريوس تربية؛ تخصص رئيس تاريخ، وفرعي جغرافيا.

إمام وخطيب جامع المغلوث بمدينة المبرز منذ عام ١٤١٩ هـ وحتى إعداد هذه السيرة في ١٨ / ٣ / ١٤٣٣ هـ ، حفظ القرآن الكريم في سن مبكر.

شارك في إعداد وثيقة المشروع الشامل لتطوير المناهج سنة ١٤٢٣ هـ.

كُلفَ كعضو لفريق تأليف العلوم الاجتماعية للمشروع الشامل لتطوير المناهج بوزارة التربية والتعليم، وعين مشرفاً على الدعم الفني والتصميم التعليمي للمشروع.

عضو فريق تأليف الأطالس التعليمية بدارة الملك عبد العزيز، وممثل الجانب التاريخي عن وزارة التربية والتعليم في المشروع.

عضو فريق تأليف الأطالس المدرسية بمكتبة العبيكان بالرياض. كُلفَ من قبل وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف بإعداد (وثيقة أطلس تاريخ الدعوة الإسلامية) عام ١٤٢٩ هـ.

كُلفَ من قبل الهيئة العامة للسياحة والآثار بإعداد (وثيقة تضمين المفاهيم السياحية والأثرية في المنتج التعليمي لمناهج التعليم بالمشروع الشامل لتطوير المناهج) عام ١٤٣٠ هـ، حسب مذكرة التفاهم بين الهيئة العامة للسياحة والآثار ووزارة التربية والتعليم .

كُلفَ من قبل وزير التربية والتعليم بإعداد ورقة وزارة التربية والتعليم للمؤتمر الدولي للتراث العمراني بالدول الإسلامية، وتم تقديمها في المؤتمر سنة ١٤٣١ هـ.

كُلفَ مديراً لمشروع الأطلس المصور التربية السياحية والذي تم الانتهاء منه في ١٥ / ٨ / ١٤٣٢ هـ.

كُلفَ في ١ / ٢ / ١٤٣٢ هـ من قبل صاحب السمو الملكي الأمير سعود ابن عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة حائل بإعداد فكرة



سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث

أطلس النقوش والكتابات الأثرية بمنطقة حائل، وتم تفريفه للعمل بإدارة التربية والتعليم بمنطقة حائل لإنجاز وثيقة المشروع.

حصل على العديد من الشهادات العلمية والتربوية في مجالي تأليف وتصميم الكتاب المدرسي .
لديه اهتمام في علم السكة والنميات.

أهم مؤلفاته المطبوعة :

- ١- أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، طبع ونشر مكتبة العبيكان، ١١ طبعة. وترجم إلى عدة لغات عالمية كان آخرها اللغة الإندونيسية وبدعم من صاحب السمو الملكي الأمير / سلمان بن عبد العزيز - سلمه الله - أمير منطقة الرياض - آنذاك - وزير الدفاع حالياً . وتم ترشيح هذا الكتاب من قبل معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العام الإسلامي لجائزة عالمية (مقال منشور بالمجلة العربية ١٤٢١ هـ)، ومن قبل الأديب عبد الله الشباط لجائزة دول مجلس التعاون الخليجي، للعمل الإبداعي (مقال منشور في جريدة اليوم)، علماً أن هذا الأطلس قد تم تحويله إلى برنامج تلفزيوني لقناة دولة الكويت، من ٣٠ حلقة في رمضان سنة ١٤٢٧ هـ. وتم استضافة المؤلف في بعض حلقاته بتقديم الشيخ عبد العزيز العويد.
- ٢- الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (٧ طبعات)، طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض، وحقق هذا الكتاب وسابقه (الأكثر مبيعاً والأوسع انتشاراً) خمسة مواسم متتالية، وقد قام تلفزيون دولة الكويت بتحويله هو الآخر لبرنامج تلفزيوني من ٣٠ حلقة في رمضان سنة ١٤٢٨ هـ. فهو أول أطلس مستقل يستعرض سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم عبر الزمان والمكان، وذلك من خلال تسليط الضوء على مواقع أحداث السيرة النبوية. وتم ترجمته إلى لغات عالمية هو الآخر.
- ٣- أطلس الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، (٤ طبعات) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.
- ٤- أطلس الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (٣ طبعات) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض. وقد تم ترجمته إلى اللغة الفارسية .
- ٥- أطلس الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، (طبعتان) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.
- ٦- أطلس الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (طبعتان) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض. وقد تم ترجمته إلى اللغة التركية.
- ٧- أطلس الأديان، (ثلاث طبعات) طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض في ٧٥١ صفحة من القطع الكبير. ويتناول هذا الأطلس؛ التعريف بالأديان (تاريخ - عقائد - انتشار) عبر خرائط تفصيلية على مسرح الحدث الخاص بالديانة، مع تدعيم كل معتقد بالصور والنصوص الموثقة، وتم استعراض الكتاب عبر وسائل الإعلام المختلفة.

٨- أطلس حروب الردّة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض، ١٤٢٩ هـ.

٩- أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.

١٠- أهم الأحداث التاريخية في عهد الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم -، دار الوراق (٣ طبعات) .
١١- غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم (خارطة جداريه) مقاس كبير، وخارطة أخرى لحروب الردّة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكلاهما طبع ونشر مكتبة العبيكان بالرياض.

١٢- غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيلة تربوية معرفية، طبع ونشر الشركة العالمية للدعاية والإعلان بالرياض.

١٣- الفهد رائد التعليم الأول؛ بمناسبة عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم، وزارة التربية والتعليم. بتقديم معالي وزير التربية والتعليم السابق الدكتور / محمد الأحمد الرشيد.

١٤- المملكة العربية السعودية؛ قيادة وريادة، برنامج حاسوبي بالوسائط المتعددة.
١٥- أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ط . الأولى ١٤٣١ هـ ، مكتبة العبيكان .

١٦- أطلس الحج والعمرة " تاريخاً وفقهاً " مكتبة العبيكان، ط . الأولى ذو القعدة ١٤٣١ هـ.

١٧- أطلس تاريخ الدولة الأموية " مكتبة العبيكان، ١٤٣٢ هـ.

أهم مؤلفاته المترجمة :

١- أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، طبعتان .
٢- الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، طبعتان باللغة الإندونيسية.

٣- الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم للطباعة والنشر بتركيا، باللغة تركية.

٤- أطلس الدين الإسلامي (وهو مقتطع من أطلس الأديان) دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، طبعة واحدة .

٥- أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا.

٦- أطلس الأديان، دار الماهرة للطباعة والنشر بإندونيسيا، طبعة واحدة.

٧- أطلس الخليفة علي بن أبي طالب باللغة التركية (دار يوسف أوزبك للطباعة والنشر بتركيا) باللغة التركية .

٨- أطلس الحج والعمرة "تاريخاً وفقهاً" بالإندونيسية والتركية .

٩- الأطلس الأولى للمؤلف قامت دار التوحيد بفرنسا بترجمتها إلى اللغة الفرنسية.

١٠- تم الاتفاق مؤخراً مع دار السلام بالرياض - بناء على رغبتها - بترجمة (١٢) أطلساً إلى اللغة الأوردية وذلك من خلال التنسيق مع مكتبة العبيكان .

مؤلفات مشتركة :

أطلس المملكة العربية السعودية (المرحلة الابتدائية) ، طبع ونشر مكتبة العبيكان .

أطلس المملكة العربية السعودية (المرحلة المتوسطة) ، طبع ونشر مكتبة العبيكان .

أطلس المملكة العربية السعودية (المرحلة الثانوية) ، طبع ونشر مكتبة العبيكان .

مناهج وزارة التربية والتعليم للمشروع الشامل للمناهج للمرحلتين (الابتدائية والمتوسطة) كتاب الطالب والنشاط والمعلم عدد (٣٦) كتاب .

المشاركة الحالية في إعادة تأليف وتصميم كتب الطالب والنشاط والمعلم المرحلة الثانوية (نظام المقررات) عام ١٤٣١ هـ .

المشاركة في البرامج الفضائية :

تسجيل ١٣ حلقة من إعداداته وتقديمه لقناة « صفا الكويتية » عن حروب الردّة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وقد عرضت خلال ثلاث دورات متتالية.

تسجيل مجموعة من الحلقات الميدانية لحركة الفتح الإسلامي، للقناة نفسها .

المشاركة في برنامج ثقافي عن (الكتاب) لتلفزيون قطر من إعداد وتقديم الدكتور / عبد الرحمن العشماوي، حيث تم تخصيص لقاء لمدة ساعة كاملة عن الحديث عن أطلس تاريخ الأنبياء والرسل مع المؤلف .

المشاركة في بعض حلقات برنامج الميدان التربوي والذي كان يقدم عبر قناة المملكة العربية السعودية الأولى في عام ١٤٢٠ هـ، مع الإعلامي أ . ماجد الحجيلان.

المشاركة في محاضرة عن تاريخ قبيلة طيء في الإسلام في برنامج مهرجان سلمى السياحي عام ١٤٢٩ هـ والذي نقلته قناتي الصحراء والنايلات.

المشاركة في برنامج صباح السعودية في دورته الجديدة في شهر شوال ١٤٣٠ هـ .

المشاركة في برنامج ساعة حوار بقناة المجد الفضائية مع مقدم البرنامج، د . فهد السنيدي، بعنوان " الحج تاريخاً " .

المشاركة عبر برنامج ثقافي عبر قناة الثقافية تقديم أ . محمد بودي .

المشاركة في برنامج ثقافي على الهواء في قناة الإخبارية تقديم أ . خالد العقيلي، بمناسبة مؤتمر التراث العمراني الأولى في الدول الإسلامية.

المشاركة في برنامج خير جليس بالقناة الثقافية السعودية، تقديم د . صالح المحمود.

المشاركة في قناة الإخبارية للعام ١٤٣٢ هـ عن معرض الكتاب الدولي بالرياض.

ألقى العديد من المحاضرات عن الأطالس التاريخية في بعض الجامعات السعودية، و بعض إدارات التربية والتعليم بالمملكة، والمشاركة في بعض الصوالين الثقافية.

مؤلفات تحت الإعداد إن شاء الله تعالى:

١ - أطلس تاريخ المذاهب والفرق الإسلامية، وهو مكمل لكتاب أطلس تاريخ الأديان « تاريخ - عقائد - انتشار » والذي صدر قبل سنوات.

٢ - أطلس تاريخ العصر المملوكي .



المشاركة في المجالس العلمية والصوالين الثقافية



بعض مشاركات المؤلف في القنوات الفضائية



المؤلف أثناء العمل الميداني لأطلس تاريخ الدولة العباسية



المشاركة في أنشطة الجامعات السعودية

وختاماً أقول كما قال القاضي المؤرخ ابن الحاج البلقيني الأندلسي:

يا من إذا رُميت توديعهم ودُعيت قلبي قبل ذاك الوداع